





مجـــلة

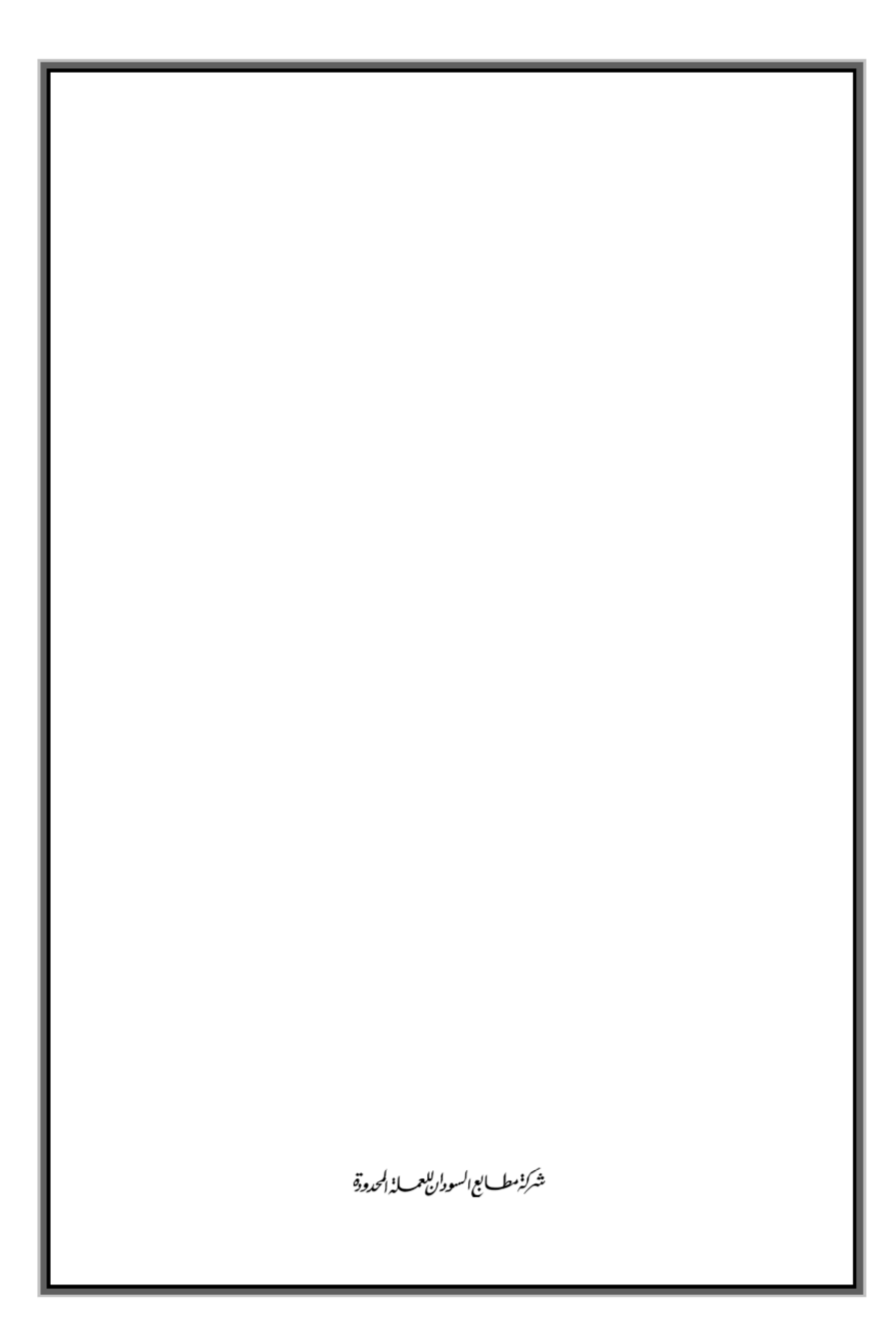
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

مجلة علميّة محكّمة نصف سنوية

تصدرها عمادة البحث العلمي بالجامعة

السنة الثالثة ــ العدد الخامس

ربيع الأول ـ ربيع الثاني 1439هـ ـ ديسمبر 2017م


شركة مطابع السودان للعملة المحدودة


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

[النحل: 89]

قواعد النشر

1. تنشر المجلة البحوث والدراسات في مجالات المعرفة المتعددة، من داخل وخارج الجامعة، باللغات العربية والانجليزية والفرنسية.
2. أن يُمَثّل البحث إضافة للعلم وللمعرفة، ويقدم مساهمة علمية جادة في واحدة من حقول البحث العلمي.
3. يشترط في البحث أن لا يكون قد سبق نشره، أو مقدماً للنشر لدى جهة أخرى، أو كان جزءاً من بحث علمي أُعد لنيل درجة علمية.

متطلبات النشر:

1. أن يُقَدَّم البحث مطبوعاً من ثلاث نسخ بخط **Simplified Arabic** بحجم **14** لنص المتن، و **12** للتوثيق في الهامش، ونسخة رقمية ثالثة في اسطوانة **(C.D)**.
2. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن **40** صفحة ولا تقل عن **25** بما في ذلك الأشكال والمراجع والملاحق، مع ضرورة اشتمال البحث على: ملخصين بلغتين؛ العربية أحدهما، على ألا يزيد كل ملخص عن صفحة واحدة، ومقدمة، ومتن مقسم لأجزاء، وتوثيق وفقاً للمنهج العلمي، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، ونبذة تعريفية عن الباحث، والتخصص الدقيق للبحث.
3. ترسل جميع البحوث باسم رئيس هيئة تحرير المجلة، سواء شخصياً أو عبر البريد الإلكتروني للمجلة.
4. إن ما ينشر في المجلة يمثل رأي صاحبه، وليس بالضرورة هو ما تتبناه المجلة.

التحكيم:

1. تخضع جميع البحوث للتحكيم الأولي من قبل هيئة التحرير، ثم تحال إلى متخصصين لتحكيمها وفقاً للاعتبارات العلمية، ويعتمد رأي المحكمين في النشر من عدمه.
2. المجلة غير ملزمة برد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

المراسلات

ترسل الرسائل باسم رئيس هيئة التحرير:

جمهورية السودان – ود مدني: ص ب: 222

☏ = 0120391124 -0111191670

الموقع الالكتروني: http://uofq.edu.sd

E. mail: bahthilmiuofq@yahoo.com

فهرس المكتبة الوطنية – السودان

مجلة جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

ردمد ISSN 1858 – 7526

محتويات العدد

افتتاحية العدد

الحمد لله الذي كرم الإنسان بالعقل، وحمّله أمانة التكليف والاستخلاف في الحياة الدنيا، والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وخاتماً للأنبياء والمرسلين سيد ولد آدم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أيها الإخوة الأكارم رواد البحث العلمي، ناشدي الحقيقة والابتكار والإبداع والسعادة، تلتقيكم مجلتكم الفتية بعددها الخامس، وبين دفتيه اثنا عشر بحثاً كل منها يمثل إضافة معرفية في موضوعه ومجاله، ونسأل الله تعالى المزيد من التوفيق والإفادة والاستفادة عنا والبشرية معاً. فجاء البحث الأول، بعنوان: (الدور البيئي للحشرات في القرآن الكريم) في محور القرآن الكريم. وجاء البحث الثاني في محور القانون، بعنوان: (التظلم الإداري في النظام القانوني السوداني). كما جاء البحث الثالث، بعنوان: (مظاهر التخفيف في رواية قالون تخفيف الهمزة أنموذجاً)، تحت محور اللغة العربية (النحو والصرف). وتلاه البحث الرابع في محور الأدب، بعنوان: (السمات الاجتماعية والأدبية للشعر العربي بين الجاهلية والإسلام)، ثم جاء في محور التربية البحث الخامس، بعنوان: (دور المنهج الخفي في تعزيز المسئولية الأخلاقية "دراسة وصفية تحليلية تأصيلية")، والبحث السادس، بعنوان:(تصنيف الأهداف التربوية ودورها في تطوير الأداء التربوي،"دراسة تأصيلية")، والبحث السابع في نفس محور التربية، بعنوان:(العولمة وانعكاساتها عن القيم الإسلامية)، وفي محور علم النفس جاء البحث الثامن، بعنوان:(علاقة السلوك الديني بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى طلاب المستوى الجامعي)، وجاء البحث التاسع في محور التأريخ، بعنوان: (معارك المهدية بين الثورة والدولة ، "دراسة وصفية تحليلية"). وكان البحث العاشر في محور الاقتصاد، بعنوان:(أثر الوقف على التنمية الاقتصادية)، وفي محور الرياضيات جاء البحث الحادي عشر، بعنوان:(تمثيل زمرة لي

وزمرة اللف المغزلي) وكان خاتمة بحوث العدد باللغة الانجليزية في محور التربية، بعنوان:(تدريس النحو بالطريقة الضمنية في المدارس الثانوية).

كل هذه البحوث نقدمها لكم في هذا العدد، ونأمل أن تجد رضاكم وأن تحظى بجميل وكريم إسهاماتكم، خدمة للإنسانية بالمعرفة والبحث العلمي المنشود، ولكم جميعاً باسم أسرة المجلة وافر الشكر وعظيم العرفان.

وجزاكم الله خيراً،،،،،

د. حامد إبراهيم علي محمد
عميد عمادة البحث العلمي
رئيس هيئة مجلة جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

الحشرات ودورها البيئي في القرآن الكريم

د. عبد المنعم الطيب حميدة علي[*]

[*] - أستاذ مساعد، قسم الأحياء والكيمياء، كلية التربية، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

مستخلص

يهدف هذا البحث الموسوم إلى دراسة الحشرات في القرآن الكريم وعرض الدور البيئي الكبير الذي تقوم به هذه المخلوقات الصغيرة، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت الدراسة إلى بعض النتائج أهمها، الحشرات لها دور كبير في الحفاظ على التوازن البيئي، الحشرات لها فوائد عديدة مثل نقل حبوب اللقاح وإنتاج العسل والشمع وغيرها، إعجاز المولى عز وجل في خلقه.

Abstract

This research aims at investigating the insects in the Holy Quran, the great environmental role played by these small creatures. The researcher used the analytical descriptive method. The study concluded some results: Insects have a great role in maintaining ecological balance. Insects have many benefits such as carrying pollens and the production of honey and wax, others. The miracle of Allah (swt) in his creation.

مقدمة :

علم الحشرات فرع من فروع علم الحيوان والحشرات من أكثر الكائنات الحية انتشاراً في البيئة، ساعد على انتشارها في البيئة صغر حجمها، وصل عددها إلى مليون نوع ويقدر العلماء عدد الحشرات ثمانية ملايين ويتم اكتشاف خمسة أنواع كل عام، وردت أسماء الحشرات في مواضع مختلفة من القرآن الكريم فلقد ذكر الله تعالى في محكم كتابه الشريف حوالي ثماني حشرات وهي:[1]

البعوض الذي جاء ذكره في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[2] والجراد ذكر في قوله تعالى :﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ ﴾[3] وورد ذكر النحل في قوله تعالى :﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾[4] وذكر أيضاً في القرآن الكريم الذباب ورد ذكره في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾[5] والنمل ذكر في قوله تعالى والعنكبوت جاء ذكره في قوله تعالى :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ

---

(1) على المرسى وآخرون (2011م). آساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي،ص (230- 233).

(2) سورة البقرة الآية: (26)

(3) سورة القمر الآية: (7).

(4) سورة النحل الآية:(68).

(5) سورة الحج الآية: (73).

وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[1] وجاء ذكر الفراش في قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ [2]

مشكلة البحث :

التعرف على الحشرات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وفوائدها .

أهمية البحث :

1ـ معرفة الحشرات التي ذكرت في القرآن الكريم.

2ـ التعرف على فوائد الحشرات المذكورة.

3ـ التعرف على أضرار الحشرات في القرآن الكريم.

5ـ تبصير الناس بما ورد من ذكر هذه الكائنات الصغيرة.

6ـ معرفة الحكمة من خلق هذه الحشرات.

أهداف البحث :

1. التعرف على الحشرات المذكورة في القرآن الكريم.

2. معرفة فوائد الحشرات.

3. معرفة أضرار الحشرات.

4. معرفة الدور البيئي للحشرات.

---

(1) سورة العنكبوت الآية: (41).

(2) سورة القارعة : (4).

مصطلحات البحث :

القرآن الكريم : هو كلام الله المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً ومفرقاً بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

الحشرات : هي نوع من أنواع الحيوانات اللافقارية في شعبة مفصليات الأرجل تُعد الحشرات أكثر انتشاراً في شعبة مفصليات الأرجل .

أسئلة البحث :

1ـ في أي الآيات ذكرت الحشرات في القرآن الكريم ؟

2ـ ما فوائد و أضرار الحشرات ؟

3ـ ما علاقة الحشرات بالإنسان والبيئة ؟

المنهج المتبع في البحث :

الوصفي التحليلي

هيكل البحث :ـ

المبحث الأول : المقدمة: المشكلة والأهداف- الأهمية – الأسئلة- المصطلحات .

المبحث الثاني: البعوض ـــ النمل- النحل والذباب .

المبحث الثالث: القمل - العنكبوت- الفراش والجراد .

المبحث الرابع : الخاتمة والنتائج والتوصيات.

المبحث الخامس : المصادر والمراجع .

المبحث الأول

البعوض والنمل والنحل والذباب

1- البعوض :-

يُعدُّ البعوض من أهم العائلات التابعة لرتبة ثنائية الأجنحة يوجد حوالي 3100 نوع من البعوض في العالم ينتمي إلى 34 جنس.(1)

دورة حياة البعوض :

البيض:

تضع أنثى البعوض حوالي 30 - 300 بيضة في كل وضعة بيض، البيض بني ضارب إلى السواد، طور البيض هو طور ساكن نسبياً فهو لا يتغذى ولا قدرة له على الحركة يفقس البيض بعد يومين أو ثلاثة أيام.

اليرقة :

عند الفقس تدفع اليرقة طريقها خارج البيضة بواسطة زائدة حادة توجد في وسط الرأس ويبلغ طول اليرقة حوالي 2- 11 ملليمتر وتعيش اليرقة من أسبوع إلى بضعة شهور.(2)

تتغذى اليرقات على الخمائر والبكتريا والعديد من الأحياء الدقيقة المائية وبعضها يتغذى على يرقات البعوض الأخر.

العذراء :

لا تتأثر بالبيئة كثيراً لأنها لا تتغذى ولأن مدة وجودها في هذا الطور قصيرة جداً من يومين إلى ثلاثة . تطفو العذراء فوق الماء بحيث تبرز أنبوبتي التنفس فوق سطح الماء .

---

(1) د.مؤتمن على عبد القادر و عبدالله إبراهيم الحشرات ذات الأهمية الطبية 2009م، ص 122.

(2) د. إبراهيم علي حسن الحشرات المنزلية وعلاقتها بصحة الإنسان والحيوان وأثرها علي الحبوب المخزونة، ص (229- 230)

الحشرة البالغة :

بعد الخروج من كيس العذراء تبقى الحشرات البالغة ساكنة إلى أن يحين الوقت لكي تخرج فتأخذ وجبة الدم في حالة الإناث أو من الرحيق في حالة الذكور، وتكون الحشرة البالغة نحيلة الجسم طولها حوالي 4-6 ملم والجسم مقسم بوضوح إلى رأس وصدر وبطن، والرأس كروي الشكل وبه زوج من العيون المركبة يخرج من بين العيون زوج من قرون الاستشعار، الفم ثاقب ماص خرطومي واضح ممتد للأمام والصدر محدب قليلاً والأجنحة الأمامية غشائية طويلة وضعيفة نسبيا، والأرجل طويلة ونحيلة مغطاة بحراشف بنية أو سوداء أو بيضاء يتكون البطن من عشر حلقات.[1]

الله سبحانه وتعالى عندما ضرب مثلاً ببعوضة فهو بين للناس أن هذا المخلوق الصغير في حجمه وعظيم في خلقة حيث قال ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

البعوضة لها مئة عين في رأسها ولها في فمها 48سناً ولها ثلاثة قلوب في صدرها ولها ستة سكاكين في خرطومها ولكل واحدة وظيفتها ولها جناحان لأنها ثنائية الأجنحة ومزودة بجهاز حراري يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء وظيفته يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه. مزودة بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان مزودة أيضا بجهاز تحليل دم.

مزودة بجهاز لتمييع الدم حتى يسرى في خرطومها الدقيق جداً ولها جهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى 6 كلم .

(1)إبراهيم علي حسن، الحشرات المنزلية وعلاقتها بصحة الإنسان والحيوان وأثرها علي الحبوب المخزونة، ص(231- 233)

(2) سورة البقرة الآية: (26).

وأغرب ما في ذلك كله أن العلم الحديث اكتشف أن فوق ظهر البعوضة تعيش حشرة صغيرة جداً لا ترى إلا بواسطة المهجر.(1)

فوائد البعوض :

لدغة البعوض لها فائدة في تنشيط جهاز المناعة في الجسم وعند لدغة البعوض الحادة تدخل في الجسم مواد تسبب التهابات وبذلك تزيد كريات الدم البيضاء للدفاع عن الجسم.

أضرار البعوض :

يُعدُّ البعوض الناقل الوحيد لكثير من الأمراض حيث ينقل البعوض الملاريا والحمى الصفراء وحمي دنجو(الضنك) كما أنها تشترك في نقل ديدان الفلاريا التي تسبب مرض الفيل وغيرها من الأمراض كما تسبب إناث البعوض بوخزها إزعاجاً للإنسان.

2- النمل :

تُعدُّ فصيلة النمل ثاني أكبر الجماعات الحشرية من حيث تطور السلوك الاجتماعي ويرجع تاريخها إلى نحو 100 مليون سنة ويتبع النمل إلى رتبه غشائية الأجنحة .

تتغذى معظم أنواع النمل على مفصليات الأرجل الأخرى كما يمكنها الحصول على إمدادات غذائية من أصل نباتي مثل الأزهار والعصارة النباتية . وتجمع بعض أنواع النمل البذور وتخزنها وبعضها تكون علاقة تكافلية مع شجيرات أو أشجار معينة تحميها من الثديان آكلة النبات وتحصل في مقابل ذلك من هذه النباتات على المأوى ومصادر للغذاء.(2)

يبحث النمل في داخل المنازل عن حبيبات السكر وبقع الدهون وقطع اللحم وأحياناً يبحث عن الماء، الله سبحانه وتعالى ذكر النمل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾(3)

---

(1) علي المرسي وآخرون (2011م). أساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي، ص(345)

(2) إبراهيم علي حسن، الحشرات المنزلية وعلاقتها بصحة الإنسان والحيوان وأثرها علي الحبوب المخزونة، ص (235).

(3) سورة النمل الآية: (18).

النمل يتكلم :

أثبت العلماء بعد دراسة طويلة لعالم النمل أن النمل من أكثر الحشرات تنظيماً ولديه وسائل للتواصل عن بعد وذلك من خلال إفراز مواد خاصة تنشر رائحتها في كل اتجاه وتميزها بقية النملات وتفهمها ولذلك فقد حدثنا القرآن الكريم عن حقيقة علمية لم يكن أحد يقتنع بها حتى زمن قريب.

النملة هي التي تنبه عن الخطر:

أثبتت الحقائق العلمية المؤكدة والتي لم يكن لأحد علم بها إلا بعد زمن نزول القرآن أن النملات المؤنثة هي التي تتولى الدفاع عن المستعمرة وحمايتها عن خطر مفاجئ ولذلك جاءت صيغة الخطاب في القرآن الكريم علي لسان نملة[1]

النملة تتحطم :

أكد العلماء أن النمل له هيكل خارجي صلب جداً قابل للتحطيم ولذلك فإن لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتكسر كالزجاج ولذلك جاء البيان الإلهي ليتحدث عن هذه الحقيقة بكلمة (يحطمنكم) أليست هذه معجزة قرآنية فسبحان الله .

دورة حياة النمل :

إناث النمل الملقحة أو الملكات تضع بيضها في سراديب أو غرف فالملكة لا تغادر غرفتها وتغذي حضنتها على اللعاب أو البيض الغني بالمكونات الغذائية المستمرة من ترسبات الدهون الموجودة في جسمها .

والنمل حشرات لها أحجام مختلفة يتراوح اللون بين الأصفر والرمادي والبني إلى الأسود يتميز عادة بوجود الخصر بين الصدر والبطن مكون من (1- 2) حلقة – الذكور مجنحة ولها أجهزة حسية كاملة التكوين مثل العيون المركبة وقرون الاستشعار ووظيفتها الوحيدة هي تلقيح الإناث.

---

(1) ويكيبديا،موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم قسطاس إبراهيم ألنعيمي، ص(270).

فئات النمل :

1- الملكة : لها آلية طيران مكتملة النمو، عند خروجها من طور العذراء. وبعد تلقيح الطيران، تتقصف الأجنحة وتتحلل أنسجة الطيران، لها ثلاث عوينات وأعين مركبة ولأعين الملكات عدد أكبر من الوحدات البصرية، وتحوي مستعمرات وتعيش الملكة 18 عاماً .

2- الشغالات :

هي تمثل غالبية سكان المستعمرة وتختلف عن الملكة بحجمها الأصغر وصدرها المختزل إلى درجة كبيرة والذي لا يمكن أن تنشأ به آلية للطيران ويختلف عدد الوحدات البصرية باختلاف حجم الشغالات . البيض غير المخصب في النمل ينتج ذكوراً والبيض المخصب ينتج إناثاً.(1)

أضرار النمل:

النمل يهاجم المطابخ ويتغذى على الأغذية التي بها ويفضل منها الأنواع السكرية واللحم كما يهاجم المخازن وينقل كثير من الحبوب المخزونة . كما أن وخزة النمل تسبب الألم والإزعاج للإنسان .

فوائد النمل :

وخز النمل يؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية وزيادة عدد كريات الدم الحمراء وتنشيط الخلايا العصبية الموجودة في الدماغ ويفيد النمل لمرضى الرماتزيوم والتهاب المفاصل وكثير من الفوائد .(2)

3- النحل :

يعتبر نحل العسل من أكثر الحشرات الاجتماعية شيوعاً وأعظمها فائدة وتم اكتشاف نحل العسل على مدى التاريخ البشري .

---

(1) إبراهيم علي حسن، الحشرات المنزلية وعلاقتها بصحة الإنسان والحيوان وأثرها على الحبوب المخزونة، ص (235- 243)

(2) محمد راتب النابلسي آية ذباب عبد الله ،2016/3/9م، ص (120).

وتعرف النحلات كملحقات لأغلب النباتات الزهرية فهي مهمة لإنتاج أغلب البذور والثمار، للنحل فم قارص لاعق تقوم شغالات النحل بتحويل رحيق الأزهار إلى عسل. ويتم تخزينه في العيون السداسية للنحلة تقوم النحلات باللسع فقط لحماية خليتها والإناث فقط تقوم باللسع وتموت بعد اللسع الإناث، لأن آلة اللسع المتروكة داخل جسم الإنسان تترك معها بعض الأجزاء الحساسة من داخل بطن الحشرة .[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[2]هذه الآية الكريمة تبين لنا أدق التفاصيل للعملية التي اكتشفها العلم الحديث في أسلوب حياة النحل ذات النظام الرائع وفيما يلي التعبيرات القرآنية الرائعة التي جاءت في تناسق وإتقان تام مع ما أثبته العلم الحديث:

ورد ذكر النحل في الآيات الكريمة مؤنثاً (اتخذي ـ كلى ـ فاسلكي ـ بطونها) كل الأعمال داخل الخلية وخارجها يقتصر فقط على الإناث دون الذكور وينحصر دور الذكور في تلقيح الإناث فقط .

هذه الآية لا تشير إلى العسل فقط كما يعتقد بعض الناس بل منتجات النحل النافعة الشافية بأذن الله مثل العسل وسم النحل والغذاء الملكي وشمع النحل أصله عند خروجه من بطون الشغالات سائلاً ثم يتصلب عند ملامسة الهواء.[3]

فئات النحل :

1/الذكور :

يتميز الذكر بعينيه الكبيرتين وجسمه الضخم وتتولى شغالات النحل تغذية الذكور على مدى 4- 5 أسابيع من حياتها والذكور غير قادرة على حصول الرحيق من الأزهار وتخرج في طلعات جوية بحثاً عن الملكات حيث تقوم بتلقيحها وهي طائرة في الهواء.

---

(1) مؤتمن على عبد القادر و عبدالله إبراهيم الحشرات ذات الأهمية الطبية 2009م، ص(145- 147)

(2) سورة النحل الآية: (68).

(3) موسوعة عجائب الحيوان.

2/الملكة :

يكون حجم الملكة أكبر قليلاً من الشغالة وبطنها تكون أطول وتمتد لمسافة كبيرة بعد نهاية أجنحتها المطوية ولا تسعى الملكة أبداً من أجل الغذاء ولكنها تغادر الخلية مرة أو أكثر لتقوم بطيران التلقيح.

توجد الملكة طول الوقت داخل الخلية وهي تنتج البيض المخصب والبيض غير المخصب وربما يصل المجموع الكلي لهذا البيض إلى نحو 600.000 بيضة على مدى سنتين إلى 3 سنوات من دورة حياتها الطبيعية.

3/الشغالات :(1)

هي إناث ضمرت أعضاؤها التناسلية إلى الحد الذي يمنعها من الجماع ولكنها تستطيع وضع البيض غير المخصب الذي ينتج الذكور .

تقوم الشغالات بالرعي والدفاع عن الخلية وإفراز الشمع وبناء ورعاية الحضانة والتغذية وتهيئة الظروف الطبيعية المحيطة وتحتوى الخلية على 600.000 إلى 100.000 شغالة قد تعيش الشغالة من 5 إلى 6 أسابيع .

4- الذباب :

يُعدُّ الذباب من أكثر الحشرات انتشاراً في معظم جهات العالم ويوجد الذباب على أنواع كثيرة تختلف في أشكالها وألوانها وعاداتها.(2)

الذبابة البالغة داكنة اللون مع وجود مناطق رمادية اللون . طول الحشرة حوالي 6- 7 ملم مع عرض أجنحة يبلغ 13- 15 ملم . يوضع الجناحان الشفافان فوق الظهر عند وضع الراحة .

---

(1) علي المرسى وآخرون (2011م). أساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي، ص(377-380).

(2) إبراهيم علي حسن الحشرات المنزلية وعلاقتها بصحة الإنسان والحيوان وأثرها على الحبوب المخزونة، ص(270-276).

العيون المركبة حمراء إلى بنية اللون، الفم لاعق إسفنجي وبذلك فهي لا تستطيع العض . للجسم ظلال صفراء اللون على جانبيه إضافة إلى أربعة حزم داكنة اللون بطول الجسم تظهر من الإمام.(1)

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾(2)

هذا تنبيه على ضعف المخلوقات المدعوة والمتوسل بها دون الله عز وجل. حيث لا يستطيعون فرادى ولا جماعة أن يخلقوا كائنا حياً وإن كان صغيراً ضعيفاً مثل الذباب فضلاً عما هو أكبر منه كالجمل والفيل بل إنهم أضعف من ذلك وأحقر حيث لا يستطيعون تخليص ما سلبهم الذباب من أشياء. العلم اليوم يكشف هذه الحقيقة فيقول :إن الذبابة تمتلك خاصية تحليل الطعام خارج جسمها فالذبابة تمرر فمها من أسفل رأسها لأخذ الطعام مكونة بذلك أنبوباً لامتصاص الطعام وتفرز إنزيما ليمكنها من تحليل الطعام وتحويله إلى مادة سائلة لمساعدتها على امتصاصه خلال الأنبوب .

وهذا يعني أنه لو فرض أخذ الذبابة واستخرج ما ببطنها أو فمها فإنه لن يكون نفس ما أخذته بل هو شيء آخر ومركبات أخرى متحللة وبهذا تظل الحقيقة ناصعة دالة على إعجاز هذا القرآن الكريم فما أخذه الذباب لا يمكن لأحد الاستفادة منه على نفس هيئته بل متغيراً متحللاً.(3)

دورة حياة الذباب :

الذبابة الواحدة تبيض أكثر من 100 بيضة في دفعة واحدة تكون حجم البيضة أصغر من رأس الدبوس تضعها الأنثى في مكان متعفن رطب.

---

(1)مؤتمن على عبد القادر و عبدالله إبراهيم الحشرات ذات الأهمية الطبية 2009م، ص(149).

(2) سورة الحج الآية: (73)

(3) مقال عبد الدائم الكحيل ،2/11/2010م

يفقس البيض خلال 8 ساعات لتخرج منه يرقات بيضاء اللون عديمة الأرجل تمر في ثلاثة أطوار حيث يستغرق كل من الأول والثاني 24 ساعة ويستغرق الثالث 3 أيام أو أكثر ويتكون جسم الطور الثالث من 12 حلقة واضحة الحدود (الرأس وثلاث حلقات صدرية وثمان حلقات بطنية).[1]

ويوجد أسفل الرأس فصان شفويان تتقاطع معها أنابيب دقيقة متوازية تتجمع في فتحه الفم تتحول اليرقة إلى شبه عذراء وتتحرك إلى مكان أكثر جفافاً حيث تدفن نفسها في الوسط المحيط وتحيط نفسها بكيس يسمى حافظة تخرج منها وتتحرك إلى سطح التربة الذبابة المنزلية نهارية النشاط ويتزايد نشاطها مع ارتفاع درجة الحرارة وانخفاض الرطوبة نسبياً وتعيش الذبابة حوالي 30 يوماً .[2]

أضرار الذباب :

أصبح الذباب يشكل أخطاراً هائلة للإنسان وقد يصل عددها إلى أكثر من 20 مرضاً،ومن أهم هذه الأمراض: حمى التيفويد وحالات الإسهال الصيفي الوبائي والدوسنتاريا الأميبية والبكتيرية . وتسبب مرض الكوليرا (الهواء الأصفر) ومرض شلل الأطفال وبعض أمراض العيون وحالات تسمم الغذاء بكتيريا السالمونيلا وبيوض الديدان الطفيلية المعوية وغيرها من الأمراض.

ولقد أوضحت أبحاث إلى أن عدد البكتريا التي تحملها الذبابة الواحدة قد يصل إلى ستة ملايين خلية بكتيرية .

منافع الذباب

مع خطورة الذباب هنالك أنواعٌ من الذباب نافعة و مفيدة فمثلاً الذباب الأخضر والأزرق يساعد للتخليص من بقايا الحيوانات الميتة و لولاه لبقيت هذه الرميات متعفنة لفترة طويلة، ومن منافع الذباب أيضاً يعمل الكثير من أنواعه على المساعدة في تلقيح النبات و زيادة إنتاجها و هناك أنواع أخرى يعد عدو للحشائش الضارة بالمحاصيل.[3]

---

(1) عادل محمد على مملكة الذباب ، دار البيضاء، ص(299).

(2) علي المرسي وآخرون (2011م). أساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي، ص(401).

(3) عادل محمد علي مملكة الذباب ، دار البيضاء، ص (403)

المبحث الثاني

القمل والعنكبوت والفراش والجراد

1- القمل :

ينتمي القمل الماص لدم الإنسان إلى ثلاثة أنواع هي : قمل الجسم و قمل الرأس و قمل العانة، الحشرات البالغة صغيرة في حجم حبة السمسم رمادية اللون و عديمة الأجنحة ذات غلاف جلدي و مضغوطة من الناحية الظهرية البطنية . الذكر أقل حجماً من الأنثى . يحمل الرأس زوجاً من العيون غير الواضحة و زوجاً من قرون الاستشعار الصغيرة الأرجل متحورة للتشبث، أو التعلق أجزاء الفم غير بارزة خارجياً.[1]

و قد تم حتى الآن وصف ما يزيد على ثلاثة آلاف نوع من القمل يتغذى القمل بجزيئات الشعر و الريش أو جلد العائل.

ذكر القمل مرة واحدة في القرآن الكريم قَالَ تعَالَى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[2] أرسله الله للعصاة عقاباً لهم. قد اختلف أهل التأويل في معني القمل فقال بعضهم هو السوس الذي يخرج الحنطة وقال آخرون بل هو الدبى . و الدبى هو صغار الجراد الذي لا أجنحة له .[3]

وقال آخرون بل القمل هو البراغيث وقال بعضهم هي دواب سور صغار. والقول الراجح هو القمل المشهور الذي يدخل بين ثوب الإنسان وجلده ويمتص دمه.[4]

---

(1) مؤتمن علي عبد القادر و عبدالله إبراهيم الحشرات ذات الأهمية الطبية 2009م، ص(123- 125).

(2) سورة الأعراف الآية: (133)

(3) محمد جرير علي الصابوني ، تفسير الطبري.

(4) محمد جرير علي الصابوني ، تفسير الطبري.

دورت حياة القمل:

تضع الأنثى حوالي 6- 9 بيضات و هي بيضاوية أو صدفية الشكل بيضاء إلى صفراء اللون . قد تعيش القملة لمدة شهر واحد و تضع 200- 300بيضة يبقى البيض لحوالي 6- 9 أيام و قد تطول إلى أسبوعين أو ثلاثة أسابيع .

يفقس البيض ليعطي الحوريات التي تشبه البالغات إلا أنها صغيرة الحجم . هذه الحوريات تأخذ وجبة الدم من الإنسان و تمر عبر ثلاثة أعمار حورية و بعد حوالي 7- 14يوماً تصبح قملة بالغة . القمل غير المتغذي يموت في غضون 4- 5 أيام .تستغرق الدورة الكاملة من البيضة إلى بيضة الجيل التالي 3 إلى 5 أسابيع.(1)

أضرار القمل :

يتغذى القمل على الإنسان عدة مرات في اليوم لذا يحقن اللعاب بشكل متكرر مما ينتج عنه تأثيرات سامة علي الجلد .

كما ينقل القمل مرض التيفوس الوبائي و حمي الخندق و ينقل مرض الحمى الراجعة الوبائية.(2)

العنكبوت :

تصنّف العنكبوتيات داخل قبيلة مفصليات الأرجل تحت قبيلة ذات القرون المخلبية .

لقد تم حتى وقتنا هذا حصر أكثر من 34000 نوع من العناكب. العناكب تتميز بوجود خصر ضيق يربط بين منطقة الرأس الصدري و البطن . يلاحظ إن لبعض أنوع العناكب من 2 إلى 12 عيناً بسيطة في مقدمة جسمها في حين بعض الأنواع ليس لها عيون.

أجزاء الفم متطورة و بها فكوك قوية. في نهاية الأرجل توجد أنياب سم مجوفة تعمل كقنوات لتوصيل السم من غدد خاصة لها غدد حرير تفرز مادة تستعمل في نسج خيوط

---

(1) مؤتمن علي عبد القادر و عبدالله إبراهيم، الحشرات ذات الأهمية الطبية 2009م، ص(126- 127).

(2) علي المرسي وآخرون (2011م). أساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي، ص(417).

حريرية عن طريق مجموعة من التراكيب الإبرية الصغيرة تسمى الغازلة وفي العادة تستعمل الأرجل الخلفية لغزل الخيوط .

تتنفس العناكب عن طريق ثقوب توجد أسفل البطن بواسطة القصبات الهوائية أو الرئات الكتابية، في العادة تمسك العناكب فرائسها عن طريق أرجلها ثم تغرس فيها أنياب السم لتفريغ كمية من السم داخل جسم الفريسة.([1])

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

المراد ببيت العنكبوت في هذه الآية هو البيت المادي كما قال المفسرون بمعنى المسكن الذي تتخذه العنكبوت سكناً لها وهذا البيت وصف بأنه أوهن البيوت؛ لأنه لا يحقق للعنكبوت الحماية من العوامل البيئية والشمس والأتربة فهو لا يغني عنها شيئاً وقد كشف العلماء أن الحياة في أسرة بيت العنكبوت عجيبة جداً حيث تقوم الأنثى بنسج البيت. ومن عجيب التعبير القرآني في قوله تعالى (ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا)، إنه عبر عن أنثى العنكبوت وهي التي تتخذ البيت فلو كان الذكر هو الذي يتخذ البيت لقال اتخذ بيتاً وأثبته العلماء أن الأنثى هي التي تقوم بنسج البيت ثم تدعو الذكر يتزاوج معها فإذا انتهت مهمته إما أن يهرب من بيت الأنثى أو تأكله الأنثى أو تحبسه في بيتها ليقوم الأبناء بقتلة أو أكله.

بعد أن يخرج الصغار من البيض تبدأ في الحركة من أجل الطعام والمكان وتقوم الأنثى بتغذية الصغار حتى إذا أشتد عودهم قتلوا أمهم وأكلوها. فهذه هي العلاقات الأسرية الهشة الضعيفة بين أفراد بيت العنكبوت القائمة على المصالح تجعل هذا البيت بحق أوهن بيوت المخلوقات المعروفة.

---

(1) مؤتمن على عبد القادر و عبدالله إبراهيم، الحشرات ذات الأهمية الطبية 2009م، ص(128- 129).

(2) سورة العنكبوت: الآية، (41)

فبيت العنكبوت من الناحية المعنوية هو أوهن البيوت على الإطلاق فهو بيت محروم من معاني المودة والرحمة وأوهن البيوت من العوامل البيئية الخارجية مثل المطر والحر والبرد والشمس والأتربة كما قال بعض المفسرين.(1)

دورة حياة العنكبوت :

تضع الأنثى البيض و يبلغ ما تضعه الأنثى الواحدة طول مدة حياتها 150 بيضة، ويوضع البيض فردياً و يفقس البيض بعد حوالي 3 إلى 4 أيام في الصيف و تخرج منه اليرقات و هذه اليرقات تتغذى على النبات بامتصاص العصارة لمدة يومين أو ثلاثة ثم تسكن و بعد حوالي 24 ساعة تنسلخ و تتحول إلى الحورية الأولى و تتغذي لمدة يومين تتحول إلى الحورية الثانية التي تتغذى من يوم إلى يومين ثم تتحول إلى الطور الكاملة . وبذلك تتم دورة حياتها في الصيف من 10- 15 يوماً .(2)

أضرار العنكبوت :

غالبية أنواع العنكبوت عديمة الأوذيلات غير قادرة على اختراق جلد الإنسان كما أن السم الذي تفرزه ليس شديد الفعالية و قد تسبب بعض الأنواع الكبيرة تهيجاً للبشرة . و قد تسبب العنكبوت الأسترالي في موت عدد من الأشخاص و تفرز بعض الأنواع سما يصيب الجهاز العصبي محدثا آثاراً شديدة للإنسان. و تفرز سما ضد الخلايا الحية مما يحدث إتلافاً في الخلايا .

تمتص العناكب الحمراء العصارة من الأوراق مما يتسبب عنه تكوين بقع بنية باهتة على الأوراق التي تجف ثم تزيل و تسقط في النهاية وقد ينتقل من الأوراق إلى الثمار فيسبب لها بقعاً بنية كما يسبب صغر حجمها.

---

(1) موسوعة عجائب الحيوان.

(2) علي المرسى وآخرون (2011م). أساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي، ص(422).

3- الفراش :

الفراشات حشرات شائعة تنتمي إلى رتبة حرشفية الأجنحة وهي معروفة لدى الإنسان و يمكن التعرف عليه بوجود الحراشف على الأجنحة.

و تم التعرف حتى الآن على حوالي 10000 نوع و هي حشرات متوسطة إلى كبيرة الحجم. أجزاء فم الفراشة معدة للامتصاص عادة والعيون المركبة في الفراشة كبيرة نسبياً ومكونة من عدد كبير من سطحيات الوحدات البصرية. و لمعظم الفراشات زوج من العيون البسيطة واحدة منها على كل جانب بجوار حافة العين المركبة.(1)

لها قرون استشعار متباينة جداً في الشكل والطول، والفم ماص والفكوك العليا تكون أثرية إن وجدت، خرطوم الامتصاص عند الراحة يطوى تحت الصدر. لها وسائل لتشابك الأجنحة.

دورة حياة الفراش:

اليرقات أسطوانية الأجنحة و ذات رأس و جسم أسطواني مركب من 13 حلقة ويحمل الرأس عادة 6 عيون بسيطة و زوجاً قصيراً من قرون الاستشعار و تحمل كل حلقة زوجاً من الأرجل . تتغذى معظم اليرقات على النبات و تتحور الغدد اللعابية في يرقات الفراش إلى غدد لإفراز الحرير لصنع شرنقة و بعضها يستخدمه لبناء مأوى لمعيشتها.

وبعض الأنواع الأخرى تعيش يرقاتها بأعداد كبيرة في مكان واحد كيرقات الخيمية والعازلة حيث تصنعه مأوى لنفسها يشتمل على عدد كبير من الأوراق أو من أفرع .

ويتم تحويل اليرقات إلى عذارى في أماكن مختلفة، كثير من اليرقات يتحول إلى شرنقة ويتحول بداخلها إلى العذراء و يرقات أخر تضع شرنقة بسيطة جدا وعذارى الفراشات تكون ذات لون بني عادة و أملس نسبياً .(1)

---

(1) علي المرسي وآخرون (2011م). أساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي، ص(425).

لم يذكر الفراش في القرآن الكريم إلا في موضع واحد وذلك في سورة القارعة حيث قال الله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴾(2)

وقد جاء في ذكره على سبيل حركة الناس عند البعث يوم القيامة حيث يخرجون من قبورهم كالفراش المبثوث أي المنتشر إشارة إلى كثرتهم وضعفهم واضطرابهم وذلك لموج بعضهم في بعض وركوب بعضهم بعضاً لشدة أهوال ذلك اليوم وهذا يدفع الباحث إلى التأمل والتفكر في هذه الحشرة اللطيفة ودورة حياتها وحركتها وما فيها من إعجاز تسجل خلق مثلها.

شبة الناس عند البعث بالفراش المبثوث وتشبهم بالجراد المنتشر ولكن هنالك فرق في طبيعة الحركة للفراش يطير لا لجهة يقصدها بل كل واحدة تذهب إلي غير جهة الأخرى أما الجراد فتطير جميعها لجهة مقصودة ولذلك قال بعض المفسرين : إن الوصف في الآيتين لموقفين مختلفين يوم القيامة إحداهما عند الخروج من القبور يخرج الناس فزعين لا يهتدون أين يتجهون فيدخل بعضهم في بعض . فمنهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض والثاني عند سماع المنادي فيتجهون له ويقصدونه فصاروا كالجراد المنتشر.(3)

أضرار الفراش:

تتغذى معظم يرقات الفراش بالنباتات،واليرقات الكبيرة تتغذى على الورقة كاملة أما اليرقات الصغيرة فتترك معظم عروق الورقة أو تصنع ثقوباً في سطح الورقة .

وقليل من اليرقات يتسبب في إحداث أورام في الثمار أو في السوق أو ينخر في الخشب و غيره من أجزاء النبات .

---

(1) إبراهيم علي حسن الحشرات المنزلية وعلاقتها بصحة الإنسان والحيوان وأثرها علي الحبوب المخزونة، ص (390).

(2) سورة القارعة الآية: (4)

(3) مقال عدنان حسن الخطيب ،18 يوليو 2014م.

ويُعدُّ فراش الحبوب آفة مهمة للحبوب المخزونة إذ تتغذى اليرقات بحبوب الذرة والقمح وتترك ثقباً وضحا عند أحد طرفي الحبة و قد تقضي الحشرة على الحبوب تماماً .[1]

أحياناً تسبب حراشف الفراش إثارة المشاكل الصحية للأشخاص الذين يعانون من الأزمة كما تثير في الغدة الدمعية في العيون . ويحوي العديد من الأنواع على سموم تفرز من خلايا غددية سامة تثير الجلد .إذا أصابت شعيرات الفراش العيون قد تتسبب في العمى أحياناً.[2]

فوائد الفراش :

تنتج الفراشة الحرير الطبيعي كما تعد الفراشة مصدر جمال إذ إنها تزين الطبيعة بألوانها الجميلة وتفيد الفراشة في عملية اللقاح وتنقل بإقدامها حبوب اللقاح . وتعتبر الفراشة غذاء لبعض الطيور.[3]

4- الجراد:

حشرة كبيرة الحجم طول الذكر 5 سم والأنثى نحو 5 سم والأجنحة تفوق البطن في الطول ولون الحشرة العام أحمر يتحول إلى أصفر. ويختلف لون الحشرة تبعاً لدرجة التكاليف التي تقوم بها في أماكن تكثرها ويظهر على الجناح الأمامي مجموعات من خلايا مربعة صغيرة لونها بني غامق الحلقة الصدرية الأولى كبيرة ونصفها الخلفي عريض ومستوي . أما الأمامي فضيق والجناح الخلفي للجراد شفاف وليس به أي علامات.[4]

ورد ذكر الجراد في القرآن الكريم في موضعين:

---

(1) علي المرسي وآخرون (2011م). أساسيات علم الحشرات، دار الفكر العربي، ص(433).

(2) مؤتمن على عبد القادر و عبدالله إبراهيم الحشرات ذات الأهمية الطبية 2009م، ص(139- 141).

(3) ويكيبديا.موسوعة الإعجاز العلمي في القران الكريم قسطاس إبراهيم ألنعيمي.

(4) علي المرسي وآخرون (2011م). أساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي، ص(442- 446).

الموضع الأول:

قال ابن القيم رحمه الله (الجراد جند من جنود الله فإذا رأيت عساكره قد أقبلت أبصرت جنداً لا مرد لهم ولا يحصى عدداً ولا عدة فلو جمع الملك قبله ورحاله و دوابه وسلاحه يصيره عن بلاده ما أمكنه ذلك وهذا من حكمته سبحانه وتعالى أن يبسط الضعيف من خلقه الذي لا مؤنة له على القوي فينتقم منه وينزل به ما كان يحذره منه حتى لا يستطيع لذلك رداً ولا ضرباً).

سئل شريح القاضي عن الجراد فقال (قبح الله الجرادة فيها خلقة سبعة جبابرة رأسها فرس وعنقها عنف وصدرها صدر أسد وجناحها جناح نسر ورجلها رجل جمل وذنبها ذنب حية وبطنها بطن عقرب).

الموضع الثاني:

جاء ذكر الجراد في سياق وصف يوم عظيم هو يوم الحشر وحال الناس حين يخرجون من قبورهم وهم في فزع عظيم وأمر مريج كأنهم الجراد المنتشر بكل اتجاه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾[1].

دورة حياة الجراد:

عادة يوضع البيض عقب الأمطار وتعتمد الفترة اللازمة لتطور ونمو البيض على درجة حرارة التربة، تضع الأنثى البيض في أكياس تحتوي كل منها ما بين 100.20 بيضة والأنثى تضع ثلاثة أكياس من البيض طيلة حياتها .

بعد أن تكتمل عملية فقس البيض تخرج حوريات صغيرة وتكون في مجموعات وهي قليلة الحركة في اليوم الأول .

تبدأ الحوريات في التغذية بعد يوم واحد من الفقس يسقط جلد الحورية على فترات محدودة ويطلق على هذه العملية اسم الانسلاخ.

(1) سورة القمر الآية: (7)

ويلي طور الانسلاخ طور الجراد غير مكتمل النمو تكون في الجرادة كاملة إلا أنها غير ناضجة جنسياً، تصل الجرادة إلى الحشرة الكاملة والى طور البلوغ الجنسي خلال أسابيع أو شهور قليلة تبعاً للظروف المحيطة بها.[1]

(1)محمد راتب النابلسي آية ذباب عبد الله ،2016/3/9م.

المبحث الثالث

الخاتمة والنتائج والتوصيات

الخاتمة:

بحمد الله تم البحث نسأل الله أن نكون أصبنا ما كنا نرجوه من هذا وأن تعم به الفائدة على الجميع، وان يوفقنا لما فيه الخير للناس عامة.

النتائج:

1) إن الله سبحانه وتعالى لا يخلق شيئاً عبثاً وأن هذه الحشرات الصغيرة والحقيرة لها دور في الحياة .
2) كل مخلوقات الله جلا وعلا خلقها لحكمة الأعمار في الأرض.
3) توافق القرآن الكريم مع العلم الحديث مع أنه أنزل قبل 1400عام إلا أنه كل يوم يكتشف العلم شيئاً جديداً.
4) إعجاز الله سبحانه وتعالى في خلق هذه الحشرات
5) الحشرات لها فوائد عديدة مثل نقل حبوب اللقاح وإنتاج العسل والشمع وغيرها.

التوصيات:

1) يجب علينا التفكير والتدبير في الحشرات المذكورة في القرآن من أجل معرفة الحكمة من خلق وذكر هذه الحشرات في القرآن الكريم.
2) رعاية الحشرات النافعة وتوفير البيئة المناسبة لها وعدم مكافحتها مثل النحل والفراش لما لها دور كبير في البيئة .
3) مكافحة الحشرات الضارة مثل البعوض والذباب التي تسبب الأمراض.
4) إجراء البحوث والدراسات لمعرفة ما هو خفي عنا من الحشرات.

المبحث الرابع

المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- القرآن الكريم .
- أ. محمد جرير على الطبري، تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل القرآن) دار هجر للطباعة والنشر.

ثانياً المراجع:

- على المرسى وآخرون أساسيات علم الحشرات ، دار الفكر العربي (2011م).
- مؤتمن على عبد القادر كحيل أ إبراهيم عبد لله وآخرون الحشرات ذات الأهمية الطبية مطبعة الجزيرة للطباعة والنشر(2009م).
- رضا صكب الجوراني وآخرون (1990م) الحشرات النافعة
- إبراهيم علي حسن، الحشرات المنزلية علاقتها بصحة الإنسان والحيوان وأثرها علي الحبوب المخزونة
- عادل محمد على الشيخ مملكة الذباب ، الدار البيضاء للطباعة والنشر 2000م.
- ويكيبديا موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم قسطاس إبراهيم ألنعيمي
- مقال عدنان حسن الخطيب ،18 يوليو 2014م www.tahmil- qutuppop
- مقال عبد الدائم الكحيل ،2010/11/2م

- محمد راتب النابلسي آية الذباب عبد الله ،2016/3/9م.
- موسوعة عجائب الحيوان. https//ar Wikipedia org/wiki

التَظَلُّم الإداري في النظام القانوني السوداني

د. عائش علي عودة أبوعاذرة[*]

* - أستاذ القانون العام المساعد، قسم الشريعة و القانون، كلية الشريعة، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

مستخلص البحث

تناول البحث أحكام التَظَلُّم الإداري، بالنظر إليه كإجراء يحظى بقدر كبير من الأهمية في مضمار الرقابة على أعمال الإدارة، خاصة الرقابة القضائية، هذه الأهمية تبرز في ظل أن معظم التشريعات المعاصرة تنص على استنفاد طرق التَظَلُّم لقبول دعوى الطعن بالإلغاء في القرار الإداري،وما يمثله التَظَلُّم الإداري كطريق وِدِّي لفض المنازعات التي تنشأ مع الجهات الإدارية،حيث يُمَكِّن هذا الإجراء الجهات الإدارية من تحريك دَفَّة الرقابة الإدارية ذاتياً،الأمر الذي يجعلها تستدرك أخطائها وتُنْصِف الْمُتَظَلِّم دون أن تضطر لتحمل تبعة المثول كخصم مدعى عليه في المحاكم،مما يعزز هيبة الجهات الإدارية ومكانتها،الأمر الذي يؤدي بدوره إلى تعزيز مبدأ المشروعية.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي من خلال تحليل ومقارنة نصوص التشريعات الوطنية بنصوص التشريعات العربية المقارنة، مع بيان رأي الفقه القانوني، وموقف القضاء الوطني كلما أمكن ذلك.

يركز البحث على توضيح مفهوم التَظَلُّم الإداري، تعريفه في اللغة والاصطلاح، والتمييز بينه وبين غيره من المصطلحات المشابهة، و أنواعه، وشروطه، وآثاره القانونية، كل ذلك بالتركيز على النظام القانوني في السودان،وقد خَلُصَتْ الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات أهمها: أن النظام القانوني السوداني تَعَرَّفَ إلى إجراء التَظَلُّم الإداري منذ بداية مرحلة التقنين التشريعي،وإن تَمَّ تنظيمه عبر قوانين المرافعات والإجراءات المدنية، كما أن القضاء السوداني كان له فضل السَبَّق على المشرع في حسم تجاهل ومماطلة الجهات الإدارية في الرد على التَظَلُّمات الإدارية المرفوعة إليها، ويُعَدُّ كلاً من التَظَلُّم الرئاسي، والتَظَلُّم إلى لجنة خاصة الأكثر شيوعاً في النظام القانوني السوداني، وما انتهينا إليه من توصيات أهمها: ضرورة توحيد المُدَدْ القانونية المقررة لتقديم التَظَلُّم الإداري في التشريعات المختلفة.

Abstract

This article deals with administrative petition "appeal" provisions, considering it as a very important procedure in the field of controlling work of the especially judicial control. This importance arises in light of that the most contemporary legislations precludes an action to a court in the absence of a prior administrative a petition "appeal". Administrative petition "appeal" as peaceful way to resolve disputes that arise with the administrative authorities. This procedure enables the administrative authorities to move the administrative control on themselves .And rectify their mistakes and Redress the complainant without having to bear the responsibility of the Thule defendant in rival the courts, which eventually hurt the prestige of the strengthening of the administrative authorities and status, which in turn leads to the strengthening of the principle of legality. In this research, the analytical method was followed by analyzing and comparing the texts of national legislation with the provisions of the comparative Arab legislations, with the opinion of the jurisprudence and the position of the national judiciary whenever possible. The article focuses on clarifying the concept of administrative petition "appeal" and defining it in the language and terminology, distinguishing between administrative petition "appeal" and other similar terms, highlighting the types, conditions and legal implications of presenting it, focusing on the legal system in Sudan,. The study concluded with some conclusions and recommendations, such as that the Sudanese legal system has been known the administrative petition "appeal" procedure since the beginning of the legalization stage, although it has been organized through civil procedure laws, The Sudanese justice ruled out the disregard and procrastination of the administrative authorities in responding to the administrative petitions "appeal" filed against it. This is addition to the fact that the presidential petition "appeal" and the petition "appeal" to special committee are the most common in the Sudanese legal system؛ In this regard we have some recommendations as: it's necessary to unification administrative petition "appeal" periods to Service of administrative petition "appeal" in various legislations.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم المرسلين سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين، أما بعد:

فقد أضحى استنفاد طرق التَظَلُّم الإداري من القرار الإداري شرطاً لقبول دعوى الطعن بالإلغاء في القرار الإداري أمام القضاء، هذا الإجراء القانوني تحيط به ضوابط قانونية يتعين الالتزام بها من قِبل كلٍ من الْمُتَظَلِّم باعتباره المتضرر من القرار الإداري، والْمُتَظَلَّم إليه أي الجهة الإدارية بصفتها الطرف الأقوى إذ يتعين عليها البت في التَظَلُّم الإداري وفق نصوص القانون، هذه الضوابط يهدف الْمُشَرِّع من وراء إقرارها، ومن ثم الالتزام بها إلى تحقيق المصلحة العامة و صيانة حقوق وحريات الأفراد وليس التضييق على الأفراد.

في سبيل قيامها بوظيفتها العامة تتمتع جهة الإدارة بسلطات واسعة، غير أنها مقيدة في مباشرتها لتلك السلطات بمراعاة مبدأ المشروعية فيما تقدم عليه من أعمال وتصرفات وإجراءات، إلا أن الثابت في هذا الجانب، أن جهة الإدارة و أثناء قيامها بأعمالها؛ قد تلحق بالأفراد أضراراً تمس حقوقهم وحرياتهم، من خلال ما تصدره من قرارات إدارية خطئاً كانت أم عمداً، لذا تنتهج الأنظمة القانونية على اختلافها منهج الرقابة على أعمال الإدارة بشكل ما، ويأتي التَظَلُّم الإداري ليمثل أحد أهم صور الرقابة الإدارية على أعمال الإدارة، وما يمثله هذا الإجراء من مساحة مهمة لجهة الإدارة؛ لمراجعة و استدراك الأخطاء التي قد تشوب تصرفاتها الإدارية؛ حيث يُحقق كُلاً من رقابة المشروعية ورقابة الملاءمة.

مشكلة البحث

في سبيل تكريس مبدأ المشروعية، تبرز أهمية الرقابة على أعمال الجهات الإدارية، حيث تبنت الأنظمة القانونية في سبيل حماية حقوق وحريات الأشخاص من تغول الجهات الإدارية عدة صور للرقابة منها الرقابة القضائية والرقابة الإدارية، حيث يشترك إجراء التَظَلُّم الإداري في تحريك كلا الرقابتين، وتمثل طريقاً مهماً ويسيراً في

سبيل رد الحقوق لأصحابها؛ و ضمانة فاعلة لتعزيز وحماية حقوق وحريات الأفراد؛ خاصة وأن طريق التَظَلُّم الإداري يُعَدُّ طريقاً ودياً؛ لتسوية المنازعات التي قد تنشأ بين الجهات الإدارية وبين الأشخاص، وفي ذات الوقت يمثل طريقاً سهلاً للجهات الإدارية؛ لاستدراك أخطاء منسوبيها، والحيلولة دون تكررها في المستقبل، وتَجَنُّبُها المثول في ساحات المحاكم كمدعى عليها، ومن ثم يخفف عبء الفصل في قضايا المنازعات الإدارية عن كاهل المحاكم القضائية بين الأفراد والجهات الإدارية، لذا تباينت التشريعات في تنظيم حق التَظَلُّم الإداري، وتتفرع عن هذه المشكلة الأسئلة التالية:-

ما هو مفهوم التَظَلُّم الإداري و مبرراته؟

ما هي أنواع وصور التَظَلُّم الإداري؟

ما هي شروط تقديم التَظَلُّم الإداري؟

ما هي آثار التَظَلُّم الإداري؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرف على أحكام التَظَلُّم الإداري في النظام القانوني السوداني و ذلك من خلال جملة من الأهداف على النحو التالي:-

- بيان مفهوم التَظَلُّم الإداري في اللغة و الاصطلاح.
- التمييز بين التَظَلُّم الإداري و بين غيره من الوسائل الإدارية المشابهة.
- التعرف إلى أنواع التَظَلُّم الإداري التي أخذ بها الْمُشَرِّع السوداني.
- بيان أحكام التَظَلُّم الإداري من حيث سماته، وآثاره القانونية في النظام القانوني السوداني.
- التعرف إلى دور القضاء السوداني في إرساء بعض أحكام التَظَلُّم الإداري.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في أن التَظَلُّم الإداري يُعَدُّ شرطاً أساسياً لقبول الدعوى الإدارية التي تتيح للقضاء إعمال رقابته على أعمال الجهات الإدارية، ومن ثم حماية حقوق وحريات الأشخاص من تغول تلك الجهات، إلا أنه كثيراً ما يفشل صاحب

المصلحة في بلوغ هذه الحماية نظراً للجهل بأهمية التَظَلُّم ومواعيد تقديمه، مما قد يمس بالحق في التقاضي، كما أن التَظَلُّم الإداري يُعَدُّ وسيلةً لتحريك الرقابة الذاتية للجهات الإدارية، مما يُمَكِّنها من استدراك الأخطاء التي تقع فيها عند مباشرتها لوظائفها، فيحفظ ذلك هيبتها من المخاصمة القضائية، انطلاقاً من هذه الأهمية كان جهدنا هذا، عَلَّهُ يكون إضافة في بسط الحديث عن هذا الإجراء وأحكامه.

فروض البحث:

- يمثل التَظَلُّم الإداري سبيلاً ودياً لفض المنازعات الإدارية بين جهة الإدارة وبين المتعاملين معها.
- يُعد شرط استنفاد التَظَلُّم الإداري لقبول الدعوى الإدارية حائلاً دون استيفاء الأطراف للحق في التقاضي.
- قِصَرْ مدة تقديم التَظَلُّم الإداري يُعد قيداً و خرقاً لروح فكرة التَظَلُّم، والعكس صحيح.

منهج البحث

سأتبع في هذا البحث المنهج التحليلي؛ من خلال تحليل ومقارنة نصوص التشريعات الوطنية بنصوص التشريعات العربية المقارنة، مع بيان رأي الفقه القانوني، وموقف القضاء الوطني كلما أمكن ذلك.

هيكل البحث:

سيتم معالجة هذا الموضوع من خلال مباحث ثلاثة ستأتي إن شاء الله على النحو التالي:

المبحث الأول: التَظَلُّم الإداري مفهومه ،أهميته، أنواعه

المطلب الأول: مفهوم التَظَلُّم الإداري في اللغة و الاصطلاح

المطلب الثاني: أهمية التَظَلُّم الإداري و مبرراته

المطلب الثالث: أنواع التَظَلُّم الإداري

المبحث الثاني : شروط التَظَلُّم الإداري

الشرط الأول: أن يقدم التَظَلُّم من قبل صاحب المصلحة ذاته أو من يُمَثِّلَه

الشرط الثاني: أن يَتَّسم التَظَلُّم الإداري بالوضوح والبساطة من حيث مشتملاته

الشرط الثالث: أن يُقدم التَظَلُّم الإداري إلى الجهة الإدارية ذات الاختصاص

الشرط الرابع: أن يستهدف التَظَلُّم الإداري قراراً إدارياً صدر بشكلٍ نهائي

الشرط الخامس: أن يقدم التَظَلُّم الإداري خلال المدة المحددة قانوناً

الشرط السادس: أن يكون مسعى المُتَظَلِّم ممكناً تحقيقه من الوجهة القانونية

الشرط السابع: أن يقدم التَظَلُّم من صاحب المصلحة و ممن له الصفة القانونية

المبحث الثالث: آثار التَظَلُّم الإداري

المطلب الأول: الأثار القانونية المباشرة

المطلب الثاني: الأثار القانونية غير المباشرة

خاتمة البحث و تشمل أهم النتائج والتوصيات

فهرس المصادر والموضوعات

المبحث الأول

التَظَلُّم الإداري، مفهومه، أهميته، أنواعه

المطلب الأول: مفهوم التَظَلُّم الإداري في اللغة و الاصطلاح

الفرع الأول: تعريف التَظَلُّم الإداري في اللغة:

أولاً: تعريف التَظَلُّم في العربية: أظلم الرجل: أصاب ظلماً، واظّلّم بتشديد الظاء واللام مجانبة الفاعل أصل الفعل، والأصل (تظلَّم) أي : جانب الظلم وأحب زواله، و "اظّلَم" : بتشديد الظاء فقط: الاتصاف بأصله، والظُلْم: هو كل ضرر من حاكم أو غيره، وقيل "الظُلم": بالضم في الأصل اسم وإن شاع استعماله في موضع المصدر، و هو وضع الشيء في غير موضعه، والتصرف في حق الغير، ومجاوزة حد الشارع، ومنه قولهم: من استرعى الذئب فقد ظلم[1]، والمَظْلَمَة ما تطلبه من الظالم، وهو اسم لما أخذه الظالم، وتَظَلَّمَه أي ظلمه ماله، وتَظَلَّم منه أي اشتكى ظلمه[2]،ويقال: تَظَلَّمَ فلان إلى الحاكم من فلان فَظَلَّمَه تظليماً أي: أنصفه من ظالمه و أعانه عليه ، أي منع من وقوع الظلم عليه، وتَظَلَّم منه شكا من ظُلْمه ومنه قول الأعرابي:

كانت إذا غضبت عليَّ تَظَلَّمَت   وإذا طلبت كلامها لم تقبلِ

ويقول ابن سيده: إنما التَظَلُّم بمعنى تشكي الظُلْم منه، والْمُتَظَلِّم هو الشخص الذي يشكو آخر ظلمه، وقيل هو الظالم[3]، و ظَلَمَ يَظْلِمُ ظُلْمَاً قيل في معنى ظَلَمَ: وضع الشيء في غير موضعه تعدياً، ومن ذلك قولهم: من أشبه أباه فما ظَلَمْ، أي ما وضع الشبه في غير موضعه، ومن ذلك قول كعب:

---

(1) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، الطبعة الثانية 1419هـ - 1998م، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص 142، 354، 594، 588.

(2) زين الدين محمد بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة،1990م، الجزء الأول، ص197.

(3) محمد بن مكرم بن علي جمال الدبن بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة1414هـ، الجزء 12، ص374.

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته قديماً ومن يشبه أباه فما ظَلَمْ.

الظُّلم، بالضم: مصدره الحقيقي: الظُّلْمُ، بالفتح، ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلْماً، بالفتح، فهو ظالم وظلوم، وظلمه حقه، وتظلمه إياه، وتَظَلَّمَ: أحال الظلم على نفسه، ومنه شكا من ظلمه، والمظلِمَة ما تَظَلَّمَهُ الرجل،[1] وقيل الظلم هو : وضع الشيء في غير موضعه،[2] وظَلَمَه يظلِمُه ظُلْماً، أصله وضع الشيء في غير موضعه، ويقال ظَلَّمت فلاناً: نسبته إلى الظُّلم، وظَلَمْت فلاناً فاظَّلم وانظلم، إذا احتمل الظُّلم، ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

هو الجواد الذي يعطيك نائله فواً ويُظلم أحياناً فَيَّظلِمُ

والظُّلامة: ما تطلبه من مظلمتك عند الظالم، ويقال : سقانا ظَلِيمةً طيِّبة[3]، و الظُلم بالضم نقيض العدل، ويأتي الاسم واشتقاقاته في اللغة بمعنى الحجب والمنع، ومنه منع المستحق أو انتقاصه، وهي تدور في هذا السياق.[4]

ثانياً: تعريف الإداري في العربية: لفظ الإدارة في اللغة العربية من الألفاظ حديثة الاستعمال، ومن مشتقاتها مفردة الإداري نسبةً للإدارة، وهو من بذل الجَهد في العمل، وهذا اللفظ لم يرد في القرآن الكريم إلا أن القرآن حفل بكلمات مقاربة لها رسماً كما في كلمة "تديرونها"، في قوله تعالى: "إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ"[5]، وكذلك لفظ تدور أتى في قوله تعالى: "يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ"[6]،

---

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم عرقسوسي، الطبعة الثامنة 1436هـ- 2005م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص1134.

(2) على بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق لمنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص121

(3) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء الثالث، دار الفكر، طبعة 1399هـ- 1979م، ص468- 469.

(4) محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم، المجلد الأول، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى:2010م، ص1371.

(5) سورة البقرة، الآية 282.

(6) سورة الأحزاب، الآية 19.

وذهب البعض إلى أن تعريف لفظ "أدار" جَهِدَ في العمل، يقال: أدار السياسة: أي دبر أمورها وساس الرعية، وكلمة الإدارة من الكلمات حديثة الاستعمال بلفظها.[1]

الفرع الثاني: تعريف التَظَلُّم الإداري في الاصطلاح

عُرِّفَ التَظَلُّم الإداري[2] من قبل فقهاء القانون بتعريفات متعددة غير أنها جميعاً تدور حول معنى جوهري واحد، ونسوق هنا بعضاً منها على النحو التالي:

أولاً: التَظَلُّم الإداري هو: "تقدم أحد الأشخاص ممن يمسهم الضرر الناتج عن قرار أصدرته الإدارة إلى الجهة التي أصدرت القرار، أو إلى الجهة الإدارية الرئاسية، يطلب فيها سحب القرار، أو تعديله".[3]

ثانياً: عرِّف التَظَلُّم الإداري بأنه: "عبارة عن تظلم إداري يتقدم به صاحب المصلحة إلى جهة الإدارة نفسها ليشكو أو يتظلم من القرار الإداري الذي أَضَّرَ بمركزه القانوني بصورة مباشرة بهدف أن ترجع الإدارة عن قراراها وتسحبه أو تلغيه".[4]

ثالثاً: عُرِّفَ بأنه: "التَظَلُّم الذي يتقدم به صاحب الشأن إلى الجهة الإدارية التي أصدرت القرار، أو إلى الجهة الرئاسية الإدارية طالباً تعديل القرار، أو سحبه".[5]

رابعاً: عُرِّفَ بأنه: "تقدم صاحب المصلحة الذي صدر القرار الإداري في مواجهته بطلب للإدارة يلتمس فيه إعادة النظر في قراراها الذي يدعي عدم مشروعيته".[6]

خامساً: عُرِّفَ بأنه "طلب يتقدم به صاحب الشأن إلى الإدارة لإعادة النظر في قرار إداري يدعي مخالفته للقانون".[7]

---

(1) حافظ أحمد عجاج الكرمي، الإدارة في عهد الرسول، دار السلام ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1428هـ2007م، ص27.

(2) يطلق عليه اصطلاح المراجعة الإدارية، أو العريضة الاسترحامية. محمد رفعت، القضاء الإداري، الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص 79.

(3) سليمان محمد الطماوي، القضاء الإداري "قضاء الإلغاء"، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة عام 1986م، ص532.

(4) محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص 81.

(5) عاطف محمود البنا، الوسيط في القضاء الإداري، الطبعة الثانية، القاهرة ، 1998م، ص 330.

(6) نواف كنعان، القضاء الإداري، الطبعة الأولى، دار الثقافة، عمان ، 2006م، ص236.

(7) ماجد راغب الحلو، الدعاوى الإدارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2004م، ص95.

سادساً: عرِّف بأنه: "طلب يقدم بأية صيغة من صاحب الشأن وهو الذي صدر القرار في مواجهته، إلى الجهة الإدارية التي أصدرت القرار أو التي ترأسها، يلتمس فيه من الإدارة إعادة النظر في قرارها الذي أصدرته منطوياً على أضرار أو عدم تحقيق مزايا مادية أو أدبية له".[1]

وقد عرف: بأنه اعتراض كتابي يقدمه من صدر بشأنه القرار الإداري أو التأديبي إلى السلطة المختصة، يبدي فيه المعترض عدم رضائه عما تضمنه القرار الصادر بشأنه، لأنه مخالف للحقيقة ويتسم بعدم المشروعية، ويطلب فيه إعادة النظر بتعديل القرار أو سحبه أو إلغائه، وهو طريق يسلكه المعترض قبل لجوئه لقضاء، ويمثل قطعاً لسريان ميعاد دعوى الإلغاء وحالة من حالات إطالة مدتها.[2]

والمتأمل في هذه التعريفات أعلاه يجد أنها جميعها تدور حول فكرة جوهرية واحدة؛ هي اعتراض الشخص المتضرر من القرار الإداري إلى الجهة الإدارية؛ بهدف إعادة النظر فيه من جديد من قبل الجهة الإدارية، غير أن بعض تلك التعريفات عُنِيَّت بالجانب الشكلي لذلك الاعتراض.

و يمكن تعريف التَظَلُّم الإداري بأنه: طلب يقدم من صاحب المصلحة أو من يمثله، إلى الجهة الإدارية صاحبة الاختصاص طالباً منها رفع الضرر الذي لحق به نتيجة قرار إداري يرى أنه ألحق به الضرر.

وإلى ذلك فإن التَظَلُّم الإداري يمثل أحد أوجه الرقابة الإدارية على نشاط الإدارة وهو يمثل وجهاً من الرقابة الذاتية للإدارة، غير أنه كوسيلة رقابية يتم تحريكه بناء على طلب يتظلم فيه صاحب المصلحة إلى جهة الإدارة، حيث يتوجه المتضرر من أعمال أو

---

(1) علي عبد الفتاح محمد، الوجيز في القضاء الإداري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، طبعة 2009م، ص262

(2) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى 2012م، ص18- 19.

قرارات الإدارة من خلال التَظَلُّم إلى الإدارة ذاتها ممثلة في مصدر القرار، أو رئيسه، أو لجنة معينة حددها الْمُشَرِّع، طالباً إلغاء القرار أو تعديله أو سحبه أو التعويض عنه.

الفرع الثالث: نشأة نظام التَظَلُّم الإداري و خصائصه:

أولاً: نشأة التَظَلُّم الإداري: يُرجع البعض تاريخ ظهور نظام التَظَلُّم الإداري إلى الجمهورية الفرنسية ما بعد الثورة، وذلك في ظل وجود نظرية الوزير القاضي، أو الإدارة القاضية، حيث كان الفصل في المنازعات الإدارية يتم من قبل الإدارة العامة، نظراً لانتفاء الرقابة القضائية على أعمال الإدارة امتثالاً لمبدأ الفصل بين السلطات، الذي نادى به رجال الثورة الفرنسية كرد فعل للمساوئ التي نجمت عن فساد القضاء العادي في فرنسا؛ وإفساده للتَظَلُّم الإداري في مراحل ما قبل الثورة الفرنسية، فأصبحت الإدارة العامة هي التي تختص بالنظر والفصل في المنازعات الإدارية، وبعد تكريس مجلس الدولة الفرنسي الذي كانت لاختصاصاته طبيعة قضائية، بقيت نظرية الوزير القاضي على اعتبار أن الوزير هو صاحب الاختصاص العام؛ بالنظر في المنازعات الإدارية في المقام الأول في التقاضي، ومن ثم يمكن الطعن في قرارات الوزير أمام مجلس الدولة.[1]

إلا أن كلٍ من قضاة القضاء الإداري وفقهاء القانون العام انتصروا لنظام التَظَلُّم الإداري؛ من خلال نظرية قوة الارتباط بين نظام التَظَلُّم الإداري مع نظرية الدعوى الإدارية ودعوى الإلغاء خاصة، حيث ذهبوا إلى أن التَظَلُّم الإداري مرتبط بالدعوى الإدارية، وذلك بالنظر إلى أن التَظَلُّم الإداري يحركه ذوو المصلحة عادة في مواجهة الجهات الإدارية ذات العلاقة؛ بناءً على وجود نزاع بين ذوي المصلحة وبين السلطة العامة؛ ومن ثم يكون التَظَلُّم الإداري بمثابة إعلان عن وجود هذا النزاع؛ والمطالبة بحله إدارياً أولاً ثم قضائياً، كما أن هذا النزاع الذي يحركه التَظَلُّم الإداري يُعَدُّ موضوع الخصومة في الدعوى الإدارية لاحقاً،[2] لذا كان لابد من قبول نظام التَظَلُّم الإداري

(1) عمار عوابدي، النظرية العامة للمنازعات الإدارية في النظام القضائي الجزائري، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر طبعة 1998م، ص 375.

(2) عمار عوابدي، النظرية العامة للمنازعات الإدارية، مرجع سابق، ص 374.

كيما تتهيأ السلطة الإدارية للدخول كطرف في الخصومة القضائية، وهذا ما يظهر بجلاء من خلال طبيعة تعاطي السلطة الإدارية مع التَظَلّم الإداري المقدم إليها.[1]

ثانياً: نشأة و تطور التَظَلّم الإداري في النظام القانوني في السودان

تاريخياً يُنظر إلى النظام القانوني في السودان على أنه امتداد للنظام الأنجلوسكسوني أو مدرسة "الشريعة العامة" التي تعود نشأتها إلى إنجلترا، ومرد ذلك وقوع السودان تاريخياً تحت سطوة الاستعمار البريطاني الذي أرسى دعائم المنظومة التشريعية للقوانين المنظمة لكثير من مناحي الحياة، وكان ذلك وفقاً لاختيارات المستعمر وليس نتيجة لتجارب خاصة عاشها السودان، هذه الاختيارات لا زالت أثارها باقية إلى يومنا هذا على الرغم من التحولات التشريعية الجذرية في كثير من جوانب النظام القانوني السوداني، ومن ملامح تلك الآثار اعتماد نهج نظام القضاء الموحد في إعمال الرقابة القضائية على أعمال الإدارة، والذي يجعل رقابة القضاء لأعمال الإدارة منوطة بمحاكم القضاء العادي، وليس قضاءً مستقلاً تحت مسمى القضاء الإداري، كما هو السائد في المدرسة اللاتينية، فالسودان لم يعرف القانون الإداري ولا القضاء الإداري بالمعنى الضيق، غير أن ميراث السودان في القانون الإداري و القضاء الإداري بالمعنى الواسع عريق و أصيل، فكثير من موضوعات القانون الإداري تم تنظيمها بموجب تشريعات خاصة، كما أن رقابة القضاء على أعمال الإدارة كانت تنهض بها المحاكم العادية، بموجب الدعاوى الإدارية التي يتم تنظيمها تشريعياً من خلال قوانين الإجراءات والمرافعات المدنية؛ باعتبارها دعاوى تنظرها المحاكم العادية مع إيلاء بعض الخصوصية لتلك الدعاوى في الإجراءات و الاختصاص تميزها عن الدعوى المدنية، ورغم ذلك لم تخرج عن إطار القانون الإجرائي المنظم للدعاوى المدنية إلا مؤخراً.[2]

---

(1) عمار عوابدي، النظرية العامة للمنازعات الإدارية، مرجع سابق، ص 375.

(2) للمزيد ينظر: محمد محمود أبو قصيصة، مبادئ القانون الإداري السوداني، الطبعة الثانية 1995م، الخرطوم، ص5- 8.

وإلى ذلك فإن تنظيم أحكام التَظَلُّم الإداري في السودان من الناحية التشريعية قد استقلت بتنظيمه قوانين الإجراءات والمرافعات المدنية نظراً لأن النظام القانوني في السودان لم يعرف القانون الإداري بمعناه الضيق، لتأثره التاريخي بالمدرسة الأنجلوسكسونية، فقبل عام 1972م كان تنظيم الدعاوى المدنية عامة يخضع لقانون القضاء المدني 1929م، و للعرف الإداري والسوابق القضائية، وبصدور قانون المرافعات العملية 1972م تم تنظيم الدعاوى الإدارية تشريعياً بما في ذلك التَظَلُّم الإداري كشرط من شروط قبول الدعوى، ثم جاء قانون الإجراءات المدنية 1974م الذي سار على ذات النهج، وصولاً إلى قانون الإجراءات المدنية 1983م، والذي نظم إجراءات التَظَلُّم الإداري باعتباره شرطاً مسبقاً لقبول دعوى الطعن في القرار الإداري(1)، إلى أن تحول الْمُشَرِّع إلى التنظيم التشريعي للقضاء الإداري والدستوري على نحو أكثر تخصصاً، وذلك بظهور قانون القضاء الدستوري والإداري 1996م، ثم بعد ذلك استقل القضاء الإداري بتشريع خاص؛ بعد ظهور قانون المحكمة الدستورية 1998م، حيث ظهر أخيراً قانون القضاء الإداري لعام 2005م، هذا ما يؤكد على خصوصية تجربة السودان القانونية قبل و بعد الاستقلال؛ بحيث يمكن القول بأنها: مدرسة خاصة جمعت بلا إطلاق بين المدرستين اتضحت أولى ملامحها في أواخر القرن الماضي بصدور قانون القضاء الدستوري والإداري لعام 1996م، وهي تجربة لا تزال قيد التطور.

ثالثاً: سمات التَظَلُّم الإداري:

(1) يُعد بمثابة إجراء أولي يُشَرَّع نسبياً لمواجهة كافة القرارات الإدارية، إلا أنه يمكن استبعاده بقانون خاص، وفي حال السماح به فإن استنفاد سبله يُعد شرطاً مسبقاً لقبول الدعوى الإدارية في كثير من الأنظمة القانونية.

(2) يمثل آلية لمجابهة أيٍ من صور عدم المشروعية من قبل الجهات الإدارية جراء تعسفها في استعمال سلطاتها التقديرية بموجب القانون.

---

(1) ينظر المادة 310 من قانون الإجراءات المدنية 1983م.

(3) يتقيد الْمُتَظَلِّم بمدة يحددها القانون عادةً يحق له تقديم التَظَلُّم خلالها إلى الجهات الإدارية تبدأ من تاريخ تسلمه للقرار الإداري أو علمه به حسب الحال.

(4) يجب أن يقدم التَظَلُّم الإداري ابتداءً إلى الجهة الإدارية التي أصدرت القرار الْمُتَظَلَّم منه، لأنها هي من يمكنها الاستعاضة عن القرار الْمُتَظَلَّم منه بقرار أخر جديد، وإن كان يمكن للمتظلم أن يتدرج في تظلمه إلى جهات أعلى درجة في السُلَّم الإداري يُعرف في الاصطلاح القانوني بالاستئناف الإداري.[1]

الفرع الرابع: التمييز بين نظام التَظَلُّم وغيره من الأنظمة المشابهة

أولاً: التمييز بين نظام التَظَلُّم الإداري و دعوى الإلغاء[2]: تظهر أوجه التمايز بين نظام التَظَلُّم وبين دعوى الإلغاء في النقاط التالية:

(1) من حيث الجهة المختصة بالفصل في كلٍ منهما: نجد أن الجهات الإدارية تختص بالفصل في التَظَلُّمات الإدارية، بينما القضاء - المحكمة القومية العليا، محكمة الاستئناف- * هو المختص بالفصل في دعوى الإلغاء.

(2) من حيث الطبيعة: يُعد التَظَلُّم إجراءً وعملاً إدارياً من صميم الأعمال الإدارية، بينما دعوى الإلغاء هي دعوى و وسيلة قضائية تُعَدُّ من قَبِيل الإجراءات القضائية.

(3) من حيث النظام القانوني "الإجراءات والمواعيد": إجراءات التَظَلُّم الإداري تتسم بالبساطة وهي في العموم ليست إجراءات ومواعيد محددة، بخلاف إجراءات دعوى الإلغاء فإنها ذات طبيعة ملزمة، و تتم عادة وفقاً لإجراءات ومواعيد محددة على وجه الدقة، ويتم تنظيمها عادةً بقواعد و نصوص قانونية، أضف إلى ذلك أن التَظَلُّم

---

(1) Vuk Cucic ,Appeals In Special Administrative Domains ,Transylvanian Review Of Administrative Sciences, No.34 E/2011,P 64.

(2) عيد مسعود الجهني، القضاء الإداري وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى؛1404هـ- 1984م، ص146.

* - وفقاً لقانون القضاء الإداري لعام 2005م تختص كلٍ من محكمة الاستئناف والمحكمة العليا بنظر الدعاوى الإدارية في النظام القانوني السوداني.

الإداري قد يقدم إما إلى مُصْدر القرار، أو رئيسه المباشر، أو إلى لجنة مختصة، أما الدعوى الإدارية فهي تقدم إلى المحكمة المختصة فقط.

(4) من حيث سلطات الجهة المختصة بالفصل: تمتلك الجهات الإدارية بالنسبة للتَظَلُّم المقدم إليها سلطات واسعة كالإلغاء، والسحب، والتعديل، بينما لا تملك الجهات القضائية إزاء دعوى الإلغاء سوى سلطة الحكم بإلغاء القرار المطعون فيه، أضف إلى ذلك أن الجهات الإدارية على اختلافها بإمكانها عدم الالتفات إلى التَظَلُّم الإداري، بينما القضاء لا يمكنه إهمال البت في الدعوى المقدمة إليه.

(5) من حيث تكييف قرار الفصل الصادر في كلٍ منها: قرار الفصل في دعوى الإلغاء عبارة عن حكم قضائي، يحوز حجية الأمر المقضي فيه، وهو حجة على الكافة، بينما القرار الصادر بالفصل في التَظَلُّم الإداري لا يخرج عن كونه قراراً إدارياً، وغالباً ما يُتيح القانون المجال لاستئنافه إلى الجهة الإدارية الأعلى، أو الطعن فيه أمام القضاء.

(6) من حيث مدة الفصل في التَظَلُّم الإداري: اعتبر المُشَرِّع أن مرور ثلاثين يوماً من تاريخ رفع التَظَلُّم للجهة الإدارية مدة كافية للفصل فيه، بينما دعوى الإلغاء تخضع لقواعد إجرائية عامة شأنها شأن سائر الدعاوى.

(7) من حيث الأثر المترتب على تقديم كل منهما: تقديم التَظَلُّم - الوجوبي- يُعد أساساً للانطلاق نحو الطريق القضائي لحسم النزاع عبر الدعوى القضائية، بينما تقديم الدعوى القضائية يُعد مرحلة لاحقة على التَظَلُّم الإداري.

(8) من حيث الشكل: التَظَلُّم الإداري باعتباره إجراءً إدارياً لا يشترط فيه إجراءات معينة كما هو الشأن بالنسبة للطعون القضائية، فلا يرفع في صيغة دعوى، أو في شكل معين، وإن كان في الغالب أنه إجراء مكتوب، قلما ما يقدم التَظَلُّم شفاهة، إذ يجب أن يحتوي على مضمون التَظَلُّم وتاريخه وسبب عدم مشروعيته.

ثانياً: التمييز بين نظام التَظَلُّم الإداري و الاسترحام: يختلف التَظَلُّم الإداري عن الاسترحام من نواحي عدة على الوجه التالي:

(1) من حيث القرار الإداري الذي يؤسس عليه كلٍ منهما: نجد أن التَظَلُّم الإداري يقوم على أساس افتراض أن القرار الإداري معيب بعدم المشروعية، ومن ثم يكون الْمُتَظَلِّم في موقف الاعتراض حيث يقع عليه عبء إثبات ذلك، بينما الاسترحام لا يقوم على أساس أن القرار الإداري معيباً؛ بل نجده يستهدف قراراً إدارياً صحيحاً.

(2) من حيث حدود طلبات صاحب المصلحة في كلٍ منهما: عادة ما يطلُب المُتَظَلِّم من الجهة الْمُتَظَلَّم إليها إلغاء القرار الإداري أو سحبه أو تعديله، بينما يخلو الاسترحام من ذلك، فالمُسْتَرْحِم عادةً ما يَستهدف كسب تعاطف الإدارة مع ظروفه الخاصة؛ مع إقراره التام بمشروعية القرار الإداري المُسْتَرْحَم منه، دون طلب سحب القرار الإداري أو تعديله أو إلغائه؛ بل جُل مسعاه يرتكز على تبصير الإدارة بظروفه الخاصة ومراعاتها.[1]

(3) من حيث التكييف القانوني لطبيعة كل منهما: التَظَلُّم إجراء إداري له مواعيد محددة- الوجوبي- وعادة ما يقررها القانون، ويرتب عليها آثاراً قانونية تتصل بميعاد الدعوى القضائية، بينما الاسترحام لا يُعد إجراءً قانونياً؛ ومن ثم فليس له آثار قانونية سوى ما يمس الشخص نفسه، وليس له علاقة بسير الدعوى القضائية.

(4) السلطة التقديرية للإدارة إزاء كل منهما: خيارات الإدارة إزاء التَظَلُّم الإداري مقيدة و محدودة بموجب القانون، بينما خيارات الإدارة إزاء الاسترحام أوسع مدى وتلعب الاعتبارات الشخصية دوراً رئيساً في ذلك.

ثالثاً: التمييز بين نظام التَظَلُّم الإداري والطعن القضائي

على الرغم من أوجه الشبه بين كلٍ من دعوى الطعن القضائي وبين التَظَلُّم الإداري؛ في أن كلٍ منهما يُعد وسيلة من وسائل الرقابة على نشاط الإدارة، تستهدف حماية حقوق وحريات الأفراد من التغول عليها من قبل الإدارة، إلا أن هناك أوجه اختلاف تميز كلٍ منهما عن الأخر.

---

(1) عمار عوابدي، النظرية العامة للمنازعات الإدارية ، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 1998م، الجزائر، ص378.

1. من حيث الجهة المختصة بالفصل في كلٍ: تختص الجهات الإدارية في الفصل في التَظَلُّمات الإدارية، بينما تختص في الفصل في الطعن القضائي الجهات القضائية {محكمة الاستئناف والمحكمة العليا}.
2. من حيث طبيعة كلٍ: يُعد التَظَلُّم الإداري ذو طبيعة فهو إجراء وعمل إداري يستهدف مراقبة نشاط الإدارة، بينما الطعن القضائي يُعد ذو طبيعة قضائية يتسم بخصائص موضوعية وإجرائية ينظمها الْمُشَرِّع بدقة، لذلك تتسم مراحل دعوى الطعن القضائي بالتعقيد مقارنة بمراحل التَظَلُّم الإداري.[1]
3. من حيث أساس كلٍ: الطعن القضائي يحب أن يؤسس على دفوع وبينات قانونية تذهب إلى عدم مشروعية القرار المطعون فيه، بينما التَظَلُّم الإداري يمكن أن يؤسس على مجرد ملاءمة واقعية وعملية.[2]
4. من حيث السلطات: الجهات القضائية عند نظر دعوى الطعن القضائي؛ تكون سلطاتها في حدود ما لها من رقابة المشروعية، فتكون المحكمة عادةً مقيدة بذلك؛ فهي لا تخرج غالباً عن دائرة طلبات الطاعن، ومن ثم لا يحق لها مثلاً تعديل القرار الإداري الطعين، بينما تملك الجهات الإدارية عند نظرها للتَظَلُّم الإداري سلطات واسعة بالنظر إلى كونها تمارس رقابتي المشروعية والملائمة، ومن ثم يكون للإدارة سلطة إلغاء القرار الْمُتَظَلَّم منه، أو تعديله أو سحبه...إلخ، نظراً لكونها صاحبة القرار أو العمل الْمُتَظَلَّم منه.[3]
5. من حيث طبيعة القرار الصادر في كلٍ: القرار الصادر من قبل المحكمة في الفصل في دعوى الطعن؛ يحوز حجية الأمر المقضي فيه؛ نظراً لكونه حكماً قضائياً، بينما لا ينسحب هذا التوصيف على غالب القرارات الصادرة من قبل الجهات

(1) نجم الأحمد، التظلم الإداري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد الثالث، 2013م، ص15.

(2) عمار عوابدي، مرجع سابق، ص380.

(3) نجم الأحمد ، التظلم الإداري، مرجع سابق، ص15.

الإدارية بالفصل في التَظَلُّم الإداري، إذ يُعَدُّ قرار الفصل في التَظَلُّم الإداري قراراً إدارياً.

رابعاً: التمييز بين التَظَلُّم الإداري و الاستئناف الإداري:

يتقاطع مصطلح التَظَلُّم الإداري أحياناً مع مصطلح الاستئناف الإداري للجهة الإدارية، إذ أن الاستئناف الإداري في حقيقته ما هو إلا مرحلة متقدمة من التَظَلُّم الإداري؛ فهو قد يتقدم درجة أو عدة درجات إدارية على التَظَلُّم المُقَدَّم أولاً إلى الجهة الْمُصدرة للقرار الإداري، إذ يتجه الْمُتَظَلِّم بتَظَلُّمِه إلى الجهة الأعلى للإدارة؛ وهو ما يعرف بالتَظَلُّم الرئاسي الذي يتطلب استيفاء التَظَلُّم الولائي إلى الجهة المصدرة للقرار في غالب الأحوال.

والاستئناف الإداري هو تظلم للمرة الثانية أو الثالثة للجهة الإدارية، وهو قطعاً يختلف بشكل تام عن الاستئناف القضائي، الذي ينصب على حكم قضائي، بينما الاستئناف الإداري ينصب على قرار إداري تم التَظَلُّم منه للمرة الأولى، كما أن استئناف القرار الإداري يقرره القانون عادة في أحوال معينة.(1)

كما أن الاستئناف الإداري يمكن تصور تقديمه من الجهة الإدارية ومن المُتَظَلِّم، أما التَظَلُّم فلا يمكن تصور تقديمه إلا من قبل الشخص الذي صدر القرار الإداري في مواجهته.

وإلى ذلك فكلٍ منهما يتعلق بقرارٍ إداري؛ يقوم صاحب المصلحة بالتَظَلُّم منه؛ أو استئنافه إلى الجهة الرئاسية، فالتَظَلُّم قد يكون ولائياً؛ أي إلى الجهة المصدرة للقرار، وقد يكون رئاسياً؛ أي إلى الجهة التي ترأس الجهة المصدرة للقرار في السلم الإداري، غير أن الاستئناف الإداري دوماً ينبني على تَظَلُّم سابق فهو مرحلة متقدمة من التَظَلُّم، و بغض النظر عن نتيجة التَظَلُّم فمحل الاستئناف هنا هو قرار الجهة التي فصلت في تَظَلُّمِه إلي جهة أعلى إدارياً " لجنة، وكيل وزارة، وزير"

---

(1) يوسف عثمان بشير، القرار الإداري، الطبعة الأولى، 1991م، مطبعة بورتسودان، ص75.

ومثال ذلك ما نص عليه الْمُشَرِّع في قانون محاسبة العاملين بالخدمة العامة الملغي لعام 1994م، في المادة 32" يجوز لأي من العاملين أن يستأنف إلي الديوان ضد قرار مجلس المحاسبة المصلحي أو العالي "، والمادة 33 "أن رئيس الوحدة الإدارية يجوز له الاستئناف إلى ديوان العدالة الاتحادي ضد القرارات التالية الصادرة من مجالس المحاسبة العالية، ومجالس المحاسبة المصلحية التي يشكلها هو، و مجالس المحاسبة المصلحية التي يأمر الوالي أو الوزير المختص بتشكيلها وفقاً للمادة 31.[1]

المطلب الثاني: أهمية التَظَلُّم الإداري و مبرراته:

إقرار نظام التَظَلُّم الإداري يهدف إلى حماية الأشخاص من قرارات الإدارة، و إزالة ما ينشأ عنها من ظلم بواسطة الإدارة ذاتها إذا ثبت لها مظلومية الْمُتَظَلِّم دون ضجيج أو تعقيدات، فمن خلال التَظَلُّم الإداري يتسنى للإدارة والشخص الْمُتَظَلِّم؛ الحد من تراكم النزاعات بين الطرفين، بل إن قبول الإدارة للتظلم و فحصه و من ثم سحب القرار أو تعديله؛ يُكَرِّس لدى المواطن احتراماً للإدارة كونها تنصاع لمبدأ سيادة حكم القانون.[2]

الفرع الأول: أهمية التَظَلُّم الوجوبي: تظهر أهمية التَظَلُّم الإداري بالإضافة إلى اعتباره وسيلة حل لكثير من الإشكالات، بطريق ودي، و في وقت أقصر، و بتكاليف أقل بكثير جداً مقارنة مع تلك التي يَسْتَوجِبُها الطريق القضائي، تظهر هذه الأهمية من كونه يُعد شرطاً رئيساً لقبول دعوى الإلغاء، التي تُعَدُّ المدة فيها من مسائل القانون، فهي تُعَدُّ من قبيل قواعد النظام العام، يجوز للقاضي الإداري أن يبت فيها دون إثارة ذلك من قبل جهة الإدارة، حيث يحق له أن من تلقاء نفسه أن يقرر عدم قبول

(1) المادة 33، من قانون محاسبة العاملين بالخدمة العامة 1994م.

(2) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء آراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص19- 22.

الدعوى، نظراً لمضي مدة الطعن المقررة قانوناً، وهذا ما قضى به مجلس الدولة في مصر، ومجلس شورى الدولة في لبنان.[1]

وفي ذات السياق يبرز لنا موقف الْمُشَرِّع السوداني متبنياً هذا التوجه، والذي قرر أن استنفاد المدعي لسبل التَظَلُّم المتاحة يُعد شرطاً من شروط رفع الدعوى الإدارية، بل رَتَّبَ الْمُشَرِّع على تجاوز المدعي لذلك الشرط التزام القاضي المختص بشطب عريضة الدعوى إيجازياً ورفضها،[2] وهذا ما تم التأكيد عليه بأن استنفاد جميع طرق التَظَلُّم الإداري المتاحة التي نص عليها قانون محاسبة العاملين بالخدمة المدنية القومية لعام 2007م، يُعد شرطاً لقبول ديوان العدالة الاتحادي لأي استئناف ضد أيٍ من قرارات مجلس المحاسبة المصلحي أو العالي.[3]

وجاء مسلك القضاء موافقاً لذلك، حيث سارت المحاكم على ضرورة أن يتم التَظَلُّم في القرار الإداري إلى الجهة المختصة بالنظر في ذلك التَظَلُّم، ومن ثم ظهرت قضايا رفض فيها القضاء قبول دعوى الطعن الإداري نظراً لأن المدعي لم يستنفد طرق التَظَلُّم المتاحة بموجب القانون، وهذا ما ذهب إليه القاضي العالم "زكي عبد الرحمن" في قوله : " حيث أن القانون – فيما هو واضح- قد اتجه إلى رسم طريق معين للتظلم من إجراءات المحاسبة، فإن ذلك الطريق يحكم كل ما هو متعلق بالمحاسبة، ابتداءً من أي تحقيق، وتوجيه تهمة، والوقف عن العمل، وتشكيل مجلس محاسبة، وإجراءات ذلك المجلس، وحتى صدور قرار منه، فبغير هذا يتشعب الاختصاص ويتضارب في بعض

---

(1) محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، الكتاب الثاني، منشورات الحلبي القانونية، بيروت، الطبعة الأولى 2005م، ص 60.

(2) أنظر المادة 7، الفقرة (ب)، من قانون القضاء الإداري لعام 2005، المطابقة للمادة 23، (ب)، من قانون القضاء الدستوري والإداري لعام 1996م.

(3) المادة 34، البند (2)، من قانون محاسبة العاملين بالخدمة المدنية القومية لعام 2007م.

الحالات من حيث قصد القانون توحيد هذه المسألة، وليس في هذا إهدار لاختصاص المحاكم، حيث أن ذلك قد ينشأ في مرحلة لاحقة". [1]

كما أن للتَظَلُّم الوجوبي أهمية خاصة في أنه يقطع ميعاد الطعن بالإلغاء في القرار الإداري أمام القضاء، بمعنى أنه بمجرد تقديم الشخص صاحب المصلحة لتظلمه، فإن ذلك يؤكد جديته في اقتضاء حقه، ومن ثم لا يُعتد بالمدة المنقضية من ميعاد الطعن، فيسري ميعاد أخر جديد من تاريخ الرد على هذا الإجراء[2]، أضف إلى ذلك أن التَظَلُّم الإداري - الوجوبي- يُعد حالة من حالات امتداد ميعاد الطعن بالإلغاء، فميعاد رفع دعوى الإلغاء هو ستون يوماً وهو من النظام العام، غير أن هذا الميعاد قد يطول لأكثر من ستين يوماً لأسباب قانونية أو قضائية، كما أن التَظَلُّم الإداري يُعد واحداً من حالاتٍ ثلاث لانقطاع ميعاد دعوى الإلغاء، إذ تسقط المدة الماضية ويبدأ من جديد احتساب المدة القانونية كاملة. [3]

الفرع الثاني: مبررات التَظَلُّم الإداري: للتَظَلُّم الإداري عدة مبررات على النحو التالي:

1. يُعد التَظَلُّم الإداري وسيلة قانونية و إدارية فعالة لفض المنازعات الإدارية ودياً، إذ أن إعماله يتيح للجهة الإدارية تبني وجهة النظر التي يبديها الْمُتَظَلِّم، ومن ثم قد تقر بعدم مشروعية قرارها، فيتسنى لها سحب القرار أو تعديله كل ذلك بطريقٍ ودي، الأمر الذي يُمَكِّنُها من تسوية كثير من المنازعات الإدارية في بداية ظهورها و بعيداً عن ساحات القضاء والتي قد تستغرق كثيراً من الوقت والجهد والتكاليف. [4]
2. يُعطي التَظَلُّم الإداري الجهة الإدارية بما تملكه من رقابة ملائمة ومشروعية، آلية مرنة في مجابهة القرار المعيب إذا تبين لها ذلك، فلها أن تسحب القرار أو تعدله أو

---

(1) محمد طاهر عاصم ضد مدير الهيئة العامة للكهرباء والمياه الخرطوم، مجلة الأحكام القضائية لعام 1980م، ص297.

(2) ماجد راغب الحلو، الدعاوى الإدارية، مرجع سابق، ص 95.

(3) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء آراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص19- 20.

(4) عمار عوابدي، النظرية العامة للمنازعات الإدارية، مرجع سابق، ص375.

تلغيه، وهذا ما لا يستطعه القضاء كون رقابة القضاء على نشاط الإدارة هي رقابة مشروعية فقط.(1)

3. يُعد التَظَلُّم الإداري وسيلة قانونية وإدارية فعالة في تحريك وتفعيل الرقابة الإدارية الذاتية على أعمال الإدارة بشتى أنواعها، وذلك لضمان تطبيق مبدأ المشروعية الأمر الذي يعزز حماية حقوق وحريات الأفراد.(2)
4. يُبَصِّر التَظَلُّم الإداري الجهات الإدارية ذات العلاقة إلى طبيعة الأخطاء التي قد تقع من السلطات الإدارية، وأوجه عدم مشروعيتها، الأمر الذي يدفع بها إلى العمل على تفادي تلك الأخطاء في المستقبل، مما يعزز احترام حقوق وحريات الأفراد، ويحول بين الإدارة وبين جَرِّها إلى ساحات القضاء، الأمر الذي يعزز من مكانتها لدى الرأي العام، وهو بذلك يُعد إجراءً مقرراً لمصلحة كلٍ من الإدارة والمتنازعين معها على السواء(3).
5. يخفف التَظَلُّم الإداري بما يقود إليه من فصل في المنازعات الإدارية عن كاهل القضاء، عبء نظر الكثير من المنازعات بحيث يتفرغ القضاء للنظر في المنازعات الأكثر إلحاحاً مما يزيد من كفاءة الجهاز القضائي.(4)
6. التَظَلُّم الإداري يحافظ على العلاقة بين الْمُتَظَلِّم والجهة الإدارية خاصة إذا كان الْمُتَظَلِّم موظفاً في الجهة الإدارية، مما يَحْدُ من الخلافات التي قد تنشأ فيما لو أن المنازعة تم الفصل فيها عبر القضاء.(5)

---

(1) ماجد راغب الحلو، الدعاوى الإدارية، مرجع سابق، ص 96.

(2) طعيمة الجرف، الرقابة القضائية على أعمال الإدارة، القاهرة: الطبعة الثالثة، 1970، ص 74 .

(3) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص27.

(4) Vuk Cucic ,Appeals In Special Administrative Domains ,Transylvanian Review Of Administrative Sciences, No.34 E/2011,P 64.

(5) علي عبد الفتاح محمد، الوجيز في القضاء الإداري، مرجع سابق، ص 262.

المطلب الثالث: أنواع التَظَلُّم الإداري:

يتنوع التَظَلُّم الإداري وفقاً لاعتبارات عدة؛ سواءً من حيث الجهة المقدم إليها، أو من حيث مدى إلزامية اللجوء إليه، وذلك على النحو التالي:

الفرع الأول: أنواع التَظَلُّم الإداري بالنظر إلى الجهة التي يُقَدَّم إليها

أولاً: التَظَلُّم الولائي: ويقصد به قيام الشخص صاحب المصلحة بالتوجه إلى الموظف أو الجهة الإدارية؛ التي صدر عنها التصرف الإداري موضوع التَظَلُّم، مبيناً له العيوب التي شابت التصرف طالباً منه إما إلغاء التصرف الإداري؛ أو تعديله؛ أو سحبه؛ وفقاً لمقتضيات المشروعية.(1)

وقد عرف أيضاً: بأنه ذلك التَظَلُّم الذي يتقدم به صاحب المصلحة إلى السلطة التي أصدرت القرار، بهدف إعادة النظر مرة أخرى في هذا القرار، وذلك بالسحب أو الإلغاء أو التعديل أو الاستبدال بآخر، وذلك وفقاً لما تملكه هذه السلطة من صلاحيات في شأن النظر في هذا القرار.(2)

وعُرِّفَ بأنه: تَقَدُّم ذو المصلحة إلى من صدر عنه التصرف المخالف للقانون؛ طالباً منه أن يعيد النظر في تصرفه، إما بسحبه؛ و إما بإلغائه، و إما بتعديله، بعد أن يُبَصِّرُه بوجه الخطأ الذي ارتكبه.(3)

وعُرِّفَ بأنه: هو طلب صاحب المصلحة ممن صدر عنه التصرف المخالف للقانون عادة النظر في هذا التصرف بالسحب أو الإلغاء أو بالتعديل، وذلك بعد أن يبصره بوجه الخطأ الذي ينطوي عليه.(4)

---

(1) خالد خليل الظاهر، القضاء الإداري، الطبعة الأولى 1430هـ 2009م، مكتبة القانون والاقتصاد ، الرياض، ص87.

(2) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص41.

(3) سليمان محمد الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية، دار الفكر العربي، القاهرة طبعة1427هـ 2006م، ص15.

(4) مجمع اللغة العربية، معجم القانون، القاهرة، المطابع الأميرية، 1420هـ 1999م، ص 462.

تدور هذه التعريفات جميعها حول فكرة جوهرية هي أن التَظلُّم الولائي يقدم إلى ذات الشخص الذي أصدر القرار المُتَظَلَّم منه، فهو يجسد أن فكرة اتحاد الخصم والحكم في أوضح صورها.

ثانياً: التَظَلُّم الرئاسي: ويقصد به: "قيام الفرد صاحب المصلحة بتقديم التَظَلُّم إلى الرئيس؛ أو الهيئة الرئاسية الإدارية للموظف؛ أو الهيئة التي صدر عنها القرار؛ طالباً من الرئيس الإداري استخدام سلطته الرئاسية؛ إما بسحب القرار؛ أو إلغائه؛ أو تعديله".[1]

وعُرِّفَ أيضاً بأنه: "تقدم المضرور إلى رئيس مصدر القرار؛ فيتولى الرئيس بناءً على سلطته الرئاسية، سحب القرار، أو إلغاؤه؛ أو تعديله بما يجعله مطابقاً للقانون، وقد يتولى الرئيس من تلقاء نفسه ممارسة هذه السلطة دون تظلم".[2]

وقد عُرِّفَ أيضاً بأنه: "ذلك التَظَلُّم الذي يتقدم به صاحب المصلحة؛ للسلطة الرئاسية مصدرة القرار، والتي يكون لها حق تعديل؛ أو سحب أو إلغاء ما يصدر عن الجهات التابعة لها من قرارات لا تتفق مع القانون، وذلك إعمالاً لمبدأ رقابة الإدارة الذاتية على أعمالها".[3]

ومثال ذلك: ما نص عليه قانون حماية الطرق القومية "من أن لكل شخص يتضرر من الأعمال والإجراءات التي تقوم بها الهيئة القومية للطرق والجسور؛ التَظَلُّم إلى المدير العام ليصدر القرار المناسب".[4]

---

(1) محمد رفعت عبد الرهاب، القضاء الإداري، ج1، الطبعة الأولى 2005م، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، ص79

(2) سليمان محمد الطماوي، القرارات الإدارية ، مرجع سابق، ص 15.

(3) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء آراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص 42.

(4) أنظر المادة 10 من قانون حماية الطرق القومية لعام 1994م.

هذه التعريفات ترتكز على فكرة واحدة مضمونها: أن الشخص الْمُتَظَلِّم يتقدم بِتَظَلُّمِه إلى الشخص الذي يترأس الشخص مصدر القرار الْمُتَظَلَّم منه، أو الرئيس الإداري له، لذا فهذا النوع أخف حدة من النوع السابق.

ثالثاً: التَّظَلُّم إلى لجنة خاصة: في هذا النوع لا يتجه المتضرر من القرار الإداري لا إلى الموظف الذي صدر عنه التصرف، ولا إلى الرئيس الإداري لذلك الموظف، بل يتوجه إلى لجنة إدارية خاصة يحددها القانون على سبيل الحصر، الهدف من إنشائها هو النظر في التَّظَلُّمات المرفوعة إليها، حيث تقوم هذه اللجنة الإدارية بالنظر في التَّظَلُّم؛ والتثبت من مدى مشروعية القرار الْمُتَظَلَّم منه وفقاً لمقتضيات المشروعية، ومن ثم تصدر قرارها[1]، وجدير بالذكر أن هذه اللجان يتم تشكيلها عادة من موظفين عموميين بدرجة وظيفية معينة، وتضمن للمتظلمين بعض الضمانات، وذلك من خلال عدم اشتراك مُصْدِرِي القرارات الإدارية المعيبة أو رؤسائهم في تكوين هذه اللجان، وتعد هذه الطريقة حلقة الاتصال بين نظام الإدارة القاضية ونظام المحاكم بمعناها الفني، ونسبياً يُعَدُّ هذا النوع الأكثر عدالة.[2]

وقد تتشكل هذه اللجان من شخص واحد كما في حالة النزاعات النقابية، حيث تعطى الصلاحية وبموجب القانون لمسجل عام النقابات؛ لحسم النزاعات التي تنشأ والتي تتعلق بالنقابات، وحالة ضابط التسوية الذي له الصلاحية في الفصل في الاستئناف الذي يرفع له ضد قرار ضابط التسجيل.[3]

وقد تتشكل هذه اللجان من عدة أشخاص؛ كما هو الحال في اللجنة التي نص عليها قانون الخدمة الوطنية لعام 1992م؛ للنظر في التَّظَلُّمات من قرارات التجنيد؛

---

(1) محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري مرجع سابق، ص79

(2) حسين عثمان محمد عثمان، قانون القضاء الإداري، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2003م، ص68، أيضاً سليمان الطماوي ، القرارات الإدارية، مرجع سابق، ص 16.

(3) محمد محمود أبو قصيصة، مبادئ القانون الإداري السوداني، الطبعة الثانية 1999م، الخرطوم، مطبعة السلطة القضائية، ص 143.

حيث يكون التَظَلُّم من قرارات المدير إلي لجنة مُشَكَلة من عضو من وزارة العدل بدرجة مستشار أول على الأقل، وضابطين برتبة لا تقل عن عقيد من قوات الشعب المسلحة، ويصدر بتشكيل تلك اللجنة، وبيان إجراءاتها، قرار من الوزير وتكون قرارات تلك اللجنة نهائية.(1)

وقد يجعل القانون من المجالس الخاصة جهة تصدر قرارات ابتدائية، وقد يجعل منها جهة استئنافية، فمجالس التخطيط التي تُشَكَّل بموجب الأوامر المحلية، تُصْدِر قرارات ابتدائية يمكن استئنافها لجهات أعلى منها، وهي لجنة التخطيط الإقليمية أو المركزية بحسب الحال، بينما قرارات لجنة استئنافات العاملين بالخدمة العامة تصدر قراراتها كجهة استئنافية، ويذهب البعض إلى أن هذا السبيل- اللجان- أكثر فاعلية من النوعين السابقين من سبل التَظَلُّم الإداري حيث أن طبيعة تكوينها وإجراءات عملها تنأى بها عن تهمة الازدواجية - الحَكَم والخصم- في آن معاً التي يوصم بها النوعين السابقين، فمثل هذه اللجان عادة تتكون من عدِّة موظفين ذوي كفاءة خاصة، ويتم عملهم عادة في إطار تعدد الآراء و الترجيح بينها، مما يضمن لها كفاءة لا تتوافر عندما ينظر التَظَلُّم فرد بمفرده مهما كانت كفاءته.

وجدير بالذكر أن الدول ذات النظام القضائي الموحد في معظمها، قد جرى العمل فيها على ترجيح النوع الثالث؛ وهو أسلوب اللجان في معالجة التَظَلُّمات المقدمة من الأشخاص مع عدم إهمال النوعين الآخرين، وهذا ما سار عليه النظام القانوني في السودان؛ حيث يشيع أسلوب اللجان في معالجة التَظَلُّمات الإدارية؛ أضف إلى ذلك اعتماد كلٍ من أسلوبيَّ التَظَلُّم الولائي والتَظَلُّم الرئاسي، حيث يتكرر إيراد النص عليها من قبل المشرع في كثير من التشريعات.

(1) المادة 17 الفقرة 2 من قانون الخدمة الوطنية لعام 1992م.

الفرع الثاني: أنواع التَظَلُّم بالنظر إلى مدى إلزامية اللجوء إليه:

في البدء يجب التنويه إلى أن هناك نظامين رئيسين للتظلم الإداري، التَظَلُّم الإلزامي والتَظَلُّم الاختياري، فالتَظَلُّم الإلزامي وهو السائد تاريخياً في الأنظمة القانونية في كل من ألمانيا - النمسا- هولندا، حيث لا تقبل المحاكم النظر في الدعوى الإدارية ما لم تستنفد طرق التَظَلُّم الإداري مسبقاً، أما التَظَلُّم الاختياري فهو السائد في النظام القانوني اللاتيني "الفرنسي" والأنظمة القانونية التي تدور في فلكه،[1] وإلى ذلك فإننا سنستعرض كلا النوعين من التَظَلُّم الإداري على النحو التالي:-

أولاً: التَظَلُّم الاختياري: وهو الأصل في التَظَلُّم الإداري بصفة عامة؛ إذ تمليه اعتبارات الثقة المفترضة في الإدارة وقراراتها؛ ومنحها الفرصة الكافية لتدارك وتصويب ما تقع فيه من أخطاء في قراراتها، مما يُعزز ثقة الأفراد في الجهات الإدارية، كما أن هذا النوع من التَظَلُّم يترك لصاحب المصلحة حرية تقديمه من عدمها؛ حسبما يراه محققاً لمصلحته، دون أن يكون هناك إلزام من قبل القانون بتقديمه، و دون أن يتطلب تقديمه شكلاً محدداً، أو التزاماً بمدة معينة، أو اتباعاً لإجراءات خاصة، ما لم ينص القانون على خلاف ذلك.[2]

فالأصل أن صاحب الشأن أو المصلحة بالخيار؛ إما أن يتجه إلى القضاء؛ و إما إلى الجهة الإدارية، ولا يمنع التوجه لأحدهما من التوجه إلى الأخرى؛ بل قد يجمع بينهما مع ضرورة الالتزام بالشروط التي ينص عليها القانون كالمواعيد مثلاً، فقد يرفع صاحب المصلحة دعوى قضائية؛ أمام المحكمة المختصة طالباً إلغاء القرار لاقتضاء حقه الذي أهدره القرار المطعون فيه، وقد يرى صاحب المصلحة أن السبيل الأفضل لاقتضاء حقه في مواجهة القرار الإداري الْمُتَظَلَّم منه؛ أن يتجه إلى الجهة الإدارية سواء المصدرة للقرار الإداري؛ أو التي لها سلطة الرئاسة على الجهة المصدرة للقرار عبر تظلم إداري، لكن

---

(1) Dacian C. Dragos & Mariusz Swora, Administrative appeals in Romania and poland,Transylvanian Review Of Administrative Sciences, No.37 E/2012,P 39.

(2) نواف كنعان، القضاء الإداري، مرجع سابق، ص 237.

الْمُشَرِّع قد يجعل استثناءً في بعض الحالات سبق اللجوء إلى الجهة الإدارية واستنفاد سبل التَظَلُّم لها؛ شرطاً لقبول اللجوء إلى القضاء عبر دعوى الإلغاء، وهو ما يطلق عليه التَظَلُّم الوجوبي، وهذا بخلاف التَظَلُّم الاختياري الذي قد يكون سابقاً على الدعوى الإدارية؛ وقد يكون لاحقاً لرفعها، وقد يكون متزامناً مع رفعها أمام القضاء؛ طالما تم الالتزام بمواعيد التَظَلُّم.

ويبدو أن سمة الاختيار في هذا النوع من التَظَلُّم؛ ليست مبنية فقط على مدى حرية صاحب المصلحة في رفع التَظَلُّم من عدمها، بل هي مبنية من جانب على عدم إلزام القانون له بذلك، وعدم ترتيب الْمُشَرِّع أي أثر قانوني على حق صاحب المصلحة في الطعن القضائي من جانب أخر، سواء أقْدَمَ على تقديم تظلمه الإداري أم لا، لذلك عرف التَظَلُّم الاختياري بأنه: ذلك التَظَلُّم الذي يتقدم به صاحب المصلحة من تلقاء نفسه، دون أن يشترط الْمُشَرِّع مدة يُقَدَّم خلالها عقب علمه بالقرار؛ مع جواز أن يتوجه صاحب المصلحة مباشرة إلى القضاء طاعناً في القرار الإداري دون سبق تظلمه.[1]

أما الأثر الذي يترتب على اعتماد التَظَلُّم الإداري الاختياري، فهو أن تَظَلُّمْ صاحب المصلحة للإدارة يقطع سريان ميعاد الستين يوماً؛ بحيث تبدأ مدة الطعن من جديد؛ وذلك من تاريخ إعلان صاحب المصلحة برفض الإدارة الصريح للتَظَلُّم، أو من تاريخ انقضاء مدة الستين يوماً المنصوص عليها في القانون.[2]

فلصاحب المصلحة الذي يصدر القرار في حقه؛ أن يتقدم بالتَظَلُّم إلى الجهة الإدارية خلال المدة المحددة قانوناً (وهي ستون يوماً) التالية لنشر القرار أو إعلانه أو العلم اليقيني به، ويمكن أن يتقدم الْمُتَظَلِّم بتظلمه ثم يرفع دعوى الإلغاء في آن معاً، أو أن يرفع الدعوى ثم يتقدم بالتَظَلُّم أثنائها خلال الميعاد وهذا ما قررته محكمة القضاء

---

(1) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص 47.

(2) نواف كنعان، القضاء الإداري، مرجع سابق، ص 237.

الإداري المصرية "بأن التجاء صاحب المصلحة إلى أحد الطريقين لا يحول دون التجائه إلى الطريق الأخر على أن تراعى مواعيد الطعن القانونية".[1]

فإذا جاء رد الإدارة بالرفض على التَظَلُّم فيجب أن يكون هذا الرفض واضحاً ومسبباً، وأن يكون هذا الرفض خلال الستين يوماً التالية لتقديم التَظَلُّم، فإذا تحقق ذلك فإن ميعاداً جديداً أي ستين يوماً أخرى يبدأ سريانها من اليوم التالي لوصول الرد إلى ذوي الشأن، ويكون لهذا الأخير الحق في رفع الدعوى خلال هذه المدة.[2]

ثانياً: التَظَلُّم الوجوبي "الإجباري": هو ذلك التَظَلُّم الذي يتعين على صاحب المصلحة استنفاده قبل الالتجاء إلى الطريق القضائي[3]، هذا الوجوب يترتب على عدم الالتزام به أثر قانوني؛ يتمثل في أن مصير الدعوى التي يرفعها الطاعن قبل استيفاء التَظَلُّم تصبح غير مقبولة شكلاً، لذا فهو يختلف عن التَظَلُّم الاختياري لأنه بمثابة إجراء يمثل شرطاً سابقاً على رفع الدعوى القضائية، و وجوب التَظَلُّم كشرط يستمد عادةً من نص القانون على ذلك، فيأخذ به عادةً الْمُشَرِّع بالنسبة لبعض الطعون الإدارية، كالطعون المقدمة من الموظفين في القرارات الإدارية النهائية الصادرة في شأن التعيين، الترقية، منح العلاوات، الجزاءات التأديبية، الإحالة إلى المعاش، أو الفصل بغير الطريق التأديبي، فمثل هذه الطعون لا يقبل القضاء النظر فيها إلا بعد استنفاد سبل التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية التي أصدرت القرار أو الجهات الإدارية الرئاسية، أو اللجان المختصة، في هذه الحالات وغيرها يُعَدُّ استنفاد التَظَلُّم الإداري شرطاً لقبول دعوى الإلغاء.[4]

وهذا ما تبناه الْمُشَرِّع السوداني في قانون الإجراءات المدنية لعام 1983م، ثم لاحقاً في قانون القضاء الإداري والدستوري لعام 1996م، ثم أخيراً في قانون القضاء الإداري

(1) علي عبدالفتاح محمد، الوجيز في القضاء الإداري، مرجع سابق، ص267.

(2) علي عبدالفتاح محمد، الوجيز في القضاء الإداري، مرجع سابق، ص267.

(3) محمود عاطف البنا، الوسيط في القضاء الإداري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990، ص210.

(4) محمود عاطف البنا، الوسيط في القضاء الإداري، دار الفكر العربي القاهرة ، 1990م، ص 211.

لعام 2005م، إذ جعل من استنفاد سبل التَظَلُّم الإداري؛ أحد شروط قبول دعوى الطعن في القرار الإداري؛ دون أن يفصل في ماهية القرار الذي تستهدفه، حيث نص على أن من ضمن مشتملات عريضة دعوى الطعن في القرار الإداري :" تاريخ التَظَلُّم، و نتيجته إذا كان القرار المطعون فيه مما يجوز التَظَلُّم منه إلى جهة إدارية مختصة"[1]، أضف إلى ذلك أن الْمُشَرِّع عندما نَظَّمَ أحكام ميعاد رفع دعوى الطعن في القرار الإداري، جعل من تاريخ الفصل النهائي في التَظَلُّم الإداري بدايةً لميعاد رفع دعوى الطعن القضائي في القرار الإداري، وذلك في الحالات التي يجيز فيها القانون التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية، حيث نص الْمُشَرِّع على أن: "يبدأ الميعاد في الأحوال التي يجيز فيها القانون التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية المختصة من تاريخ الفصل نهائياً في التَظَلُّم".[2]

ويجدر بنا التذكير بأن شرط استنفاد طرق التظلم ليس مطلقاً بل يصدق على القرارات الادارية التي لا تنطوي على فورية التنفيذ، أما القرارات الادارية القابلة للتنفيذ الفوري فتعد من قبيل القرارات النهائية التي يجوز الطعن فيها للمحكمة الإدارية مباشرةً إذا رفضت الجهة التي أصدرته وقف تنفيذه.[3]

ويستفاد هذا الحكم الوجوبي للتظلم بالإضافة لما أوردته النصوص أعلاه، و من خلال ما رَتَّبَه الْمُشَرِّع على عدم التزام الطاعن به في الأحوال المقررة؛ بأن جعل جزاء ذلك هو شطب عريضة الطاعن لعدم استنفاده طرق التَظَلُّم المتاحة بموجب القانون، حيث نص الْمُشَرِّع في معرض تنظيمه لأحكام شطب عريضة الطعن في القرار الإداري أن على القاضي شطب عريضة دعوى الطعن ورفضها في أيٍ من الحالات التالية، وذكر منها: "الطاعن لم يستنفد طرق التَظَلُّم المتاحة بموجب القانون"[4].

---

(1) الفقرة "د"، المادة 3 من قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

(2) البند"2"، المادة 5 من قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

(3) الزاكي إدريس وآخرين ضد وزارة التخطيط العمراني و المرافق العامة، مجلة الأحكام القضائية لعام 2007م، ص291.

(4) الفقرة "ب"، البند 1، المادة 7 من قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

وهذا ما سار عليه القضاء ففي أحد الأحكام التي أصدرتها المحكمة العليا، ذهبت المحكمة في حكمها إلى التالي: "يجب على المدعي أن يتظلم إلى الجهات الإدارية الأعلى وفقاً للترتيب الهرمي الذي تتبع له إدارة الري المصري، وذلك قبل أن يطرق باب القضاء الإداري السوداني، وذلك لأن الطعن في القرارات الإدارية يشترط فيه وفقاً لنص المادة 30 (2) من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م؛ أن يبين الطاعن في عريضة الطعن تاريخ التَظَلُّم ونتيجته؛ فإن لم يتبع الطاعن هذا النص فينطبق عليه الجزاء المنصوص عليه في المادة 312 من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م، وهو المانع لقبول الطعن في القرار الإداري متى لم يستنفد مقدم الطلب كافة طرق التَظَلُّم المتاحة له بموجب القانون".[1]

(1) إدارة الري المصري ضد أحمد عبد القادر خالد، مجلة الأحكام القضائية لعام 1992م، ص 134.

المبحث الثاني

شروط التَظَلُّم الإداري

يهدف القانون الإداري عموماً إلى تيسير سبل فض النزاعات القائمة بين الأشخاص وبين الجهات الإدارية، و في سبيل ذلك نجد اتفاقاً بين فقهاء القانون الإداري؛ على أن التَظَلُّم الإداري يمكن أن يتم نسبياً وفقاً لأي صورة تؤدي إلى الإيفاء بمضمون التَظَلُّم، فكل ما يفيد مطالبة صاحب المصلحة للجهة الإدارية بالتراجع عن قرارها الإداري الذي يرى بأنه ألحق به ضرراً عبر سحبه أو تعديله أو إلغائه فهو مقبول شريطة أن يكون بالإمكان إثباته، لذلك فيمكن أن يكون التَظَلُّم شفاهةً، ويمكن أن يكون كتابةً سواءً عادية أو رقمية شريطة أن يتصل ذلك بعلم الجهة الإدارية بأي وسيلة متعارف عليها في المدة القانونية.[1]

ومن جانب أخر يُعد التَظَلُّم شرطاً من الشروط الشكلية لدعوى الإلغاء إذ يترتب على عدم الإيفاء بهذا الشرط في ميعاده رفض الدعوى أو عدم قبولها شكلاً، كما أن التَظَلُّم الوجوبي يُعد عنصراً أساسياً في الجانب الشكلي في إعداد وقبول عريضة دعوى الإلغاء على الوجه المعتد به قانوناً، سواء من خلال ما يثبت تقديم التَظَلُّم الإداري للجهة الإدارية المعنية، أو نتيجة هذا التَظَلُّم المتمثل برد الإدارة عليه أو مجرد إثبات اتصال علمها به، لذلك نجد أن الْمُشَرِّع يشترط أحياناً أن يأتي التَظَلُّم - التَظَلُّم الوجوبي- في شكل كتابي، ولعل ذلك أدعى لتيسير عبء الإثبات على الْمُتَظَلِّم في إثبات تقديم تَظَلُّمَه، إلا أن قانون ديوان العدالة الاتحادي لعام 1999م، ذهب إلى أن نظر ديوان العدالة المظالم للطعون، يكون بناءً على عريضة تقدم من الْمُتَظَلِّم أو الطاعن، توضح فيها الوقائع الجوهرية وأسباب التَظَلُّم أو الطعن، وترفق بها المستندات المؤيدة، مما يشي بأن التظلم هنا يشترط فيه أن يكون كتابةً.[2]

---

(1) منى محمد عبد الرزاق، الأحكام القانونية للتظلم الإداري، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد السادس، العدد الثالث، العام 2008م، ص156.

(2) المادة 16 الفقرة 1 من قانون ديوان العدالة الاتحادي لعام 1999م.

وعلى الرغم من الأهمية القانونية للتَظَلُّم الوجوبي كإجراء قانوني لا يمكن الالتفاف عليه في دعوى الإلغاء، فإن الْمُشَرِّع السوداني بشكل عام لم يتطلب شكلاً محدداً للتَظَلُّم يتعين على الْمُتَظَلِّم الالتزام به، يعزز ذلك القول: بأن القضاء الإداري يتسم في جانب الإثبات منه، بالاعتماد على الأدلة الكتابية في غالب الأحوال، إلا أن هنالك مجموعة من الشروط ذهب الفقه والقضاء على ضرورة توافرها في التَظَلُّم الوجوبي كما أن طبيعة التظلم كإجراء تقتضيها، و يمكن بيانها على النحو التالي:

الشرط الأول: أن يقدم التَظَلُّم من قبل صاحب المصلحة ذاته أو من يُمَثِّلَه: بالنظر إلى التَظَلُّم القانوني باعتباره بمثابة إجراء قانوني تترتب عليه آثار قانونية، فإن من يحق له تقديم التَظَلُّم هو الشخص الذي تضرر من القرار الإداري الْمُتَظَلَّم منه، أو من قِبَل نائبه القانوني فيما لو كان الشخص المتضرر ناقص الأهلية أو عديمها، كذلك الحال بالنسبة للأشخاص الاعتبارية، فيقدم من قِبَل الممثل القانوني لهذا الشخص، وجدير بالذكر أن ضوابط المصلحة هنا هي ذاتها المتبعة في شخص من يُقَدِّم الدعوى الإدارية.(1)

الشرط الثاني: أن يَتَّسم التَظَلُّم الإداري بالوضوح والبساطة من حيث مشتملاته: أي بمعنى أن تكون بيانات ومشتملات طلب التَظَلُّم واضحة، وكافية، و بعيدة عن الجهالة، إذ لا عبرة بالتَظَلُّم الْمُجَهِّل ذو العبارات الغامضة المبهمة، التي لا تُفصح عن اعتراض الْمُتَظَلِّم على قرار بعينه(2)، فمن جانب يتعين تحديد شخص الْمُتَظَلِّم والقرار الْمُتَظَلَّم منه، والجهة الإدارية التي أصدرته، وتاريخ صدور ذلك القرار، والعيب الذي لحق بالقرار، ومن الجانب الأخر يتعين أن يتضمن التَظَلُّم طلبات الْمُتَظَلِّم، وأن تكون هذه الطلبات محددة ومشروعة، تتمثل إما بسحب القرار، أو إلغائه، أو تعديله، ليتسنى

---

(1) محمد رفعت عبد الوهاب، أصول القضاء الإداري، الإسكندرية، دار الجامعية الجديدة، طبعة 2007م، ص82.

(2) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص 30.

للجهة الْمُتَظَلَّم إليها التعامل معه بشكل موضوعي، فإذا خلا التَظَلُّم الإداري مثلاً من أي طلبات للمتظلم، فلا يُعَد التَظَلُّم عندئذٍ مقبولاً و من ثم لا يُلتفت إليه.(1)

الشرط الثالث: أن يُقدم التَظَلُّم الإداري إلى الجهة الإدارية ذات الاختصاص: ويقصد بالجهة الإدارية ذات الاختصاص: تلك الجهة الإدارية التي يَسند إليها القانون سلطة مراجعة القرار الإداري بموجب التَظَلُّم، سواء تمثلت تلك الجهة الإدارية في ذات الشخص أو الجهة التي أصدرت القرار، أم الجهة أو الشخص الذي له السلطة الرئاسية على الجهة التي أصدرت القرار محل التَظَلُّم، أم اللجنة المختصة التي أسند لها القانون مهمة نظر التَظَلُّمات، وجدير بالذكر أن الوزير يُعد الرئيس الإداري الأعلى، أو الجهة الأعلى في الهرم الإداري فيما يتعلق بوزارته، و قد يحدث أحياناً أن يقدم الْمُتَظَلِّم تظلمه إلى جهة إدارية غير مختصة، ففي هذه الحالة ذهب القضاء الإداري في كلٍ من مصر وفرنسا، إلى أن مثل هذا التَظَلُّم لا يُعد قاطعاً لمدة الطعن إلا إذا قَدَّمَ الْمُتَظَلِّم عذراً مقبولاً عن الخطأ الذي وقع فيه.(2)

الشرط الرابع: أن يستهدف التَظَلُّم الإداري قراراً إدارياً صدر بشكلٍ نهائي: وهذا يعني أن المتظلم لا بد له من أن يستهدف بتظلمه قراراً إدارياً صدر بالفعل، فلا معنى للتَظَلُّم من قرار إداري لم يصدر بعد، أو أن يستهدف التَظَلُّم عملاً أو إجراءً تحضيرياً صادراً عن الإدارة، أو قراراً إدارياً لم يحز الصفة النهائية كالقرار الإداري الذي لم ينشر بعد(3)، ومن ثم فليس من المنطقي أن يُطلب من الإدارة إعادة النظر في قرار لا يزال قيد النظر أو محل بحث، نظراً لانتفاء المصلحة في ذلك لأي شخص طالما القرار لم يظهر إلى العلن بعد.(4)

---

(1) فؤاد أحمد عامر، ميعاد رفع دعوى الإلغاء، القاهرة: الطبعة الثانية، 2002م، دار الفكر العربي، ص 123.

(2) ماجد راغب الحلو، الدعاوى الإدارية، مرجع سابق، ص 92.

(3) سليمان محمد الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية، دار الفكر العربي، القاهرة طبعة1427هـ 2006م، ص174.

(4) ماجد راغب الحلو، الدعاوى الإدارية، مرجع سابق، ص 70.

الشرط الخامس: أن يقدم التَظَلُّم الإداري خلال المدة المحددة قانوناً: يتعين على الْمُتَظَلِّم لقبول تظلمه أن يرفع تظلمه خلال مدة عادة ما يحددها الْمُشَرِّع، تبدأ من تاريخ نشر القرار الإداري، أو إعلان الشخص صاحب المصلحة به، أو علم هذا الأخير بالقرار علماً يقينياً، وذلك لأن القرار الإداري لا يمكن أن يترك عرضةً للطعن طوال الوقت، لما يمثله ذلك من تعطيل لعمل الإدارة، لذا نجد أن معظم التشريعات ذهبت إلى تحديد هذه المدة، ومن ثَمَّ فإن تقديم التَظَلُّم بعد مُضي تلك المدة لا قيمة له قانوناً، لأن مُضي تلك المدة يُعد من جانب إسقاطاً لحق صاحب المصلحة في التَظَلُّم، ومن جانب أخر تُكسب القرار الإداري حصانةً رغم ما لحقه من عيوب، ومن ثم يندرج القرار في عِداد القرارات الإدارية السليمة، ومن ثم لا تُجبر الإدارة على إعادة النظر فيه[1]، وقد تباينت التشريعات المقارنة حول تحديد هذه المدة: فعلى سبيل المثال نجد أن الْمُشَرِّع اللبناني قد ذهب إلى التمييز بين مُدَدْ التَظَلُّم تبعاً للقرار الْمُتَظَلَّم منه، أَيُعَدُ قراراً إدارياً تأديبياً، أم قراراً إدارياً عادياً، فبالنسبة للقرارات الإدارية العادية مدة التَظَلُّم منها هي شهران، بينما مدة التَظَلُّم من القرارات التأديبية الخاصة بالموظفين العموميين هي ثلاثون يوماً فقط، أما الْمُشَرِّع المصري فقد ذهب إلى تحديد المدة بستين يوماً، يكون للشخص صاحب المصلحة في الطعن؛ في أي من القرارات الإدارية الحق في تقديم التَظَلُّم خلال مدة الشهرين[2].

أما الْمُشَرِّع السوداني فقد نَظَّمَ الأمر بموجب قانون القضاء الإداري حيث نص هذا القانون على: "يبدأ الميعاد في الأحوال التي يجيز فيها القانون التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية المختصة من تاريخ الفصل نهائياً في التَظَلُّم" ، "يكون ميعاد التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية ستون يوماً ما لم ينص القانون على خلاف ذلك ويحسب الميعاد على الوجه المبين في البند"1"، "يعتبر رفضاً للتظلم عدم فصل الجهة فيه خلال ثلاثين يوماً من تاريخ رفعه إليها".[3]

---

(1) ماجد راغب الحلو، الدعاوى الإدارية، مرجع سابق، ص 99.

(2) محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، الكتاب الثاني، مرجع سابق ص61.

(3) المادة 5، من قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

إلى ذلك يمكن القول بأن الْمُشَرِّع الوطني قد انتهى إلى توحيد مدة كلٍ من دعوى الطعن القضائي والتَظَلُّم الإداري في القرار الإداري بستين يوماً، و يبدأ هذه الميعاد من تاريخ نشر ذلك القرار الْمُتَظَلَّم منه في الجريدة الرسمية، أو في النشرات التي تصدرها أجهزة الدولة، أو من تاريخ العلم به علماً حقيقياً، أو من تاريخ إعلان صاحب المصلحة؛ أيهما كان الأسبق[1].

و الأصل أن هذا الميعاد ينسحب على التَظَلُّم بشكل عام؛ نظراً لأن قانون القضاء الإداري قانون خاص، غير أن القانون الأخير ذاته قد نص على سريان هذا الميعاد ما لم ينص القانون على خلاف ذلك، ووفقاً لهذه الصياغة الواردة في النص أعلاه؛ فإن الْمُشَرِّع قد ترك المجال مفتوحاً لإنقاص أو زيادة مدة ميعاد التَظَلُّم، ولكن بموجب قاعدة واردة في التشريع، هذه المرونة كشف عنها قانون القضاء الإداري ولم ينشئها، حيث نجد أن كثير من التشريعات الوطنية قد تباينت في تنظيمها لميعاد تقديم التَظَلُّم إما صمتاً، أو طولاً، أو قِصَراً، ولم تجتمع تلك التشريعات مطلقاً على مدة موحدة، وإن كانت في غالبيتها قد استقرت على تحديد ميعاد تقديم التَظَلُّم بأقل من ستين يوماً، فبعض تلك التشريعات لم تحدد أصلاً مدة لتقديم التَظَلُّم رغم أنها نصت على الحق في التَظَلُّم[2]، وبعضها الأخر جاءت موافقة لما انتهى إليه قانون القضاء الإداري[3]، وطائفة ثالثة خالفته فذهبت إلى تحديد مدة أقصر سواءً أكانت ثلاثون يوماً[4]، أم خمسة عشر يوماً.[5]

(1) المادة 5، الفقرة 1 من قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

(2) المادة 18 من قانون الري والصرف لسنة 1990م.

(3) المادة 37 من قانون الرقابة على التأمين لسنة 2001م.

(4) المادة 24، 25، 26، 27 من قانون الضريبة على القيمة المضافة لسنة 2001م، و المادة 22 من قانون تشجيع الاستثمار لعام 1999م.

(5) أنظر المادة 23 من قانون تنمية الثروة المعدنية والتعدين لعام 2007م، و المادة 29 من قانون التقاوي وحماية الأصناف القومي لعام 2010م، و المادة23،22 من قانون التقاوي الملغي 1999م، والمادة 17 من قانون الخدمة الوطنية 1992م.

وفي هذا الجانب نلاحظ أن بعض التشريعات قد نصت على أن القرار الذي يفصل في التَظَلُّم يُعَدُّ نهائياً، بمعنى أنه غير خاضع للرقابة القضائية، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: قانون الهيئة القضائية: نص على أن قرار الفصل في التَظَلُّم من قبل مجلس القضاء العالي يُعَدّ قراراً نهائياً، حيث نص: "يفصل المجلس فيما يرفع إليه من تظلم بموجب أحكام المادتين 35 و36، بعد الاطلاع على الأوراق قبل إبداء رأيه في مشروع ترقيات القضاة، ويكون قرار المجلس في هذه الحالة نهائياً، وغير قابل للتَظَلُّم أو للطعن بأي من الطرق، أو أمام أي جهة قضائية"[1].

فوفقاً للنص التشريعي أعلاه نجد أن الْمُشَرِّع قد أعطى لكل قاضي تم إخطاره كتابة، من قبل رئيس القضاء بأن تقدير كفاءته يقل عن درجة فوق الوسط، الحق في التَظَلُّم كتابةً من قرار لجنة تفتيش القضاة وتقويم أدائهم، وذلك خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ تسلم الإخطار، وذلك إلى مجلس القضاء العالي، أو إلى لجنة تفتيش القضاة وتقويم أدائهم في حالة القضاة الخاضعين لاختصاصها، كذلك الحال بالنسبة لكل قاضي حل دوره للترقية، ولم يكن اسمه وارداً في قائمة الترشيح للترقيات، لسبب غير الكفاءة؛ و كان قد تم إخطاره من قبل رئيس القضاء بالأسباب التي أدت إلى عدم ترشيحه للترقية، فيكون قرار المجلس في التَظَلُّم حينئذ نهائياً وغير قابل لا للتَظَلُّم أمام أي جهة إدارية، ولا للطعن القضائي أمام أي جهة قضائية.[2]

ثانياً: قانون المحاجر والمناجم: حيث أجاز الْمُشَرِّع لكل صاحب طلب، أو صاحب ترخيص، أو عقد أيجار، أن يتظلم للوزير ضد أي قرار تتخذه لجنة المناجم والمحاجر، ويكون قرار الوزير في هذه الحالة نهائياً ولا يجوز الطعن فيه أمام المحاكم،[3] وفي ذات السياق سار قانون حماية الطرق القومية، حيث أعطى الْمُشَرِّع بموجبه الحق في التَظَلُّم لكل شخص يتضرر من أي من الأعمال والإجراءات التي تقوم بها الهيئة القومية

---

(1) المواد 35، 36، 37، 38 من قانون الهيئة القضائية لعام 1986م.

(2) أنظر المواد 35، 36، 37، 38، من قانون الهيئة القضائية لعام 1986م.

(3) المادة 9 من قانون المناجم والمحاجر الملغي لعام 1972م.

للطرق والجسور، ويرفع التَظَلُّم إلى الأمين العام للهيئة القومية للطرق و الجسور، والذي يُمكن التَظَلُّم (أو استئناف) قراره إلى الوزير، والذي يكون قراره بالفصل في التَظَلُّم نهائياً.(1)

التوجه التشريعي الذي تمثله النصوص أعلاه، يمكن الجزم بأن المشرع السوداني قد تجاوزه، كونها جاءت في تشريعات تم إلغاؤها، باستثناء قانون الهيئة القضائية الذي ما زال نافذاً، هذه النماذج على محدوديتها تمثل بلا شك خصماً على الحق في التقاضي،وقد جاءت أحكام القضاء في هذا الجانب في غاية الدقة حيث فرقت المحاكم في أحكامها بين نهائية القرارات باعتبارها تقتضي وضع نهاية لمسار التظلمات، وتغلق باب استئناف القرار الإداري لدى الجهات الإدارية لكن نهائيتها لا تمنع صاحب المصلحة من اللجوء إلى القضاء، وبين نهائية القرارات التي تغلق الباب أمام المتظلم لدى الجهات الإدارية و القضاء على السواء.

ففي حكم للمحكمة العليا ذهبت المحكمة إلى القول: "يكون قرار وزير الشباب والرياضة نهائياً وفقاً للمادة 29 من قانون هيئات الشباب والرياضة لعام 1990م ويجوز الطعن فيه لدى المحاكم وفقاً للمادة 20(1) من قانون القضاء الإداري 1996م والمادة 55(ب) من دستور جمهورية السودان لعام 1998م".(2)

وفي حكم أخر للمحكمة العليا، ذهبت المحكمة في معرض مناقشتها لوقائع القضية إلى القول: "درجت المحاكم في بعض الدول التي تسترشد بتراثها القضائي، على تفسير العبارات التي تقضي بنهائية القرارات أو تحد من حق الطعن تفسيراً ضعيفاً، ليتيح أكبر قدر من العدالة للمواطنين، وليتسع المجال دائماً لتصحيح الأخطاء في كل قضاء يتعلق بالحقوق والواجبات، وفي هذا إشارة لرأي اللورد دينج على وجه الخصوص، ومجمل رأيه هو أن سلطة المحكمة في تصحيح الأخطاء القانونية لا تحدها

---

(1) انظر المادة 11،10 من قانون حماية الطرق القومية لعام 1994م.

(2) المجلس الأعلى للشباب والرياضة ضد عمر البكري أبو حراز، مجلة الأحكام القضائية لعام 2001م، ص197.

التشريعات إلا بنهي صريح في هذا الشأن، وهو ما لا نجده في القانون الذي يحكم الواقعة، كأن ينص القانون على أن مجال اللجوء للمحاكم ينعقد بالنسبة لتصحيح الأخطاء في القانون فقط، إذ أن عبارة "نهائي" يُستخلص منها أن القرار نهائي فيما يتصل بالوقائع.[1]

وفي حكم أخر صادر عن المحكمة العليا ذهبت المحكمة إلى أن القرار الإداري النهائي يخضع للمراجعة القضائية، وعليه إذ نص تشريع خاص على أن القرار نهائي فإن ذلك القرار لا يخضع للطعن من حيث القانون، ولكنه يخضع للرقابة القضائية، فتحصين القرارات الإدارية لا يخرجها عن حظيرة الرقابة القضائية، فحق الطعن في القرارات حق قانوني يمنحه التشريع، وقد يحجبه في بعض القضايا، وقد يحصرها على مراحل معينة؛ كأن يحدد القانون استئناف القرارات الصادرة عن مجالس المحاسبة لمرحلة واحدة؛ وأمام لجنة فصل معينة، عندئذ يصبح ذلك التحديد هو السبيل الوحيد المتاح للطعن من حيث القانون في القرار الإداري الصادر عن مجلس المحاسبة، ومن ثم لا توجد مرحلة للطعن من حيث القانون بعد ذلك؛ لأن القانون نص على نهائية تلك القرارات الصادرة عن لجنة الفصل في قرارات مجالس المحاسبة المطعون فيها، ومن ثم لا يوجد سبيل للطعن من حيث القانون في قرارات تلك اللجنة، أما الطعن بموجب القوانين العامة كقانون الإجراءات المدنية فقد يكون من حيث القانون، وقد يكون عن طريق الرقابة القضائية، فإذا حظر تشريع خاص حق الطعن من حيث القانون فإن ذلك لا يسلب المحاكم حق المراجعة القضائية، وهذه هي الطريقة التي تعالج بها مسألة تحصين القرارات الإدارية من الطعن.[2]

لعل ما انتهى إليه الْمُشَرِّع ممثلاً في قانون القضاء الإداري، يمثل التوجه الحقيقي والمنطقي في هذا الجانب، و هو بلا شك الأولى بالاتباع، نظراً لأن الغاية من التَظَلُّم هي إعطاء مساحة للجهات الإدارية لمراجعة القرارات الإدارية التي تتخذها، قبل أن يبسط

(1) أمين عام النقابات ضد نقابة عمال التاكسي، مجلة الأحكام القضائية لعام 1975م، ص212.

(2) جرجسي برنابا شنودة ضد وزارة التشييد والإسكان، مجلة الأحكام القضائية لعام 1991م، ص276.

القضاء رقابته عبر دعوى قضائية يرفعها صاحب المصلحة، لذلك فإن التشريع الذي ينص على أن تحديد المدة القانونية التي يقدم فيها التَظلُّم هي خمسة عشر يوماً، فإما أن يقبل التَظلُّم، وإما أن يرفض رفضاً صريحاً أو ضمنياً وفي الحالتين يمكن لصاحب المصلحة اللجوء للقضاء في حدود المدة القانونية المقررة لدعوى الطعن في القرار الإداري، وبذا فإن تقصير المدة في كل الأحوال لا يمنع من بسط القضاء لرقابته على أعمال الإدارة، بل هو في حقيقته حرمان للإدارة من ميزة الرقابة الذاتية التي تُتيحها التَظلُّمات، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى إجبارها على المثول أمام القضاء في مواجهة صاحب المصلحة، هذا الأمر كان من الممكن تفاديه بتوحيد آجال المدة وجعلها ستون يوماً على غرار الْمُشَرِّع المصري.

الشرط السادس: أن يكون مسعى الْمُتَظَلِّم ممكناً تحقيقه من الوجهة القانونية: بمعنى أن يكون القرار الإداري الذي يستهدفه التَظلُّم الإداري من جانب يقبل التعديل أو الإلغاء أو السحب، فلو أن الجهة الإدارية أفصحت صراحة عن موقفها في هذا الشأن، والمتمثل برفض الاستجابة لأي تَظلُّم، بحيث لن تعيد النظر في قرارها، ففي مثل هذا الحال يُعَدُّ التَظلُّم غير مجدي، فعلى الرغم من أن الجهة الإدارية تملك الاختصاص القانوني للنظر في ذلك التَظلُّم إلا أنها في الواقع ارتأت أن لا تمارس هذا الاختصاص، لذلك ففي مثل هذه الحالة ليس لصاحب المصلحة بُدٌّ من اللجوء إلى القضاء.[1]

ومثال ذلك ما ذهب إليه قانون هيئات الشباب والرياضة لسنة 2003م، بأن القرارات غير الفنية للجنة التحكيم الاتحادية أو الولائية، تُعَدُّ نهائية على الرغم من كون تلك القرارات لم تصدر من أعلى جهة إدارية في نهاية السلم الإداري،[2] لذا فإن التَظلُّم من قرارات لجنة التحكيم عندئذ لا طائل من ورائه، ومن ثم فإن صاحب

(1) محمد رفعت عبد الوهاب، أصول القضاء الإداري، مرجع سابق، ص85، و أيضاً :نجم الأحمد، التظلم الإداري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد الثالث، 2013م، ص31.

(2) المادة 22 "1"، 23 "1"، 24 "2"من قانون هيئات الشباب والرياضة لسنة 2003م.

المصلحة المتضرر من هذه القرارات لا سبيل له في هذه الحالة إلا الطعن أما القضاء الإداري.[1]

كذلك ما ذهب إليه قانون الخدمة المدنية القومية، بعدم إعادة تعيين الموظف الذي تم فصله من الخدمة بموجب قرار صادر عن مجلس محاسبة؛ إلا بعد مُضِي سنة على الأقل من تاريخ قرار الفصل، على أن يكون ذلك بقرار من مجلس الوزراء أو الوزير، حسب الحال بناء علي توصيه من الوزير المختص، ففي هذه الحالة فإن تَظَلُّم الموظف الذي تم فصله يكون بلا شك غير مجدي.[2]

وكذلك ما ذهب إليه قانون الضريبة على القيمة المضافة، بالنسبة إلى القرار الذي يصدره الأمين العام لديوان الضرائب الصادر بحق شخص ارتكب مخالفةً لأحكام القانون، فقد نص الْمُشَرِّع صراحةً على أن ذلك القرار بالصلح يُعَدُّ نهائياً وغير قابل للاستئناف،[3] ففي مثل هذه الحالة ليست هناك جدوى من تقديم التَظَلُّم إلى الجهات الإدارية العليا.

فهناك بعض القرارات نص الْمُشَرِّع على عدم جواز الطعن فيها أمام المحاكم، ومثال ذلك القرارات الصادرة عن وزير الطاقة والتعدين في التَظَلُّمات المرفوعة إليه ضد أيٍ من قرارات لجنة المناجم والمحاجر، سواء بمنح أو عدم منح، أو تجديد رخص التنقيب أو عقود استخراج المعادن، فقد نص القانون على نهائية هذه القرارات وأنه لا يجوز الطعن فيها أمام المحاكم.[4]

ومثال ذلك أيضاً قرارات مجلس القضاء العالي الصادرة في التَظَلُّمات المرفوعة إليه من قبل القضاة، بخصوص قرارات تقدير الكفاءة الصادرة عن لجنة التفتيش، أو قرار الاستبعاد من قائمة الترشيح للترقيات لسبب غير الكفاءة، لذلك فإن قرارات المجلس

---

(1) رامي عزت أخنوخ وآخرين ضد لجنة التحكيم لهيئات الشباب والرياضة، مجلة الأحكام القضائية لعام 2008م، ص234.

(2) المادة 24 "3" من قانون الخدمة العامة لسنة 2007م.

(3) المادة 49 الفقرة 2 "هـ" من قانون الضريبة على القيمة المضافة لعام 2001م.

(4) المادة 9 من قانون المناجم والمحاجر الملغي لعام 1972م.

في هذه التَظلُّمات تُعَدُّ نهائية وغير قابلة للتَظلُّم أو للطعن بأيٍ من الطرق أو أمام أي جهة قضائية.[1]

يجوز لكل صاحب مصلحة أن يتظلم للوزير ضد أي من قرارات لجنة التعدين خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ صدور تلك القرارات، وعلى الوزير أن يبت خلال ثلاثين يوماً فإذا انقضت هذه المدة عُد ذلك بمثابة رفض للتَظلُّم.[2]

الشرط السابع: أن يقدم التَظلُّم من صاحب المصلحة و ممن له الصفة القانونية :

بالنظر إلى أن التَظلُّم كإجراءً يتم غالباً في إطار دعوى الإلغاء، ومن ثم تترتب على تقديمه آثار قانونية في مقدمتها قطع ميعاد دعوى الطعن بالإلغاء، يشترط فيه أن يقدم من قبل الشخص الذي يمس القرار الإداري محل التَظلُّم مصلحته، وبعبارة أكثر دقة ممن يجيز القانون له رفع دعوى الإلغاء، لكون انقطاع ميعاد الطعن بالإلغاء لا يسري إلا في حق من تقدم بالتَظلُّم، فلا يمكن لمن ليست له مصلحة أو صفة في التظلم أن يستند إليه أمام القضاء.[3]

وجدير بالذكر أن شرط المصلحة في نطاق دعوى الإلغاء يتحقق بمجرد أن يمس القرار الإداري المتظلم منه المركز القانوني للمتظلم بحيث تصبح له مصلحة مادية أو أدبية في التظلم من ذلك القرار لإلغائه، ويتعين أن تكون تلك المصلحة شخصية ومباشرة، وفوق ذلك يجب أن يكون في حالة قانونية خاصة بالنسبة للقرار المتظلم منه من شأنها أن تجعله مؤثراً في مصلحة ذاتية للمتظلم تأثيراً مباشراً.[4]

أما شرط الصفة فيتحقق فيمن هو معني بالقرار الإداري الْمُتَظَلَّم منه بشكل شخصي، إلا أن الفقه الإداري ذهب إلى جواز تقديم التَظلُّم من قبل شخص أخر، كالوكيل - محامي أو مستشار قانوني- باعتباره إجراءً قانونياً تترتب عليه آثار

(1) أنظر المادة 38،36،35 من قانون الهيئة القضائية 1986م.

(2) المادة 23 من قانون تنمية الثروة المعدنية والتعدين لعام 2007م.

(3) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق،ص133- 134.

(4) علي محمود و آخرين ضد إبراهيم أحمد علي، مجلة الأحكام القضائية لعام 1990م، ص311.

قانونية، والشخص الذي له الصفة القانونية قد يظهر أصالةً أو نيابةً عمن له الصفة، كممثل الشخص الاعتباري ولكن في حدود اختصاصه، لكن في جميع الأحوال يتعين أن يُقدم التَظَلُّم باسم الشخص صاحب المصلحة والصفة، ويبدو هذا الشرط منطقياً من جهة كون الجهات الإدارية؛ الأصل فيها أن تباشر وظائفها تحقيقاً لمصلحة المجتمع كافة، هذا يستدعي عمل الجهات الإدارية في بيئة ملائمة، دون مزيد من العوائق كي يتسنى لها مباشرة عملها على الوجه الأفضل، غير أن الأمر إذا تُرِكَ دون إرساء ضوابط قانونية؛ فإن تقديم التَظَلُّم الإداري من أي شخص قد يُعَطِّل سير العمل الإداري في المؤسسات العامة، لذا تشترط غالبية التشريعات عادةً شرط المصلحة لإبعاد الفضوليين.[1]

وقد ذهب القضاء السوداني إلى أن: "القاعدة في تحديد المصلحة هي أن القرار الإداري إذا أثر على شخص، فإنه يصبح لذلك الشخص مصلحة شخصية في تقديم التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية، ومن بعد ذلك دعوى الطعن بالإلغاء، فيكفى أن يكون القرار الإداري قد أَثَّرَ في المركز القانوني لمواطن معين كحرمانه من فرصة المنافسة مع آخرين لنيل خدمة أو عمل أو أي مزايا أخرى، كالمنافسة على التراخيص؛ أو قِطَع الأراضي السكنية؛ أو إقامة الأعمال؛ أو إنشاء المصانع، إلى غير ذلك مما لا يسهل حصره، ففي جميع هذه الأحوال فإن للجهة الإدارية سلطة تقديرية في المنح والمنع، فإذا تأثر مواطن بهذه القرارات كانت له مصلحة شخصية تؤهله لأن يقدم تَظَلُّماً للجهة التي أصدرت القرار.[2]

---

(1) محمد محمود أبوقصيصة، مبادئ القانون الإداري السوداني، مرجع سابق، ص17.

(2) فريق النيل الرياضي و آخرون ضد معتمد العاصمة القومية، مجلة الأحكام القضائية لعام 1986م، ص187.

المبحث الثالث

الآثار القانونية للتَظَلُّم الإداري

يترتب على تقديم صاحب المصلحة التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية قبيل رفع دعوى الطعن أمام القضاء آثار قانونية مباشرة وغير مباشرة على النحو الآتي:

المطلب الأول: الآثار القانونية المباشرة

الفرع الأول: قطع ميعاد رفع دعوى الطعن في القرار الإداري: يُعد هذا الأثر من أهم الأثار التي تترتب على تقديم التَظَلُّم الإداري إلى الجهة الإدارية، وهذا ما نص عليه الْمُشَرِّع في معرض بيانه لميعاد رفع دعوى الطعن القضائي في القرار الإداري في قانون القضاء الإداري بقوله: " **يبدأ الميعاد في الأحوال التي يجيز فيها القانون التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية المختصة من تاريخ الفصل نهائياً في التَظَلُّم** "[1]، ومفاد هذا النص أن تقديم التَظَلُّم الإداري يؤدي إلى انقطاع ميعاد رفع دعوى الطعن القضائي، هذه النتيجة تنسحب على كلٍ من التَظَلُّم الإداري الوجوبي والتَظَلُّم الاختياري، وإن كانت أهميتها تظهر أكثر حال التَظَلُّم الوجوبي، مع ملاحظة أن انقطاع ميعاد رفع دعوى الطعن يختلف عن وقف الميعاد، فالتَظَلُّم الإداري يقطع ميعاد رفع الطعن ولا يوقفه، هذا يستدعي منا بيان وجه الاختلاف على النحو التالي:

أولاً: تعريف انقطاع ميعاد رفع دعوى الطعن القضائي: يقصد بانقطاع سريان الميعاد "استبعاد المدة التي انقضت من ميعاد رفع دعوى الإلغاء قبل تقديم التَظَلُّم، والبدء في احتساب ميعاد جديد كامل، يبدأ من تاريخ تقديم هذا التَظَلُّم، وهو اليوم التالي لوصول التَظَلُّم إلى الجهة مصدرة القرار أو الجهة الرئاسية لها"[2]، فالْمُتَظَلِّم يتعين عليه أن يقدم التَظَلُّم خلال الفترة التي نص عليها الْمُشَرِّع؛ كشرط مسبق لقبول دعوى الطعن في القرار الإداري فيما بعد، بحيث يُمَثِّل

---

(1) البند "2"، المادة "5"، من قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

(2) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص 174.

تقديم التَظَلُّم قَطعاً لما سبق من ميعاد الطعن، ومن ثم تبدأ مدة ميعاد طعن جديدة بمجرد البت في التَظَلُّم من قبل الإدارة، أو مضي المدة التي يقررها الْمُشَرِّع أيهما كان الأقرب، حيث يتم إسقاط المدة الزمنية التي مضت قبل رفع التَظَلُّم من ميعاد رفع الدعوى، وتبدأ مدة جديدة تحتسب من تاريخ البت في التَظَلُّم حسبما يقرره الْمُشَرِّع[1]، وهي ستون يوماً وفقاً لما ذهب إليه الْمُشَرِّع السوداني وهو بذلك جاء موافقاً لما أخذ به الْمُشَرِّع المصري.

ومقتضى ذلك إذا علم صاحب المصلحة بالقرار الإداري الْمُتَظَلَّم منه في الأول من أبريل، فمدة الستون يوماً تبدأ من الثاني من أبريل وتستمر حتى الثاني من يونيو، فإذا لم يتقدم صاحب المصلحة خلال الشهرين بتظلمه؛ فإن حقه في رفع دعوى الإلغاء يسقط، ومن ثم يكتسب القرار الإداري حصانة قضائية نهائية، بل إن الجهة الإدارية غير ملزمة بالرد على تَظَلُّمَه؛ طالما تم تقديمه عقب انتهاء المهلة القانونية، وإلى ذلك إذا تقدم صاحب المصلحة بالتَظَلُّم في الأول من مايو و رَدَّتْ عليه الجهة الإدارية في الأول من يونيو؛ فإن ميعاد الطعن بالإلغاء في القرار الإداري يُقطع، وتبدأ مدة ستون يوماً جديدة من الأول من يونيو.

وجدير بالذكر أنه في حال تعدد التَظَلُّمات الإدارية وتتابعها، فإن ما يقطع ميعاد دعوى الطعن بالإلغاء هو التَظَلُّم الإداري الأول، ولا يعتد بالتَظَلُّمات التالية له، والحكمة من وراء ذلك هي الحيلولة دون التلاعب بمدة الشهرين، فيتخذ ذوو المصلحة تقديم التَظَلُّمات ذريعة لقطع تلك المدة، للحصول على مدد جديدة؛ الأمر الذي يقود إلى عدم استقرار القرارات الإدارية التي يرى الْمُشَرِّع تحصينها بمجرد انتهاء مدة الشهرين.[2]

ثانياً: موقف الْمُشَرِّع السوداني: حدد الْمُشَرِّع السوداني ميعاد رفع دعوى الطعن في القرار الإداري بستين يوماً، حيث جاء النص على النحو التالي: "يكون ميعاد

(1) محمد رفعت عبدالوهاب، القضاء الإداري- الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص86- 87.

(2) محمد رفعت عبدالوهاب، القضاء الإداري- الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص87.

رفع الطعن ستين يوماً؛ من تاريخ نشر ذلك القرار في الجريدة الرسمية، أو في النشرات التي تصدرها أجهزة الدولة، أو من تاريخ العلم به علماً حقيقياً، أو من تاريخ إعلان صاحب المصلحة؛ أيهما كان الأسبق، و يبدأ الميعاد في الأحوال التي يجيز فيها القانون التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية المختصة؛ من تاريخ الفصل نهائياً في التَظَلُّم، و يكون ميعاد التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية ستون يوماً؛ ما لم ينص القانون على خلاف ذلك "(1)

وإلى ذلك فإن الْمُشَرِّع السوداني رَتَّب على تقديم التَظَلُّم الإداري في الأحوال التي يجيز فيها ذلك، أن تقديم التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية المختصة يقطع مدة ميعاد الطعن في دعوى الإلغاء، غير أن الْمُشَرِّع جعل بداية حساب ميعاد رفع دعوى الطعن حالئذ؛ من تاريخ الفصل نهائياً في التَظَلُّم من قبل الجهة الإدارية، هذه الأخيرة ألزمها الْمُشَرِّع بالبت في التَظَلُّم المقدم إليها خلال ثلاثين يوماً من تاريخ تقديمه إليها، فلا يمكن لها الاحتفاظ به أكثر من هذه المدة، وفي المقابل قَيَّدَ صاحب المصلحة المتضرر من القرار؛ بأن يرفع تظلمه إلى الجهة المختصة في ظرف شهرين وليس أكثر، وتحسب هذه المدة من تاريخ نشر ذلك القرار في الجريدة الرسمية، أو في النشرات التي تصدرها أجهزة الدولة، أو من تاريخ العلم به علماً حقيقياً، أو من تاريخ إعلان صاحب المصلحة؛ أيهما كان الأسبق، وهكذا نجد أن الْمُشَرِّع قد أَحْكَمَ إجراءات التَظَلُّم من خلال التحديد الدقيق للمدد المتعلقة به على نحو لا يدع مجالاً للاجتهاد.

غير أن هذه المدد التي أحاطت تقنين التَظَلُّم نجدها قد تباينت من تشريع إلى أخر على نحو يراعي الطبيعة الخاصة لبعض القرارات، لذلك فإن ميعاد التَظَلُّم الإداري من القرار الإداري في دعوى الطعن القضائي في القرار الإداري تنقضي في عدة صور منها:

(1) إذا انقضت مدة رفع التَظَلُّم التي نص عليها القانون، سواءً أكانت ثلاثون يوماً أو أقل؛ دون تقديم التَظَلُّم من قبل صاحب المصلحة.

---

(1) البند 1،2،3،4، من المادة 5، من قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

(2) إذا تم البت في التَظَلُّم قبل مضي ثلاثين يوماً من تاريخ تقديمه.

(3) مضي ثلاثين يوماً على تقديم التَظَلُّم دون أن ترد الجهة الإدارية المختصة؛ مما يُعد رفضاً ضمنياً للتظلم.

لكن قد يحدث أن ينص القانون على مدة أقل من الستين يوماً لرفع التَظَلُّم؛ كمدة الأسبوعين مثلاً إلا أن صاحب المصلحة قد يسلك مسلكاً سلبياً إزاء تحريك التَظَلُّم من القرار الإداري مع علمه به، فينتظر حتى انتهاء تلك المدة دون أن يرفع تَظَلُّمه إلى الجهة الإدارية، أو أنه قدم تَظَلُّمه إلى الجهة الإدارية بعد انقضاء مدة الأسبوعين؛ فرفضت قبول تَظَلُّمه نظراً لانقضاء مدة التَظَلُّم القانونية، ومع ذلك لا زالت مدة الستين قائمة، فهل يُعد ذلك استنفاداً لطرق التَظَلُّم عند رفعه لدعواه أمام القضاء؟

الأصل في هذه الحالة أن الحق في الولوج عبر سبيل القضاء يبقى متاحاً لرفع دعوى الطعن في القرار الإداري، دون أن يلزم صاحب المصلحة بالتوجه إلى الجهة الإدارية لتقديم التَظَلُّم في القرار الإداري، غير أن تحديد المدة القانونية للتظلم على نحو أقل من المدة التي نص عليها الْمُشَرِّع في قانون القضاء الإداري؛ يؤدي بلا شك إلى إهمال الحكمة و مبرر وجود التَظَلُّم الإداري، وهو قيام الإدارة بالنظر في القرار الْمُتَظَلَّم منه بشكل ودي، دون ولوج الْمُتَظَلِّم إلى ساحات القضاء لرفع دعواه، وما يترتب على ذلك من استحقاقات الخصومة القضائية، لذا فإنه من المهم في هذا المقام توحيد المدد القانونية للتظلم في كافة التشريعات اتساقاً مع قانون القضاء الإداري.

الفرع الثاني: تحقق قيام شروط التَظَلُّم الإداري: هذا يؤكد أن التَظَلُّم الإداري لو لم يستوف الضوابط التي نص عليها القانون؛ لما قبلته الجهة الإدارية، بمعنى أنه قد قُدِّمَ في ميعاده القانوني، وكذلك قُدِّمَ للجهة الإدارية المختصة بنظر التَظَلُّم، بما في ذلك استيفاء المدة المقررة لانتظار رد الجهة الإدارية للبت في التَظَلُّم الإداري.[1]

(1) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص173- 174.

المطلب الثاني: الآثار غير المباشرة

الفرع الأول: إثبات علم الْمُتَظَلِّم بالقرار علماً يقينياً: يُعد تقديم صاحب المصلحة للتظلم من قبيل القرائن القوية على علمه بالقرار الْمُتَظَلَّم منه، فإذا لم يوضح الْمُتَظَلِّم تاريخ علمه بالقرار المطعون فيه، عُدَّ تاريخ تقديمه للتظلم هو تاريخ علمه بالقرار المطعون فيه. [1]

ومن المعلوم أن هناك سبل محددة للعلم بالقرار الإداري الْمُتَظَلَّم منه على النحو التالي:

أولاً: العلم بالقرار عبر التبليغ الشخصي: وهذه السبيل نجدها في مجال القرارات الإدارية الفردية، إذ من تاريخ الإبلاغ الشخصي بها يتم تحديد ميعاد التَظَلُّم الإداري. [2]

ثانياً: العلم بالقرار الإداري الْمُتَظَلَّم منه عبر النشر: تُعَدُّ عملية النشر من السبل الرسمية في النظم القانونية والإدارية على اختلاف مدارسها يتم عبرها الإعلام بالقرارات الإدارية، إذ من تاريخ النشر يبدأ الحساب لميعاد التَظَلُّم الإداري، وعادة ما يتم اعتماد هذه لسبيل في الإعلام بالقرارات الإدارية العامة، والنشر عادة يتم عبر الجريدة الرسمية؛ إذ قد يتم الاستناد إلى تاريخ النشر كحجة أو حجة على الْمُتَظَلِّم من القرار الإداري، وقد يتم النشر في النشرات الرسمية على مستوى الوحدات الإدارية اللامركزية، أو الأماكن المخصصة للإعلانات. [3]

ثالثاً: العلم اليقيني: قد يتحقق علم الشخص بالقرار الإداري علماً يقينياً من خلال علمه بالقرار علماً قاطعاً لا شائبة عليه، وهذا يمكن التعرف إليه من خلال دلائل وشواهد محددة،تُعَدُّ قرينة قاطعة على العلم اليقيني للشخص بالقرار الإداري،

---

(1) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص182.

(2) عمار عوابدي، النظرية العامة للمنازعات الإدارية، مرجع سابق، ص391- 392.

(3) - عمار عوابدي، النظرية العامة للمنازعات الإدارية، مرجع سابق، ص393.

ومثال ذلك أن يكون الشخص المعني حاضراً في الاجتماع الذي اتخذ فيه القرار، أو أنه رفض تسلم تبليغ القرار الْمُتَظَلَّم منه، أو التوقيع على القرار بصفته الوظيفية.(1)

الفرع الثاني: إثبات قصد الإدارة: نظراً لكون الجهة الإدارية هي الطرف الأقوى، وهي من يملك خيارات أكثر في مواجهة القرار الإداري المعيب سحباً وتعديلاً و إلغاءً، فإن مجرد رفع التَظَلُّم إلى الجهة الإدارية يستدعي منها النظر فيه، كون مآل هذا التَظَلُّم يُعد قرينة مهمة على مدى جدية الإدارة في البت في التَظَلُّم من عدمه.(2)

لذلك فالأصل أن تنظر الجهة الإدارية في التَظَلُّم بشكل جدي ونزيه؛ مستصحبة في ذلك اعتبارات المصلحة العامة التي لا تنفصل البتة عن حماية حقوق الأفراد و مصالحهم المشروعة، هذا يتطلب منها أن تتعامل مع التَظَلُّم المقدم إليها فلا يأتي رفضها إلا مسبباً، وألا تلجأ قدر المستطاع إلى الرفض الضمني الذي يُعد بمثابة قرينة على سلبية الجهة الإدارية في التعامل مع التَظَلُّم الإداري، واستهتاراً بكل مبررات الأخذ بالتَظَلُّم الإداري.

وبصفة عامة لا يخرج موقف الجهة الإدارية من التَظَلُّم الإداري المُقَدَّم من الشخص الْمُتَظَلِّم عن افتراضات ثلاثة على النحو التالي:-

أولاً: الاستجابة لطلبات الشخص الْمُتَظَلِّم : فقد تستجيب الجهة الإدارية لطلبات الْمُتَظَلِّم بشكل كلي أو جزئي، ففي الافتراض الأول يتحقق للمُتَظَلِّم مسعاه الذي يسعى إليه من وراء التَظَلُّم، وبذا ينتهي نزاعه مع الجهة الإدارية، فإذا كانت هناك دعوى قضائية مرفوعة منه على الجهة الإدارية طعناً في القرار الذي يتظلم منه، فستصبح الدعوى القضائية عندئذ غير ذات جدوى، ومن ثم يحكم القضاء برفضها شكلاً نظراً لأن شرط المصلحة الذي كان موجوداً عند رفعها ابتداءً قد انتفى لاحقاً، ومن ثم فبغياب شرط المصلحة عن ذي الشأن الأصل إيقاف نظر الدعوى.

(1) خالد خليل الظاهر، القضاء الإداري، مرجع سابق، ص 193.

(2) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، مرجع سابق، ص183.

وقد تكون استجابة الجهة الإدارية لطلبات الْمُتَظَلِّم استجابة جزئية - فالأمر هنا يتوقف على تقدير الْمُتَظَلِّم لهذه الاستجابة من الجهة الإدارية، فقد يكتفي بهذا الحل الجزئي وينتهي الأمر عند هذا الحد، سواءً أكانت هناك دعوى قضائية مرفوعة أم لا، و قد لا يقتنع الْمُتَظَلِّم بهذه الاستجابة الجزئية، فيجدد تظلمه أو يستأنفه إلى جهة أعلى منها إن لم يكن القرار نهائياً، أو يتجه إلى القضاء لإنصافه إن لم يكن قد سبق ورفع دعوى قضائية للطعن في القرار الْمُتَظَلَّم منه، أو يستمر في توجهه القضائي إن كانت له دعوى قضائية مرفوعة.

ثانياً: رفض السلطة الإدارية لطلبات الشخص المتظلم: قد يكون رد الجهة الإدارية على التَظَلُّم هو الرفض، وهنا قد يكون رفض الجهة الإدارية رفضاً صريحاً للتَظَلُّم في مجمله؛ وهنا يتعين على الجهة الإدارية أن يكون ردها بالرفض الصريح خلال المدة القانونية للبت في التَظَلُّم، ويتعين أن يكون رفضها مسبباً، فعندئذ للمتظلم الحق في التوجه إلى استئناف قرار السلطة الإدارية برفض التَظَلُّم؛ خاصة إذا كان قرار الجهة الإدارية غير نهائي، أما إذا كان القرار نهائياً فلا مناص من التوجه إلى القضاء، وجدير بالذكر أن قرار الإدارة بالرفض يتعين أن يكون مسبباً.(1)

ثالثاً: صمت السلطة الإدارية عن البت في التَظَلُّم الإداري: قد تتجه السلطة الإدارية أحيانا إلى اتخاذ موقف سلبي من التَظَلُّم المرفوع إليها من قبل شخص المتظلم، ومثال ذلك عدم الرد على التَظَلُّم كأن تلتزم الصمت حيال التَظَلُّم، فمثل هذا التصرف عَدَّه الْمُشَرِّع بمثابة قرينة يستفاد منها رفض التَظَلُّم؛ خاصة بعد مضي فترة محددة تنص عليها التشريعات لضرورة البت في التَظَلُّم من قبل الإدارة.

(1) سليمان محمد الطماوي، القضاء الإداري "قضاء الإلغاء"، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة السابعة، ، ص528- 529، أيضاً: عبدالله طلبة، الرقابة القضائية على أعمال الإدارة، الطبعة الثانية: حلب، 1984م، منشورات جامعة حلب، كلية الحقوق، ،ص242.

وقد تباينت التشريعات إزاء صمت الجهة الإدارية، فنجد الْمُشَرِّع الفرنسي قبل عام 1940 اعتبر أن المدة تبقى مفتوحة إلى حين رد الإدارة الصريح؛ مهما طالت مدة صمتها، هادفاً من وراء ذلك إلى إجبار الجهة الإدارية على الرد على كل تظلم يرد إليها، وقد عُدِلَ عن هذا التوجه في العام 1940 حيث تم تحديد المدة بأربعة أشهر من تقديم التَظَلُّم، ومن ثم فبانتهاء هذه المدة يُعد صمت الإدارة طوال هذه الفترة قرينة على رفضها للتَظَلُّم، أما الْمُشَرِّع المصري فقد حذا حذو الْمُشَرِّع الفرنسي بتبني مسلك المدة المفتوحة ثم تحول عن ذلك إلى فترة أربعة أشهر عام 1949م، ثم عدل عنها في قانون عام 1955 إلى فترة ستون يوماً.[1]

أما الْمُشَرِّع السوداني فلم يختلف كثيراً في التعامل مع مسألة صمت الجهة الإدارية التي رفع لها التَظَلُّم عن الرد، حيث كانت المدة التي يتعين على الجهة الإدارية أن ترد فيها على التَظَلُّم غير محددة، بمعنى أن الأمر يبقى كذلك إلى حين رد الجهة الإدارية على التَظَلُّم مهما طالت تلك الفترة، غير أن القضاء كان له موقف مغاير من ذلك حيث قررت المحكمة العليا أن: "تجاهل السلطة الإدارية الرد على التَظَلُّم بعد أن أتيحت لها الفرصة الكافية يوجب على المحكمة المرفوع أمامها دعوى الطعن في القرار موضوع التَظَلُّم تصريح الدعوى"،[2] و في حكم آخر ذهبت المحكمة العليا إلى القول: "بأن فترة التظلم لا تسري إلا من تاريخ الفصل في التظلم، ولكن هذا لا يعني أن يبقى الطاعن طوال الوقت في انتظار الفصل في التظلم عاجزاً عن أن يتقدم بالطعن الإداري، قبل ذلك للطاعن أن ينتظر فترة معقولة فإذا لم يتلق رداً عن تظلمه أمكنه رفع دعوى كعطن إداري".[3]

---

(1) سليمان محمد الطماوي، القضاء الإداري "قضاء الإلغاء"، مرجع سابق، ص 528.

(2) محمد أحمد الحاج عثمان ضد باشري الأمين "مجلس شعبي منطقة السجانة"، مجلة الأحكام القضائية لعام 1981م، ص209.

(3) عبد الرحمن نور الدين ضد حكومة السودان الديمقراطية، مجلة الأحكام القضائية لعام 1980، ص 362.

إلا أن قانون الإجراءات المدنية لعام 1983م جعل هذه المدة ثلاثة أشهر يتعين على الجهة الإدارية البت خلالها في التَظَلُّم، [1]وإلا اعتبر صمتها رفضاً للتَظَلُّم، وبصدور قانون القضاء الدستوري والإداري تم تقليص هذه المدة الممنوحة للجهة الإدارية إلى ثلاثين يوماً للبت في التَظَلُّم [2]، وهي ذات المدة التي نص عليها الْمُشَرِّع في قانون كلٍ من المحكمة الدستورية لعام 1998م [3]،وقانون ديوان العدالة الاتحادي [4]، و قانون القضاء الإداري لعام 2005م [5]، وقانون المحكمة الدستورية لعام 2005م [6]، وقانون تنمية الثروة المعدنية والتعدين لعام 2007م [7]، وبذا نجد أن مسلك الْمُشَرِّع السوداني وافق ما انتهى إليه الْمُشَرِّع المصري في هذه المسألة، بينما اعتبر قانون محاسبة العاملين بالخدمة العامة 1994م فترة صمت الإدارة 21 يوماً دون الرد على التَظَلُّم بمثابة رفض له. [8]

---

(1) المادة 310 الفقرة "3"، من قانون الإجراءات المدنية لعام 1983م.

(2) المادة 21 الفقرة "3"، من قانون القضاء الدستوري والإداري لعام 1996م.

(3) المادة 17 الفقرة "1"، من قانون المحكمة الدستورية لعام 1998م.

(4) المادة 16، الفقرة"5"، من قانون ديوان العدالة الاتحادي لعام 1999م.

(5) المادة 5 الفقرة "3" من قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

(6) المادة 19، الفقرة "4"، من قانون المحكمة الدستورية لعام 2005م.

(7) المادة 23، من قانون تنمية الثروة المعدنية والتعدين لسنة 2007م.

(8) المادة 31، الفقرة "2"، والمادة 32 البند "أ"، من قانون محاسبة العاملين بالخدمة العامة لعام 1994م.

الخاتمة:

بعد الوصول بهذا البحث إلى خاتمة المطاف فيما يتعلق بالتظلم الإداري من جوانبه المختلفة، أرجو من الله أن أكون قد وفقت في هذه المعالجة لموضوع البحث، في جوانبها الفقهية القانونية، و التشريعية على صعيد المشرع الوطني السوداني عبر التشريعات المتعددة، والجانب القضائي من خلال الأحكام القضائية الرائدة، لأصل بذلك إلى نتائج وتوصيات البحث على النحو التالي:

النتائج

- يختلف مفهوم التظلم الإداري من حيث المعنى الإصطلاحي عن كثير من المصطلحات المشابهة.
- تبنى النظام القانوني في السودان التَظَلُّم الوجوبي في إطار دعوى الطعن بالإلغاء في القرارات الإدارية.
- يُعَدُّ كلاً من التظلم الرئاسي، و التَظَلُّم إلى لجنة خاصة، الأكثر شيوعاً في النظام القانوني السوداني.
- أحاط المشرع السوداني إجراء التظلم الإداري بضوابط محكمة خاصة بعد صدور قانون القضاء الإداري.
- هناك تضارب في التشريعات الوطنية فيما يتعلق بمدد ميعاد رفع التظلم إلى الجهات الإدارية.
- كان للقضاء فضل السَبَّق على المشرع في حسم تجاهل ومماطلة الجهات الإدارية في الرد على التَظَلُّم الإداري.
- تبنى القضاء مذهباً يرجح حقه في الرقابة على أعمال الإدارة، في تعاطيه مع تحصين القرارات الإدارية تشريعياً.

التوصيات:

- توحيد المدد القانونية لتقديم التَظَلُّم الإداري في التشريعات المختلفة، لتأتي متوافقة مع قانون القضاء الإداري.
- تنقيح بعض التشريعات من التضارب خاصة في مجال مدة رفع التظلم الإداري.
- التخفيف من غلواء شرط استنفاد طرق التَظَلُّم لقبول دعوى الإلغاء خاصة في ظل رسوخ حق التقاضي.

المراجع و المصادر

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب اللغة العربية

(1) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، الطبعة الثانية 1419هـ - 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

(2) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء الثالث، دار الفكر، طبعة 1399هـ- 1979م.

(3) زين الدين محمد بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة، 1990م، الجزء الأول.

(4) على بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

(5) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم عرقسوسي، الطبعة الثامنة 1436هـ- 2005م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(6) مجمع اللغة العربية، معجم القانون، القاهرة، المطابع الأميرية، 1420هـ 1999م.

(7) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم، المجلد الأول، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2010م.

(8) محمد بن مكرم بن علي جمال الدبن بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3،1414هـ، ج 12.

(9) حافظ أحمد عجاج الكرمي، الإدارة في عهد الرسول، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، 2007م.

ثالثاً: الكتب القانونية

(10) خالد خليل الظاهر، القضاء الإداري، الطبعة الأولى 2009م، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض.

(11) سليمان محمد الطماوي، القضاء الإداري "قضاء الإلغاء"، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة عام 1986م.
(12) سليمان محمد الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية، دار الفكر العربي، القاهرة طبعة 2006م.
(13) طعيمة الجرف، الرقابة القضائية على أعمال الإدارة، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).
(14) عاطف محمود البنا، الوسيط في القضاء الإداري، الطبعة الثانية، القاهرة، 1998م.
(15) عبدالله طلبة، الرقابة القضائية على أعمال الإدارة، ط2،1984م، منشورات جامعة حلب، كلية الحقوق.
(16) عثمان محمد عثمان، قانون القضاء الإداري، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2003م.
(17) علي عبد الفتاح محمد، الوجيز في القضاء الإداري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، طبعة 2009م.
(18) عمار عوابدي، النظرية العامة للمنازعات الإدارية في النظام القضائي الجزائري، الجزء الثاني، "نظرية الدعوى الإدارية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر طبعة 1998م.
(19) عيد مسعود الجهني، القضاء الإداري وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى؛1984م.
(20) فؤاد أحمد عامر، ميعاد رفع دعوى الإلغاء، القاهرة: الطبعة الثانية، 2002م، دار الفكر العربي.
(21) ماجد راغب الحلو، الدعاوى الإدارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2004م.
(22) محمد إبراهيم خيري الوكيل، التظلم الإداري في ضوء أراء الفقه و أحكام القضاء، القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى 2012م.
(23) محمد رفعت عبد الرهاب، القضاء الإداري، ج1، الطبعة الأولى 2005م، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية.

(24) محمد رفعت عبد الوهاب، أصول القضاء الإداري، الإسكندرية، دار الجامعية الجديدة، طبعة 2007م.

(25) محمد محمود أبو قصيصة، مبادئ القانون الإداري السوداني، مطبعة السلطة القضائية، الخرطوم، الطبعة الثانية 1999م.

(26) محمود عاطف البنا، الوسيط في القضاء الإداري، دار الفكر العربي القاهرة، 1990م.

(27) نواف كنعان، القضاء الإداري، الطبعة الأولى، دار الثقافة، عمان، 2006م.

(28) يوسف عثمان بشير، القرار الإداري، مطبعة بورتسودان، الطبعة الأولى، 1991م.

ثالثاً: المجلات المحكمة

(29) منى محمد عبد الرزاق، الأحكام القانونية للتظلم الإداري، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد السادس، العدد الثالث، العام 2008م.

(30) 30- نجم الأحمد، التظلم الإداري، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد الثالث، 2013م.

(31) Dacian C. Dragos & Mariusz Swora, Administrative appeals in Romania and poland,Transylvanian Review Of Administrative Sciences, No.37 E/2012.

(32) Vuk CUCIC ,Appeals In Special Administrative Domains ,Transylvanian Review Of Administrative Sciences, No.34 E/2011.

رابعاً: التشريعات الوطنية

(33) قانون المناجم والمحاجر الملغي لعام 1972م.

(34) قانون الإجراءات المدنية لعام 1983م.

(35) قانون الهيئة القضائية لعام 1986م.

(36) قانون الري والصرف لعام 1990م.

(37) قانون الخدمة الوطنية لعام 1992م.

(38) قانون حماية الطرق القومية لعام 1994م.

(39) قانون محاسبة العاملين بالخدمة العامة لعام 1994م.

(40) قانون القضاء الدستوري والإداري لعام 1996م.

(41) قانون المحكمة الدستورية لعام 1998م.

(42) قانون التقاوي الملغي لعام 1999م.

(43) قانون تشجيع الاستثمار لعام 1999م.

(44) قانون ديوان العدالة الاتحادي لعام 1999م.

(45) قانون الرقابة على التأمين لعام 2001م.

(46) قانون الضريبة على القيمة المضافة لعام 2001م.

(47) قانون هيئات الشباب والرياضة لعام 2003م.

(48) قانون القضاء الإداري لعام 2005م.

(49) قانون المحكمة الدستورية لعام 2005م.

(50) قانون الخدمة العامة لعام 2007م.

(51) قانون تنمية الثروة المعدنية والتعدين لعام 2007م.

(52) قانون محاسبة العاملين بالخدمة المدنية القومية لعام 2007م.

(53) قانون التقاوي وحماية الأصناف القومي لعام 2010م.

خامساً: مجلات الأحكام القضائية

(54) مجلة الأحكام القضائية لعام 1975م.

(55) مجلة الأحكام القضائية لعام 1980.

(56) مجلة الأحكام القضائية لعام 1981م.

(57) مجلة الأحكام القضائية لعام 1986م.

(58) مجلة الأحكام القضائية لعام 1990م.

(59) مجلة الاحكام القضائية لعام 1991م.

(60) مجلة الأحكام القضائية لعام 1992م.

(61) مجلة الأحكام القضائية لعام 2001م.

(62) مجلة الأحكام القضائية لعام 2007م.

(63) مجلة الأحكام القضائية لعام 2008م.

مظاهر التخفيف في رواية قالون
تخفيف الهمزة أنموذجاً

أ. د. محمد الإمام إبراهيم الإمام[*]

[*] - أستاذ النحو والصرف، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

مستخلص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء ظاهرة تخفيف الهمزة في رواية قالون . وتناولت أحوال تخفيف الهمزة من إبدال ، وحذف ، وجعلها بين بين ، وتبين الدراسة الهمزة وأحوالها في الكلام.

واتبعت الدراسة منهج التكامل بين المنهج الاستقرائي والتجريبي وبين المنهج الوصفي التحليلي وهو المنهج الذي يتناسب وطبيعة الدراسة.

واشتملت الدراسة على تمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة. جاء التمهيد بعنوان : ترجمة الإمام قالون.

وجاء المبحث الأوّل بعنوان : الهمزة وأحوالها ، واشتمل على مطلبين . جاء المطلب الأوّل بعنوان : تعريف الهمزة ، وجاء الثاني بعنوان : أحوال الهمزة.

أمّا المبحث الثاني فجاء بعنوان : الهمزة بين التَّحقيق والتَّخفيف، واشتمل على مطلبين جاء الأوّل بعنوان : تحقيق الهمزة ، وجاء الثاني بعنوان: تخفيف الهمزة .

أمّا المبحث الثالث فجاء بعنوان : تخفيف الهمزة في رواية قالون ، واشتمل على ثلاثة مطالب . جاء الأوَّل بعنوان: الهمزتان من كلمة ، وجاء الثاني بعنوان : الهمزتان من كلمتين، وجاء الثالث بعنوان : الهمزة المفردة.

وفي الختام توصلت الدراسة إلى نتائج تمخضت عنها توصيات هي :

(1) ضرورة تطبيق منهج الصرف والنحو التطبيقي.

(2) دعوة الباحثين لأن يصبوا جلّ جهدهم في دراسة الظاهرة النحوية والصرفية التي حفلت بها القراءات القرآنية.

Abstract

The aim of this study was to investigate the phenomenon of relieving the Hamza in Qalloun (reading). The study dealt with the reduction of Hamza in terms of substitution and deletion also shows the study Hamza and its conditions in speech. The study followed the approach of integration between the experimental and approach and the analytical descriptive approach, which is appropriate to the nature of the study. The study included a preface, three stopics and a conclusion. The first topic was about the condition of the Hamza, the second topic was about the Hamza between emphases and mitigation The third topic was about the mitigation of the Hamza in Qalloun (reading). In conclusion, the study reached the following results and recommendations the most important were: the need to apply the method of morphology and applied grammar - the support of researchers to study the grammatical and morphological phenomenon that was in the Quran readings.

مقدمة

الحمد لله الذي اصطفى من عباده حملة كتابه ، وأوجب عليهم تجويده والعمل بما فيه ، ووعدهم على ذلك جزيل ثوابه، والصلاة والسلام على من أُنْزِل عليه القرآن على سبعة أحرف، للتيسير على الأمّة، وتسهيل حفظه وصونه ليظل باقياً إلى يوم الدين سراجاً ونوراً.

وبعد

فلقد عزمت منذ وقت ليس بالقريب أن أتوافر على دراسة علمية دقيقة في القراءات وربطها بالصرف وأمضيت وقتاً طويلاً حتى هيأ الله لي هذا الموضوع "تخفيف الهمزة في رواية قالون" وقد وقف القرَّاء والصرفيون على دراسة ظاهرة تخفيف الهمزة.

أهمية الموضوع

تأتي أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول ظاهرة صوتية وقف عندها علماء اللغة والقراءات، وأفردوا لها باباً كاملاً في كتبهم ومصنفاتهم. وتخفيف الهمزة من مظاهر التخفيف في رواية قالون .

دوافع الموضوع

وتتمثل أهداف الموضوع في الآتي :

1. الوقوف على إبراز خصائص رواية قالون.
2. كشف بعض مظاهر التخفيف في رواية قالون.
3. التأكيد على امتياز رواية قالون بالخفَّة والسهولة.
4. الوقوف على أحوال تخفيف الهمزة في رواية قالون.

حدود البحث

تخفيف الهمزة في رواية قالون.

الدراسات السابقة

لم أقف على دراسة في هذا الموضوع إلا من خلال كتب ومصنفات علماء اللغة والقراءات.

مشكلة البحث

هذه الدراسة تحاول أن تستقصي ظاهرة تخفيف الهمزة في رواية قالون ، ويكون ذلك بالإجابة على الأسئلة الآتية :

1. ما أبرز مظاهر التخفيف في رواية قالون؟
2. ما التخفيف ؟ وما أسبابه؟
3. ما أنواع التخفيف؟
4. ما أحوال تخفيف الهمزة في رواية قالون؟

منهج البحث

اتبع الباحث في هذا البحث منهج التكامل بين المنهج الاستقرائي والتجريبي ، وبين المنهج الوصفي التحليلي حيث قام الباحث بتتبع ظاهرة تخفيف الهمزة في كتب الصرف والقراءات والأصوات.

هيكل البحث

اشتمل البحث على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة.

المقدمة : واشتملت على أهمية الموضوع ، ودوافعه ، وأهدافه ، ومنهجه.

التمهيد بعنوان : ترجمة الإمام قالون .

المبحث الأوَّل : الهمزة وأحوالها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل : تعريف الهمزة.

المطلب الثاني : أحوال الهمزة .

المبحث الثاني : الهمزة بين التَّحقيق والتَّخفيف.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: تحقيق الهمزة.

المطلب الثاني: تخفيف الهمزة.

المبحث الثالث : تخفيف الهمزة في رواية قالون

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل : الهمزتان من كلمة .

المطلب الثاني: الهمزتان من كلمتين.

المطلب الثالث : الهمزة المفردة.

الخاتمة : واشتملت على النتائج والتوصيات.

تمهيد

ترجمة الإمام قالون

هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الرزقي مولى بني زهرة، قارئ أهل المدينة في زمانه ونواحيها[1].

ولد سنة عشرين ومائة من الهجرة و قيل : إنه كان ربيب الإمام نافع ، وهو الذي لقّبه بقالون لجودة قراءته، وقالون لفظة رومية معناها (جيّد)، وكان أصم لا يسمع البوق، فإذا قرئ عليه القرآن يسمعه.

وقال : قرأت على نافع قراءته غير مرة، وكتبتها عنه وقال : قال نافع : لم تقرأ علي؟ اجلس على أسطوانة حتى أُرسل إليك من يقرأ عليك[2].

روى الحديث عن شيخه وعن محمد بن جعفر ابن أبي كثير ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وعرض القرآن على عيسى بن وردان .

توفي سنة عشر ومائتين من الهجرة في خلافة المأمون وله خمسٌ وثمانون سنة.

وقرأ قالون وورش على قارئ المدينة أبو رويم نافع بن عبد الرحمن الليثي المتوفى بالمدينة سنة سبع وستين ومائة من الهجرة[3] ، وقرأ نافع على سبعين من التابعين وسمى منهم خمسة : يزيد بن القعقاع القارئ، وعبد الرحمن بن أبي هرمز، وشيبة بن نصّاح القاضي ، ومسلم بن جندب الهذلي، ويزيد بن رومان. وأخذ هؤلاء عن ثلاثة من الصّحابة : أبي هريرة، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة . وقرأ هؤلاء الثلاثة على أُبيْ بن كعب ، وقرأ أُبيْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

وقرأ عليه بَشرٌ كثير منهم ولداه : أحمد وإبراهيم ، وأحمد بن يزيد الحلواني. وحمد بن صالح المصري[5]

---

(1) طبقات القرّاء – ابن الجزري 6 / 615.

(2) شذرات الذهب 2 / 48.

(3) سير أعلام النبلاء – 326/1.

(4) الجوهر المكنون في شرح رسالة قالون – نور الدين علي محمد – ص 23.

(5) معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والإعصار و الذهبي – ص 93.

المبحث الأوَّل

الهمزة وأحوالها

الهمزة حرف من حروف الهجاء يحتمل الحركة والسكون ، ويكون في أوَّل الكلمة وآخرها ووسطها. ويكون أصلاً وبدلاً وزائداً وتفصيل ذلك في المطالب الآتية.

المطلب الأوَّل : تعريف الهمزة.

أولاً : الهمزة لغةً

الهمزة من همز ، والهمز مثل الغمز والضغط ، ومنه الهمز في الكلام لأنَّه يضغط ، وقد همزت الحرف فانهمز . وسميت الهمزة لأنها تهمز فتنهمز عن مخرجها[1] .

وتستخدم لفظة النبر بمعنى الضغط . ذكر اللسان في مادة (نبر) : النبر بالكلام الهمز، والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبراً همزه، وفي الحديث : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبئ الله فقال : لا تنبر باسمي ، والنبر : همز الحرف[2] .

ثانياً: الوصف العلمي للهمزة :

الهمزة صوت صامت حنجري انفجاري ، وهو يحدث بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة .

يضغط الهواء فيما دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة مُحدثاً صوتاً انفجارياً [3] .

ثالثاً مخرج الهمزة :

مذهب القدامى أنها تخرج من أقصى الحلق ومن هؤلاء الخليل وسيبويه وابن جني .

وذهب بعض المحدثين إلى أنها تخرج من الحنجرة وهي سابقة للحلق[1]. وذهب الزركشي إلى أنها تخرج من الرئة وإنها أعمق الحروف[2].

---

(1) لسان العرب – ابن منظور – مادة همزة.

(2) المصدر السابق – مادة همز.

(3) القراءات وأثرها في علوم العربية – محمد سالم محيسن 1/ 113.

المطلب الثاني : أحوال الهمزة

للهمزة في الكلام أوضاعاً مختلفة، فهي إمَّا في ابتداء الكلام ، وإمَّا في إدراجه ، وهي إمَّا مفردة ، وإمَّا مع همزة أخرى، وهي إمّا متحركة ، وإمَّا ساكنة ، وهي إمّا بعد متحرك ، وإمّا بعد ساكن . ولها في كل موضع من هذه الأوضاع أحكام خاصة في التحقيق وعدمه[3].

وتفاصيل أوضاعها كما يلي :

1. الهمزة مفردة في ابتداء الكلام

تقع الهمزة مفردة في ابتداء الكلام مثل: أحمد

2. الهمزة في الإدراج مفردة ساكنة

تقع الهمزة في الإدراج مفردة ساكنة نحو : يؤس – ورأس – وبئر[4].

3. الهمزة في الإدراج متحركة بعد ساكن

تقع الهمزة في الإدراج متحركة بعد ساكن نحو (مسألة) و (يشاء).

4. الهمزة في الإدراج متحركة بعد متحرك

تقع الهمزة في الإدراج مفردة متحركة بعد متحرك. ولها تسعة أوضاع قال ابن الحاجب (وإذا كان قبلها متحرك فتسعٌ : مفتوحة قبلها الثلاث ، ومكسور كذلك ومضمومة وكذلك) وأوضاعها هي :

---

(1) علم الأصوات – كمال بشير – 288.

(2) البرهان في علوم القرآن – الزركشي – 1 / 168.

(3) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها – محمد الأنطاكي – 1 / 85.

(4) النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – 1 / 303.

[أ] أن تقع مفتوحة بعد ضم نحو (مؤجل).

[ب] أن تقع مفتوحة بعد كسر نحو(مِئة).

[جـ] أن تقع مفتوحة بعد فتح نحو (سأل)

[د] أن تقع مكسورة بعد فتح نحو(سئم).

[هـ] أن تقع مكسورة بعد كسر نحو (مستهزئين).

[و] أن تقع مكسورة بعد ضم نحو (سُئل).

[ز] أن تقع مضمومة بعد فتح نحو (رؤوف).

[حـ] أن تقع مضمومة بعد كسر نحو (مستهزئون).

[ط] أن تقع مضمومة بعد ضم نحو (رؤوس)[1].

5. الهمزتان في كلمة واحدة

تقع الهمزتان في كلمة واحدة وذلك على النحو التالي

أولاً: أن تكون الهمزة الأولى للاستفهام ، ولا تكون إلا متحركة ، ولا تكون إلا مفتوحة ، وتأتي الثانية منهما متحركة وتكون همزة قطع أو همزة وصل. أمّا همزة القطع الواقعة بعد همزة الاستفهام فتأتي على ثلاثة أوجه هي:

الأوّل : همزة القطع مفتوحة نحو : ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[2] و﴿ءَأَنتُمْ﴾[3].

الثاني : همزة القطع مكسورة نحو :﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ﴾ [4]

الثالث : همزة القطع مضمومة نحو :﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾[5]

وأمّا همزة الوصل الواقعة بعد همزة الاستفهام فتأتي على وجهين هما :

---

(1) شرح شافية ابن الحاجب – الرضي – 3 / 44.

(2) سورة البقرة – الآية 6.

(3) سورة البقرة – الآية 140.

(4) سورة الصافات – الآية 36.

(5) سورة آل عمران – الآية 15.

الأوّل : همزة الوصل المفتوحة نحو : ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ [1] ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ [2]

الثاني : همزة الوصل المكسورة تحذف الهمزة المكسورة بعد الاستفهام من أجل عدم الالتباس ويؤتى بهمزة الاستفهام وحدها كما في قوله تعالى : ﴿أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ﴾ [3]

ثانياً : أن تكون الأولى لغير استفهام وتكون متحركة وساكنة . تأتي الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام متحركة مثل (أئمة).

وتأتي ساكنة مثل (آدم) وأصلها (أَأْدم) وإيمان أصلها (إِ أْمان) وأومن أصلها (أأُمن) [4].

6.الهمزتان من كلمتين

للهمزتين من كلمتين وضعان : متفقتان ومختلفتان

أوّلاً: الهمزتان المتفقتان

تقع الهمزتان متفقتين على النحو التالي

1. الهمزتان المكسورتان

تقع الهمزتان من كلمتين وهما مكسورتان نحو قوله تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [5].

2. الهمزتان المفتوحتان

تقع الهمزتان من كلمتين وهما مفتوحتان نحو قوله تعالى: ﴿جَآءَ أَحَدَكُمُ﴾ [6]

3.الهمزتان المضمومتان :

تقع الهمزتان في كلمتين وهما مضمومتان في قوله تعالى: ﴿أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [7].

---

(1) سورة الأنعام – الآية 143.

(2) سورة يونس – الآية 91.

(3) سورة المنافقون – الآية 6.

(4) همع الهوامع – السيوطي – 3/ 429.

(5) سورة البقرة – الآية 31.

(6) سورة الأنعام – الآية 61.

(7) سورة الأحقاف – الآية 32.

ثانياً: الهمزتان المختلفتان

تقع الهمزتان من كلمتين مع اختلاف حركتهما وذلك على النحو التالي :

[أ] تلاقي الهمزة المضمومة مع المفتوحة كما في قوله تعالى : ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [1] .

[ب] تلاقي الهمزة المفتوحة مع المضمومة كما في قوله تعالى:﴿جَآءَ أُمَّةً﴾ [2]

[جـ] تلاقي الهمزة المكسورة مع المفتوحة كما في قوله تعالى:﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ [3]

[د] تلاقي الهمزة المفتوحة مع المكسورة كما في قوله تعالى:﴿شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ﴾ [4]

[هـ] تلاقي الهمزة المضمومة مع المكسورة كما في قوله تعالى:﴿مَن يَشَآءُ إِلَىٰ﴾ [5].

[و] تلاقي الهمزة المكسورة مع المضمومة وهذه الصورة لم ترد في القرآن .

ثالثاً : الهمزتان ساكنة فمتحركة :

تقع الهمزتان من كلمتين وتكون الأولى ساكنة والثانية متحركة مثل [لم يقرأ أخوك] [6].

الهمزة بين التحقيق والتخفيف

التحقيق والتخفيف ظاهرتان صوتيتان تشملان الهمزة المفردة، والهمزتين المجتمعتين في كلمة واحدة ، والهمزتين المتلاصقتين في كلمتين.

وتحقيق الهمزة وتخفيفها سمات عرف بها اللسان العربي ، ونطق بها الفصحاء ، ووردت في لغات القبائل.

---

(1) سورة هود – الآية 44.

(2) سورة المؤمنون – الآية 44.

(3) سورة يوسف – الآية 76.

(4) سورة البقرة – الآية 133.

(5) سورة البقرة – الآية 142.

(6) في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق – د. السيد رزق الطويل – الفيصلية – مكة – الطبعة الأولى 1405هـ.

قال سيبويه[1] : وأعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما في كلمة فإن أهل التخفيف يخففون إحداهما ويستثقلون تحقيقها ... كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة ، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا . ومن كلام العرب تحقيق الأولى وتخفيف الآخرة وهو قول أبي عمرو وذلك قولك :﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [2] و ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ [3] ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة سمعنا ذلك من العرب وهو قولك : "فقد جاء أشراطها" و "يا زكرياء إنا نبشرك "

ولما كانت الهمزة حرف بعيد المخرج جلد صعب على اللافظ به بخلاف سائر الحروف مع ما فيها من الجهر والقوة، ولذلك استعملت العرب في الهمزة المفردة ما لم تستعمله في غيرها من الحروف، فقد استعملوا فيها : التحقيق والتخفيف وإلغاء حركتها على ما قبلها ، وإبدالها بغيرها من الحروف ، وحذفها في مواضعها وذلك كله لاستثقالهم لها ، ولم يستعملوا ذلك في شيء من الحروف غيرها ، فإذا انضاف إلى ذلك تكريرها كان أثقل كثيراً عليهم ، فاستعملوا في تكرار الهمزة من كلمتين التحقيق للأولى والتخفيف للثانية [4].

وللقراء آراء مختلفة باختلاف أحوال الهمزة ساكنة أو متحركة، أو معها همزة أخرى، من كلمة أو من كلمتين .

أولاً : التحقيق

التحقيق لغةً الإتيان بالشيء على حقه دون زيادة أو نقصان فهو بلوغ حقيقة الشيء والوقوف على كنهه[5] والتحقيق عند النحاة والقرّاء هو إعطاء كل حرف حقه

---

(1) الكتاب – سيبويه – 3 / 548.

(2) سورة محمد – الآية 18.

(3) سورة مريم – الآية .7.

(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها – مكي بن أبي طالب – 1/ 69.

(5) لسان العرب – ابن منظور – مادة حق.

وتحقيق الهمزة هو نطقها كما هي من غير تغيير فيها ويسمى النبر[1] أيضاً . وقد قرأ للنبي ﷺ محققاً. والتحقيق هو الأصل والتخفيف استحسان [2].

والتحقيق يكون لهمزة مفردة ولهمزتين في كلمة ، والهمزتين من كلمتين ، فتخفف الهمزة مفردة في (فاء) الفعل و (عينه) و (لامه). وسببه أن ذلك هو الأصل ولو خففت لظن ظانٌ أن الكلمة ليست مهموزة أصلاً، وقد يكون تخفيفها أثقل على اللسان من تحقيقها لذا يكون التحقيق استحسان ، قال مكي ابن أبي طالب أنه أوتي بها على الأصل فأظهرها مخففة كما يفعل بسائر الحروف . وخفّ ذلك وسهّل لإنفرادها ، إذ ليست قبله همزة وزاد قوةً أن كثيراً من العرب والقرّاء يحققونها مع تكرارها على أصلها فكان تحقيقها وهي مفردة آكد وأخف وأقوى[3].

ثانياً : التخفيف

التخفيف هو حذف الهمزة أو قلبها حرفاً آخر أو جعلها بين بين ، ويتحقق في الهمزة المفردة في إحدى الهمزتين المتلاصقتين من كلمتين .

علة التخفيف :

لما كانت الهمزة من أصعب الحروف في النطق واجتمع فيها صفتان من صفات القوة فقد عمدت بعض القبائل العربية إلى تخفيف النطق بها لأنّ التخفيف أخفّ على القارئ من الهمزة.

قال سيبويه [4] "وأعلم أن الهمزة إنما فَعَلَ بها هذا من لم يخففها لأنّه يعد مخرجها ولأنه بعد مخرجها ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع "[5]

---

(1) النبر هو الهمز ومصدر نبر الحرف ينبره نبراً إذا همزه وفي الحديث قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبئ بالهمزة فقال : لا تنبر – شرح شافية ابن الحاجب – 3/ 32.

(2) حجة القراءات لأبي زرعة – دراسة تحليلية – هشام سعيد محمود – ص 17.

(3) الكشف عن وجوه القراءات لأبي زرعة – دراسة تحليلية – هشام سعيد محمود – ص 17.

(4) الكتاب – سيبويه – 3 / 548.

(5) التهوع – تكلف ألقي وفي الحديث : كان إذا تسوك قال : أع ، أع كأنه يتهوع.

قال ابن يعيش [1] "وأعلم أن الهمزة حرف شديد مثقل يخرج من أقصى الحلق، إذ كان أدخل الحروف في الحلق واستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع لذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة"

وقال الرضي[2]:"ثم أعلم أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها ، فخففها قوم وهم أكثر أهل الحجاز ولا سيما قريش وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر".

والهمزة الساكنة أثقل من المتحركة لأنها تخرج من الصدر ولا تخرج إلا مع حبس النفس. والهمزة المتحركة تعينها حركتها وتعين المتكلم بها على خروجها ، ولذلك همزت المتحركة وتركت الساكنة ، فالهمزة الساكنة بعد ضمة أبدلت مكانها واواً فيؤمنون تصبح يومنون" [3]

والهمزة صوت يحتاج لفظاً إلى مجهود عضلي، وللتيسير يبدل أحد حروف اللين.

وجوه التخفيف

بالتتبع وجدت الوسائل التي سلكها العرب للتحقيق الهمزة والحذف والإبدال وأن تجعل بين بين.

قال ابن يعيش[4] : "وفي تخفيفها ثلاثة أوجه الإبدال ، والحذف ، وأن تجعل بين بين . أي بين مخرجها وبين مخرج الحرف الذي منه حركتها".

---

(1) شرح المفصل – ابن يعيش – 9 / 107.

(2) شرح شافية ابن الحاجب – الرضي – 3 /31 / 32.

(3) الكتاب – سيبويه – 3 / 543.

(4) شرح المفصل – ابن يعيش – 8 / 109.

أولاً : الإبدال

الإبدال : أن تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة الحرف الذي قبلها. فتبدل من الألف إذا وقعت الهمزة ساكنة بعد همزة مفتوحة نحو : (آدم) أصلها (أَأْدم) أبدلت الهمزة الساكنة ألفاً فصارت (آدم) انفتح كا قبل الهمزة فأبدلت الهمزة الساكنة ألفاً، والألف من إشباع الفتحة تحدث وكانت الألف أولى بالبدل لأنها أخت الهمزة في المخرج ، ولأنّ الألف إذا احتيج إلى حركتها في بعض اللغات أبدلت منها همز[1].

ومظهر الصوتيات هو أننا أحللنا صوت محل الهمزة. فأحللنا صوت الألف محل الهمزة لأنها مفتوحة[2].

وتبدل من الياء إذا وقعت الهمزة ساكنة بعد همزة مكسورة نحو (إيمان) أصلها (إِأْيمان) همزة مكسورة بعد همزة ساكنة أبدلت الهمزة الساكنة ياءً ، والياء تحدث من إشباع الكسرة ، ولأنّ الياء تبدل منها همزة إذا تطرفت بعد ألف زائدة نحو (سقاء) من سقى (يسقي).

وتبدل من الواو إذا وقعت الهمزة ساكنة بعد همزة مضمومة نحو (أومن) أصلها (أُأْمن) همزة ساكنة بعد همزة مضمومة أبدلت الهمزة الساكنة واواً والواو تحدث من إشباع الضمة ولأن الواو تبدل منها الهمزة إذا انضمت أو تطرفت بعد ألف زائدة نحو (دعاء) (دعاو) من دعا يدعو.

قال الرضي[3]: (فإذا تحركت الأولى دُبّرت الثانية بحركة الأولى أي قلبت واواً إن انضمت الأولى وياء إن انكسرت وألفاً لتناسب الحركة الحرف الذي بعدها فتخفف الكلمة).

---

(1) همع الهوامع – السيوطي – 3 /429.

(2) القراءات وأثرها في علوم العربية – محمد سالم محيسن – 1 / 116.

(3) شرح كافية ابن الحاجب – 3 / 53.

والتخفيف يكون بإبدال الهمزة الثانية لأنها لا تنفصل عن الأولى ولا تفارقها في جميع تصاريف الكلمة فاستثقلوا ذلك مع كثرة استعمالهم لذلك وكثرة تصرفه في الكلام.

فتركوا تحقيقها استخفافاً إذ كانوا يخففون المفردة استخفافاً لثقل الهمزة المفردة فإذا تكررت كان ذلك أعظم ثقلاً فرفضوا استعمال التحقيق للثانية في هذا النوع وعليه لغة العرب وكل القرّاء[1].

وقال ابن يعيش[2]: (فإذا سكنت الهمزة وأريد تخفيفها دبرها حركة ما قبلها ، فإن كان ما قبلها فتحة صارت الهمزة، ألفاً وإن كان ضمة صارت واواً، وإن كان كسرة صارت ياء لأنك إذا خففتها فأنت تزيل نبرها ، وإذا زالت نبرتها لانت وصارت إلى جنس الألف لأنها أقرب الحروف إليها من فوق فتوحاً فإذا انضم ما قبلها صارت واواً، وإذا انكسر صارت ياء كذلك الهمزة إذا لينتها صارت من جنس الألف لسكونها وقربها منها)

ثانياً: الهمزة بين بين

وهو أن تحذف الهمزة وتنطق بحركتها فقط مثل (أإن) (أن) وأن تحذف الهمزة وينطق مكانها بحركة من جنس حركة ما قبلها مثل (سُئل - سُل) ويسمى التسهيل عند البعض.

ومظهر الصوتيات هنا هو أن صوت الهمزة المسهّلة يختلف عن صوت الهمزة المخففة وبيان ذلك تُعتبر حرفاً فرعياً فإذا كانت مفتوحة تُسهّل بين الهمزة والألف وإذا كانت مكسورة تسهل بين الهمزة والياء، وإذا كانت مضمومة تسهل بين الهمزة والواو[3].

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع – مكي بن أبي طالب – 1 /67.

(2) شرح المفصل – ابن يعيش 9 / 107.

(3) القراءات وأثرها في علوم العربية – محمد سالم محيسن – 1 / 116.

قال سيبويه [1]: (أعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون نبرتها مخففة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي لأنك تقربها من الألف ... وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة كما كانت المفتوحة بين الهمزة والياء الساكنة،... وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة... فكل همزة تقرب من الحرف الذي حرَكتُها منه فإنما جعلت هذه الحروف بين بين،ولم تجعل ألفات ولا ياءات ، ولا واوات ، لأن أصلها الهمز فكرهوا أن يخففوا على غير ذلك فتحول عن بابها فجعلوها بين بين ليعلموا أن أصلها عندهم الهمز)

وعبر القرّاء عن تسهيل الهمزة بأن قالوا : إن تسهيل الهمزة المتحركة بأن ينطق بها لا محققة ،و لا حرف لين خالص بل بين بين ، فالهمزة المكسورة ينطق بها في حالة تسهيلها بين بين ، لا محققة ولا ياء خالصة[2] .

وقال الزمخشري[3]: (إذا كان قبل الهمزة ألف وأريد تخفيفها فحكمها أن تجعل بين بين).

وقال ابن يعيش[4]: (إن كانت مفتوحة جعلتها بين الهمزة والألف وإن كانت مضمومة جعلتها بين الهمزة والواو وإن كانت مكسورة جعلتها مكسورة بين الهمزة ، والياء نحو فايل ، وذلك أنه لا يمكن إلغاء حركتها على الألف . إذ الألف لا تتحرك ولو قلبت الهمزة ألفاً وأخذت تدغم فيها الألف على حد مقروه لاستحال ذلك إذا لألف لا تدغم ولا يدغم فيها وكان في جعلها بين بين ملاحظة لأمر الهمزة إذ فيها بقية منها وتخفيفها بتليينها وتسهيل نبرتها).

ثالثاً : حذف الهمزة

---

(1) الكتاب – سيبويه – 3 / 541.

(2) الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – 91.

(3) شرح المفصل – ابن يعيش – 9 / 109.

(4) المرجع السابق – 9 /109.

من أوجه تخفيف الهمزة حذفها قال سيبويه :(واعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف؛ حذفتها وألغيت حركتها على الساكن الذي قبلها وذلك قولك: من أبوك؟ ومن أمك؟ ، وكم إبلك؟ إذا أردت أن تخفف الهمزة في الأب ، والأم ، والإبل ... ومثله في قولك: في المرأة (المرة) والكمأة (الكمة) وقد قال الذين يخففون (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات) حدثنا بذلك عيسى وإنما حذفت الهمزة ههنا لأنك لم ترد أن لكم وأردت إخفاء الصوت)

وقال المبرد[1] :(واعلم أن الهمزة المتحركة إذا كان قبلها حرف ساكن فأردت تخفيفها فإن ذلك يلزم فيه أن تحذفها وتلقى حركتها على الساكن الذي قبلها فيصير الساكن متحركاً بحركة الهمزة)

وسبب حذف الهمزة لأنك إذا خففت الهمزة وجعلتها بين بين وقد ضارعت بها الساكن وإن كانت متحركة ، ووجه مضارعتها أنك لا تبتدئها بين بين ، كما لا تبتدئ ساكناً وذلك قولك (من أبوك؟) فتحرك النون وتحذف الهمزة وتقرأ هذه الآية إذا أردت التخفيف (سل بني إسرائيل) إنما كانت (اسأل) فلما خففت الهمزة طرحت حركتها على السين وأسقطتها فتحركت السين فسقطت ألف الوصل[2].

وقال ابن يعيش : "وذلك أن الحذف أبلغ في التحقيق وقد بقى من أعراضها ما يدل عليها وهو حركتها المنقولة إلى الساكن قبلها ، ولم يجعلوها بين بين لأن في ذلك تقريباً لها من الساكن فكرهوا الجمع بين ساكنين"[3]

---

(1) المقتضب – المبرد – 2 / 165.

(2) المرجع نفسه – 1 / 296.

(3) شرح المفصل – ابن يعيش – 9 / 109.

المبحث الثالث

تخفيف الهمزة في رواية قالون

من مظاهر التخفيف في رواية قالون تخفيف الهمزة وذلك إما بإبدالها أو بحذفها أو بجعلها بين بين ، وقد ظهر ذلك جلياً في كل أحوال ورود والهمزة سواء كانت مفردةً، أو ساكنةً ، أو متحركةً ، من كلمةٍ ، أو من كلمتين وتفاصيل ذلك في الأتي :

أولاً : الهمزتان من كلمة واحدة

تقع الهمزتان من كلمة واحدة وتكون الأولى متحركة والثانية ساكنة. أو تقع الهمزتان متحركتين وذلك على النحو التالي :

1. أن تقع الهمزة الأولي متحركة والثانية ساكنة

وهذا الباب لا اختلاف فيه بين القرّاء وهو أن تكون همزة متحركة بأي حركة وكانت بعدها همزة ساكنة فتحقق الهمزة الأولى وتخفف الثانية على البدل ، فتبدل واواً أذا انضم ما قبلها ، وياءً إذا انكسر ما قبلها ، وألفاً إذا انفتح ما قبلها. وذلك نحو آمن وآدم وإيمان وأومن .

2. أن تقع الهمزتان متحركتين

وتقع الهمزتان المتحركتان من كلمة واحدة على النحو التالي

المطلب الأوّل : الهمزتان من كلمة واحدة

وتقع الهمزتان من كلمة واحدة في الصور الآتية :

أ- الهمزتان مفتوحتان :

وتكون الأولى استفهامية مفتوحة والثانية مفتوحة وقد وردت هذه الصورة كثيراً في القرآن الكريم منها (أأنذرتهم) البقرة : 6 و يس : 10 و (أأسلمتم) آل عمران الآية 20، (أأقررتم) أل عمران 80 ، (وأأنت) المائدة 16 و الأنبياء 62 ، و (أأرباب) يوسف: 39 و (أأسجد) الإسراء 61 و (أأشكر) النمل 40 ، وغيرها .

قرأ قالون فيها بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف وإدخال ألف بينهما[1].

وإذا كان ما بعدها ساكن تمد ست حركات ، وإذا كان ما بعدها متحرك تمد حركتان[2].

2- الهمزتان المفتوحة والمكسورة :

وتكون الأولى استفهامية مفتوحة والثانية مكسورة وقد وردت هذه الصورة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها : (أئنكم) الأنعام 19 والنحل 25 وفصلت 9 و (أئن لنا) الشعراء 41 و (أ إله مع الله) النمل : 60- 61- 62- 63- 64 و(أئننا) الصافات :36 و (أإذا) 49 وغيرها قرأ قالون بتسهيل الهمزة الثانية وإدخال ألف بين المحققة والمسهلة مقدار حركتين[3].

وقد وردت هذه الصورة بطريقة أخرى حيث تكون الهمزة الأولى بغير الاستفهام حيث تكون الهمزة الأولى بغير الاستفهام وذلك في كلمة (أئمة) التي وردت في خمسة مواضع من القرآن الكريم: التوبة: 12 ،الأنبياء : 73، القصص : 25، 41، السجدة : 24 - قرأ قالون بتسهيل الثانية بدون إدخال[4].

ج- الهمزتان المفتوحة والمضمومة :

وتكون الأولى استفهامية مفتوحة والثانية مضمومة

وقد وردت هذه الصورة أربع مرات في القرآن الكريم هي : (أؤنبئكم) آل عمران : 15 و (أَأُنزل) ص : 8 و (أَأُلقي) القمر 25، (أشهدا) الزخرف 19 ، وهذه الصورة

---

(1) النشر في القراءات العشر - 282/1.

(2) الأصول النيرات في القراءات - أماني بنت محمد عاشور- ص111.

(3) إتحاف فضلاء البشر - 184/1.

(4) قالون عن الإمام نافع - قدم له جمال فياض - ص52.

اختلف فيه حيث قرأ قالون همزتين الأولى مفتوحة للاستفهام والثانية من الفعل (أشهدوا) بضم ألفاء وهو مبني للمفعول [1].

وفي هذه المواضع قرأ قالون بتسهيل الهمزة الثانية وإدخال ألف بينهما [2] وقال العكبري [3]: (و تقلب الثانية واواً خالصة لانضمامها ، وتليينها ؛ وهو جعلها بين الواو والهمزة وسوّغ ذلك انفتاح ما قبلها.

المطلب الثاني - الهمزتان من كلمتين

أولاً: الهمزتان المتحركتان من كلمتين

وتقع الهمزتان المتحركتان من كلمتين على صور مختلفة تفاصيلها كالآتي :

1- الهمزتان المفتوحتان من كلمتين

وردت هذه الصورة كثيراً في القرآن الكريم منها (السفهاء أموالكم) النساء : 5 و (جاء أحد) النساء الآية 43 ، والمائدة : 6 و (تلقاء أصحاب) الأعراف : 47 ، (إذا جاء أجلهم) الأعراف : 47 ، يونس : 49 ، النحل : 61 ، (جاء أجلها) المنافقون : 11 وغيرها . هنا همزتان مفتوحتان من كلمتين . قرأ قالون بإسقاط الأولى مع المد والقصر [4].

2- الهمزتان المكسورتان من كلمتين :

وردت هذه الصورة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، وفي المواضع كلها سبقت الهمزة منها بالألف إلا موضعاً واحداً سبقت فيه بواو وهو (بالسوء إلا) يوسف: 53، والمواضع هي (هؤلاء إن كنتم) البقرة الآية : 31 (والنساء إلا) النساء : 22- 24، (من وراء إسحاق) هود : 71 .

---

(1) معاني القرآن - الفراء - 30/3.

(2) المهذب 115/1

(3) التبيان في إعراب القرآن العكبرى

(4) المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر - أحمد محمود عبد السميع - ص 86.

همزتان مكسورتان من كلمتين :

قرأ قالون بتسهيل الهمزة الأولى في المد والقصر .

أما قوله تعالى : (بالسوء إلا) فله فيها وجهان :

إبدال الهمزة الأولى واواً ثم أدغم الواو التي قبلها فيها وله تسهيل الأولى بين بين[1] .

3- الهمزتان المضمومتان من كلمتين :

وردت الهمزتان المضمومتان من كلمتين في القرآن الكريم في موضع واحد هو قوله تعالى (أولياء أولئك) الأحقاف 32 . هنا همزتان مضمومتان من كلمتين ولا نظير لهن في القرآن الكريم العظيم[2]

قرأ قالون بتسهيل الهمزة الأولى فالواو مع المد والقصر[3]

الهمزتان المختلفتان من كلمتين

وهذه الصورة تأتي على خمسة أنواع هي :

1- النوع الأوّل : مفتوحة مضمومة :

وقد ورد هذا النوع في القرآن الكريم في موضع واحد في سورة المؤمنون (كل ما جاء أمة رسولها) المؤمنون : 44 .

قرأ قالون بتسهيل الهمزة الثانية بين الهمزة والواو[4]

2- النوع الثاني : مفتوحة فمكسورة :

وردت هذه الصورة في القرآن الكريم عدة مرات منها (شهداء إذا حضر) البقرة 133 والأنعام 144 و (البغضاء إلى يوم) المائدة : 14 - 64 و (الفحشاء إنه) يوسف 24 (الماء إلى الأرض) السجدة 27 هنا همزتان مختلفتان من كلمتين الأولى

---

(1) النشر في القراءات العشر - 299/1.

(2) إتحاف فضلاء البشر - 473/2.

(3) قالون عن الإمام نافع - ص102.

(4) المصدر السابق - ص76.

مفتوحة والثانية مكسورة قرأ قالون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء[1]

قال العكبري[2] (ويقرأ بتحقيق الهمزتين على الأصل وتليين الثانية وجعلها بين بين).

النوع الثالث - مضمومة مفتوحة :

ورد هذا النوع في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة[3] منها (السفهاء إلا) البقرة : 13، (سوء أعمالهم) التوبة 37 ، (الملأ أفتوني) يونس 43 ، والنمل 32 . (البغضاء أبدا) الممتحنة : 4 . هنا همزتان مختلفتان من كلمتين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة ، قرأ قالون بإبدال الثانية واواً خالصةً وتحقيق الأولى[4]قال النّحاس[5] فيه أربعة أقوال أجودها أن تختفف الهمزة الثانية ، فتقلبها واواً خالصة وتحقق الأولى فتقول (السفاء ولا) وهي قراءة أهل المدينة وقال العكبري[6](وفي هاتين الهمزتين أربعة وجوه:

أحدهما : تحقيقها وهو الأصل . الثاني : تحقيق الأولى وقلب الثانية واواً خالصة فراراً من توالي الهمزتين وجعلت الثانية واواً لانضمام الأولى . الثالث : تليين الأولى وهو جعلها بين الهمزة والواو وتحقيق الثانية . والرابع : كذلك إلا أن الثانية واو).

4- النوع الرابع - مكسورة مفتوحة :

ورد هذا النوع في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً :

منها (النساء أو أكننتم) البقرة 235 و (هؤلاء أهدى) النساء : 51 و (بالفحشاء أتقولون) و (من دعاء أخيه) يوسف : 76 و (من السماء آية) الشعراء : 40 .

---

(1) المكرر - ص50.

(2) التبيان في إعراب القرآن - 104/1 – 105.

(3) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي - الأمين محمد أحمد - ص26.

(4) المكرر - ص35.

(5) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - 31/1 .

(6) التبيان في إعراب القرآن - العكبري - 34/1.

هنا همزتان مختلفتان من كلمتين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة - قرأ قالون بإبدال الهمزة الثانية ياء من جنس حركة ما قبلها بين الهمزة الأولى في أخر الكلمة الأولى مقابلة الكلمة الثانية[1].

النوع الخامس - مضمومة مكسورة :

ورد هذا النوع في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها :

(يشاء إلى صراط) البقرة : 142 - 213 (ما نشاء إنك) هود 87 ، (الفقراء إلى الله) فاطر 15 (المكر السيئ إلا بأهله) فاطر 43 .

قرأ قالون بتسهيل الهمزة بينها وبين الياء وله إبدالها واواً خالصة[2]

المطلب الثالث : الهمزة المفردة

خفف قالون الهمزة المفردة بالإبدال ، والحذف ، وجعلها بين بين. وذلك على النحو التالي :

1- الإبدال :

خفّف قالون الهمزة المفردة بإبدالها ألفاً وياءً وواواً . وتفاصيل ذلك على النحو التالي :

أ- إبدال الهمزة ألفاً

خفف قالون الهمزة المفردة بإبدالها ألفاً في الكلمات الآتية

1- كلمة (يأجوج) الكهف : 94 قرأ قالون (ياجوج) بإبدال الهمزة حرف مد الألف[3].

2- كلمة (مأجوج) الكهف 94 قرأ قالون (ماجوج) بإبدال الهمزة حرف مد (الألف).

3- كلمة (منسأته) سبأ : 14 قرأ قالون (منساته) بإبدال الهمزة ألفا[4].

---

(1) قالون عن نافع - ص35.

(2) قالون عن نافع . ص32

(3) الأصول النيرات في القراءات ص84

(4) قالون عن نافع . ص9

4- كلمة (سأل) قرأ قالون (سال) بألف بعد السين بدلاً من الهمزة [1].

ب- إبدال الهمزة واواً

خفف قالون بإبدال الهمزة المفردة واواً في كلمة(مؤصدة) . قرأ قالون (موصدة) بإبدال الهمزة واواً ساكنة مدية [2].

2- تسهيل الهمزة

خفف قالون الهمزة المفردة بتسهيلها في كلمة (أرأيت)العلق: 9 ، وأريتم و أرأيتكم حيثما وردت.

3- الحذف

خفف قالون الهمزة المفردة بحذفها في الكلمات الآتية [3]:

1- كلمة (الصابئون) المائدة 69. قرأ قالون (الصابون) بحذف الهمزة مع نقل حركتها إلى الباء.

2- كلمة (يضاهئون) التوبة 30 ، قرأ قالون (يضاهون) بحذف الهمزة وضم الهاء .

---

(1) الأصول النيرات في القراءات ص 14

(2) الجوهر المكنون في رسالة قالون - نور الدين علي - ص 33.

(3) الأصول النيرات في القراءات- ص84.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات وتزيد النعم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وقد أفضى بنا المطاف إلى خاتمة هذا البحث والذي أرجو أن يكون قد حقق أهدافه والتي تمثلت في بيان تخفيف الهمزة في رواية قالون وإليك النتائج التي توصل إليها الباحث :

(1)تخفيف الهمزة سمة لهجية عند القبائل البدوية منها تميم وقيس وأسد .

(2)التحقيق هو الأصل والتخفيف استحسان .

(3)تخفيف الهمزة أخف على القارئ من تحقيقها لأن الهمزة من أصعب الحروف في النطق لأن الهمزة صوت يحتاج إلى مجهود عضلي.

(4)تخفيف الهمزة يكون بإبدالها أو حذفها أو جعلها بين بين.

(5)ورد تخفيف الهمزة بالحذف عند قالون في عدة مواضع .

(6)ورد تخفيف الهمزة بالحذف عند قالون .

(7)ورد تخفيف الهمزة بجعلها بين بين أقل من السابقين

(8)ورد تخفيف قالون في الهمزتين من كلمة .

(9) ورد تخفيف الهمزة عند قالون في الهمزتين من كلمتين .

(10) سار قالون في تخفيف الهمزة على قواعده في الكثير.

(11) خالف قالون قواعده في تخفيف الهمزة من بعض الأحايين .

(12) يكون لقالون في تخفيف الهمزة أكثر من وجه في القليل .

(13) خفف قالون الهمزة بإبدالها ألفاً وياءً وواواً .

(14) خفف قالون الهمزة المفردة بحذفها من (الصابئون) و (يضاهئون).

(15) خالف قالون القرّاء في تخفيف الهمزة وتحقيقها في بعض الكلمات .

(16) حقق قالون الهمزة في كلمات كثيرة منها (النبيئ) (هزؤ) .

ومن خلال الدراسة والتحليل توصل الباحث إلى التوصيات الآتية :-

أ- ضرورة تطبيق منهج الصرف والنحو الوظيفي .

ب- دعوة الباحثين لأن يصبُّو جلّ جهدهم في دراسة الظاهرة الصرفية والنحوية التي تحفل بها القراءات القرآنية .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب القراْءات .

(1)إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر - أحمد بن محمد الدمياطي - عالم الكتاب - بيروت - الطبعة الثانية - 1428هـ - 2007م .

(2)الأصول النيرات في القراءات ، تأليف أماني بنت محمد عاشور ، قدم له . أحمد بن خليل شاهين وآخرون - دار الوطن للنشر - الطبعة الأولى 1428هـ - 2007م .

(3)الجوهر المكنون في شرح رسالة قالون - الإمام نور الدين علي محمد الضباع - حققه عبد الحميد إسماعيل لاشين - مكتبة أولاد الشيخ .

(4)حجة القراءات - لأبي زرعة - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - 1426هـ - 2005م .

(5)في علوم القراءات مدخل ودراسة - السيد رزق الطويل - الفيصلية - مكة المكرمة - الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م .

(6)القراءات وأثرها في علوم العربية - محمد سالم محيسن ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى - 1418هـ - 1998م .

(7)قالون عن الإمام نافع - جمع وترتيب - طه عبده عبده - دار الإيمان أسكندرية - (د- ط).

(8)الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها - مكي بن أبي طالب ، تحقيق - الشيخ عبد الرحيم الطرهوي ، القاهرة 1428هـ - 2007م .

(9)النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - قدم له علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الثالثة - 1427هـ - 2006م .

(10) المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر - أحمد محمود عبد السميع - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى 1422هـ - 2001 م .

ثالثاً - كتب اللغة العربية :

(1)الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس - دار النهضة العربية - الطبعة الثالثة - القاهرة 1989م .
(2)إعراب القرآن الكريم - النحاس - تحقيق زهير غازي زاهد - عالم الكتاب - بيروت - الطبعة الثانية - 1985م.
(3)التبيان في إعراب القرآن - العكبري - تحقيق إبراهيم عطوه عوض - مطبعة مصطفي البابي الحلبي - الطبعة الثالثة .
(4)شرح شافية ابن الحاجب - الرضي - تحقيق محمد نور الحسن وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - (د- ط) .
(5)شرح المفصّل - ابن يعيش - عالم الكتاب (د- ط).
(6)علم الأصوات - كمال بشر - دار غريب - القاهرة تاريخ النشر 2002م .
(7)الكتاب - سيبويه - تحقيق - عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت .
(8)لسان العرب - ابن منظور - دار صادر - بيروت 1968م .
(9)المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها - محمد الأنطاكي - دار الشرق العربي - بيروت - الطبعة الرابعة .
(10) المقتضب - المبرد - تحقيق - عبد الخالق محمد عضيمة - عالم الكتاب- بيروت .
(11) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع - السيوطي - تحقيق - أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م .

السمات الاجتماعية والأدبية للعرب مابين الجاهلية والإسلام

د.إبراهيم صالح إدريس أبوبكر[*]

د. خالد محمد الفكي أحمد[*]

---

[*] - أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، كلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة.

[*] - أستاذ مساعد ،قسم الجغرافيا والتاريخ ، ، كلية التربية الحصاحيصا ، جامعة الجزيرة.

ملخص البحث

تتلخص هذه الدراسة في توضيح السمات الاجتماعية والأدبية في المجتمع العربي ودور الإسلام فيها.اتبع البحث المنهج التاريخي والوصفي التحليلي في توضيحه للصور الاجتماعية والأدبية للمجتمع الجاهلي وأثر الإسلام في ذلك. من أهداف البحث معرفة آراء الأدباء في مكانة الشعر والشعراء في الجاهلية والإسلام، وتوضيح السمات الاجتماعية والأدبية مابين الجاهلية والإسلام.

يشتمل البحث على مبحثين فالأول منه بعنوان: من سمات الحياة الاجتماعية والأدبية في العصر الجاهلي، والثاني أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية والأدبية في صدر الإسلام، ثم كانت نهاية البحث بالخاتمة التي احتوت على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحثان ومنها: أنَّ المجتمع الجاهلي كانت تسوده روح القبلية التي أدت إلى الحروب والمنافرات والمناظرات . توحيد العرب في ديانة واحدة ألقى بظلاله على الأدب العربي واستخدم الشعر كأداة لإظهار القيم الدينية. إن ظهور الإسلام أثرى السمات الاجتماعية والأدبية والثقافية للمجتمع العربي. توصي الدراسة بتناول أدب تلك الفترة في تاريخ العربية من أطر متعددة تاريخية وأدبية ونقدية ولغوية مع إعطائها حقها ومستحقها من الشرح والتحليل.

Abstract

This study aims to clarify the social and literary features and the role of Islam in Arab society. This study followed the historical, descriptive and analytical approach in explaining the social and literary images of the pre-Islamic society and the impact of Islam on it. The study aims to find out the views of writers and poets in the pre-Islamic and explain the features of art and society. The study consists of two topics; the first one is about: Attributes of social and literary life in the pre-Islamic era, the second is about; the impact of Islam in the literary and social life in Islam. The study finds that the pre-Islamic society was dominated by tribal which led to war and repulsion. Unify the Arab in one religion cast a shadow over Arab literature and poetry used as a tool to show the religious values. The study recommends that taking the literature of the period in Arab history from multiple frameworks historical, literary, commentary and linguistic with explaining and analyzing.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين القائل:"أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش" [1]وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإنّ الشّعر أهمّ ما يُعبّر به عن أوضاع المجتمع بدقة وجمال، وبه يفهم ماله وما عليه من أتراح وأفراح وقضايا، حيث يقرض الشاعر ذلك بصورة جميلة فيكون لسان الأمة في فصاحتها وبلاغتها وأسرارها الكامنة، وهذا البحث يتناول السمات الاجتماعية والأدبية للعرب مابين الجاهلية والإسلام.

أهداف البحث:

1. الوقوف على صور الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي والإسلامي.
2. الوقوف على صور الحياة الأدبية وتبين اتجاهات الأدباء .
3. معرفة آراء الأدباء في مكانة الشعر والشعراء في الجاهلية والإسلام .
4. توضيح السمات الاجتماعية والأدبية مابين الجاهلية والإسلام.

أهمية البحث :

إبراز القيم الأدبية والاجتماعية للمجتمع العربي من خلال النصوص الشعرية وأثر الإسلام على ألفاظ ومعاني الشعر والشعراء.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في توضيح السمات الأدبية والاجتماعية للعرب من خلال أدبهم في العصرين الجاهلي والإسلامي.

أسباب اختيار البحث:

تأتي أسباب اختيار الموضوع من أن الأدب يواكب للحياة وأن الأدب يتأثر بالحياة الاجتماعية ويؤثر فيها.

---

(1) البيهقيي، أحمد بن الحسين، (شعب الإيمان) ط1 الرياض (مكتبة الرشد 2013) ج 3 - 469

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي في توضيحه للصور الاجتماعية والأدبية للمجتمع الجاهلي وأثر الإسلام في ذلك.

حدود البحث :

الحدود الزمانية : قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة وبعده إلى عام 41هـ .

الحدود المكانية : الجزيرة العربية .

هيكلة البحث:

يشتمل البحث على مبحثين فالأول منه بعنوان: من سمات الحياة الاجتماعية والأدبية في العصر الجاهلي، والثاني أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية والأدبية في صدر الإسلام.

المبحث الأول

من سمات الحياة الاجتماعية والأدبية في العصر الجاهلي

يرى الباحثان أنَّ البيئة الجاهلية هيمنت على مشاعر البدوي وأفكاره وتدخلت في تكوينه وصياغته حسب ما تقتضيه، ودفعت به إلى حياة تنسجم مع ما تفرضه عليه، فكان منفعلاً معها، فعاداته وقيمه مصوغة من بيئته ؛ ولذلك نراه منفرداً في بعض خصائصه بين القبائل الأخرى.

فكانتِ القبائل العربية قبل الإسلام تعيش في شبه الجزيرة العربية، وهي أرض صحراوية وذات طبيعة جبلية، ممَّا جعل حياتهم في تلك الفترة حياة عربية خالصة لم تختلط بهم المجتمعات الأخرى نتيجة للبيئة القاسية التي يعيشون فيها . وكان لذلك دورٌ كبير في حماية اللغة العربية من الاختلاط باللغات الأخرى، ممَّا جعلها سليمة من اللحن والتداخل اللغوي، وأيضاً حافظوا على النسب العربي من التمازج والاختلاط بالشعوب الأخرى وفي ذلك يقول أحمد شلبي:(وكانت القبلية هي التي تشكل المجتمع في تلك الفترة والعصبية القبيلة هي التي تحمي القبيلة من اعتداء الآخرين، ولا يمكن أن يعيش في البادية شخص أو أشخاص دون أن يكونوا أفراداً في قبيلة يحمونها وتحميهم).[1]

لذلك كانت الحروب بين القبائل تدور لفترات طويلة نسبة لأنَّ لغة السلاح هي اللغة السائدة في تلك الفترة ويعدُّ الأخذ بالثأر من أقرب وجوه العدالة عندهم وكانوا لا يقبلون الدية في قتيل، ويعيرون من قبلها ولعلَّ ذلك واضحٌ في قول المهلهل* في مقتل أخيه كليب حيث يقول[2]:

ولستُ بخالعٍ درعيْ وسيفيْ	إلىْ أنْ يَخْلَعَ الليلَ النهارُ
وإلَّاْ أنْ تبيدَ سراةُ بكرٍ	فلاْ يَبقىْ لَهَاْ أبداً آثارُ

---

(1) أحمد شلبي، التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية الطبعة الرابعة 1966مص:79،78.

* - المهلهل بن ربيعة التغلبي أخو كليب كان فصيحاً شديد البأس في الحروب، وقد جمعت أشعاره في ديوان وهو أقدم شاعر جمع له ديوان، ولم يصل إلينا هذا الديوان .ولكن بعض المعاصرين جمع له ديواناً أخذه من أقواله في كتب الأدب وغيرها، انظر كتاب الأغاني ج4، ص:148.جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص: 120.

(2) محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، لبنان بيروت، دار الأوزعي. ط3 1986م، ص :50.

يقولُ الشَّاعرُ بأنَّه لنْ يضعَ سيفه أبداً ويترك الحرب إلا أن يأخذ ثأر أخيه ويقضي على أسياد بكر مادام على قيد الحياة أو ينتهي من قبيلة بكر التي قتلت أخاه هذا إصرارٌ واضحٌ على الأخذ بالثأر، وفي البيت الأول استعارة مكنية حيث شبه النهار بإنسان والليل بثوب ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (خلع) وهي استعارة رائعة رغم صعوبة الموقف.

وكان من أكبر اهتماماتهم العناية بالخيل لأنَّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياتهم حيث تعدُّ عندهم هي مصدر العزة والمنعة ومكسبهم في الغزوات والحرب والصيد . ويكون الصيد مكسب الفقراء والضعفاء.

أمَّا الفوارس وذوو الشرف فما كانوا يريدون الكسب إلا في الغزوات والغارات التي هي رمز البطولة والشجاعة. وتعدُّ من أبرز القيم والمثل عندهم صفات الشخصية الكاملة التي تتوفر فيها المروءة لحماية القبيلة والضعفاء والذود عن العرض والكرم الذي لهم فيه ضروب شتى ومنهم من شاع صيته في الكرم مثل حاتم الطائي وغيره حتى أصبحوا يتسابقون في إكرام الضيوف.

وكانَ منْ عاداتهم أنْ يشعلوا النيران على الأماكن العالية ليراها السارون في الصحراء فيهتدوا بها إلى المكان. وكان من عاداتهم أيضاً إذا ضل الطريق الساري ولم يرَ ناراً يهتدي إليها نبح كما ينبح الكلب فتسمع صَوتَه الكلاب وتنبح لصوته فيهتدي بها إلى مكان الحي. وتُكافأ هذه الكلاب على ذلك بنصيب ممَّا يُذبح له لضيافته : فيقول النابغة الجعدي:

عُوْدِيْ فِي سَوادِ الليلِ بَعْدَ إعتسافه ... لينبحَ كلبٌ أو ليفزعَ نومُ

فجاوبه متسمع الصوت للقرى ... لهُ عندَ إتيان الملمّينَ مطعمُ

يكادُ إذاْ ماْ أبصرَ الضيفَ مُقبلاً ... يكلمهُ منْ حُبهِ وَهُوَ أعجمُ[1]

---

(1) أبو دياب، خليل إبراهيم أبو دياب،النابغة الجعدي،حياته وشعره ـ دمشق،دار القلم،بيروت، دار المنارة ط1،1987م، :58.

وإنَّ الشّعرَ يُصورُ حقيقة أهله ونفسية قائليه بكل ما لهم من بطولات وأمجاد وبأس وشدة وعصبية وغضب، وكرم ووفاء يصور خصال الخير كما يبين دواعي الشر ويسجل أيامهم ووقائعهم وأصولهم وأنسابهم، فهو على ذلك ديوانهم، يقول أبو هلال العسكري: (كذلك لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها ومستودع علومها[1].

فهمْ لذلك إذا اعتزوا بمكرمة أو نصر أو حادث سجلوا ذلك في قصيدة، فهي أبقى على الدهر من كلّ عملٍ وأخلد من كل أثرٍ، وهذه سنة العرب في تخليد مآثرهم وفي الحيوان للجاحظ : "فكل أمةٍ تعتمد على استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأنْ تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها"[2].

وكذلك ذهب ابن سلام حيث يقول:(وكان الشّعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون...). قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه."[3]

فالشّعر على ذلك من أبرز وأوضح المظاهر الأدبية، لأنه كان بلورة وتمثيلاً للروح العربية وتعبيراً عنها والصفحة الواضحة التي أفصحت عن الحياة الجاهلية بكل مظاهرها، وبخاصة تلك المظاهر الكبرى التي كانت موضع عنايتهم، ثمّ هو إلى ذلك العمدة التاريخية لتسجيل الأحداث وتصوير المواطن[4].

---

(1) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1952م :138.

(2) الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1384هـ، ج1، :72،71.

(3) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء: 22.

(4) الجبوري، يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة :130.

كَمَاْ نَجدُ الشّعر عند العرب هو أجمل الفنون التي يحتفون بها ويمجدونها،وكانتْ له أسواق خاصة به مثل: "سوق عكاظ، ومجنَّه، وذو المجاز، وغيرها".

وَيُعدّ الشعرُ أعْلى منزلة عند العرب، وَبه يحكم على القبيلة، وهو الذي يرفع من شأنها، ويمجدها ويصنع تاريخها، ويحمي عرضها، ويصور لنا حياة العرب، وعاداتهم وأخلاقهم بصورة واضحة، يقول عنه محمد عثمان علي : "كان الشعراء إزاء هذه المكانة يدافعون عن القبيلة، ويعددون مآثرها،ويرثون صرعى حروبها، وقد يقومون بنصحها وإرشادها حرصاً على مكانتها وعزها بين القبائل الأخرى[1]".

فللشّعر النصيب الأوفى في توحيد مشاعر العرب و تشابه طباعهم وعاداتهم ومثلهم، وصقل لغتهم ووحد لهجاتهم. كذلك وعلى الرغم ممّا كان يحدث بين القبائل من خصومات وغزوات كثيرة، فإنّ ذهنية العرب متجاوبة، وهم يلتقون عند مثل مشتركة، مثل عليا تقوم على الشرف والمروءة، وما كان ذلك ليكون لولا انتشار القصائد وصيرورتها بسرعة غريبة عجيبة، فهي ما تكاد تلقي من فم قائلها حتى تسير بها الرواة وتنشدها المجالس، وحقاً قالوا في أمثالهم :" أسير من الشعر". قال "الميداني" في تفسير هذا المثل : " لأنه يرد الأندية، ويلج الأخبية سائراً في البلاد، مسافراً بغير زاد"[2]. قال الشاعر:

فَلَأهدينَ مَعَ الرِّيَاْحِ قَصِيْدَةً ... مِنِّـيْ مُغَلْغَلَةً إِلىْ الْقَعْقَاْعِ
تَردُّ المياه فما تزالُ غَريبةً ... في القومِ بينَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاْعِ[3]

والأمثلةُ كثيرةٌ في أثر الشّعر في نفوس العرب، وسلطانه عليهم، فرب بيت يقوله شاعر يرفع به قدر وضيع أو يضع قدر رفيع، ويصدق هنا قول الحصري القيرواني في

(1) محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، :49.

(2) الميداني، مجمع الأمثال ج1: 354.

(3) المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6،

أثر الشعر ومكانته : " وقد بنى الشعر لقوم بيوتاً شريفة، وهدم لآخرين أبنية منيفة"[1] حيث قال الشاعر في ذلك :

وَمَاْ هوَ إلا القول يسري فتغتديْ لــهُ غُــرر في أوجــهٍ ومواســمِ

إذاً يُعدّ الشّعر ديوان العرب في تلك الفترة وسجل تاريخهم وحياتهم، حيث يدافع عن القبيلة و يسجل بطولاتها و أمجادها و يهدي ساداتها إلى الطريق الصحيح في الحرب و السلم، ويرفع مكانتها بين القبائل حيث يعد الشعر فناً من الفنون الرائعة التي ظلت تصور لنا حياتهم في تلك الفترة .

يلحظُ الباحثان أنَّ الشّعرَ في العصر الجاهلي كان وسيلة الإعلام الوحيدة بين القبائل ينشر أمجادها، ويشيد بأحسابها، ويسجل للأجيال مفاخرها . فكانت أهمية الشعر كبيرة آنذاك، وكانت منزلته عظيمة جداً لدى الجاهليين الذين كانوا يقومون بمناظرات شعرية في الأسواق الأدبية و يعلقون القصائد المختارة الممتازة المكتوبة بالذهب في الكعبة المشرفة لروعتها وجودتها. فكانت خصائص الشعر في هذا العصر منفردة ومتنوعة كما نجد موضوعات مختلفة للشعر الجاهلي حسب العادات والتقاليد عند العرب.

فالشِّعر العربي منذ البداية في عصر الجاهلية كان يعبر عن عواطف الشعراء وينم على أحاسيسهم والشَّاعر العربي كان يتغنى بعواطفه وما يحسه داخل نفسه نحو الحياة والأحياء من فرح وحب أو غضب أو رثاء وثكل، فهو شعر غنائي من حيث وظيفته تلك وأيضاً من حيث إن الناس في العصر الجاهلي كانوا يجتمعون له وآذانهم مرهفة وقلوبهم مستحية، لما فيه من طرب وإيقاع . وكانت القبيلة إذا نبغ منها الشاعر تدق الطبول، وتستقبل المهنئين والمهنئات، وكان معظم شعراء الجاهلية سادة في قبائلهم[2].

(1) الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، زهر الآداب وثمر الألباب،دار الجيل، بيروت ،ج1، :22.

(2) شاه عبد الكريم، منزلة الشعر في الجاهلية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام أباد، 2000م، : 22.

وذكر" ابن رشيق" في كتابه "العمدة" : "أنَّ القبيلةَ من العرب كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر وكان البيت من الشّعر ربما رفع قبيلة وخفض أخرى(1)".

كذلك امتاز الشُّعراء بالأفق الواسع والإلمام الكلي أو الجزئي بتراث الأمة التي يعايشونها أو يتعاملون معها، فكانوا بذلك أهلاً للعلم والمعرفة، بما تتطلبه ظروف بيئتهم وكان شعرهم تبعاً لذلك سجلاً لأخلاق العرب ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم وعنواناً على تطور عقلياتهم وديواناً لأيام السلم والحرب في تاريخهم وزاداً سخياً وعطاءً خصيباً لمجتمعهم روته الأجيال جيلاً بعد جيل، وتخرج عليه الأدباء فريقاً بعد فريق، حتى بلغ من إعجاب الأقدمين به أنْ صنَّفوهُ إلى معلقات ومسمّطات(2)وأحكام النقاد، بالتكامل الفني، والشمول الموضوعي(3)، على أنَّه وُجد من النقاد من يرون أنَّ الشعر الجاهلي غير متنوع الموضوعات، ولا غزير المعاني، ويضيفون بأنَّ ما رُوي لنا من القصائد موسيقاه واحدة يوقع على نغمة واحدة والتشابه والاستعارات تتكرر غالباً في أكثر القصائد قلة في الابتكار، وقلة في التنوع، لقد كانت موضوعاته عندهم محدودة ضيقة كما كانت ظلاً لحياة الصَّحراء، وصورةً صادقة لعيشه البداوة، وهي في مجموعها لا تتعدى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل، والتشبيب وغيرها من الأغراض التي اصطلح عليها مؤخراً بالشعر الغنائي أو الموسيقي،ويرى هؤلاء بأن الشاعر مهما سمت مكانته الأدبية، كان ظلاً لمجتمعه انزوت شخصيته في قبيلته، واندمجت ذاتيته في ذاتية قومه فلا تكاد تحس بوجوده، بل لا يكاد هو نفسه يحس لذاتيته بكينونة مستقلة(4).

---

(1) سلامة محمد أحمد، الشعر والغناء عند العرب، المنهل العدد 442، مج، 47، دار الأصفهاني، جدة، 1986م، : 75.

(2) ضيف،شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج1، : 134.

(3) الشكعة، مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1975: 23.

(4) حسن إبراهيم حسن، فجر الإسلام، ص: 69.

ولكنْ بالرغم من كل ذلك لا تجد من لا ينكر المكانة السامية التي نالها الشعراء في مجتمعهم والتقدير الأدبي الذي حظوا به في حياتهم وبعد مماتهم .

حيث أن الناس بنبراس شعره يهتدون وإلى شعره ورأيه في مشاكل الأقضية ومعضلات الأمور كانوا يلجئون، وكانت بذلك كلمته فوق كل كلمة، وقوله أَمضى من كل سنان بل إنه كان أحياناً أعظم سلطاناً من رئيس القبيلة نفسها، إذ ربما رفع الشاعر بالبيت الواحد عز القبيلة أو يهدمه.

وكانتْ كلُّ قبيلة تحرصُ على أنْ يكونَ لها شاعرٌ، مع القائد، والخطيب، وكانوا يحتفون بالشاعر، فتقام له الأعياد وتبسط لنبوغه الولائم، وتتوافد إلى قبيلته بقية القبائل تهنئها بمن سيقودها بأقواله، وينضح عن شرفها بأشعاره، ويخلد مآثرها بأبياته، وكانت النساء تشارك الرجال طربهم بنبوغ الشاعر، فيجتمعن يلعبن بالمزاهر احتفاء بيوم عيده في القبيلة[1].

وكانَ لكلّ شاعر راويةٌ يلازمه ملازمة التلميذ لمعلمه، ينهجُ طريقهُ، وينشرُ شعرهُ، وقد رووا في هذا الصدد أن كبار المشهورين من الشعراء قضوا عهد تثقفهم بملازمة معلميهم من الشعراء الأوائل، فكان امرؤ القيس راوية لأبي داود الإيادي وزهير بن أبي سلمى راوية لأوس بن حجر، والأعشى راوية للمسيب علس[2].

وأشهر المجموعات التي وصلتنا مما نسب إلى الجاهليين عدا دواوين الشعراء : المعلقات السبع، والمفضليات، وديوان الحماسة، وحماسة البحتري، والأغاني، والشعر والشعراء، ومختارات ابن الشجري، وجمهرة أنساب العرب، وهي في مجموعها لا يتجاوز تاريخها المائة وخمسين عاماً قبل البعثة، كما أن مجموع الشعراء المعروفين لا يتعدون المائة وخمسة وعشرين شاعراً، صنفوا تصنيفات كثيرة كان من بينها :

1. أصحابُ المعلقاتِ وعددهم عشرة.
2. الشُّعراءُ الأمراء، وعددهم أربعة عشر.

---

(1) حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، ، النظم والمظاهر الحضارية عند العرب، دار الجيل بيروت: 24.

(2) حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي: 53.

3. الشُّعراءُ الفرسان، وعددهم ثمانية عشر.

4. الشُّعراءُ الحكماء، وعددهم أربعة.

5. الشُّعراءُ العشاق، وعددهم ثمانية .

6. الشُّعراءُ الصعاليك، وعددهم سبعة.

7. الشُّعراءُ المغنون، وعددهم واحد.

9. النّساءُ الشَّواعر، وعددهن أربع.

10. الهجَّآءون، وعددهم أربعة.

11. الوصافون للخيلِ، وعددهم أربعة.

13. الموالي، وعددهم واحد.

14. سائرُ الشُّعراء وعددهم ستة وثلاثون[1].

وكما أعزَّ الرَّجل العربي المرأة وأحبها وقدم القصيد بذكرها وجزع على هجرها أو ظعنها، ووقف على أطلالها يندب شعره ويبكي حظه، ويتذكر ماضية السعيد. حيث أنه خاطب المرأة فخوراً بشجاعته وكرمه وعالي مقامه، و أشهدها على حسن بلائه ومحامده .

قال عبد يغوث الحميري* من ذلك:

وقدْ علمتْ عِرْسِيْ مُلَيْكةُ أنَّنيْ ... أَنَا الليثُ مَعدوًّا عليّ وعاديَاْ

وَقدْ كنتُ نَحَّارَ الجذورِ ومعمل الـ ... مطى وأمضيْ حيث لا حي ماضيَاْ

وأنحرُ للشربِ الكرامِ مطيتيْ ... وأصرعُ بينَ القينتين ردائيَاْ

وَكُنتُ إذَا مَا الخيلُ شمعَّها القنا ... لبيقاً بتصريفِ القناةِ بنانيَاْ[2]

---

(1) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق شوقي ضيف، دار الهلال، ط1، ج1: 88.

* - عبد يغوث بن صلاءة من بني الحارث بن كعب من كهلان . كان فارساً سيداً لقومه، أخباره في الأغاني ج15، 73. والكامل لابن الأثير، جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، : 122.

(2) المفضل الضبي، المفضليات ج1 : 156 . ❖عرس : زوجني.

كما أشهد الشاعر الجاهلي زوجه على شجاعته مهاجماً، وعلى كرمه وعلى جده في الرحلة والغارة وقطع القفار التي لم تطئها قدم. وعلى أنَّه ينادم الكرام على الشراب، وينحر لهم مطيته إذا لم يجد غيرها، وعلى أنه يتخذ مجلساً بين المغنين فإذا تملكه الطرب شقَّ رداءه... ولقد يشركها معه في كرمه كما قال حاتم* لزوجه:

إذَاْ مَاْ صَنَعْتِ الزادَ فالتمسيْ لَهُ ... أَكيْلَاً فإنِّيْ لستُ آكلهُ وَحْدِيْ

إذَاْ طَاْرِقَاً أوْ جَارَ بيتٍ، فإنَّنيْ ... أخافُ مذماتَ الأحاديثِ منْ بعديْ

وَإِنِّيْ لعبدُ الضَّيْفَ مادامَ ثَاوِياً ... وَمَاْ فِيْ إلَّا تلكَ منْ شيمةِ العبدِ(1)

في البيت الثاني يجد الباحثان أنّ الشاعر أبدع في وصفه لاستخدام الكناية في صدر البيت، التي تدل على تواضعه وكرمه.

وقد شاركت المرأة الرجل الحروب وكذلك في السلام مما يؤكد أن المرأة كانت ذات مكانه في الجاهلية وأن التاريخ يحدثنا بنساء اشتهرت بالشجاعة حتي كن يشاركن في الحرب مشاركة فعلية، فقريش قادت قبيلة طي في غزواتها(2).

وفي معركة أُحد سقط لواء قريش في ساحة القتال ولم يزل صريعاً حتى رفعته عمرة بنت علقمة الحارثية فلاذوا بها وقاتلوا، وفيها يقول حسان بن ثابت:

فلولا الحارثيةُ أصبحواْ ... يباعونَ فيْ الأسواقِ بيعَ الجلائبِ

وقد كانت هند بنت عتبه تحرض مشركي قريش يوم أحد بقولها(3):

نَحنُ بناتُ طارقِ ... نمشيْ على النمارقِ

إنْ تقبلوا نعانق ... ونفرشُ النمارقَ

أوْ تدبروا نفارقْ ... فراقٌ غيرَ وامقِ*

---

* - حاتم بن عبد الله من قبيلة طي ويكنى أبا سفانة، وهو من أجود العرب وله أخبار في السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الأمثال، له ديوان شعر مطبوع في لندن سنة 1872م، بعناية المرحوم رزق الله حسن وطبع أيضاً في بيروت، وأخباره منثورة في الأغاني ج16، ص: 96. والمستطرف، ج1، ص:137، جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، : 127.

(1) حاتم الطائي، ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ط1، 1981م : 9.

(2) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، ط1، 1988م : 74.

(3) محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، : 73.

* - قالت هذه الأبيات في وقعة أحد ومعها بعض النسوة يمثلن يقتلن المسلمين ويخدعن آذانهم وأنوفهم وتجعلها هند قلائد وخلاخل، وترتجز في تحريض المشركين، والنساء من حولها يضربن الدفوف.، ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص: 74.

ومن النساء اللواتي لهنَّ أثرٌ في الحياة الجاهلية:

بُهيسة بنت أوس الطائي التي رفضت أن يدخل بها زوجها الحارث بن عوف قبل أنْ يصلح بين عبس وذبيان فتحمل هو وهرم بن سنان من ديات القتلي ما يزيد على ثلاثة الآف بعير(1).

وكانَ الرجلُ يتزوجُ المرأةَ برضا أهلها، ولم يكن لها أن تنفرد بالأمر دونهم؛ وهذا هو النظام الذي شاع عندهم، وكانت الفتيات يستشرن كما هو معروف عندهم.

أَمّا اتصالُ الرجل بالمرأة بطرق أخرى، فقد كان مقصوراً على الساقطات وذوات المجانة من الشبان، وقد سموهن صاحبات الرايات، لأنهن كن ينصبن على أبوابهن رايات لتدل عليهن وسموهن أيضاً المظلمات لأن الفتيان كانوا يتسللون إليهن في جنح الظلام.

وكانوا يستولدون السبايا، ولكن لا يلحق الولد بأبيه إلّا إذا ادعاه، ولذا كان من مفاخر الرجل أنَّ أمه حرة نسبية لا سبية. فإذا كانت أمه أمَةً افتخر بما يعوض نقصه، فمثلاً كانت أم عنترة حبشية سوداء فأكثر من المفاخر بشجاعته، بدلاً من مفاخره بأمه وأقواله في مجال الفخر بأبيه:

إنّي امرؤٌ من خيرِ عبسٍ منصِباً ... شطري، وأحميْ سائريْ بالمنصلِ(2)
لله دربَنِي عبس لقد تعوا ... من الأكارمِ ما قدْ تنسل العربِ
لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ ... يوم النزال إذًا ما فاتني النَّسبِ(3)

وكان العرب كثيري الطلاق فقد طلق الأعشى زوجته، وإمّا لأنها لا تعجبه، وأمّا لأنَّ قومها هددوه بالضرب إنْ لم يطلقها؛ قال:

فبينيْ حصان الفرج غيرَ دميمة ... وموموقه فينا كذلكَ ووامقةُ
ودومت فتي قوم فإني ذائق ... فتالة اناس مثل ما أنتَ زائقةُ

---

(1) أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ج3 مصدر سابق، ص 142.

(2) . عنترة بن شداد، ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، الرياض، عالم الكتب، ط3، 1996م ج2 ص 119. ❖ المنصب: الأصل، ❖ المنصل: السيف

(3) المصدر السابق : 10.

لقد كان في فتيان قومك منكح وشبان هزان الطوال الغرانقةُ

وما ذاكَ عندي أنْ تكوني دنئه ولا أنْ تكوني جنت عندي ببائقةُ

ويا جارتا بيني فإنك طالقة كذلك أمور الناس غادو طارقةُ[1]

وكانَ الطلاقُ نظاماً عاماً عند العرب، واليهود، واليونان، والرومان وقد أباحه الإسلام وإن ضيّق من دائرته.[2].

وكانت من عاداتهم تعدد الزوجات حيث أنهم لم يكن لهم عدد ينتهون إليه. فقد ورد في الصحيح أن غيلان الثقفي أسلم وتحته عشر نساء.

وكانوا يربون أبناءهم على البطولة والشجاعة وأرادوا أن يوحوا إليهم بالقوة والشدة فتخيروا لهم أسماء فيها قوة ورهبة مثل: أسد وثور وفهد وضمر[3].

وقد وأد بعض العرب البنات وأسباب القتل منها: الغيرة على المرأة، ومخافة العار إذا سبيت.

ومنْهم من كان يئد البنات من كانت زرقاء شيماء (بها علامة قبيحة) أو يرشاء (بها نقط بيض، أو كسحاء (قعيدة) تشاؤماً، وكان يفعل ذلك قليل.[4]

ومنْهم من كان يئد خشية الإنفاق وخوف الفقر وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[5].

ومنْهم من زعم أنَّ الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عما يقولون . فألحقوا الإناث به لأنه أولى بهن ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾[6]وقد أبطل الإسلام هذه العادة، وسفه الذين يحزنون إذا رُزقوا بنتاً كما بينت للوائدين مخشاة الفقر . أنه هو الرازق وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ

---

(1) أبو فرج الأصفهاني، الأغاني ج8 :80. ❖ هزان قبيلة الزوجة.

(2) أحمد خاكي ، المرأة في مختلف العصور، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1947م : 85 – 86.

(3) المصدر السابق ص 82 – 85.

(4) الألوسي، محمود شكري الألوسي البغدادي،بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت الأثري،دار الكتب المصرية، ج4 : 41 – 56 .

(5) سورة الإسراء الآية 31.

(6) سورة النحل الآية : 57.

بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (1).

لكن الكثرة الكثيرة لم تئدْ، بدليل بقاء النساء يلدن، وبدليل حب الشعراء والرجال للمرأة وفخارهم بها قال حسان بن الغدير:

رئيتُ رجالاً يكرهونَ بناتهم وهنَّ البواكي والجيوب النواصحُ (2)

أمَّا المرأةُ فهي أهم نواة تشكل المجتمع الجاهلي حيث يقال لها الشعر من الحب والغزل بها أو سبب قطع الوصل و الهجران ومن أجلها تقوم الحروب و الغارات بين القبائل، و يكفي أن القصيدة الجاهلية كانت تبدأ بذكرها في شكل تقليدي بالبكاء على الأطلال . بل كان الشاعر الجاهلي يشهد المرأة على شجاعته و حسن خلقه، قال عنترة بن شداد :

أثْنيْ عليَّ بما علمتِ فإنَّنيْ سَمْحٌ مخالقتيْ إذَا لمْ اظلمِ

فإذَا ظلمتُ فإنَّ ظلميَ باسلٌ مرٌّ مَزَاقتهُ كطعمِ العلقمِ (3)

يخبرُ الشاعر هنا محبوبته بأخلاقه السمحة بين الناس إذا لم يظلم، و إذا ظلم فإن ظلمه مر كطعم الحنظل، وفي البيت تشبيه مرسل لأنَّه استخدم الأداة .

هذه المكانة الّتي أعطاها الشاعر لمحبوبة توضح بأنّ المرأة لها مكانة في المجتمع الجاهلي و على الرغم من هذه المكانة إلا أنها كانت أيضاً مصدر تشاؤم، و كان المجتمع يكره ولادتها، فمنهم من كان يدفنها و هي حية حتي تموت تحت التراب، ومنهم من يتركها في حياة الذل و المهانة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ

---

(1) سورة الأنعام الآية (151).

(2) الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي،المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض أشعارهم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م : 164 ❖ الجيوب النواصح : القلوب المحلصة.

(3) عنترة بن شداد، ديوان عنترة : 103.

وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ (1)، ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ (2)؛ وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴾ (3) والموءودة هي البنت تدفن حية حتى تموت تحت التراب، و إذا سلمت من الوآد فعاشت فإنها تعيش عيشة المهانة فليس لها حظ في الميراث مهما كثرت الأموال أو عانت من الفقر و الحاجة ، بينما كانت حياة العرب الدينية في تلك الفترة كان الغالب عليها عبادة الأصنام و الأوثان مثل اللات و العزى و مناة و غيرها . وكانوا يقسمون بهذه الأصنام يقول أوس بن حجر يقسم باللات و العزى يقول :

وباللاتِ والعزي ومنْ دانَ دينهاْ   وباللهِ إنَّ الله منهنَّ أكبرُ (4)

يقسمُ باللات والعزي ومن أعتنق هذه الأصنام كما يقسم بالله، هذا يبين الديانات التي كانت سائدة في تلك الفترة، وعلى الرغم من وجود اليهودية و المسيحية في بقية أجزاء الجزيرة العربية لكن كانت هنالك دلالات و إشارات دينية تدل على التوحيد، وبعض المعاني الدينية الصحيحة قال زهير بن أبي سلمي :

ألاْ أبلغَ الأحلافَ عنّيْ رسالةً   وذبيانَ هلْ أقسمتمْ كلَّ مقسمِ

فلاْ تَكتمُنَّ الله ما في نُفوسكمْ   ليَخفَى ومهما يكتم الله يعلمِ

يؤخَّر فيوضعْ في كتاب فيدخر   ليوم حساب أو يعجل فينقمِ

وما الحربُ إلَّاْ مَاْ علمتمُ وذقتمُ   وما هوَ عنْهَاْ بالحديثِ المرجمِ (5)

يُرْسلُ الشاعر رسالة إلى النَّاس جميعهم يقول لهم بأنكم أقسمتم بالآلهة التي تعبدونها من دون الله و الله يعلم ما تفعلون، فيؤخر عقابكم إلى يوم الحساب أو يستعجل لكم العذاب فينتقم منكم .هذه الأبيات توضح إيمان الشاعر بالله تبارك

---

(1) سورة النحل من الآية :58

(2) سورة النحل الآية: 59

(3) التكوير الآية : 8

(4) محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، مرجع سابق::51

(5) زهير ابن سلمي، ديوان زهير، بيروت، دار بيروت : 89.

وتعالى و يوم الحساب و كل ما يفعله الإنسان يحاسب عليه في الدنيا أو الآخرة، وفي البيت الأخير استعارة مكنية فيها ما فيها من الروعة وما زادها روعة واو العطف الذي يصحبها.

ويخلصُ الباحثان إلىْ أنّ الظواهرَ الاجتماعية والفكرية التي صاغتها البيئة الطبيعية لبلاد العرب في إطارها المناسب كظاهرة الكرم، والفروسية، وحماية الظعائن، والمرأة والمحافظة على النسب والشرف، وإغاثة الملهوف، ونصرة الضعيف، وذم البخل واللؤم والجبن والفرار وغيرها كانت من العادات المألوفة عند البدوي.

المبحث الثاني

أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية والأدبية في صدر الإسلام:

تدلُّ كلمةُ الإسلام باشتقاقها اللغوي على معنى الخضوع والانقياد، وقد ترددت في القرآن الكريم بهذا المعنى في مثل :(**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**) [1]، (**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**) [2]. ومن ثم أطلقت علَماً على ديننا الحنيف في قوله تبارك وتعالى:(**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**) [3].

فالدينُ الإسلامي دينُ السعادة للنَّاس كافة، دين يكمل الديانات السماوية السابقة. ويسيطر على كل ما جاء به الرسل، يقول جل شأنه:(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**) [4]. ويقول الله سبحانه وتعالى :(**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**) [5]، (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**) [6]ويقول تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [7].

فالإسلام هو الشريعة الإلهية الأخيرة الّتي تفرض سلطانها على كل ما سبقها من شرائع سماوية. وهو يقوم على ركنين أساسيين هما: العقيدة والعمل. وتسمى العقيدة بالإيمان من الأمن بمعنى طمأنينة النفس وتصديقها بما جاء به الرسول ﷺ - وأهمُّ أصلٍ

(1) سورة الزمر الآية 24

(2) سورة النمل من الآية 91

(3) سورة المائدة الآية 3 .

(4) سورة سبأ الآية: 28

(5) سورة الشورى من الآية 13

(6) سورة الفتح من الآية 23

(7) سورة المائدة من الآية 48

في العقيدة الإسلامية الإيمان بوحدانية الله يقول سبحانه وتعالى: (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**)[1].

فالإسْلَامُ جعلَ العبودية لله سبحانه وتعالى وحده وأبطل ما كان في حياة الجاهلية، وجعل الولاء لله تعالى قال تعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**)[2]. (**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)[3].

قضى الإسلام علي الوثنية الجاهلية بكل ما طُويَ فيها من كهانه وسحر وشعوذة وخرافة، وبذلك ارتقى بعقل الإنسان إذْ خلصه من الحماقات والترهات وقد مضى يحتكم إليه في معرفة الخالق الذي أنشأ الكون ودبر نظامه داعياً إيَّاه أنْ يتأمل في ملكوت السماوات والأرض[4].

ودائماً يدعو القرآنُ كلَّ مسلمٍ أن يستغل عقله فيما خُلق له من تدبر إذ الإسلام الصحيح يقوم على الفهم والإقناع لا على التقليد والمحاكاة للآباء و الأسلاف[5].

ويشير القرآن مراراً إلى فضيلة العقل، وأنَّ الله أودع في هذه الفضيلة خواصاً تمكنه من السيطرة على جميع المخلوقات؛ يقول جلَّ شأنه: (**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**[6]).

فالقرآنُ الكريم يخْبرنا بأنَّ كلّ ما في الوجود مسخر للإنسان ومن نعم الله عليه أنْ ميزهُ بخاصية العقل ليتميز بها عن سائر الحيوان، ومهمة العقل إدراك المعلومات وتحليلها وإصدار الأحكام بشأنها إمّا تحسيناً أو تقبيحاً، ليترك للإنسان الاختيار،

---

(1) سورة الإخلاص الآيات 1- 4

(2) سورة الشورى من الآية 11

(3) سورة الأنعام الآية 103

(4) ضيف، شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة ، ط19 :13.

(5) المصدر السابق،16.

(6) سورة الجاثية الآياتان 12- 13

وهذه المعلومات إنما تأتي للعقل عن طريق الحواس الخمس، فالعين تأتيها بالمبصرات، والأذن بالمسموعات والأنف بالمشمومات واللسان بالمذوقات واليد بالملموسات، وما على العقل إلا أنْ يحلل هذه المعلومات ويتفحصها بناء على ما لديه من علوم فطرية وخبرات سابقة اكتسبها بالتراكم[1]، وقد قال تعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)[2].

فالعقلُ البشري في حاجة ضرورية لمصدر آخر للمعرفة غير الحواس، لتكتمل له المعرفة بالوجود، فكانت رحمة الله تعالى بالبشرية هذه الرسالات المتعاقبة، فجاء الدين ليخبرنا عن مخلوقات تشاركنا الوجود ما كان لنا أن نعرفها لولا الدين ومعرفتها نافعة لنا، مثل الملائكة والشياطين، فالمَلَكُ رمز الخير والشيطان رمز الشر والمطلوب منا التشبيه بالأول دون الثاني.[3]

والإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة؛ وأن أول ما نزل على الرسول ﷺ قوله تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** [4]) ودائماً تتردد فيه الإشادة بالعلم والعلماء في مثل قوله تعالى (**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**..) [5] (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** [6])) وقال تعالى:(**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**[7].

وفي كل هذه الآيات وغيرها يظهر أثر الإسلام في أهمية التعلم[8]. وقد رويت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحاديث كثيرة تحثُ على العلم والتعلم منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم[9]". وقوله : "ومن

---

(1) مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة المدينة، دار المعارف، ط1، 1972م: 134.

(2) البقرة الآية :31.

(3) عثمان علي حسن، الدين وأثره في حفظ المجتمع،سلسلة التنوير جامعة أفريقيا، :41:42.

(4) أ سورة العلق، الآية 1

(5) سورة طه من الآية 114

(6) سورة فاطر من الآية 28

(7) سورة الزمر من الآية 9

(8) ضيف، شوقي ضيف، العصر الإسلامي مصدر سابق، : 17، 18.

(9) سنن ابن ماجة، الأرنوط (224/151/1).

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى طرق الجنة [1]" وقوله صلى الله عليه وسلم: (العلماء ورثة الأنبياء [2]).

قيم اجتماعية:

كان العرب يعيشون في الجاهلية قبائل متناثرة لا يعرفون فكرة الأمة إنما يعرفون فكرة القبيلة وما يربط بين أبنائها من نسب وكانت كل قبيلة تتعصب لأفرادها تعصباً شديداً. فإذا جنى أحدهم جناية تشركهم في مسؤوليتها وإذا قتل لها أحد أبنائها هبت للأخذ بثأره.

فلما جاء الإسلام أخذ يُضعف من شأن القبيلة ويحل محلها فكرة الأمة يقول جلَّ شأنه (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**) [3]. (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**) [4].

ويرىْ الباحثان أنَّ الإسلامَ كانَ لهُ الأثرُ الفياض في ربط العرب وجعلهم أمة يسودها الخير والنماء لذا أصبحت الرابطة الدينية لا الرابطة القبلية هي التي توحد بين الناس.

وأخذَ الإسلام يُرسيْ القواعد الاجتماعية لهذه الأمة بحيثُ تكون أمة مثالية يتعاون أفرادها على الخير آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر يسودهم البر والتعاطي حتى لكأنهم أسرة واحدة تساوت بين أفرادها كل الفوارق القبلية والجنسية وأيضاً فوارق الشرف والسيادة الجاهلية . فالناس جميعاً سواء في الصلاة وجميع المناسك وفي الحقوق والواجبات [5].

---

(1) سنن ابن ماجة (223/181).

(2) سنن ابن ماجة (1/ 81/ 223).

(3) سورة الأنبياء الآية 92

(4) سورة آل عمران من الآية 114

(5) الجاحظ، البيان والتبين ج2: 33.

وقدْ نظمَ الإسلام حقوق المرأة ورعاها خير رعاية، إذْ كانت مهضومة الحقوق في الجاهلية فرد إليها حقوقها وجعلها مكرمة، لها مالها من الحقوق والواجبات يقول الله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[1] وأيضاً لهن مثل ما للرجال من السعي في الأرض والعمل والتجارة، يقول عزّ شأنه (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ)[2].

وكان كثير من غلاظ القلوب يئدون بناتهم خشية العار فحرم ذلك القرآن. يقول جلَّ شأنه (وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ (59)[3].

ومن الأشياء التي أبطلها الإسلام ظاهرة انتشار البغاء قال الحق سبحانه وتعالى: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[4]) قال الإمام الشعراوي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الآية : (البغاء) ظاهرة جاء الإسلام فوجدها منتشرة فكان الرجل الذي يملك مجموعة من الإماء ينصب لهن راية تدل عليهن، ويأتيهن الشباب ويقبض هو الثمن ومن هؤلاء عبد الله بن سلول رأس النفاق وفيه نزلت هذه الآية فأبطل الإسلام هذه العادة[5].

---

(1) سورة البقرة من الآية 222

(2) سورة النساء من الآية 32

(3) النحل الآية 57:59.

(4) سورة النور، الآية : 32.

(5) محمد متولي الشعراوي، السيرة النبوية، المكتبة التوفيقية، القاهرة:35.

ونظم الزواج وهو فريضة محببة إلى الله ونعمة من نعمه قال تعالى :(**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**) (1). ويقول الرسول ﷺ في حجة الوداع "أيها الناس إنَّ لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق، لكم عليهن أن لا يوطئن فُرشكم غيركم وأن لا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله ... فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً" (2).

فالإسلام إذن قد قلب العقلية العربية قلباً،وشن على الجاهلية حرباً، ورسم للمجتمع مثلاً على أن لا يخالف ما ألفوه،ويناقض ما عرفوه .

فالشجاعة،والشهامة،والكرم المفضي إلى السرف والتلف، والتفاني في الإخلاص للقبلية والقسوة في الانتقام، والثأر ممن تعدى على النفس أو على الأهل بالقول أو بالفعل،هي أصول الفضائل عند الجاهلية، أمّا الإسلام فقد جعل المثل الأعلى للإنسان الخضوع لله تعالى والانقياد لأمره، والقناعة والتواضع،ومجانبة التكاثر والتفاخر، ثمّ الصبر وقد قال الله تعالى:(**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (3).

وقد قال الرسول (ﷺ) في خطبة الوداع:(إنّ الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء. كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على أعجمي فضلٌ إلا بالتقوى) . فماتت بذلك العصبية القومية والجنسية وأصبحت السيادة للدين لا للنسب والإخاء في الله لا في الغضب.

---

(1) سورة الروم الآية 21

(2) محمد متولي الشعراوي، السيرة النبوية:39.

(3) الحجرات الآية 13.

وأصبحَ القرآنُ الكريم والحديث الشريف دستور الأمة، يسنان الشرائع ويرسمان الآداب، ويهذبان الأخلاق ويقرّان في القلوب المشركة المجرمة كلمة التوحيد وحقيقة البر، ويضيفان نظماً جديدة للأسرة والأمة تغاير ما كان عليه العرب من قبل وتساير ما سيكونون عليه من بعد(1).

وبذلكَ يرى الباحثان أنَّ هذه الحقيقة تعززتْ بعادات المجتمع، وانتظمت بقوانينه على مرّ العصور فكانت الوجهة الحقيقية التي عكست صورة هذه البيئة، فالشجاعة، والإقدام والكرم من الصفات المحمودة في المجتمع الجاهلي، لكنها كانت تقوم على قاعدة الأعراف والتقاليد الاجتماعية للقبيلة، فمثلاً يقول عبد الله بن جدعان التميمي مفتخراً بكرمه ويرجى من وراء الكرم الفخر والاعتزاز بالنفس حيث يقول(2):

إنِّيْ وإنْ لمْ ينلْ مالي مدى خلُقيْ	**وهابَ ما ملكت كفي منِ المالِ**
لا أحبسُ المالَ إلّاْ ريثَ أتلفهُ	**ولا تغيرُني حالٌ عنِ الحالِ**

أمّا في صدر الإسلام، فقد بقيت هذه الصفات كما هي إلا أنّ مفهومها قد تغيّر، فأصبح معناها أكثر وضوحاً وعمقاً وشمولاً، فارتبطت بالإيمان، فمثلاً رسم حسان بن ثابت بعضاً من ملامح هذه المُثُل الّتي كونت الصُّورة الإيمانية الجديدة، ويرجى من البذل والعطاء وجه الله والاستجابة لأمره بالإنفاق والمثوبة من الله فقال:

لقدْ خابَ قومٌ غابَ عنهم نبيهم	**وقُدس من يسري إليهم ويغتديْ**
ترحَّل عنْ قومٍ فضلَّتْ عقولهم	**وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مجدَّدِ**
هداهم بعدَ الضَّلالةِ ربُّهم	**وأرشدَ من يتبعِ الحقَّ يُرشدِ(3)**

فسيدنا حسان يقدم معالم الصورة الجديدة للإنسان، ويقارنها بصورة إنسان بقى على غيه وضلالته .

---

(1) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي،دار الثقافة بيروت:95.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، : 65.

(3) حسان بن ثابت، ديوانه، ص: 61.

أمّا الفرزدق، فيصور نفسه بعد الموت في معرض ردّه على الحسن البصري الّذي حضر جنازة زوجه النَّوار، فقال:

لقدْ خابَ مِنْ أولادِ دارمَ من مشَى إلى النــارِ مغلـولُ القـلادةِ مُوثَّقــاْ

إذا جــاءنِي يــومَ القـــيامةِ قائــدٌ عنيــفٌ وســوّاقٌ يــسوقُ الفرزدقــاْ

أخــافُ وراءَ القــبرِ إنْ لم يُعــافِني أشــد مــن القــبرِ التهابــاً وأضــيقاْ

إذا شــربواْ فيهــا الــصّديدَ رأيــتَهمْ يذوبونَ من حرِّ الصديد تمزُّقاْ[1]

يبين الشّاعر الحقائق التي يعرضها بشعور العارف بهذا اليوم ومتطلباته، من الأعمال الخيّرة التي ترضي الله تعالى، وتجعل الإنسان يقف في المكان الذي أُمر أنْ يكون فيه، ويبتعد عن المكان الذي أمر ألا يقترب منه، إنها التقوى التي استمر مدلولها الديني سائداً على لسان الصحابة بعد وفاة الرسول (ﷺ) لم يقف الإيمان عند معنى بعينه، وإنما أخذ معاني كثيرة ؛ كالزهد الّذي أخذ بدوره معاني جديدة ومنها اللذة العقلية، وهي لذة العلم الّتي أقبل عليها الإمام علي كرم الله وجهه، ونهل منها ما وسعه، يقول:

لــيس البليَّــةُ في أيامِنــا عجبــاً بلِ السلامةُ فيها أعجبُ العجبِ

ليس اليتيمُ الذي قدْ ماتَ والدُه إنَّ اليتيمَ يتيــمُ العلـمِ والأدبِ[2]

إذاً فاليتيم ليس من يفقد والده، إنما اليتيم هو من يفقد سلاحَ العلم والأدب والمعرفة؛ ومن يفقد هذا السلاح أصبح عالة على الحياة والمجتمع.

وهنا يجدُ الباحثان أنَّ الشّعر رسمَ صورة الحياة في هذا المجتمع التي وضع أساسها الدين الجديد وحصنها بالعقل، وزودها بالإيمان، وسما بها، فجاءت صورة واضحة المعالم، متناسقة بتفاصيلها، غنية بمزاياها، حاضنة للقيم الدّينية والاجتماعية لكنها

(1) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس، ديوانه، تحقيق، عمر فاروق،دار الأرقم، بيروت، ط1 1418هـ، 1961م، ، ج1، : 441.

(2) علي بن أبي طالب، ديوانه، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة كيميا، العراق، النجف الأشرف، ط1، 1426هـ :: 14.

تغيرت بتغير الظروف الاجتماعية والسياسية التي مرّ بها الإنسان في مختلف نواحي الحياة، وعبر المراحل الزّمنية، كما بدا التطور ظاهراً في أسس تكوينها، ولا سيما انتقالها من التشتت والغموض، إلى النضوج والوضوح.

وخلاصة الأمر فالإسلامَ كانَ لهُ أثرهُ في نفوس العرب فجعلهم أمةً متحابةً يسودُهَا الخير والنماء وبذلك أصبحوا خير أمة أخرجت للناس.

الخاتمة

الحمدُ للّٰه الَّذيْ شَيَّدَ بالعلم بنياناً، وجعلَ العلماءَ لهُ أَرْكَاْنـاَ، والصلاةُ والسلامُ على خير ولد عدنان وأشرف بني الإنسان سيّدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه السائرين على دربه، أمّا بعد :

فقد تمَّ بعون الله تعالى وتوفيقه هذا البحث الذي كان بعنوان: "السمات الاجتماعية والأدبية للعرب مابين الجاهلية والإسلام".

النتائج:

أولاً: إنَّ المجتمع الجاهلي كانت تسوده روح القبلية التي أدت إلى الحروب والمنافرات والمناظرات .

ثانياً: إن توحيد العرب في ديانة واحدة ألقى بظلاله على الأدب العربي واستخدم الشعر كأداة لإظهار القيم الدينية.

ثالثاً: إن ظهور الإسلام أثرى السمات الاجتماعية والأدبية والثقافية.

رابعاً: الشعر أصبح شارحاً وموضحاً كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

توصي الدراسة بتناول أدب تلك الفترة في تاريخ العربية من أطر متعددة تاريخية وأدبية ونقدية ولغوية مع إعطائها حقها ومستحقها من الشرح والتحليل.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

- أحمد شلبي، التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية الطبعة الرابعة 1966.
- الألوسي، محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت الأثري
- البيهقيي، أحمد بن الحسين، (شعب الإيمان) ط1 الرياض (مكتبة الرشد 2013م.
- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض أشعارهم ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م.
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1384هـ.
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق شوقي ضيف، دار الهلال، ط1، ج1.
- حاتم الطائي، ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ط1، 1981م
- حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق وليد عرفان، دار صادر، ط1، 2006م .
- حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، ، النظم والمظاهر الحضارية عند العرب، دار الجيل بيروت.
- الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.
- حمد خاكي ، المرأة في مختلف العصور، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1947م .
- أبو دياب، خليل إبراهيم أبو دياب، النابغة الجعدي، حياته وشعره - دمشق، دار القلم، بيروت، دار المنارة ط1 1987م.
- شاه عبد الكريم، منزلة الشعر في الجاهلية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام أباد، 2000م. 1986م.

- الشكعة، مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1975.
- ضيف، شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة ، ط19.
- علي بن أبي طالب، ديوانه، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة كيميا، العراق، النجف الأشرف، ط1، 1426هـ.
- عنترة بن شداد، ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، الرياض،عالم الكتب،ط3،1996م ج2 ص 119.
- عثمان علي حسن، الدين وأثره في حفظ المجتمع،سلسلة التنوير جامعة أفريقيا.
- محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1952م.
- محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، 2003م.
- المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6، .
- مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة المدينة، دار المعارف، ط1، 1972م.
- همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس، ديوانه، تحقيق، عمر فاروق،دار الأرقم، بيروت، ط1 1418هـ، 1961م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر) .
- يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه،مؤسسة الرسالة .

دور المنهج الخفي في تعزيز المسئولية الأخلاقية

(دراسة وصفية تحليلية تأصيلية)

د.حامد محمد آدم حمد ❁

❁ - أستاذ أصول التربية المشارك- جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

مستخلص البحث

هدف هذا البحث:

بيان دور المنهج الخفي في تعزيز قيم المسئولية الأخلاقية. وشرح مصادر المنهج الخفي ودورها في تعزيز قيم المسئولية الأخلاقية.وذكر أهم خصائص المنهج الخفي وبيان خطورة المنهج الخفي وسلبياته، وأهمية الجمع بين المنهجين الرسمي والخفي. وشرح شروط ترتب المسئولية لأخلاقية التي حددتها التربية الإسلامية وجعلتها شروطاً لا بد من استيفائها لكي يكون الإنسان مسئولاً عن تصرفاته، **استخدم** الباحث في إعداد هذا البحث المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي. **وتم تقسيم البحث إلى خمسة مباحث: المبحث الأول عن الإطار العام للبحث، والمبحث الثاني عن حقيقة المنهج الخفي**:مصادره وخصائصه وآثاره،والمبحث الثالث عن المسؤولية الأخلاقية في التربية الإسلامية والمبحث الرابع عن كيف يمكن مواجهة الانحرافات الفكرية والسلوكية لدى الطلاب والمبحث الخامس عن النتائج والتوصيات والمقترحات.

ومن النتائج التي توصل إليها الباحث:

أن أقوى مصادر المنهج الخفي:عقيدة المعلم وقناعاته وأفكاره وهو ناقل المنهج الرسمي، وطبيعة العلاقات الاجتماعية لمنسوبي المؤسسات التعليمية المعينة، وبيئة المعلمين والآباء، والجو السائد في البيوت، وما يبث في الإعلام العالمي والمحلي، وما يقدم في وسائط التربية عموماً، كل ذلك من مصادر المنهج الخفي والمنهج الخفي سلاح ذو حدين له طبيعة الهدم والبناء، وعليه ينبغي الاستفادة من جوانب البناء فيه، وتجنب جوانب الهدم، وتلافي التباين بين المنهجين، وتقصير المسافة بينهما. ولابد من التخطيط للمنهج الخفي كما يخطط للمنهج الرسمي، ولابد من مراقبة مخرجات المنهج الخفي كما يراقب المنهج الرسمي المعلن، ولا بد من تقويم المنهج الخفي كما يقوم المنهج الرسمي، ينبغي الاهتمام بمكونات القيم الثلاثة: (المكون المعرفي - المكون الوجداني- المكون السلوكي) **وخرج الباحث بتوصيات منها**: تبنى منظومة قيمية في النظام التعليمي يعمل الجميع على اكسابها الطلاب، ويتم تطبيقها من خلال القدوة وممارسات هيئة التدريس، ومن خلال النظم والقوانين السائدة في المؤسسة، وتحسين البيئة التعليمية. ووضع آلية وبرنامج للتعاون بين المؤسسات التربوية والتعليمية(الأسرة_ المدرسة- الأعلام- المساجد) لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة ولتقريب الفجوة بين أهداف المنهج الرسمي والمنهج الخفي.وضع آلية لمتابعة المعلمين وكيف يكونوا قدوة لطلابهم، وأن يكون كل واحد منهم على علم بأهداف المؤسسة التي ينتمي إليها عامة، وأن يعرف ما يسهم به المقرر الذي يقوم بتدريسه، في تحقيق أهداف المؤسسة.

Abstract

The purpose of this research is to explain the role of the hidden curriculum in promoting the values of moral responsibility among students, as well as to explain the sources of the hidden curriculum and its role in promoting the values of moral responsibility. Also mentioned the characteristics of the hidden curriculum and its seriousness and disadvantages, and the importance of combining the formal and hidden curriculum. The research also presents an explanation of the conditions of the moral responsibility set by the Islamic education and made them conditions must be met in order to be responsible for his actions . The research is divided into four topics. The first topic about the truth of the hidden curriculum, its sources, characteristics and effects, second topic on the moral responsibility in Islamic education ,the third topic on how to confront the intellectual and behavioral deviations among the students, the fourth topic on the results and recommendations. The researcher reached several conclusions, the most important of which are: The strongest sources of the hidden curriculum are the teacher's beliefs, ideas and persuasion, also the nature of the social relations of the employees of the relevant educational institutions. Moreover, The environment of teachers and parents and the atmosphere prevailing in homes and what is broadcast in the world and local media and what is presented in the media education in general . Each of the sources of the hidden approach, which is a double-edged sword, which has the nature of construction and demolition. Therefore, it is necessary to take advantage of the aspects of construction in it and avoid aspects of demolition in it and avoid the contrast between the two approaches and shorten the distance between them . It is necessary to plan for the hidden curriculum as the official curriculum is planned, and the outputs of the hidden curriculum must be monitored like the outputs of the formal curriculum. The hidden curriculum should be evaluated like the formal curriculum . Human in the eyes of Islam is responsible for his actions, such as the individual's

assessment of responsibility towards himself and his family and society and all objects and things around him .This appreciation leads to the sovereignty of the values of cooperation and compassion among members of the community. To activate the moral responsibility, attention must be given to the components of the three values (cognitive - emotional - behavioral) . The narrow view of the curriculum is considered to threaten the values of moral responsibility in the outputs of education ,because the different extracurricular activities if not seen as a part of the curriculum may deviate and be a tool to demolish the official curriculum. The importance of ethical values lies in the fact that it enables the individual to exercise restraint and to determine his expectation from others. It is a means of judging the behavior of individuals as a deviation from the standard.

المبحث الأول

الإطار العام للبحث

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وعلي آله الطيبين الطاهرين ومن سار علي نهجهم إلي يوم الدين وبعد:

فإذا كان الإنسان يبنى ويعد للحياة عن طريق عملية التربية؛ فإن وسيلة التربية في ذلك هو المنهج، فعن طريق المنهج تحقق التربية أهدافها. سئل أحد المفكرين عن رأيه في مستقبل أمة؛ فقال: ضعوا أمامي منهجها في الدراسة أنبئكم بمستقبلها. ولكن معظم الذين يتحدثون عن المناهج ودورها يتحدثون عن المنهج الرسمي المعلن، وهو الذي يتم إعداده من جهة مختصة وتقوم المدرسة عن طريق معلميها بتنفيذه، وقلة هم الذين يتحدثون عن غيره من المناهج، كالمنهج الخفي مثلاً، ولماذا لا يتم الاهتمام بالمنهج الخفي ودوره ومصادره وأثره على سلوك الطلاب، كما يهتم بالمنهج الرسمي؟ و لماذا هذا الاختلاف الذي نشاهده من اضطراب فكري، وتذبذب سلوكي، وعدم تمثل الطلاب القيم الأخلاقية، وعدم الصدق مع المبادئ التي درسوها في المنهج الرسمي. ولماذا أصبح خريج الجامعات لا يتأثرون بما يدرسون من القيم والمبادئ،ولا يعملون بما يؤمنون به، وخالفت أفعالهم أقوالهم، وسلوكهم محفوظا تهم...؟ - الا من رحم الله- وخير مثال لذلك ما يشاهد من ظاهرة التطرف الديني لدى بعض الشباب. وكذلك ما يشاهد في مناسبات التخرج التي تكون في المتنزهات وصالات الاحتفالات وما يحدث فيها من سلوكيات وتفلتات، وما يظهر فيها من أفعال وممارسات وقيم غير القيم التي ظل يدرسها الطالب خلال مسيرته العلمية في المؤسسة التي تخرج فيها.ومعلوم أن كثير من السلوكيات الخاطئة، والأفكار المنحرفة والمغلوطة؛ لا يتعلمها التلميذ على علم ودراية من المؤسسة التعليمية، وإنما تكون من تأثيرات المنهج الخفي، لأن المنهج الرسمي يخضع للمراقبة والتخطيط، ومحتواه ينسجم مع الأهداف التي تنشدها المؤسسة، ومن هنا تأتي أهمية دراسة بعنوان: دور المنهج الخفي في تعزيز قيم المسئولية

الأخلاقية لدى الطالب الجامعي) (دراسة وصفية تحليلية تأصيلية). وقيم المسئولية الأخلاقية تمثل الجزء الجوهري والأساسي من رسالة المنهج التي ينبغي أن يحققها، وهي مادة بناء الأمة وهوية المجتمع، ومأمول من المناهج أن تعمل على حمايتها وتطوير صياغة نشرها من خلال الأهداف المرسومة لها، وبتوجيه المنهجين (الخفي والسمي)التوجيه الصحيح.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث في تحديد وبيان دور المنهج الخفي في تعزيز وتنمية قيم المسئولية الأخلاقية لدى الطالب الجامعي. وإذا أردنا إيجازها في شكل نقاط فيمكن تحديدها في الأسئلة الآتية:

أسئلة البحث:يجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

- ما دور المنهج الخفي في تعزيز قيم المسئولية الأخلاقية؟
- ما مصادر المنهج الخفي؟
- ما خصائص المنهج الخفي؟
- ما أثر المنهج الخفي ودوره في تعزيز قيم المسئولية الأخلاقية؟
- ما مكونات القيم الأخلاقية وكيف يمكن تعزيزها في مناهج؟
- ما الأساليب التربوية لغرس وتنمية قيم المسئولية الأخلاقية؟
- ما شروط ترتب المسئولية لأخلاقية التي حددتها التربية الإسلامية وجعلتها شروطاً لا بد من استيفائه لكي يكون الإنسان مسئولاً عن تصرفاته؟
- ما القواعد والمبادئ الإنسانية وقيم المسئولية الأخلاقية المستنبطة من مضامين القرآن الكريم والسنة المشرفة؟

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

- بيان دور المنهج الخفي في تعزيز قيم المسئولية الأخلاقية.
- بيان مصادر المنهج الخفي.

- ❖ ذكر أهم خصائص المنهج الخفي ودوره في تعزيز قيم المسئولية الأخلاقية.
- ❖ توضيح أثر المنهج الخفي ودوره في تعزيز وتنمية قيم المسئولية الأخلاقية.
- ❖ بيان خطورة المنهج الخفي وسلبياته، وأهمية الجمع بين المنهجين الرسمي والخفي.
- ❖ بيان الأساليب التربوية لغرس وتنمية وتعزيز قيم المسئولية الأخلاقية .
- ❖ شرح شروط ترتب المسئولية لأخلاقية التي حددتها التربية الإسلامية وجعلتها شروطاً لا بد من استيفائها لكي يكون الإنسان مسئولاً عن تصرفاته.
- ❖ توضيح قيم المسئولية الأخلاقية المستنبطة من مضامين القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

أهمية البحث:

تكمن أهميةالبحث في أهمية المنهج الخفي ودوره في تنمية وتعزيز قيم المسئولية الأخلاقية لدى الطالب، ويستفاد من هذا البحث في بيان خطورة المنهج الخفي وسلبياته إذا لم يراقب ويوجه مثله مثل المنهج الرسمي، وأهمية الجمع بين المنهجين الرسمي والخفي، حتى لا يهدم أحدهما ما يبنيه الآخر.

منهج البحث:اتبع الباحث في إعداد هذا البحث المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي.

حدود البحث:الحدود الموضوعية: بيان دور المنهج الخفي في تعزيز قيم المسئولية الأخلاقية.

الحدود المكانية: طلاب الجامعات السودانية.

والحدود الزمانية: تم إعداده في العام الجامعي2017م .

مصطلحات البحث:

المنهج الخفي:

- وهو(تلك الخبرات غير المخططة وغير المقصودة وغير المنصوص عليها التي يتعرض لها الطالب ويتأثر بها (سلباً وإيجاباً) وتؤدي إلى نواتج غير مضمنة في

الأهداف العامة المنصوص عليها في المنهج الرسمي)[1] والمنهج الخفي يتخذ عدة مسميات، ومن هذه المسميات منها:

- المنهج الضمني أو المضمن - المنهج المختبئ - أو المنهج الموازي- أو المنهج غير المكتوب- أو المنهج غير الرسمي- أو المنهج غير المدرسي- أو المنهج غير المخطط- أو المنهج المستتر، كل هذه الأسماء لمسمى واحد[2].

التعزيز:

مصدر عزَّزَ يعزِّز تعزيزًا، فهو مُعَزِّز، والمفعول مُعَزَّز: عزَّز فلانًا جعله عزيزًا، وعَزَّزا صداقتهما قواها، عزَّز موقعًا حربيًّا: حَصَّنه، عزَّز الخبرَ، أكَّده، عَزَّز جهودَه: دعَّمها وكثَّفها، عَزَّزَ الماءُ الأَرضَ: لَبَّدَها فلا تَسُوخ فيها الأَرْجُل)[3] .

- ونقصد بتعزيز القيم في هذه الدراسة: رسوخها وتقويتها، ودعمها، وتحَصينها، وتأكّيد التمسك بها.

القيم:

هي (المثل والقواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية متميزة بها عن الحياة الحيوانية وتتمثل في قيم عليا ومطلقة يحصرها الفلاسفة في:(الحق، والخير، والجمال)[4].

القيم الإسلامية:

هي:(مجموعة المبادئ، والمعاير التي تنظم سلوك المسلم، ويحددها الوحي، لينظم بها حياة الإنسان، ويضع لها من الضوابط ما يمكنها من أن تحقق الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى والمؤدية إلى سعادة الإنسان في الدنيا

---

(1)محمد محمود، الحيلة طرائق التدريس واستراتيجياته؛دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الرابعة، 2013، ص231.

(2) المرجع السابق، ص239.

(3)ابن منظور، لسان العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة، التاسعة، 1978، جـ9، ص349.

(4)عبد الرحيم عوض أبو الهيجاء، القيم الجمالية والتربوية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، الطبعة الأولى، 2008 ص56.

والآخرة) [1].

الأخلاق لغة:

- (الخلق) بضم اللام وسكونها؛ الطبع والسجية، والجمع أخلاق.

الأخلاق اصطلاحاً:

(العلم الذي يبحث في قواعد سلوك البشر، والأخلاق أمر مقصور على بني الإنسان، وقد يقودهم، إلى القيام بتصرفات تخالف تلك التي تدفعهم إليها غرائزهم، على عكس الحيوانات التي تتصرف دوماً حسب غرائزها [2].

المسؤولية الأخلاقية:

- ما يتحمله الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية، من الناحية السلبية والإيجابية، أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة.[3].

---

(1) مقداد بالجن ، التربية الأخلاقية الإسلامية'دار الفكر العربي؛ الطبعة الخامسة 1995ص126.

(2)المرجع السابقص59.

(3)المرجع السابقص63.

المبحث الثاني

بيان حقيقة المنهج الخفي: (مصادره خصائصه وآثاره)

أولاً: مصادر المنهج الخفي:

تتمثل مصادر المنهج الخفي في الآتي:[1]

(1)من أقوى مصادر المنهج الخفي عقيدة المعلم وقناعاته أفكاره، فهو ليس ناقل للمعرفة فقط وإنما هو أكثر من ذلك يحمل قيماً ومثل وله اتجاهات لها تأثير في سلك الطلاب'وكذلك طبيعة العلاقات الاجتماعية لمنسوبي المؤسسات التعليمية المعينة، وبيئة المعلمين والآباء، والجو السائد في الأسر، وما يبث في الإعلام العالمي والمحلي، وما يقدم في وسائط التربية عموماً، كل ذلك من مصادر المنهج الخفي، ومن الأهمية بمكان مراقبة هذه المصادر وتصحيح المناخ الاجتماعي العام في الأسر وبين أفراد المجتمع، والعمل على سيادة القيم والمثل العليا في الحياة الاجتماعية، وفي كل وسائط التربية.

(2) كل الخبرات السابقة التي يأتي بها الطالب من أسرته والمجتمع إلى المدرسة من عادات وتقاليد، وما يؤمن به من قيم واتجاهات..كل ذلك وغيره يندرج تحت مصادر المنهج الخفي وله تأثير كبير على سلوك التلاميذ أكثر من غيره.

ثالثاً: خصائص المنهج الخفي :

المقصود بخصائص المنهج الخفي هي الصفات التي يتميز بها هذا المنهج على بقية المناهج، ومن هذه الخصائص[2]:

1- المنهج الخفي يرتبط بعملية التعليم المصاحب، وتأثيره أكبر من المنهج الرسمي، لذلك على المؤسسات التعليمية أن تضع ذلك في الاعتبار وتتبنى منظومة قيميةيعمل

---

(1) محمد محمود، الحيلة طرائق التدريس واستراتيجياته ،مرجع سابق، ص 26.

(2) رابط الموضوع : 2017http://elraaed.com/ara/new

الجميع على إكسابها الطلاب، ويتم تطبيقها من خلال القدوة وممارسات هيئة التدريس، ومن خلال النظم والقوانين السائدة في المؤسسة، وتحسين البيئة التعليمية.

2- إن تأثير المنهج الخفي كبير وإن المنهج الرسمي مهما بلغ من الثراء والملاءمة لا يؤثر في حياة الدارسين وسلوكياتهم واتجاهاتهم إذا لم يعضده ويوافقه المنهج الخفي[1].

3- المنهج الخفي سلاح ذو حدين له طبيعة الهدم والبناء، وعليه ينبغي الاستفادة من جوانب البناء فيه وتجنب جوانب الهدم، وتلافي التباين بين المنهجين، وتقصير المسافة بينهما.

4- صعوبة التحكم في المنهج الخفي والحد من آثاره السلبية، ولكن يمكن توجيهه نحو الأفضل.

5- يختلف محتوى المنهج الخفي في كل بيئة شأنه في ذلك شأن المنهج الرسمي[2]

رابعاً: آثار وخطورة المنهج الخفي:

إن تأثير المنهج الخفي أو الضمني كبير يستحق كل الاهتمام، وعلى القائمين على العملية التعليمية تقدير هذا الدور؛ وتوقع ما يحدثه هذا النوع من المناهج علي سلوك التلاميذ، فالتلميذ الذي يدرس في المقرر الدراسي:(أن التدخين ضار بالصحة) ويرى الأستاذ يدخن أمامه، لا شك فإن هذا التلميذ سيتنازع بين الحقائق التي يدرسها في المنهج الرسمي وبين الواقع الذي يراه أمامه كل يوم من بعض أساتذته!. وعلى التربويين أن يكونوا مستعدين ومتوقعين ما يحدثه المنهج الضمني أو الخفي، وأن يعرفوا كيف يتعاملون معه؛ والمعلمون خصوصاً يؤثرون علي سلوك التلاميذ عبر القدوة والملاحظة الدقيقة والتوجيه المستمر والمباشرة، وغير المباشر.

---

(1) إسحاق أحمد فرحان وآخرون، المناهج التربوية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، الطبعة الثانية، 1999، ص123.

(2) الرابط : 2017 http://elraaed.com/ara/news/

خامساً: خطورة المنهج الخفي إذا تناقض مع المنهج الرسمي يؤدي ذلك إلى الصراع لدى الطلاب لاختلاف بين ما يتضمنه المنهج الرسمي وما يتعلمونه، وبين ما يشاهدونه في الحياة اليومية فمثلاً:

(1) يتعلم الطالب من خلال المنهج الرسمي إن التربية الإسلامية تدعو إلى غض البصر عما حرم الله ويقرأ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1] ومع ذلك يرى معلمته في واد آخر من هذه القيم والتوجيهات التي حددتها الآيات الكريمة من سورة النور ويرى كذلك معلمه لا يغض بصره ويشاهد النساء الكاسيات العاريات المتبرجات، ولا يتورع عن الاختلاط والخلو بمن لا يجوز له بهن من الأجنبيات، مشاهدة القنوات الفاضحة والأفلام الخليعة، كيف يستقيم سلوك هذا الطالب الذي يعيش في مثل هذا الواقع؟! نستطيع القول: كل ذلك بعدم مراعاة - من القائمين على أمر التربية والتعليم وغيرهم- دور المنهج الخفي وأن له القدرة على هدم ما يبنيه المنهج الرسمي.

(2) يتعلم الطالب من خلال المنهج الرسمي إن الصلاة واجبة والتأكيد عليها ويقرأ قوله تعالى: (إِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً)[2]. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر))[3] ومع ذلك يرى الطالب بعض العلمين يتهاونون في أداء الصلاة، بل وهناك من يأمر طلابه بالذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة وهو ينتظرهم جالساً في المكتب يدخن!!! وبعد

(1) سورة النور الآية 31..

(2) سورة النساء الآية ١٠٣

(3) الترمذي، سنن الترمذي، دار القلم للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الخامسة، ج 3، ص239

عودتهم من المسجد يعطيهم الحصة عن الصلاة وأهميتها وخطورة التهاون فيها...! ألا يتنازع هؤلاء الطلاب بين الواقع الذي يشاهدونه أمامهم في كل يوم من بعض أساتذتهم وبين الحقائق التي يدرسونها في المنهج الرسمي!؟ هذا هو أثر المنهج المستتر أو الضمني.

(3)يتعلم الطالب من خلال المنهج الرسمي إن التربية الإسلامية تدعو إلى العفو والتسامح وتنادي بهما، وتدعو إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، ويقرأ قول الرسول ﷺ:(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا،وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[1]ويقرأ قوله: (سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ❖الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[2]ولكنه يرى في الممارسة العملية بين المسلمين مقابلة الإساءة بإساءة، أبلغ منها وأشنع، بل ويرى التفنن في البذاءة والسخافة وكل صور القطيعة والأنانية، ألا يؤثر كل ذلك على سلوكه ويجعله يتجاهل كل ما تدعو إليه التربية الإسلامية في المنهج الرسمي من التسامح والمبادرة بالعفو وترك هجر المسلم!؟

(4)4- يتعلم الطالب من خلال المنهج الرسمي إن التربية الإسلاميةتنهى عن الغيبة والنميمة ويقرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(أتدرون ما الغيبة؟)قالوا:الله ورسوله أعلم،قال:(ذكرك أخاك بما يكره)قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟قال:(إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته،وإن لم يكن فيه ما تقول فقد

---

(1) العلامة القاضي أبو الفضل عياض إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.net

(2) سورة آل عمران، آية133_ 134.

بهته)[1] ويقرأ قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)[2] ولكنه مع ذلك يرى الغيبة تمارس على نطاق واسع وقد أصبحت فاكهة المجالس بين بعض المعلمين ومن هم في موقع القدوة والصدارة في المؤسسة التعليمية وغيرها في الحياة العامة .

(5)يتعلم الطالب من خلال المنهج الرسمي إن الله أمر المسلمين بأن يجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن،وأن يسود بينهم الاحترام المتبادل،ويقرأ قوله تعالى:(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[3] ولكنه يرى الطالب المعلم أو القائد، أو المدير داخل المدرسة لا يرى قبولاً للرأي الأخر ما لم يوافق رأيه.

(6)يتعلم الطالب من خلال المنهج الرسمي إن التربية الإسلامية تقوم على مبدأ : من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل، ويقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم:(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)،ومع ذلك يشاهد بعض المعلمين والإداريين لايبالون بالغياب أو الحضور، يأتون متأخرين عن بدء الحصة ويخرجون قبل نهايتها دون وازع من دين وأخلاق ويتعاملون مع الزمن باستهتار شديد، ولا يتفانون في أداء ما يوكل إليهم من أعمال، كل ذلك يؤثر في سلوك.....؟

(7)يقرأ الطالب في المنهج الرسمي قول الرسول صلى الله عليه وسلم:عن أبي هريرة،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال:(لا تحاسدوا ولا تباغضوا،ولا تناجوا،ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض،وكونوا عباد الله إخوانا،المسلم أخو

(1) الإمام النووي، الأذكار النووية، دار الفكر بيروت، الطبعة التاسعة، جـ1ص 252.

(2) سورة الحجرات آية ١٢.

(3) سورة العنكبوت، آية46.

المسلم،لا يظلمه ولا يخذله،ولا يحقره،التقوى هاهنا يشير إلى صدره ثلاث مرات،بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم،كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[1]ويرى معلماً يحرض على قتل المسلمين أو يفرح لمقتلهم، يحدث مثل هذا خصوصاً حين ينحط مستوى الأمم السلوكي والفكري فيتحول المجتمع إلى غابة تحكمها قوة العصابة فيكون الاستخفاف بالدماء والأرواح ويتنحى فيها الحق والمنطق إلى ركن قصي، وهي حالة تتكرر في كل زمان ومكان[2]وخير شاهد ما يعانيه العالم اليوم في ظل النظام العالمي الجديد والهيمنة الغربية واستعلاء اليهود وفرض مبادئهم وأفكارهم على البشرية بالقوة. ومن لا ينصاع لذلك فسيكون مصيره الدمار والهلاك والفناء، وإهدار الكرامة باسم العدالة والقانون والشرعية الدولية، كل ذلك يجعل الطالب يعيش في صراع بين ما يتعلمه في المنهج الرسمي وبين ما يجده في الواقع المعاش.

سادسا: إذا تناقض المنهج الخفي مع المنهج الرسمي يؤدي إلى هدم المنهج الخفي ما يبنيه المنهج الرسمي، يحدث هذا إذا لم يتم التخطيط له كما يخطط للمنهج الرسمي، ويعطى الاهتمام اللازم والتوجيه المناسب، وإذا لم يتم توحيد هدفيهما[3].

(1) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ،الكتاب الآداب،دار الفكر بيروت، الطبعة التاسعة ،ج8، ص109.

(2) الوصية النبوية' فاروق حمادة،(د- ن) و(د- ط) و(د- ت)'ص50

(3) الرابط http://elraaed.com/ara/news/2016

المبحث الثالث

بيان المسؤولية الأخلاقية في التربية الإسلامية

أولاً: مفهوم المسئولية:

المسؤولية في اللغة مشتقة: من السؤال وهي تعني من كان في وضع السؤال والمساءلة. وهي في الاصطلاح: (ما يتحمله الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية، من الناحية السلبية والإيجابية، أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة)[1] وهي (الوضع الذي يجب فيه على الفاعل أن يسأل عن أفعاله ويعترف بأنها أفعاله و يتحمل نتائجها)[2]. وهي من الأسس التي يقوم عليها الفكر التربوي الإسلامي.

ثانياً: مكونات القيم الأخلاقية وعلاقتها بالمناهج:

ينبغي الاهتمام بمكونات القيم الأخلاقية على المستويات الآتية:

1- **المكون المعرفي:** ومعياره الاختيار أي انتقاء القيم من أبدال مختلفة بحرية كاملة بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء كل بديل ويتحمل مسؤولية انتقائه بكاملها وهذا يعني أن الانعكاسات اللاإرادية لا يشكل اختياراً، فلابد من استكشاف البدائل الممكنة، والنظر في عواقب كل بديل ثم الاختيار الحر، وهذا يتطلب إعطاء الطالب الجامعي معلومات كافية من خلال المناهج الجامعية معلومات تمكنه من الاختيار الأنسب للقيم الأخلاقية وفق تعاليم الدين الإسلامي وعادات وتقاليد المجتمع السوداني، من هنا ندعو إلى دراسة مبادئ تعاليم الشريعة الإسلامية في كل التخصصات من أجل تكوين ثقافة إسلامية شاملة لدى جميع طلاب الجامعة، بمختلف تخصصاتهم، وبهذا يحقق الطالب المكون المعرفي للقيم الأخلاقية، ويعرف المنظومة القيمة التي يحث عليها ويدعو لها الدين الإسلامي.

---

(1) مقداد ي الجن؛ التربية الأخلاقية الإسلامية؛ دار الفكر العربي؛ الطبعة الخامسة 1995 ص352

(2)المرجع السابق ص356

2- **المكون الوجداني:**

وهذا من أهم مكون القيم الأخلاقية، وهو أن يأخذ الطالب بالقيمة وهو في غاية السعادة والسرور وليس كارهاً لها، ويتكون ذلك من خطوتين متتاليتين هما: الشعور بالسعادة لاختيار القيمة المعينة، وإعلان التمسك بها على الملأ. والقرآن الكريم جاء معبراً عن هذا المعنى في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [2]وعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) [3] أي لا يؤمن الإيمان الكامل حتى يكون هواه، أي ميله ومزاجه وإرادته تبعاً لما جاء به أي الشرع،فلا يلتفت إلى غيره،يفيد الحديث وجوب الانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يتخلى الإنسان عن هواه المخالف لشريعة الله.

ينبغي أن يكون هذا الحديث المعيار الدقيق لقياس سلوكيات خريجي الجامعات، ولكن من ينظر إلى مخرجات التعليم في كثير منها- إلا من رحم الله- شخصيات مهزوزة ومهزومة من الداخل في مجال القيم الأخلاقية غير واثقة من نفسها ومن قيمها؛ وتحسن تقليد الآخرين والتشبه بهم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث قال:(لتتبعان سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع،حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه)قالوا يا رسول الله:اليهود والنصارى؟قال:(فمن)؟.

---

(1) سورة النساء: ٦٥.

(2) سورة الأحزاب: ٣٦.

(3)عليم الأحب أحاديث النووي ، ابن رجب الحنبلي، موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.net/

قال ابن عيينة: كان يقال من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ،ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى[1].

والقيم الوجدانية غير قابلة للملاحظة نسبياً ،وترتبط بعملية التعليم المصاحب والقدوة وتأثيرها ودور المنهج الخفي فيها أكبر من المنهج الرسمي، لذلك على الجامعات أن تأخذ ذلك في الاعتبار وتتبنى جميعها منظومة من القيم الأخلاقية وتعمل على إكسابها طلاب الجامعة في التخصصات المختلفة عبر مصادر المنهج الخفي لأن تأثيره كبير والتغيرات فيه بطيئة وتستلزم جهداً كبيراً.

مثال: نريد أن نقيس حب الطالب للصلاة أو للقراءة أو حب واحترام الآخرين مثلاً ،فالحب شأن داخلي لا نراه،ولكن نستطيع ملاحظته وتنميته من خلال القدوة وبعض الأنشطة المصاحبة، وهذا الأمر ربما يتطلب وقتاً أكثر حتىتنمي فيه الجانب الوجداني الانفعالي... وهناك مقاييس خاصة لملاحظة سلوك الطلاب من الناحية الانفعالية مثال : فيما إذا كان قد حقق هذا الهدف أو لم يحققه فأول ما يقوم به الدارس هو الاستماع و استقبال المعلومة ثم يناقش ويستجيب ثم يقتنع داخلياً ويقوم بتمثل القيمة ثم تنظيم هذه القيمة ثم يتقمص القيمة وهذا التقمص يؤدي إلى تعديل سلوكه وإعلان القيمة على الملأ. ولعل هذا التدرج في مستويات القيم الوجدانية قد أشارت إليه الآية الكريمة في قوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2].

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية(وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب)[3].

---

(1)ابن رجب الحنبلي، عليم الأحب أحاديث النووي،موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.ne

(2) سورة التوبة الآية 24

(3) عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي بيروت 1405هـ ج 4ص14

3- **المكون السلوكي**:ومعياره(الممارسة والعمل)أو(الفعل)ويشمل الممارسة الفعلية للقيم أو الممارسة على نحو يتسق مع القيم المنتقاة على أن تتكرر الممارسة بصورة مستمرة في أوضاع مختلفة كلما سنحت الفرصة لذلك. ومن الملاحظ على أن بعض المقررات في المناهج الجامعية الحالية؛ لا تهتم بالجانب العملي التطبيقي للقيم ولا تراقب ذلك، بل وبعضها لا يمت بصلة لحياة هؤلاء الطلاب، ولا يمت بصلة إلى القرن الحالي!وعاجز عن الاستجابة لنداء وأشواق الطالب ومجتمعه وعاجز كذلك عن الاستجابة لنداء سوق العمل. كما أن هذه المناهج تقدم بشكل مجزأ غير مترابط وتركز على الجوانب المعرفية فقط، وتهمل الجوانب المهارية والوجدانية رغم أهميتها.

ثانياً: أهمية التربية الأخلاقية: التربية الأخلاقية هي المقياس الصادق الذي تقاس به حضارة الشعوب، ونهضة الأمم. بل هي الأساس المتين الذي تبنى عليه عظمة الأمم وارتقاؤها؛ فما ارتقت أمة في العالم القديم أو الحديث إلا وكان سببُ ذلك سمو أخلاقِ أفرادها.

وفي الإسلام يدخل الأخلاق في نطاق كل سلوك إرادي صادر من إنسان راشد ، وليس السلوك هو الفعل الظاهر فحسب بل إن عمل القلب من النية والإرادة والاعتقاد يدخل ضمن السلوك و تترتب عليه المسئولية و الجزاء كما تترتب على الفعل المادي الظاهر، وهذا ما يميزه عن القانون بالإضافة إلى ان القانون يعاقب المسيء دون مكافأة المحسن .

ثالثا: الأخلاق في الفكر التربوي الإسلامي: تتغلغل الأخلاق في الإسلام في جميع النشاط الإنساني فهي جزء لا يتجزأ من الدين، وتدخل في جميع التعاليم الإسلامية، وهذا يتضح من خلال الأهداف التربوية للمنهج التربوي الإسلامي، وهو منهج متكامل يسعى إلى تربية الإنسان تربية شاملة، عقلا وروحًا، وجسماً ووجداناً. ويجعله قادراً على عمارة الحياة، وترقيتها، تحكمه قيم مصدرها الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، هو أساس التفاضل بين الأفراد، كما تهدف إلى تربية جيل محصن من الوقوع في الانحرافات، جيل يؤمن بالله ويعتز بعقيدته، وقيمه الإسلامية؛ جيل يؤمن بأنه

مستخلف في الأرض ليعبد الله؛ بالمعنى الشامل للعبارة، تقوم علاقاته على أساس التعاون والتوادد[1]. وعليه فإن التربية الإسلامية تعمل إلى إدخال القيم الأخلاقية في جميع عملياتها التربوية، بحيث تكون عادة يتربى عليها الإنسان. وآيات القرآن وأحاديث الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم واضحة في بيان ذلك نذكر منها قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[2]. وهذه الآيات ذاخرة بالقيم الأخلاقية في جميع مجالات الحياة، منها قيم التواضع وقيم العفو والتسامح، وقيم العبادة والإقبال على الله بالدعاء والتبتل، وقيم البذل والإنفاق في سبيل الله مع الاعتدال في ذلك، وحرمة الدماء وقيم العفة والبعد عن الزنا، وقيم التوبة، وحفظ اللسان من اللغو وشهادة الزور، وقيم الاستماع إلى الحق وعدم الإعراض عنه، وأدب طلب الأبناء والذرية الصالحة، وأن يكون قدوة ومقدماً للأتقياء من عباد الله الصالحين.

---

(1) عزت جرادات ومصطفى أبو الشيخ، المؤتمر العالمي الثامن للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الشباب المسلم والتحديات المعاصرة، أبحاث المحور الثالث، التحديات الاجتماعية والتربوية، المناهج التربوية المعاصرة وأثرها على الشباب، ص7.

(2) سورة الفرقان الآيات 63- 74.

رابعاً: أهمية قيم المسؤولية الأخلاقية: من أبرز العوامل التي تحتم دراسة قيم المسؤولية الأخلاقية دراسة علمية؛ ما أحدثته الثورة العلمية والتكنولوجية من تغيير ثقافي وإعادة تشكيل الكثير من معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة، مما أدى إلى الاهتزاز ألقيمي وعدم الاستقرار في القيم الموروثة والمكتسبة على حد سواء وبالتالي عدم مقدرة أفراد المجتمع خاصة الشباب على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ ومن ثم ضعفهم في الانتقاء والاختيار بين القيم المتصارعة[1]. ومن هنا فإن دراسة القيم ضرورية ولازمة للفرد والمجتمع على حد سواء، فهي ضرورية للفرد في تعامله مع الأشخاص والمواقف، ليتخذ من القيم موجهاً لسلوكه ونشاطه. وهي لازمة لأي تنظيم اجتماعي، حتى تنتظم أهداف الجماعة ومثلها العليا، كي لا تتضارب قيمها وبالتالي ينتابها صراع قيمي يؤدي بالتنظيم الاجتماعي إلى التفكك والانهيار[2].

خامساً: وظائف قيم المسؤولية الأخلاقية:-

للقيم وظائف في الحياة منها: [3].

1. تزويد الفرد بشعور داخلي نابع من صميم الذات.
2. تمكن الفرد من ضبط النفس وتحديد توقعاته من الآخرين.
3. تعد وسيلة للحكم على سلوك الأفراد لأنها عبارة عن معايير.
4. تزود الفرد بالوعي اللازم لمعرفة الأمور والتمييز بين الصواب والخطأ والمرغوب والمرفوض والأخلاقي وغير الأخلاقي.
5. تشكل إطاراً عاماً للجماعة ونمطاً من أنماط الرقابة الداخلية في حركتها ومعايير تصرفها.

---

(1) عبد الرحيم عوض أبو الهيجاء، القيم الجمالية والتربوية؛ دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008، الأردن- عمان ص44.

(2) المرجع السابق، ص45.

(3) عبد الرحيم عوض أبو الهيجاء، القيم الجمالية والتربوية، المرجع السابق، ص47

أنواع المسئولية الأخلاقية:

هناك ثلاثة أنواع وهي :

1. المسئولية الدينية: وهي الالتزام أمام الله.
2. المسئولية الأخلاقية المحضة: وهي الالتزام الشخصي من الإنسان نفسه بالإتيان بشيء أو الانتهاء عنه.
3. المسئولية الاجتماعية: وهي الالتزام تجاه الآخرين وما يفرضه المجتمع من قواعد آمرة وناهية .

ويصور الرسول ﷺ المسؤولية الاجتماعية المشتركة الملقاة علي عاتق المسلمين جميعاً في السير بالجماعة إلي بر الأمان، والعدل والخير، في حديث النَعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ (مثل القائم على حدود الله الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذي في أعلاها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا فإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جمعياً وإن تركوهم هلكوا وهلكوا جميعاً)[1] وفي حديث آخر يقول الرسول ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[2] من أجل ذلك شرع الإسلام مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبين بأن أي خلل يصيب البناء الاجتماعي بسبب التهاون والتساهل في المسؤولية، يكون بمثابة علامة خطر أكيد يهدد كيان الجماعة كلها والتي مثل لها الرسول ﷺ بركاب سفينة فيهم الصالح والطالح؛ والبر والفاجر، فإن تنازل أهل الصلاح عن مسؤوليتهم؛ وتركوا الأشرار يسرحون ويمرحون ؛ فإن البناء سيتصدع والسفينة ستستقر بمن فيها في قاع البحار[3].

(1) أخرجه البخاري:ج2ص882، كتاب الشراكة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم:2361

(2) أخرجه مسلم:ج1ص65، كتاب الإيمان ، باب تفاضل الإسلام ونصف أموره أفضل، حديث رقم:40.

(3) عماد الدين خليل؛العدل الاجتماعي؛ عالم الكتب بيروت؛ الطبعة السادسة؛ ؛1998ص 84 .

وتأسيسًا علي هذا فإنّ كل فرد في المجتمع مكلف بهذا الواجب قدر استطاعته ووفق حدود إمكاناته؛ يقول الرسول: (من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[1].

ولا يمكن أن يكون الشخص صاحب خلق ما لم يكن آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر؛ ويتكون عنده الشعور بالمسئولية الأخلاقية. والقرآن يذكرنا بنملة نبي الله سليمان عليه السلام التي استشعرت المسؤولية الذاتية ونصحت قومها، في قوله تعالى:﴿... حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[2]ومجيء كلمة (نملة) نكرة لها دلالة علي أن المسؤولية لا تستثنى أحداً. والقرآن يذكرنا بقصة ذلك الرجل المؤمن الذي استشعر المسؤولية، وكتم إيمانه ؛ وتسبب في إسلام أمة. وباستشعار هذه المسؤولية انتشر الدين وحفظت قيمه؛ حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم يحملون هم نشر تعاليمه والدفاع عنه ، فهذا سيدنا أبو بكر رضي الله عنه لما أسلم لم يسكت، بل دعى إلي الإسلام ؛ وأسلم علي يديه أكثر المبشرين بالجنة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وإذا قل اهتمام الناس باستشعار المسؤولية ولم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر؛ ساد الفساد في مناحي الحياة، كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع وإنه لا يحل لك ثم يلقاه الغد لا يمنعه من ذلك أن يكون أكيله وشريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، كلا، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً وليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم بلعنكم

(1) أخرجه مسلم:ج1ص69،كتاب الإيمان ،باب النهي عن المنكر من الإيمان ، حديث رقم:49.

(2)النمل آية 18 .

كما لعنهم) [1].ويقول الرسول ﷺ (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فرده، وإن كان مظلوماً فأنصره) [2].

والمتأمل في معظم الجرائم التي تحدث في المجتمع أساسها عدم سيادة الشعور بالمسئولية، وإن استحضار المسئولية هو الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون الوقوع في المخالفات الشرعية. ويقول الرسول ﷺ (المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته يحطه من ورائه) [3]. ويقول ﷺ:(الدين النصيحة قلنا لمن يا سول الله. قال: لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم) [4].

ويقول الرسول ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [5].

شروط ترتب المسئولية:

لكي يكون الإنسان مسئولاً عن تصرفاته فقد حددت التربية الإسلامية شروطاً، لا بد من استيفائها منها:

1- اكتمال الصحة والأهلية: أن يكون صاحب العمل أو السلوك الأخلاقي عاقلاً مكتمل الصحة والأهلية [6] فليس على الأعمى حرج ولا على المريض حرج ولا على المجنون ولا على النائم حرج. لأن هؤلاء خارجون عن نطاق اكتمال الصحة والأهلية والمسئولية.

---

(1) أخرجه أبو داود: ج4ص121، كتاب الملاحم ،باب الأمر والنهي ، حديث رقم:4332.

(2) أخرجه البخاري: ج6ص2550، كتاب الإكراه ،باب يمين الرجل لصاحبه حديث رقم: 6552

(3) أخرجه أبو داود: ج4ص280، كتاب ، باب النصيحة والحياطه ، حديث رقم:155.

(4) أخرجه مسلم : ج1 ص74 ، كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة حديث رقم: 55.

(5) أخرجه البخاري: ج5ص2238، كتاب الإكراه ،باب رحمة الناس والبهائم ، حديث رقم:5665.

(6) محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، (د- ط)، 2007، ص161 .

2- الحرية ومعنى ذلك أن يكون العمل الذي يقوم به الإنسان عملاً إرادياً، وهذا يعني أن يكون للفاعل حرية تنفيذ المختار، فلا يتحمل الإنسان إلا نتائج الأفعال التي يأتيها مختاراً مدركاً لمعانيها ونتائجها.

3- النية والقصد والإرادة من وراء الفعل أو السلوك: فلكل عمل نية أو قصد أو إرادة أو دافع له.

هكذا تتحدد الأعمال في الإسلام بالنيات، والدوافع الباعثة عليها ؛ ومن ثم فإنّ المسئولية الحقيقية تكون حسب النية،دون النظر إلى السلوك الظاهري، ولذلك تلغى أعمال المرائيين، والمنافقين، مهما كان ظاهرها الصلاح(1).

يقول الإمام الشاطبي(إن مجرد الأعمال المحسوسة فقط؛غير معتبرة شرعاً على حال، إلا ما قام الدليل على اعتباره في باب الوضع خاصة)(2).

يقول ابن حزم (النية هي سر العبودية ومحلها من العمل محل الروح من الجسد)(3).

وقد ورد عن عمر بن الخطاب،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات،وإنما لكل امرئ مانوى،فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله،ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)(4).

4- العلم بالفعل: وهذا أن يكون الإنسان واعياً لطبيعة عمله، و سلوكه، ونتائج تصرفاته؛ وما يعود عليه من نفع أو ضرر، على نفسه أو غيره، عاجلاً أم آجلاً، مباشرة أو غير مباشر، فإذا لم يكن عالماً بقصده من الأفعال وما سينجم عنها؛

---

(1) عباس طه، الإسلام ومكارم الأخلاق دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان الطبعة الخامسة؛2003 ، ص97.

(2)الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة،(د- ن) و(د- ط) و(د- ت)ج1ص149.

(3) ابن حزم، أحكام الأحكام دار العلم للملايين؛ بيروت الطبعة العاشرة،(د- ت)ج ج2ص707 .

(4) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، كتاب الآداب ج4،ص164.

فلا معنى أن يكون مسئولاً عن تصرفاته[1]. وهذا ما أشرنا بالمكون المعرفي للقيم، وتتم معرفة الآداب

5- القدرة على إتيان الفعل وتركه: فلا مسئولية مع العجز. وتكون درجة التكليف والمسئولية، بقدر الهبة الربانية. وما لا يقدر عليه الإنسان هو خارج دائرة مسئوليته[2]. ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[3]، فلا مسؤولية على العاجز وهو الذي لا تبقى معه القدرة على الاختيار[4]. ولذلك لا يسأل العبد عن الأفعال التي تقع خارج قدرته. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ،وعن الصغير حتى يكبر،وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق)[5]، لأن هذه أمور تخرج عن استطاعة الإنسان وقدرته. فالله سبحانه وتعالى لا يكلف عباده بما لا يطيقون. وهذا مطلق العدل. وعندما يكلف الإنسان إنساناً آخر فوق طاقته وفوق قدرته فإن هذا هو الظلم بعينه والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك وأمرنا بالابتعاد عنه .

6- الحرية: ومن هنا يرتبط العمل أو السلوك الأخلاقي بحرية الفرد في ممارسة وأداء عمله وواجباته من ناحية، وبمسئوليته عن استخدام هذه الحرية من ناحية

---

(1) عبد الكريم عثمان، نظرية التكليف، آراء القاضي عبد الجبار، دار العلوم بيروت، الطبعة التاسعة، ص 57.

(2) عبد الرحمن حسن ، الأخلاق الإسلامية، مرجع سابق،ص134.

(3) سورة البقرة آية 286.

(4) الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة مرجع سابق ج1 ص150.

(5) التقي السبكي ، إبراز الحكم من حديث رفع القلم ، موقع الوراق http://www.alwarraq.co

أخرى، والمسئولية ترتبط بالجزاء. كما أن حرية الفرد تدور في الإطار الاجتماعي فليس هناك حرية في فراغ. وحرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين وإن المرء يحاسب على نتيجة فعله ويتحمل مسئولية هذه النتيجة إذا كان هو الذي يقوم باختيار الفعل بحريته. وعليه إذاً أن يتحمل مسئولية ما فعله. لأن الحرية تعنى المسئولية، والمسئولية يترتب الجزاء خيراً أو شراً[1].

---

(1) محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، (د- ط)، 2007، ص169.

المبحث الرابع

خصائص المسؤولية الأخلاقية وكيف يمكن مواجهة الانحرافات الفكرية لدى الطلاب

للحد من الانحرافات الفكرية والسلوكية لدى الطلاب لابد من عمل تدابير منها:

1. نشر قيم المساواة والعدل وفق أساليب علمية في مختلف المعاملات واحترام حقوق الطلب في التعلم والنشاط العام وتوفير فرص الممارسة المنهجية، وأن يكون ذلك جزءًا من المنهج العام للمؤسسة والعمل على المحافظة على تماسك المجتمع ووحدته.
2. الاهتمام بإكساب الطلاب المفاهيم الدينية الصحيحة وغرس قيم حب الخير والعمل في نفوس الطلبة، وأن يكون من أهداف المنهج نشر الفكر الإسلامي الوسطي، وتحقيق معنى التسامح والإخاء والسلام ونبذ الأفكار المشوهة والمضللة.
3. إبعاد الشخصيات التي تحمل أفكاراً متطرفة، من الحقل التعليمي والتربوي.
4. تعويد الطلاب على ممارسة مهارات تحمل المسؤولية الأخلاقية والثقة بالنفس، وتعويدهم على تكوين الصداقات السليمة، والتوجيه المستمر والمتابعة اللصيقة.
5. التنسيق مع أولياء الطلاب وقادة المجتمع والاستفادة من خبراتهم. ومتابعة الظواهر السلوكية العامة لدى الطلبة وتعاون الجميع في تصحيحها، وتهيئة المناخ والبيئة الصالحة التي تساعد على تحقيق أهداف المنهج الرسمي،
6. الاهتمام بالأنشطة المصاحبة وأن تكون جزءًا من المنهج الرسمي[1].
7. الاهتمام بأوقات فراغ الطلبة وتشجيهم على التعبير عن آرائهم وعقد فعاليات ثقافية رياضية واجتماعية من أجل صقل مواهب الطلاب .
8. عقد ندوات فكرية واستضافة شخصيات لها تأثير على الطلاب ومتخصصة في موضوعات الانحرافات الفكرية والسلوكية.
9. مراقبة أسباب العنف والصراعات والميول إلى الأفكار غير السوية بين الطلاب ومعالجة تلك الأسباب[1] .

---

(1) هالة مصباح البنا، الإدارة المدرسية المعاصرة دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الأولى، 2013، ص 522.

10.معلوم أن لكل مقرر هدف؛ ولكل درس في المقرر هدف، ثم المقررات كلها تتجه لتحقيق هدف واحد وهو هدف المؤسسة.

فلابد من وضع آلية لمتابعة المعلم وأن يكون علي علم بأهداف المؤسسة عامة وأن يعرف ما يسهم به المقرر الذي يقوم بتدريسه،وأن يكون قدوة في تحقيق أهداف المؤسسة، وبمراعاة ذلك يكون ناجحاً في أداء رسالته.

من أسباب ضعف قيم المسؤولية الأخلاقية في مخرجات التعليم:

باستقراء الباحث مخرجات التعليم العالي يجد المتابع بعض أسباب لضعف القيم لدي الخريجين من هذه الأسباب:

1- **الاختلاط في الجامعات:**الإسلام وضع ضوابط واضحة لعلاقة الرجل بالمرأة ، وأي تساهل أو تجاوز لهذه الضوابط يترتب عليها أضرار تربوية واجتماعية سواء كان ذلك في مؤسسات التعليم أو غيرها في مرافق الحياة المختلفة.

2- **ضيق نطاق الخصوصيات بسبب وسائل الاتصال الحديثة:** لكل مجتمع خصوصياته،فالمجتمع السوداني مجتمع محافظ في عمومه، والسلوك الإسلامي ظاهر فيه، ولكن هذه الخصوصيات بدأت تضيق أو وتقل تدريجياً من خلال الانفتاح على الثقافات الوافدة والمعرفة المتدفقة و إن الشاب الجامعي أو الفتاة الجامعية، ليس بينهما وبين أن يتصلا بأي ثقافة أو أي شخص في العالم إلا مجرد ضغطة زر وينفتح من خلالها على العالم الآخر كله، وبهذا تزول الخصوصيات والحواجز، وهذا له تأثير كبير على سلوكيات الطلاب حتى ولو كانوا منحدرين من أسر محافظة ومتدينة.

3- **غياب دور الأسرة:** كان للأسرة دور كبير،وكانت الأسرة وحدة واحدة، وكان الأفراد جميعاً يعملون في إطار ومحيط الأسرة، وكان الأب يورث لأبنائه القيم والمبادئ الأخلاقية ويورثهم مهنته ويعملون معه في الحقل والمتجر والرعي،

---

(1) المرجع السابق،ص523.

وكانت الفتاة تعيش وقتاً طويلاً مع أسرتها تتعلم من أمها كل شيء، ولكن في هذا العصر تقلص دور الأسرة وتغير ميادين العمل واتسع التعليم، واليوم أصبح الآباء في صراع مع الآخرين على أبنائهم وبناتهم، وهذا تحد كبير وخطير يواجه التربويين ويتطلب منهم إعادة النظر في العلاقة بين المنهج الرسمي والمنهج الخفي، والاهتمام بالجوانب التطبيقية والعملية في المناهج، والمواءمة بين المنهجين وإيجاد مساحة فيه أكبر للأسرة، من أجل إعادة دورها الرائد في تربية الأبناء والاحتفاظ بالقيم الإسلامية(1).

4- **حصر الدين في الشعائر التعبدية:** وهذه نزعة علمانية (فالدين عندهم بين الإنسان وربه ومحله ضميره الذي بين جنبيه فإن خرج فلا يجوز له أن يتجاوز جدران المعبد، فليس من شأنه أن يوجه الحياة بالتشريع والإلزام..)(2). وهذا تصور خاطئ لفهم الدين الإسلامي و أحكامه: على الرغم من شّمول التربية الإسلامية وأنها تمس كل سلوك يؤديه الإنسان؛ فليس هناك نشاط يقوم به المسلم بدون قيم وآداب؛ ويتفاوت الناس في درجة الالتزام والتّمسك بتلك القيم، حسب تشبّع الإنسان بتعاليم الدين والرغبة في التمسك بما جاء فيه، وتتميز التربية الإسلامية بالإحاطة فلا تقتصر على تنظيم علاقات الإنسان بربه فقط؛ بل تشمل تنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقة الإنسان بالكون الذي من حوله، بمعني أن روح الإسلام سارية في جميع مجالات الحياة، سواء كان ذلك في المجال الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو السياسي، أو الفكري أو غير ذلك فلم يدع الإسلام جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا و رسم لها المنهج الأمثل للسلوك الرفيع، وطلب من الناس أن يعيشوا وفق هذا المنهج، وما أصاب البشرية من انحراف و انحطاط إلا بسبب إزاحة التعاليم والأخلاق الإسلامية عن نشاطها أو

---

(1)http://elraaed.com/ara/news2016

(2) جمال الطاهر حسن أحمد الغزو الفكري، المركز الإسلامي، (د- ن) و(د- ط) و(د- ت) ص 23.

حصره في الشعائر الدينية فقط. يقول محمد قطب: (وأول مجال أزيح فيه القيم والأخلاق هو مجال السياسة، حينما قالوا الغاية تبرر الوسيلة ومعناها بصريح العبارة إسقاط الأخلاق من مجال السياسة وممارسة السياسة بلا أخلاق)[1] ثم أزيحت الأخلاق عن مجال العلم، فلم يعد هدف العلم البحث عن الحقيقة المجردة، بل تدخلت فيه الأهواء، فاستخدم ثماره لإفساد الأخلاق نفسه، وانتشرت أبحاث كاذبة بغرض الإفساد و التضليل، وأزيحت الأخلاق عن مجال الفكر؛ فلم يعد المفكر يحس بأنه ملتزم بأمانة معينة، وأزيحت الأخلاق من مجال العلاقات بين الرجل والمرأة وهي أدق وأهم مجالات الأخلاق، فقيل أن الجنس مسالة(بيولوجية) لا علاقة لها بالأخلاق، وهي مسألة ذكر وأنثى يجري فيها ما يجري بين الذكر والأنثى، بلا قيود ولا أخلاق، وأخيراً أفرغت الأخلاق ذاتها من مضمونها، وقيل ليس هناك ما يسمي أخلاق، إنما هي انعكاس لأوضاع البشرية، اقتصادية، أو اجتماعية، أو نفسية؛ وكلها من صنع الإنسان نفسه، وبسقوط الأخلاق سقطت البشرية في الدرك السحيق[2]. وعلى المناهج الجامعية أن تركز على تعليم الدين بهذا الشمول، وتقوية التدين في نفوس الطلاب في كل المراحل الدراسية.

5- **القدوة**: والقدوة من أفضل وسائل التربية على الإطلاق، وأقربها إلى النجاح، لأنه من السهل أعداد وتخير منهج، وتحديد معايير سلوك فيه؛ ولكن يظل حبراً على ورق، ما لم يتحول إلى حقيقة عن طريق القدوة، ولهذا بعث الله الرسل ليكونوا قدوة لأممهم، ويجسدوا منهج الله على أرض الواقع. وكان الرسول ﷺ قدوة للناس في تطبيق الإسلام عملياً ،وكان هادياً ومربياً بسلوكه، وبالكلام

---

(1) محمد قطب مذاهب فكرية معاصرة دار الشروق ، القاهرة الطبعة الأولى، 1986ص 249 .

(2) المرجع نفسه ص 286.

الذي ينطق به[1].وتكمن أهمية القدوة في العملية التربوية في المثال الحسي الذي يشاهده الدارس، ومن ثم يثير في نفسه قدراً من الاستحسان والتقدير، ويحاول الاقتداء بما استحسنه.

6- **العمل بالمفهوم الضيق للمنهج:** والمفهوم الحديث للمنهج هو مجموع الخبرات التربوية المخططة التي تهيئها المدرسة للطلاب، سواء كان داخل حدود أسوارها أم خارجه، فهو لا يقتصر على الموضوعات أو المواد أو المقررات الدراسية وإنما يشمل: المقررات الدراسية من كتب ومراجع، والوسائل التعليمية والأنشطة الدراسية والامتحانات وأساليب التقويم، وطريقة التدريس والمعلم وإعداده ومؤهلاته، والمرافق العامة من مباني ومعدات وغيرها يدخل ضمن المنهج بمفهومه الحديث[2] فهو نظام مترابط يعمل في الميدان التربوي بجميع مكوناته، بحيث لا تنفصل المقررات في المنهج عن طرق التدريس أو النشاطات أو الوسائل أو الاختبارات أو البيئة المدرسية، وكل المناشط التي تقيمها المؤسسة لتحقيق الأهداف المرسومة، كالأنشطة التي تكون في سكنات الطلاب والرحلات العلمية والدورات بجميع أنواعها وأشكالها والبرامج الرياضية والثقافية واحتفالات التخرج كل ذلك يدخل ضمن المنهج بمفهومه الحديث، والنظرة الضيقة للمنهج من مهددات القيم الأخلاقية في مخرجات التعليم لأن هذه المناشط إذا لم ينظر إليها باعتبارها جزء من المنهج ويجعل عليها رقابة قد تنحرف وتكون أداة لهدم ما يبنيه المنهج الرسمي.

والاهتمام بالتربية الخلقية على كافة المستويات، والتقليل من سيادة وطغيان الجانب المادي والاهتمامات الدنيوية في العلاقات والأعمال بين الناس.

7- **الغزو الفكري والثقافي:** بكل أشكاله ووسائله وأساليبه عبر هذا الفضاء المفتوح.

---

(1) أحمد مدكور، نظريات المناهج العامة، دار العلم للملايين؛ بيروت الطبعة الثالثة، 1981ص76.

(2) أحمد حسين اللقاني، وعلي أحمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية، دار الوفاء للطباعة والنش القاهرة الطبعة الرابعة 2006ص 198.

8- **عدم سن أنظمة وقوانين:** من أجل المحافظة على المبادئ والقيم الأخلاقية العامة وتوقع العقوبات المناسبة على مرتكبي الجرائم الأخلاقية المتجددة .

خصائص المسئولية في التربية الإسلامية:

هناك بعض الخصائص التي تتميز بها المسئولية في الإسلام عن غيرها من الفلسفات التربوية الأخرى، و من هذه الخصائص:

1. توجيه الأفراد للقيام بمسئولياتهم، نحو أنفسهم والآخرين، قبل البحث عن حقوقهم من الآخرين، بخلاف بعض الفلسفات التي تركز على تربية الناس على المطالبة بالحقوق أكثر من الحث على المسئولية، وأداء الواجبات. والفرق بين التربيتين واضح(فحين يوجه الأفراد والجماعات للقيام بمسئولياتهم، نحو الفرد، والأسرة، والمجتمع، والإنسانية، فإنّ الطابع الذي ينظم العلاقات هو العطاء والبذل، وتكون النتيجة؛ المودة والأخوة، والتواصل، وما ينتج عن ذلك من الاستقرار. أما حينما يوجه للبحث عن الحقوق، فإنّ الطابع الذي تتخذه العلاقات، هو الأخذ، الأمر الذي يفضي بهم إلى التنافس والتحاسد والتباغض والقطيعة)[1].

ومن هنا يتبين أهمية، وأفضلية التركيز على أداء المسئولية، أكثر من المطالبة بالحقوق.

2. المسئولية في الإسلام لها دوائر وميادين، بعضها أوسع من بعض، تبدأ بالآتي:

أ- مسئولية الإنسان عن نفسه، وتسمى المسئولية الفردية ، وما يصدر عنها حتى ولو ولم يظهر في شكل عمل مادي فهو مسئول حتى عن الإرادات والمقاصد، والشعور النفسي، والنزوع نحو عمل شيء ما، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[2].وأوضح مثال لهذا قول الرسول ﷺ:(إذا التقى المسلمان

---

(1) ماجد عرسان الكيلاني؛ فلسفة التربية الإسلامية؛ دار السلام بيروت الطبعة العاشرة؛ 1998ص220.

(2) سورة النور آية 19.

بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال كان حريصاً على قتل صاحبه)[1] بمحض النية علي قتل المسلم وجب عليه دخول النار، ولو لم يظفر بقتل صاحبه.

فدائرة المسئولية في الإسلام، تبدأ بالفرد عن نفسه، وسلوكه الداخلي والخارجي، وجميع أنواع القدرات العقلية، والجسدية، والنفسية، التي يتمتع بها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسئولاً﴾[2].

ب- **تليها المسئولية الاجتماعية**، وهي مسئولية الفرد عن غيره، وتبدأ بمسئولية المسلم من أسرته الصغيرة، الأبناء، والزوجين، كل منها على الآخر، ثم الأقارب والأرحام الأقرب فالأقرب، ثم بقية البشر، حتى تشمل المجتمع الإنساني كله، ليس هذا فحسب بل تتسع دائرة المسئولية في الإسلام إلى بقية المخلوقات، كالحيوانات، والجمادات وكل مكونات الكون[3]. يقول الرسول ﷺ: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت لاهي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض)[4].ويدخل أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن هذا المفهوم حيث اعتبر الإسلام إزالة المنكر والأخذ على يد المفسدين من الإيمان، يقول الرسول ﷺ (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فأن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الأيمان)[5].

1- ما يترتب على المسئولية في الإسلام ممتد مهما طال الزمن ولا ينتهي نفعه أو ضرره بموت صاحبه، بل يعيش معه، ويبقى بعده، بمعنى تمتد نتيجة المسئولية في الإسلام إلى الدار الآخرة، ويتقرر مصير المسلم في الآخرة، بموجب أدائه لهذه المسئولية في الدنيا، وهذا له أهميه تربوية عظيمة وهي يعطي الإنسان إحساساً

---

(1) أخرجه البخاري:ج1ص20، كتاب الإيمان باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، حديث رقم:31.

(2) سورة الإسراء آية 36.

(3) ماجد عرسان ، فلسفة التربية الإسلامية' مرجع سابقص225.

(4) أخرجه مسلم: ج4ص1760، كتاب السلام ،باب تحريم قتل الهرة ،حديث رقم:2242

(5) أخرجه مسلم، جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، ابن رجب الحنبلي، ،ص 16

عميقاً ودائماً بمعية الله، وأنه مسئول أمام الله قبل كل شيء ؛ والاعتراف لغيره بما له وعليه من حقوق، ومجاهدة النفس لأداء هذه الحقوق، إرضاءً لله سبحانه وتعالى.[1]، يقول الرسول ﷺ (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيْا)[2].

الآثار التربوية للمسئولية والجزاء الأخلاقي:

استشعار المسئولية والإيمان بالجزاءات التي سوف تترتب على العمل آثار تربوية نذكر منها:

1. الشعور بعدم الإفلات من العقاب عاجلاً أو آجلاً،يحفظ الأفراد من الانحراف والوقوع في المعاصي.
2. ارتباط التربية الإسلامية بالجزاءات المادية، والمعنوية، في الدنيا والآخرة؛ يجعلها محببة، ويقدم الأفراد إلى ممارستها.
3. الجزاءات المتنوعة؛ تتلاءم مع طبيعة الناس، والفروق الفردية التي بينهم، فمنهم من يسعى ليكون سعيداً في الدنيا بين الناس، ومنهم من يميل إلى سعادة الآخرة، ومنهم من يرغب، ويسعى إلى سعادة الدارين[3].
4. تمتاز المسئولية الأخلاقية في الفكر التربوي الإسلامي بالوضوح، والواقعية، وملاءمتها للفطرة العقلية والوجدانية للإنسان[4].
5. شرعت الجزاءات في الفكر الإسلامي من أجل تنظيم المجتمع واستقراره وأمنه، وذلك بنشر الفضيلة بين أفراده.

---

(1) محمد سعيد ، المسئولية الإعلامية في الإسلام؛ دار الفكر العربي بيروت لبنان؛ الطبعة السادسة 1987 ص17.

(2) أخرجه مسلم: ج4ص2060 ، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة ، حديث رقم:2674

(3) المرجع نفسه ص377.

(4) بهجة المعرفة ، الموسوعة العلمية المصورة ج2 ص81 .

6. كل إنسان تحيط به الغرائز وتتنازعه المصالح، فلو ترك وشأنه؛ دون مسئولية أو جزاء، لساءت حالته، ولعمّت الفوضى بين الناس، ولأنتشر الفساد، ولما عاد للمعايير الشرعية، والقيم الخلقية، أي تأثير في المجتمع.
7. الناس في نظر التربية الإسلامية مسئولون عن بعضهم البعض، ولا مفر من التضارب بين المصالح والواجبات، ولكن محبة الكائنات البشرية، واحترامها والصدق، والاستقامة في العلاقات معها، هي نقطة الانطلاقة، التي يرتكز عليها النظام الاجتماعي والتربوي في الإسلام
8. تحمل المسئولية يؤدي إلى استقرار الحياة الفردية والجماعية ، وذلك من خلال شعور الجميع بالمسئولية الاجتماعية، والقيام بها على الوجه الأكمل.
9. المسئولية التي تقررها التربية الإسلامية؛ مصدرها الله سبحانه وتعالى، شأنها في ذلك شان كل تعاليم الدين الإسلامي، وهذا الأمر يعطيها القوة والعصمة، وخضوع كل الناس لها، بمعنى ليس هناك أي شخص فوق المسئولية في التربية الإسلامية.تقوم المسئولية الأخلاقية في الإسلام، على أساس قدرة الفرد واستطاعته، شأنها في ذلك شأن جميع التكاليف الشرعية؛ الأمر الذي يعطيها الواقعية في التطبيق والممارسة[1].

شروط التأصيل:

بما أن البحث له علاقة بالتأصيل؛ يرى الباحث من المفيد الإشارة ولو بإيجاز عن شروط التأصيل سواء كان ذلك في مجال التربية والمناهج أو غيرها وهي على النحوي الآتي:

1. الشمولية في التأصيل أي تأصيل الحياة كلها لأن تأصيل بعض تعاليم الإسلام دون بعض يعرقل البعض المؤصل.فالتأصيل في التعليم إذا لم يتضافر معه تأصيل في الإعلام وتأصيل في الاقتصاد وتأصيل في الإدارة و وتأصيل في نظام الحكم والسياسة لا يؤتي ثماره وكما هو الحال في المنهج الخفي. قال الشاعر: متى يبلغ البنيان تمامه = إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم .

---

(1)محمد سعيد ، المسئولية الإعلامية في الإسلام؛ مرجع سابق ص198.

2. التحرر من المناهج الغربية لأن الغرب له دينه ولنا ديننا ولهم حضارتهم وفكرهم وقيمهم و فلسفتهم للحياة والكون والإنسان؛ ولنا حضارتنا وفكرنا وقيمنا فلسفتنا للحياة والكون والإنسان والبعض يتخذ منهج الترقيع بين مناهج الغرب والمنهج الإسلامي وهذا لا يؤدي إلى تأصيل بل إلى تسطيح التأصيل' وهذا لا يعني عدم الاستفادة من مناهج الغرب ولكن أن يكون ذلك وفق ضوابط؛ وما ضاق الإسلام يوماً من التفاعل الحضاري؛ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:(الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها هو أحق الناس بها) (1) كل ذلك ينبغي أن يراعى في اختيار معايير المحتوى وهي(2):
   - ارتباط المحتوى بالأهداف التربوية المنشودة والتي وضع المنهج لتحقيقها .
   - صدق المحتوى وأهميته؛ والصدق يعني الصحة والدقة في المعلومات التي يحويها المنهج؛ وهذا مجال مصادر المعرفة .
   - ملاءمة المنهج لقدرات الطلاب مع مراعاة الفروق الفردية بينهم و ملاءمة لحاجاتهم.
   - مسايرة للواقع الثقافي والاجتماعي للطلاب متمشياً مع البئية الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الطلاب حتى يسهم في تربيتهم.
3. إيجاد القيادة المؤمنة التي يرى فيها الناس القدوة العملية للإسلام وإيجاد مثل هذه القيادة في غاية الأهمية لنجاح تأصيل المناهج.
4. الجهد الجماعي المؤسسي في التأصيل في شكل مؤسسات رسمية وغير رسمية في الممارسة والتنظير.
5. الاهتمام بإعداد القوة بمعناها الشامل قوة الإيمان والعلم والفكر وقوة الوحدة والتماسك الاجتماعي وقوة الاقتصاد وقوة السنان واللسان؛ فالضعيف لا يصل مبتغاه ولو كان على الحق.
6. التحرر من ضغوط الواقع بمصادره المادية والمعنوية وإن هذا الواقع الذي نعيشه ليس قدرًا محتوماً وعلى المسلمين أن يقبلوا به.

---

(1) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، كتاب الآداب 4،ص164

(2) إبراهيم عبد العزيز الدعيلج، المناهج ، دار القاهرة، الطبعة الأولى، 2007،ص27.

المبحث الخامس

النتائج والتوصيات والمقترحات

أولاً: النتائج: تبين من خلال البحث الآتي:

1- من أقوى مصادر المنهج الخفي:عقيدة المعلم وقناعاته أفكاره وهو ناقل المنهج الرسمي، وطبيعة العلاقات الاجتماعية لمنسوبي المؤسسات التعليمية المعينة، وبيئة المعلمين والآباء، والجو السائد في البيوت، وما يبث في الإعلام العالمي والمحلي، وما يقدم في وسائط التربية عموماً، كل ذلك من مصادر المنهج الخفي، ومن الأهمية بمكان تصحيح المناخ الاجتماعي العام في الأسر وبين أفراد المجتمع والعمل على سيادة القيم والمثل العليا في الحياة الاجتماعية، وفي كل وسائط التربية.

2- المنهج الخفي سلاح ذو حدين له طبيعة الهدم والبناء، وعليه ينبغي الاستفادة من جوانب البناء فيه، وتجنب جوانب الهدم، وتلافي التباين بين المنهجين، وتقصير المسافة بينهما.

3- لابد من التخطيط للمنهج الخفي كما يخطط للمنهج الرسمي، ولابد من مراقبة مخرجات المنهج الخفي كما يراقب المنهج الرسمي المعلن، ولا بد من تقويم المنهج الخفي كما يقوم المنهج الرسمي.

4- تقدير الفرد للمسئولية تجاه نفسه، وأسرته، والمجتمع، وكل الكائنات، والأشياء التي من حوله، هذا التقدير، يؤدي إلى سيادة قيم التعاون، والتراحم، والانسجام، بين أفراد المجتمع الواحد.

5- الشعور بعدم الإفلات من العقاب عاجلاً أو آجلاً، ويحفظ الأفراد من الانحراف والوقوع في المعاصي.

6- لتفعيل المسؤولية الأخلاقية ينبغي الاهتمام بمكونات القيم ،(المكون المعرفي- المكون الوجداني- المكون السلوكي).

7- النظرة الضيقة للمنهج من مهددات قيم المسؤولية الأخلاقية في مخرجات التعليم لأن الأنشطة اللاصفيةالمختلفة إذا لم ينظر إليها باعتبارها جزءاً من المنهج ويجعل وعليها رقابة قد تنحرف وتكون أداة لهدم ما يبنيه المنهج الرسمي.

8- تمتد نتيجة المسئولية في الإسلام إلى الدار الآخرة، ويتقرر مصير المسلم في الآخرة، بموجب أدائه لهذه المسئولية في الدنيا، وهذا له أهميه تربوية عظيمة وهي يعطي الإنسان إحساساً عميقاً ودائماً بمعية الله، وأنه مسئول أمام الله قبل كل شيء ؛ والاعتراف لغيره بما له عليه من حقوق، ومجاهدة النفس لأداء هذه الحقوق، إرضاءً لله سبحانه وتعالى.(1)، يقول الرسول ﷺ (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيْئاً)(2).

ثانياً: التوصيات:

1. تبنى منظومة قيمية في النظام التعليمي يعمل الجميع على إكسابها الطلاب، ويتم تطبيقها من خلال القدوة وممارسات هيئة التدريس، ومن خلال النظم والقوانين السائدة في المؤسسة، وتحسين البيئة التعليمية.
2. وضع آلية وبرنامج للتعاون بين المؤسسات التربوية والتعليمة(الأسرة _ المدرسة - الأعلام - المساجد) لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة ولتقريب الفجوة بين أهداف المنهج الرسمي والمنهج الخفي.
3. وضع آلية لمتابعة المعلمين وكيف يكونوا قدوة لطلابهم، وأن يكون كل واحد منهم علي علم بأهداف المؤسسة التي ينتمي إليها عامة، وأن يعرف ما يسهم به المقرر الذي يقوم بتدريسه، في تحقيق أهداف المؤسسة.

---

(1) محمد سعيد ، المسئولية الإعلامية في الإسلام؛ مرجع سابق ، ص17.

(2)أخرجه مسلم: ج4 ص2060، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة ،حديث رقم:2674

4. سن أنظمة وقوانين تحافظ على المبادئ والقيم الأخلاقية العامة، وتوقع العقوبات المناسبة على مرتكبي الجرائم المتعدية.ومتابعة الظواهر السلوكية العامة لدى الطلبة وتعاون الجميع في تصحيحها، والتنسيق في ذلك مع أولياء الطلاب.
5. تهيئة المناخ والبيئة الصالحة التي تساعد على تحقيق أهداف المنهج الرسمي، والاهتمام بالأنشطة المصاحبة وأن تكون جزءًا من المنهج الرسمي.
6. إدخال عنصر صفة القدوة ضمن كفايات المعلمين ومراعاة ذلك في اختيارهم وتقويم أدائهم.
7. الاهتمام بأوقات فراغ الطلبة وتشجيعهم على التعبير عن آرائهم، وعقد فعاليات ثقافية ورياضية واجتماعية من أجل صقل مواهب الطلاب.

ثالثاً:المقترحات

1. إعداد دراسات في أسباب العنف والصراعات والأفكار غير السوية بين الطلاب.
2. إعداد برامج مصاحبة وعقد ندوات فكرية واستضافة شخصيات لها تأثير على الطلاب ومتخصصة في موضوعات الانحرافات الفكرية والسلوكية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولاً: المصادر

1. إبراز الحكم من حديث رفع القلم ،لتقي الدين السبكي موقع الوراق http://www.alwarraq.co
2. أحكام الأحكام ابن حزم، (د- ن) و(د- ط) و(د- ت).
3. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، العلامة القاضي أبو الفضل عياض موقع شبكة مشكاة الإسلاميةhttp://www.almeshkat.ne
4. الجامع لأحكام القرآن ، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار إحياء التراث العربي بيروت 1405هـ
5. سنن الترمذي، الترمذي، موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.net/
6. الصحيح البخاري:الإكراه ،باب رحمة الناس والبهائم ،موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.ne
7. صحيح مسلم ، مسلم:موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.net/
8. كتاب الملاحم ، أبو داود ،مكتبة المجتمع العربي،عمان الطبعة التاسعة 1989م.
9. كتاب الآداب' أحمد بن الحسين بن علي البيهقي العربي بيروت، الطبعة التاسعة 1967.
10. لسان العرب، ابن منظور، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة، التاسعة، 1978، جـ9

ثانياً: المراجع

11.التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، (د- ط)، 2007.

12.التربية الأخلاقية في الإسلام 'مقداد بالجن؛ دار الفكر العربي؛ الطبعة الخامسة 1995م.

13.الأخلاق الإسلامية عبد الرحمن حسن. **دار عالم الكتب القاهرة، الطبعة** (د- ط) و(د- ت).

14.الإدارة المدرسية المعاصرة هالة مصباح البنا، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الأولى، 2013م.

15.الأذكار النووية، الإمام النووي، دار الوفاء للطباعة والنش القاهرة الطبعة الرابعة 1996م.

16.الإسلام ومكارم الأخلاق؛ عباس طه، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان الطبعة الخامسة؛2003م..

17.الشباب المسلم والتحديات المعاصرة، أبحاث المحور الثالث، التحديات الاجتماعية والتربوية، المناهج التربوية المعاصرة وأثرها على الشباب، المؤتمر العالمي الثامن للندوة العالمية للشباب الإسلامي، عزت جرادات ومصطفى أبو الشيخ.

18.طرائق التدريس واستراتيجياته؛محمد محمود الحيلة، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الرابعة، 2013م.

19.العدل الاجتماعي؛ عماد الدين خليل؛ عالم الكتب بيروت؛ الطبعة السادسة؛1998م.

20.عليم الأحب أحاديث النووي ، ابن رجب الحنبلي موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.net/

21.الغزو الفكري، جمال الطاهر حسن أحمد، (د- ن) و(د- ط) و(د- ت).

22.فلسفة التربية الإسلامية؛ ماجد عرسات الكيلاني؛ دار السلام بيروت الطبعة العاشرة؛ 1998م.

23.القيم الجمالية والتربوية، عبد الرحيم عوض أبو الهيجاء، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، الطبعة الأولى، 2008م.

24. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب دار الشروق ، القاهرة الطبعة الأولى، 1986م.
25. المسئولية الإعلامية في الإسلام؛ محمد سعيد ، دار الفكر العربي بيروت لبنان؛ الطبعة السادسة 1987م.
26. معجم المصطلحات التربوية، أحمد حسين أللقاني، وعلي أحمد الجمل، دار الوفاء للطباعة والنش القاهرة الطبعة الرابعة 2006م.
27. المناهج التربوية بين الأصالة والمعاصرة، إسحاق أحمد فرحان وآخرون، دار الفرقان، الطبعة الثانية، 1999م.
28. مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، أحمد حسين اللقان، و فارعة حسن محمد، دار عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى2005 33- المناهج ، ابراهيم عبد العزيز الدعيلج، دار القاهرة، الطبعة الأولى، 2007م .
29. المناهج الدراسية فلسفتها بناؤها تقويمها ماهر اسماعيل الجعفري، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن عمان، الطبعة الأولى، 2009م.
30. المنهج منظور تكنولوجيا التعليم، محمد حامد عمار والجوان حامد الصبان، دار الجامعة الجديدة الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2011م .
31. المنهج المعاصر، محمد زياد حمدان، دار التربية الحديثة عنان الطبعة السابعة، 1985م.
32. الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي ،(د- ن) و(د- ط) و(د- ت).
33. نظريات المناهج العامة ‘أحمد مدكور، دار العلم للملايين؛ بيروت الطبعة الثالثة’1981م.
34. نظرية التكليف، آراء القاضي عبد الجبار، عبد الكريم عثمان.
35. الوصية النبوية’ فاروق حمادة، (د- ن) و(د- ط) و(د- ت) .

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

1/ الرابط http://elraaed.com/ara/news.
2/الرابط /http://elraaed.com/ara/news.

تصنيف الأهداف التربوية ودورها في تطوير الأداء التربوي
(دراسة تأصيلية)

د. حسب الرسول عبد القادر النعيم محمد[*]

---

[*] - أستاذ مساعد، قسم الرياضيات، كلية التربية مرحلة الأساس ،جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

ملخص البحث

هذه الدراسة تناولت موضوع تصنيف الأهداف التربوية ودورها في تطوير الأداء في المجال التربوي وتتكون هذه الدراسة من أربعة مباحث.

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي، وخلص إلى عدد من النتائج أهمها هو أن مستويات الأهداف المعرفية في تصنيف "بلوم" تنسجم تماماً مع أهداف التربية الإسلامية، ولا تتناقض معها، وفي نهاية الدراسة قدم الباحث عدداً من المقترحات.

Abstract

This study deals with the subject of the taxonomy of educational objectives and its role in the development of educational performance this study includes four sections. The researcher followed the descriptive inductive approach and concluded with number of results the most important one is that: the cognitive levels in Bloom`s taxonomy are fully consistent with the goals of Islamic education and does not conflict with them and at the end of the study some suggestions are proposed.

مقدمة

مما لا شك فيه أن لكل فرد هدفاً أو مقصداً أو غرضاً يسعى لتحقيقه في حياته، ومن المعلوم أن كل سلوك إنساني هو سلوك نمائي، أي يهدف لغاية معينة، ويزيد من نجاح الإنسان في الوصول لهذه الغاية هو وضوح تلك الغايات أو الأهداف، فبقدر وضوح تلك الغايات أو الأهداف وتحديدها تزداد فرص النجاح للوصول إليها والحكمة الصينية القديمة قد ورد فيها (إن لم يحدد هدفه لن يتبين طريقه).(حلمي الوكيل، 103،1978).

لما كان تحديد الأهداف لازماً لممارسة أي نشاط إنساني فإنه أشد لزوماً في المجال التربوي الذي تنعقد عليه الآمال في تحقيق صورة المستقبل وبلوغ الغايات، ففي المجال التربوي يُعَدُّ تحديد الأهداف من الأمور البالغة الأهمية والعملية التربوية في مختلف مستوياتها أو مداخلها في أمس الحاجة إلى وضع الأهداف التربوية المنشودة؛ لأن الأهداف هي وصف للتغيرات المتوقع أن تحدث في سلوك المتعلم نتيجة تزويده بخبرات تعليمية ليتفاعل معها، فالهدف والسلوك هما وجهان لعملة واحدة، فالهدف مرتبط بالسلوك والسلوك يتبع الهدف، فالأهداف هي المدخلات في العملية التربوية والسلوك هو مخرجات تلك العملية ونواتجها(حسن مسلم، 2008م، 161).

إن تحديد الأهداف التربوية أصبح اليوم أول عنصر من عناصر المنهج التربوي وقبل ذلك عمل الإسلام على وضع أهداف للمسلم، يسعد ببلوغها في حياته ويجني ثمار تحقيقها في أخراه، إن هذه الدراسة سوف تلقي الضوء على الأهداف التربوية الإسلامية والغربية وتتعرض لتصنيفها ونقدها علاوة على تأصيل الأهداف التربوية التي وردت في التربية الغربية وفرضت علينا في عالمنا العربي والإسلامي.

مشكلة البحث:

إن الكثير من العاملين في المجال التربوي وحتى وقت قريب كانوا يهملون العمل بتحديد الأهداف التربوية باعتبارها عملاً فلسفياً نظرياً ليس له ارتباط بالواقع،

إذ أن الكثير منهم كان يؤدي عمله وفق أهداف ضمنية توصل إليها بخبرته الطويلة في المجال التربوي دون أن يمعن النظر في سلامتها وشمولها وخلوها من التناقض ومناسبتها للظروف والإمكانيات.

إن هذا البحث يُعنى بتوضيح أهمية تحديد الأهداف التربوية وكيفية صياغتها وتوضيح دورها في تطوير الأداء في المجال التربوي، كما أنه سوف يربط الأهداف التربوية الغربية بأهدافنا التربوية الإسلامية التي تحددت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

أسئلة البحث:

من خلال هذه الدراسة يسعى الباحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما أهم مستويات الأهداف التربوية؟
2. ما أهم أهداف التربية في الإسلام؟
3. ما علاقة مستويات ومجالات الأهداف التربوية بتطوير الأداء في المجالات التربوية؟
4. ما أهمية تحديد الأهداف التربوية في تطوير الأداء في المجالات التربوية؟

أهداف البحث:

إن أهداف هذه الدراسة تتمثل في الآتي:

1. التعريف بمستويات الأهداف التربوية وأنواعها وتطور العمل بها والتعديلات التي طرأت عليها والنقد الموجه لها.
2. إلقاء الضوء على أهداف التربية في الإسلام والعمل على تأصيل مستويات ومجالات الأهداف التربوية السائدة في مدارسنا.
3. توضيح أهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه تحديد الأهداف التربوية في تطوير الأداء في العملية التعليمية.

أهمية البحث:

إن أهمية الإلمام بمعرفة الأهداف التربوية لا ينفصل عن أهمية الاهتمام بتجويد الأداء في المجال التربوي، لأنه من المعروف أن تحديد الأهداف هو البداية الصحيحة لأي تخطيط سليم، وقد وجدت تصنيفات الأهداف التربوية اهتماماً متزايداً، خاصة في دول العالم المتقدمة، وقد انعكس ذلك في مجهودات علماء التربية الغربيين مثل (رالف تايلر)(R. Tyler) و(جون ديوي)(J. Dewy) و(بنجامين بلوم ورفاقه)(B. Bloom) في جامعة ميتشجان.

إن التطور العلمي الهائل السائد في ما يعرف بالدول الغربية لم يأت من فراغ، بل تم بتحديد أهداف واضحة للتربية تبعها تخطيط وبناء للمناهج ووسائل تعليمية وتدريب للمعلمين، حتى انعكس كل ذلك في ما نشاهده اليوم من تطور شمل كل مناحي الحياة، ولم يقف الأمر على ذلك، بل ما زالت هذه الأهداف تراجع ويتم تطويرها حسب متطلبات كل فترة، والمتتبع للأهداف التربوية التي وصفها (بنجامين بلوم) ورفاقه يجد أنها خضعت للتطوير والتعديل بنفس الطريقة التي اتبعها (بلوم) في تطوير مجهودات من سبقوه من العلماء.

إن هذه الدراسة في نظر الباحث تلقي الضوء على الأهداف التربوية وتصنيفها ومستوياتها المختلفة، أملاً أن تكون هي المرشد في كل نشاط تربوي من تخطيط للمناهج وحتى تدريس موضوعاتها لتلاميذ المدارس، أسوة بالعالم من حولنا، كما أن هذه الدراسة تفتح لنا أفقاً جديداً لمقارنة أهداف التربية في الإسلام بالأهداف التربوية الواردة إلينا من بلاد الغرب، فنأخذ من الأخيرة ما يعيننا في تحقيق أهدافنا الإسلامية، لأن التاريخ يحدثنا عن إسهامات العلماء المسلمين في تطوير الحضارة الإنسانية، فأسهموا بمؤلفاتهم وترجماتهم من الحضارات الأخرى، وهذا يؤكد أننا يمكن أن نستفيد من مجهودات العلماء في الغرب لتجويد وتحديث ما لدينا من أهداف حتى تصبح واقعاً معيشاً لأجيالنا القادمة.

تعريف مصطلحات الدراسة:

تصنيف: ورد في المنجد في اللغة أن كلمة صنف الشيء أي جعله أصنافاً، وميز بعضه عن بعض، أما التصنيف المقصود في هذه الدراسة فهو تمييز الأهداف التربوية حسب مجالاتها ومستوياتها المحددة.

الأهداف السلوكية: للأهداف السلوكية عدة تعريفات، منها: أنها ترجمة أهداف المادة ومحتوياتها وأنشطتها في سلوك يمكن أن نسميه أو نراه أو نلحظه، وبالتالي نقيسه(جلال جبريل، 2008م، 157)، وعرفه "جرونلد" بأنه حصيلة عملية التعلم مبلورة في سلوك يمكن أن يكون عقلياً أو انفعالياً، كما عرف الحيلة الهدف السلوكي بأنه وصف لتغير سلوكي متوقع حدوثه في شخصية المتعلم بعد مروره بخبرة تعليمية(حسن مسلم، 2008م، 166). والباحث يرى أن الهدف السلوكي هو جملة تصف وصفاً مفصلاً ومحدداً أنواع التعلم المرغوبة، والتي يمكن ملاحظتها وقياسها بعد موقف تعليمي يمر به الدارس.التعريف الإجرائي للهدف السلوكي الذي يعتمده الباحث هو وصف نواتج التعلم لدى التلاميذ بعد مرورهم بخيرة تعليمية.

التأصيل: من حيث الدلالة اللغوية التأصيل يعني الوصل بالأصل، ولأن كل شيء يرد لله تعالى كما بين القرآن الكريم: ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾(الحديد:5)، لذلك فإن مفهوم التأصيل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالله تعالى، ويُعَدُّ التأصيل هو وضع المعرفة في نسقها الإيماني القويم، وتعريف التأصيل الذي يأخذ به الباحث في هذه الدراسة هو إرجاع المفاهيم والحقائق الواردة في تصنيف الأهداف التربوية إلى ما يؤكد ورودها في القرآن الكريم والسنة المكرمة، وانسجامها معها.

حدود البحث:

حدود هذه الدراسة هي حدود موضوعية وفيها يهتم الباحث بأهمية تحديد الأهداف التربوية ودور ذلك في تطوير العمل في المجال التربوي.

منهج البحث:

سوف يتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي مستعيناً بكل المراجع المتاحة من كتب ودوريات وغيرها.

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث وخاتمة وكل مبحث يحتوي على عدة مطالب بيانها كالآتي:

المبحث الأول: مصادر اشتقاق الأهداف التربوية وتصنيفها ويحتوي على أربعة مطالب هي:

المطلب الأول: تمهيد.

المطلب الثاني: العلاقة بين الأغراض والغايات والأهداف التربوية.

المطلب الثالث: مصادر اشتقاق الأهداف التربوية.

المطلب الرابع: تصنيفات الأهداف التربوية وتعديلاتها.

المبحث الثاني: نقد تصنيفات الأهداف التربوية ويشتمل على مطلبين هما:

المطلب الأول: أراء المعارضين لصياغة الأهداف التربوية بصورة سلوكية.

المطلب الثاني: أراء المؤيدين لتصنيف الأهداف بصورة سلوكية.

المبحث الثالث: تأصيل الأهداف التربوية ودورها في تطوير الأداء في المجال التربوي.

ويشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب هي:

المطلب الأول: تمهيد.

المطلب الثاني: تأصيل الأهداف التربوية.

المطلب الثالث: دور تصنيف الأهداف التربوية في تطوير الأداء في المجال التربوي.

المطلب الرابع: انعكاسات تصنيفات الأهداف التربوية على الأداء في المجال التربوي في السودان.

أما خاتمة البحث فهى تشمل على نتائج البحث والمقترحات

المبحث الأول

مصادر اشتقاق الأهداف التربوية وتصنيفاتها

المطلب الأول: تمهيد

ذكر(مروان أبو حويج، 201،33) أن الأهداف في حياة الإنسان مرتبطة دائماً بالقيم، لأن الإنسان أصلاً يحمل قيماً باعتبار أن القيم هي محصلة التراث الإنساني الثقافي الذي يحياه الفرد، لذلك نجد أن القيم والأهداف لهما علاقة بالمناخ الاجتماعي الذي يحياه الفرد، ويعكس هذا المناخ الفلسفة في مجتمعه والتي بدورها ترتبط بالتربية السائدة في ذلك المجتمع، لذلك نجد أن منذ مقترحات (أفلاطون) التربوية التي تبحث في إقامة مجتمع مستقر للأحرار يتميز بالاستقرار والفضيلة مروراً (بسيشرون)((cecero الذي صنف أساليب الخطابة حسب رؤيته لأهمية الخطيب والمثقف ودورها في المجتمع، وامتدت تصنيفات (سيشرون) وأثرت على هربرت سبسنر ونظريته في التدريب واقترح هربرت تصنيفا للنشاط الإنساني كقواعد لأهداف التربية.

امتد تأثير (سبسنر) ((H. Spencer إلى كل من (فرانكلين بوبيت)(F. Bobbitt) و(روبيت سارترز)((R. Sartroz في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اهتم كلاهما بتدريب المدرسين اعترافاً بما قدمه (هربرت)((Herbert في هذا الصدد وكان رأي (يوبيت) أن هناك حاجة ماسة لتصنيف الأهداف التربوية، حتى يمكن حل مشاكل الأداء، كما نجد أن كلاً من (بوبيت)((F. Bobbitt و(سارترز) (R. Sartroz) أسهما بفعالية في وضع وصف سلوكي لبناء المنهج المؤسس على صيغة حديثة تعكس مثاليات العصر(مروان أبوحويج، 2000م، 33).

أما (رالف تايلور)(R. Tyler) فقد تأثر بوضوح بأفكار (سارترز) (R. Sartroz) واعتماده على فكرة الأهداف التفضيلية، ويأتي اهتمام (تايلور) (R. Tyler) بالأهداف لكي يقيم طرقاً مفيدة لصياغة الأهداف بطريقة سلوكية، ومدهم بالطرق لتقييم كل هدف لوحده.

وضع (تايلور، R. Tyler، 1983م، 96) بدائل لتحديد الأهداف وهي:

1. من وجهة نظر ما يجب أن يفعله المدرس.
2. من وجهة نظر المفاهيم المصممة.
3. من وجهة نظر النماذج العامة.

ثم من بعد ذلك نشرت (هيلدا تابا)(H. Tabba) كتابها(تطوير المناهج بين النظرية والتطبيق، 1962م، 18- 28)، وفيه ترى (تابا)(H. Tabba) أن المحتوى العام للمنهج يقوم على أساس برنامج أهداف مرجوة، وذكرت في كتابها أن البرنامج المدرسي يجب أن تتم إدارته بعدد من الناس، ويجب أن يكون هناك العديد من الموضوعات والفصول والمدرسين، ومن ثم فإن بعض التركيز نحتاجه لكي نجعل هذه الجهود تميل للالتقاء عند حدود تامة، خاصة وأهداف متماسكة وأكثر من هذا نجد أن العديد من أنماط السلوك لا يمكن تطويرها بدون تأكيدات متماسكة من خلال البرنامج كله والتميز الواضح يجب أن يتم على مستويين من الأهداف:

1. أهداف عامة أو ما يعرف بالحصيلة العميقة للمدرسة.
2. أهداف إجرائية وتتصف بالآتي:

أ. يجب أن تصف أنواع السلوك المتوقعة وإمكانية تطبيقها.

ب. الأهداف المركبة يجب تحليلها تفصيلياً وتحليلياً بشكل كاف.

ج. الأهداف يجب أن تكون واقعية وأن تتضمن فقط ما يمكن ترجمته إلى منهج وخبرة في الفصل الدراسي.

د. يجب أن تكون صياغة الأهداف واضحة بحيث يمكن التمييز بين الخبرات التعليمية المطلوب بلوغها لاكتساب خبرات سلوكية مختلفة، كما أن منظور الأهداف يجب أن يكون متسعاً ليشتمل على كل الأنماط السلوكية التي تكون المدرسة مسؤولة عنها.

نجد مما تقدم أن كتاب (هيلدا تابا)(Helda tabba) يُعَدُّ علامة على بداية تيار جديد للاهتمام بالأهداف التربوية.

المطلب الثاني: العلاقة بين الأغراض والغايات والأهداف التربوية:

هناك خلط بين العديد من المفاهيم أو المصطلحات ذات العلاقة بالأهداف التربوية، فهناك خلط بين الأغراض (Purposes)، والغايات (Aims)، والأهداف (Goals)، فالأغراض هي النتائج النهائية المرغوب فيها من الناحية التربوية، وهي أكثر هذه المفاهيم شمولاً وكمثال للأغراض التربوية للمناهج: إعداد المواطن الصالح. أما الغايات فهي عبارات تصف نتاجات حياتية متوقعة وصفية على مخطط قيمي، أي أنها مرتبطة بفلسفة المجتمع، وكمثال لها في المناهج التربوية: أن يكون الإنسان مشاركاً فاعلاً في الحياة اليومية، إن الغايات بصورة عامة تكون عامة في صياغتها، ويشترك في وصفها والاتفاق عليها ممثلون لقطاعات عريضة من المجتمع، كما أنها لا تتميز بفرع من فروع المعرفة، أو بمقرر دراسي معين أو صفاً دراسياً، أو مرحلة تعليمية محددة، أما الأهداف التربوية فهي تتوسط الغايات والأهداف التعليمية، وتصف الأهداف العامة مجموعة الأهداف المطروحة لمادة دراسية أو برنامج دراسي، وتميل في الغالب للمدى البعيد في طبيعتها، وتتصف عموماً بالخصوصية والتفصيل، وتتميز بالآتي،كما ذكرها (حسن أحمد مسلم، 2008، 169- 172).

1- تكون محددة ويتم التعبير عنها في الغالب من جانب المتعلم.
2- تكتب بطريقة سلوكية ويعمل بها المعلم في تدريسه وعند تقييمه لطلابه.
3- يختص بوصفها رجال التربية المتخصصون والمعلمون والموجهون.

ولهذا عند وضع الأهداف التعليمية لابد من ترجمتها لمواقف سلوكية يمكن قياسها وتقويمها، ومن ثم تحسينها وتطويرها، فالأهداف التعليمية يمكن أن تصنف في عدة مستويات منها أهداف للمراحل الدراسية وأهداف خاصة بالمواد الدراسية وأهداف خاصة بالوحدات الدراسية وأهداف خاصة بالدرس الواحد(حسن أحمد مسلم، 2008م، 169- 172).

المطلب الثالث: مصادر اشتقاق الأهداف التربوية:

الاتجاه الحديث في التربية يرى أنه ليس هناك مصدر واحد لاشتقاق الأهداف التعليمية، فالمصادر التي يراها علماء النفس ومتخصصو المواد الدراسية وعلماء الاجتماع، كلها يجب النظر إليها بعين الاعتبار في تخطيط أي منهج وتحديد أهدافه حتى يحقق رسالته بأقصى فعالية ممكنة.

اتفق الكثير من التربويين منهم(حلمي الوكيل، 1987، 147) و(جلال من الله، 2008، 160) على أن مصادر اشتقاق هذه الأهداف يمكن حصرها في الآتي:

1. **فلسفة المجتمع وحاجاته:** يُعَدُّ فلسفة المجتمع وحاجاته من أهم مصادر اشتقاق الأهداف، لأن لكل مجتمع مبادئ تقوم عليها فلسفته، وهنا يجب أن تصاغ الأهداف التي يسعى المجتمع لبلوغها في عبارات وصفية عامة تمثل أهدافاً عريضة بعيدة المدى.
2. **أهداف التربية:** ذكر (يعقوب نشوان، 1991،951) أن التربية في كل المجتمعات الحديثة تهدف لتحقيق إعداد الفرد إعداداً متكاملاً من النواحي النفسية والجسمية والروحية والجمالية، وكل ذلك يتأتى بإتاحة فرص متكاملة لجميع أفراد المجتمع للحصول على قدر مشترك من التعليم الأساس، ويتبع ذلك تنوع في التعليم يراعي الفروق الفردية بين أفراد المجتمع وميولهم، وكذلك يجب العناية بتعليم الموهوبين والمعوقين في كل مسارات التعليم.
3. **طبيعة المتعلم وحاجاته:** يُعَدُّ المتعلم هو محور العملية التعليمية، فلذلك لابد أن تصاغ هذه الأهداف وفقاً لقدراته وميوله وخصائصه النمائية حسب ما تكشف عنه نظريات علم النفس التربوي، كما يجب أن يراعى في اشتقاق الأهداف طموحات المتعلمين وإعدادهم للعيش في مجتمع متغير يلعب فيه العلم والتقنية دوراً متسارع التأثير، ويستدعي ذلك أن تؤكد الأهداف على تعليم المتعلم مهارات التعليم الذاتي كيفية الوصول للمعرفة.

4. **طبيعة المادة الدراسية:** المواد الدراسية وآراء الخبراء والمتخصصين مصدر مهم من مصادر اشتقاق الأهداف التربوية، وأن أهداف المواد الدراسية جزء مهم من الأهداف التربوية، وأن يراعى في تحديد تلك الأهداف التطور العلمي وتراكمية المعرفة وطبيعتها.
5. **طبيعة العصر:** ذكر(حسن أحمد مسلم، 2008، 176) أن التقدم العلمي الهائل له تأثيره على الحياة الفردية والاجتماعية، وذلك بما يحدثه من تغيرات جذرية في حياة الإنسان وحضارته، لذلك لابد أن تضع أهداف التربية في اعتبارها هذه الخصائص والمظاهر حتى يمكن إعداد الإنسان الذي يعيش حاضره بكل معطياته، ويستعد للمستقبل بكل احتمالاته.

وقد ذكر كل من (حلمي الوكيل، محمد المعني، 1987م، 127) و(جلال جبريل، 2008م، 55) بعض المصادر الأخرى مثل القيم الروحية والأخلاقية وفلسفة التربية وآراء المتخصصين في المادة الدراسية، ولكن الباحث يرى أن ما ورد فيها قد تم تضمينه في المصادر آنفة الذكر.

المطلب الرابع: تصنيفات الأهداف التربوية تعديلاتها:

إن تصنيف (بلوم) أتى ثمرة لمجهودات (تايلر)(R.Tyler)، فقد تحمس (بنجامين بلوم)(B. Bloom) وزملاؤه في جامعة شيكاغو لوضع تصنيفٍ للأهداف التربوية يبنى على الإطار النظري الذي اختطه (رالف تايلر)(R.Tyler) في مجال القياس والتقويم التربوي، وكان ثمرة هذا الحماس تأليف مصنفٍ نشرته لجنة القياس والتقويم بالجامعة مع عدد من العاملين في المجال نفسه، وكانوا جميعاً من أنصار التشديد على مجال الأهداف التربوية وجعلها أساساً لتنظيم العملية التربوية، ويضم هذا المصنف بابين أحدهما نشر عام 1956م بإشراف (بنجامين بلوم)، وهو يتناول المجال المعرفي، والثاني نشر عام 1963م بإشراف (كراثوهل)(Krathowhl)،وهو يتناول المجال الانفعالي(مروان أبوحويج، 2000م، 35).

إن التصنيف الذي وضعه (بلوم) ورفاقه يقوم على ثلاثة مكونات أساسية، هي:

1- المجال المعرفي. 2- المجال العاطفي. 3- المجال النفسحركي.

أما المجال المعرفي، فيقوم على ستة مستويات هي: التذكر، والفهم، والتطبيق، والتحليل، والتركيب، والتقويم(عطاالله، 2002م، 83).

أما المجال العاطفي، فقد حدد (كراثوهل) (Krathowhl) ورفاقه مستويات هذا المجال ورصدوها إلى خمس رتب هرمية، تتدرج تحت كل منها جملة من المستويات الفرعية، وهذه الرتب هي الاستيعاب، الاستجابة، تكوين القيمة، التنظيم، الإنصاف بقيمة.

أما المجال النفسحركي فقد وضعته (اليزابيث سمبسون) عام 1967م، ويضم سبعة مستويات، هي: الإدراك، الاستعداد، الاستجابة الموجهة، آلية الأداء، التعديل، الأصالة(مسلم، 2008م، 187- 189).

تصنيف جرونلد(Gronold):

ذكر (حلمي الوكيل،157،1987) أن العالم جرونلد صنف نتائج التعلم إلى مجالات رئيسة يمكن أن تضم الأهداف التربوية في مظاهر سلوكية، وهذه المجالات هي:

1. المعرفة، وتشمل معرفة مصطلحات وحقائق معينة ومبادئ عامة وطرق وإجراءات.
2. الفهم، ويشمل القدرة على تطبيق واستخدام المعرفة في مواقف جديدة، كما تشمل تفسير العلاقات بين السبب والنتيجة وشرح الطرق والإجراءات.
3. مهارات التفكير، وتشمل القدرة على التصميم من بيانات معطاة، وتمييز البيانات التي تقوم عليها التعميمات، وتمييز نواحي القصور فيها.
4. المهارات العامة، وتشمل المهارات المختبرية، ومهارات تبادل الآراء ونقل الأفكار للآخرين، ومهارات العمل والدراسة، والمهارات الاجتماعية.
5. المواقف، وتشمل المواقف العلمية والاجتماعية.
6. الاهتمامات، وتشمل الاهتمامات الشخصية والمهنية.

7. التقدير، ويشمل الحكم النقدي حول الموضوع الذي يعد موضع تذوق وتقدير وكذلك الاستمتاع به.
8. التكيف، ويشتمل على التكيف الاجتماعي والانفعالي.

ويلاحظ أن هذه المجالات يمكن أن تصنف إلى مجالات ثلاثة رئيسة هي المجال الإدراكي ويشمل العبارات (1) و(2) و(3)، والمجال الوجداني فيشمل العبارة (5) و(8)، والمجال المهاري(4)، كما يلاحظ أن تصنيف (بلوم) يعد أكثر تحديداً وتفصيلاً لأن تصنيف (بلوم) يشمل ثلاث مجالات كل منها له مستويات متدرجة من البسيط إلى المركب(حلمي الوكيل، 1987م، 157).

تعديل كراثوهل(Krathowhl) لتصنيف بلوم:

صدر في نهاية القرن العشرين كتاب أعده كل من (كراثوهل) (Krathowhl) و(لورين أندرسون) (L. Anderson) بعنوان مراجعة لتصنيف (بلوم) للأهداف التعليمية، وورد في ذلك الكتاب ما يلي:

إن الإطار الأصلي لتصنيف (بلوم) يتكون من ست فئات رئيسة منظمة بالترتيب كما يلي: (المعرفة الفهم التطبيق التحليل التركيب التقويم)، الفئات بعد المعرفة تسمى إجمالاً بالقدرات والمهارات، ومن المعلوم أن المعرفة تستخدم في كل القدرات والمهارات بسبب أن استعمالها يتطلب المعرفة المناسبة، لذلك وضع لكل فئة منها فئات متصلة ومرتبة من البسيط إلى المعقد، وقد عمل (كراثوهل) (Krathowhl) في تعديله على إحداث أربعة تغيرات في الاهتمام وأربعة تغيرات في الاصطلاح وأربعة تغيرات في البنية، ويلاحظ تغير أسماء اثنين من الفئات الرئيسة الفهم وأصبحت (بفهم) والتركيب وأصبحت (يبدع).

وعليه أصبحت مستويات (بلوم) الست هي كالآتي يتذكر بفهم يطبق علل تقوم يبدع، وأصبح للمعرفة أبعاد هي معرفة وقائعية معرفة مفاهيمية معرفة إجرائية معرفة وراء المعرفة(كراثوهل، 2006م، 410).(ملحق رقم 1،26).

تعديلات أخرى لتصنيف بلوم:

1. تعديل ترافرز (Travers) للأهداف المعرفية:

وضع (ترافرز) وزملاؤه عام 1977م نموذجاً مختصراً لتصنيف (بلوم) الخاص بالأهداف المعرفية، ويتكون من ثلاثة أقسام خاصة بمادة الرياضيات، وهذه الأقسام تم اختيارها لتناسب طبيعة المادة وهي:

1- مستوى التذكر.

2- مستوى الفهم.

3- مستوى حل المشكلات.

ويلاحظ أن المستوى الأول والمستوى الثاني يدلان على نفس ما يدل عليه نظيرهما في تصنيف (بلوم)، أما مستوى حل المشكلات فيشمل التطبيق والتحليل والتركيب والتقويم(رمضان بدوي، 2003م، 90).

2. تعديل ديلتيز (Dilts):

يلاحظ أن طبيعة مادة الرياضيات قد دفعت بعض التربويين إلى إيجاد تصنيفات تتناسب معها، ويرى (ديلتزDilts ، ويلسون ج.و Wilson JW) أن المستويات الأربعة الأخيرة في تصنيف (بلوم) تتداخل عند تطبيق تصنيف (بلوم)، ومن هؤلاء التربويين نجد (ديلتزDilts) الذي وضع تصنيفاً من تسعة مستويات معرفية مرتبة هرمياً ويمكن تقسيمها إلى مستويين أساسيين هما المستوى الأول العمليات العقلية التي تهتم بالمستوى المعرفي وهي: (يتذكر، بعيد، يعوض يصنف، يطبق)، والمستوى الثاني يهتم بالعمليات العقلية التي تعتمد على المستويات المعرفية، وتتضمن (يحلل، يركب، يبرهن، يقيم)(رمضان بدوي، 2003م، 91).

3. تعديل ويلسون ج.و((Wilson JW:

إن العالم (ويلسون Wilson JW) قد عمل تعديلاً على مستويات (بلوم) المعرفية الهدف منها أيضاً أن تلائم طبيعة مادة الرياضيات، وقد وضع أربعة مستويات هي

التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل)، ويلاحظ أنها هي نفس المستويات الواردة في تصنيف (بلوم)(Wilson J.W,1971,646).

4. تعديل كلوبفر(Klopfer L.E):

لما كان التصنيف الذي أعده بلوم يتميز بالشمولية لكل المباحث الدراسية نجد أن كلوبفر قد أعد تعديلاً له حتى يتناسب مع تدريس العلوم، ركز فيه على عدة اهتمامات منها الاستقصاء والاهتمام بالاتجاهات العلمية ويحتوي هذا التصنيف على عدة مجالات منها مجالات الاستقصاء العلمي والمهارات اليدوية ومجال الاتجاهات ومجال التوجيهات (ميشيل عطاالله، 97،2002))(Klopfer,1971,261.

المبحث الثاني

نقد تصنيف الأهداف التربوية

المطلب الأول:آراء المعارضين لصياغة الأهداف في صورة سلوكية:

يرى المعارضون أن صياغة الأهداف في صورة سلوكية يؤدي إلى اختزال جميع الظواهر الإنسانية إلى أبسط صورها وعناصرها، كما أنها تهتم بالسلوك الظاهري البسيط، في حين أن العملية التعليمية عملية إنسانية تتداخل فيها عوامل كثيرة تتكامل مع بعضها لتخرج لنا المتعلمين بسلوكهم المتكامل، وقد لخص بعضهم هذا النقد في الآتي،كما أوردها (جلال جبريل، 2008، 182):

1. تجزئة السلوك الإنساني إلى عناصر بسيطة بعيدة عن التكامل فيما بينهما يفقد هذا السلوك معناه الإنساني.
2. الأهداف السلوكية غير إنسانية، بمعنى أنها تجعل الإنسان كالآلة ينفذ أهدافاً قد تكون عديمة المعنى وبعيدة عن السلوك المتكامل، وبالتالي لا تمثل إلا مظهراً ثانوياً من الأهداف الحقيقية.
3. لا تتناسب الأهداف السلوكية مع المستويات العقلية والتعليمية العليا إلا بمقدار المحتوى المقدم بها بدرجة عالية من التجريد، ولكنها يمكن أن تتناسب مع المستويات الدنيا أو الأولية من التعليم.
4. الأهداف السلوكية تفرض على المعلم تحديد زمن وكيفية حركة المتعلم وسلوكه، وهذا فيه إخلال بحاجات الطفل وميوله، كما يفقد العملية التربوية المرونة والإنسانية.
5. الأهداف السلوكية غير ديمقراطية، لأن صياغتها تلغي شخصية المعلم والمتعلم.
6. صياغة الأهداف السلوكية وتحقيقها فيه إهمال وعدم اعتراف بالفروق الفردية الموجودة بين الطلاب.

7. تقلل فرص الإبداع والابتكار لدى كل من المعلم والمتعلم، لأن صياغة الأهداف بصورة سلوكية محددة فإن ذلك يؤدي لعدم استثمار المواقف الطارئة؛ لأن المعلم يرى أن ذلك يبعده عن تحقيق الأهداف المرسومة.

ومن الآراء الأخرى المعارضة لتصنيف الأهداف التربوية بصورة سلوكية نجد:

1. أن التصنيف يهتم بالأهداف كغاية.
2. من الصعوبة تحديد نواتج التعلم السلوكية.
3. عدم الاهتمام بالنواتج غير السلوكية، والتي يتعذر تحديدها، وبالتالي تكون خارج دائرة الاهتمام.
4. ليس كل ما يصاغ في شكل أهداف قابلاً للقياس.
5. تجزئة الأهداف تتعارض مع وحدة المعرفة.
6. الوقت والجهد المبذول في التصنيف لا يتناسب مع المردود.
7. الاهتمام يكون دائماً بالأهداف المعرفية، ولا تجد الأهداف الانفعالية والنفسحركية الاهتمام نفسه.(نجوى شاهين، 2007م، 296).

المطلب الثاني: الآراء المؤيدة لتصنيف الأهداف التربوية:

يرى بعض التربويين أمثال (P. S. Bloom) وزملاؤه أن المعارضين لصياغة الأهداف التربوية في صورة سلوكية يستندون على أسس فلسفية نظرية بحتة، ويرون أن عدم الاهتمام بتصنيف الأهداف التربوية يؤدي إلى إبعاد المعلم عن تأدية واجبه بدقة، وقد لخص بعضهم هذه الآراء في الآتي:

1. تصنف الأهداف التربوية يساعد في التخطيط لعمليتي التعليم والتعلم، وذلك من خلال تحديد الآراء الذي ينبغي أن يصل إليه المتعلم في نهاية الخبرة التعليمية.
2. تساعد في توجيه جهود المتعلمين لأن معرفتهم السابقة بها أمر مطلوب منهم وكذلك معرفتهم بالمستويات التي ينبغي أن يصلوا إليها تمكنهم من تجديد طاقاتهم وتركيز انتباههم.

3. تساعد في تقويم أداء المعلمين، وذلك من خلال تحويل الأهداف السلوكية المتوقعة إلى مواقف اختبارية يمكن الحلم في ضوئها على مدى اتفاق المتعلمين للوحدة أو الدرس الذي كانوا بصدده.
4. صياغة الأهداف التربوية تهدف لتعديل سلوك المتعلم للسلوك المرغوب فيه من المجتمع.
5. الأهداف السلوكية وتحديدها يساعد في تقويم أداء المعلمين.(جلال جبريل، 2008م، 186).

وبناءً على ما تقدم يرى الكثير من التربويين أن صياغة الأهداف التربوية في صورة سلوكية هو ثمرة مجهودات في مجال التربية امتد إلى أكثر من قرن كما سبق ووضح ذلك في مقدمة هذا المبحث وأنه منذ أن نشر بلوم (B.S.Bloom) وزملاؤه دليلاً يحوي تصنيف الأهداف التربوية قبل أكثر من نصف قرن، فقد تمت ترجمة هذا الدليل إلى أكثر من عشرين لغة، وقدم هذا التصنيف أسساً لتصميم الاختبارات وتطوير المناهج ليس فقط في الولايات المتحدة، بل في العالم بأسره، ويعد هذا الدليل من أكثر الكتب التي لها تأثير على المناهج في الولايات المتحدة. كما أن هذا التصنيف يمكن أن يتم تعديله حتى يتكيف مع الاستخدام في مجالات مختلفة أو عندما يتغير التعليم، وهذا ما ذكره (بلوم) نفسه في الدليل الذي أصدره عام1971م(B.S Bloom Hostings Jt Msdauis G.F,1971)(كراثوهل، 2006م، 21).

وبناءً على ما تقدم فإني أرى أن هذا التصنيف قد أثرى العمل التربوي وبسطه وحدد كيفية تخطيط المناهج وكيفية إعداد الكتب الدراسية وكيفية تدريس المواد المختلفة كما سوف يرد ذكره لاحقاً.

المبحث الثالث

تأصيل الأهداف التربوية ودورها في تطوير الأداء في المجال التربوي

المطلب الأول: تمهيد.

جاء الإسلام ليضبط ويوجه حياة المسلم وسلوكه تجاه نفسه وغيره وليوجه سلوك المجتمع لما فيه خير الدنيا والآخرة، ولم يفارق رسولنا الكريمﷺ الدنيا حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وهو القائل: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي)، أخرجه الترمذي.

والإنسان مستخلف في الأرض، كما أراد له الله سبحانه وتعالى، بهذا يفرض عليه اكتشاف نواميس الله وقوانينه في كل من الكون والحياة، وهذا ما دفع المهتمين بالتربية الإسلامية في تحديد الأهداف التربوية التي يجب أن يكتسبها المسلم، وكتب الكثيرون عن هذه الأهداف، وتم تحديدها وتفصيلها ولكن نجد أن (العجمي، 2007م، 14) قد لخصها في الآتي:

إن للتربية الإسلامية هدفاً عاماً هو (عبودية الله) كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات:٥٦)، وهناك أهداف فرعية تتمثل في أهدف خلقية: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم:٤)، أهداف اجتماعية: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(آل عمران:١٠٣)، أهداف معرفية: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(آل عمران:٥٣)، ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(آل عمران:١٩٠)، أهداف وجدانية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(الرعد:٢٨)،

أهداف سياسية: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(النحل:١٢٥)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾(البقرة:٢٠٨)، أهداف اقتصادية: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(التوبة:١٠٣)، ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴾(الإسراء:٢٦).

المطلب الثاني: تأصيل الأهداف التربوية:

أولاً: مستوى التذكر: وردت العديد من الآيات الكريمة التي تحث المسلم على تذكر مجموعة من الحقائق والمسلمات في ذهنه دائماً، حتى لا ينحرف تفكيره أو عمله، ومن هذه الآيات: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(الرعد:١٩)، ﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(إبراهيم:٢٥)، ومنها قوله تعالى لموسى وفرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾(طه:٤٤). ورد في تفسير الجلالين والتفسير التربوي للقرآن الكريم أن (يتذكرون) الواردة في هذه الآيات تعني (يتعظون) وبما أن العظة تتطلب عدم النسيان ودوام التذكر، فهذا يعني أن هذه الآيات تقود للمعنى المطلوب للمستوى.

ثانياً: مستوى الفهم والاستيعاب: وهو الدعوة لتدبر القرآن الكريم وما فيه من عبر وأحكام، حيث يقول تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(البقرة:١٢٩)، وورد كذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(البقرة:١٩٠)، وفي سورة آل عمران ورد

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(آل عمران:١٩٠)، وغيرها من الآيات الكريمة.ورد في تفسير الجلالين (ص 27) أن معنى (ويعلمهم الكتاب) يعني التعريف بأحكامه، والتزكية يقصد بها تطهير النفس والمقصود في هذه الآيات أن يفهم المسلم ويستوعب ما هو مطلوب وأن يتأمل في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار حتى يقوي إيمانه.

ثالثاً: مجال التطبيق: وردت في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تغطي هذا المجال، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(البقرة:٤٣)، ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾(الحج:٢٩)، ويأمر رسوله الكريمﷺ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾(العلق:١). التطبيق هنا واضح من سياق الآيات لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج كلها تطبيقات لأحكام مشروعة.

رابعاً وخامساً:مستوى التحليل والتركيب: التحليل هو تجزئة الكل لمعرفة، فأما مكوناته والعلاقات بينها بينما التركيب عكس ذلك، ومن بلاغة القرآن الكريم أن بعض آياته تحتمل التحليل والتركيب في آن واحد وبأمر الله سبحانه وتعالى بالتدبر في الكون وفي ملكوته وفي أنفسنا حتى نستلهم العظات والعبر، كما ورد في الآيات: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(العنكبوت:٤٣)، وكذلك ورد في سورة الحج: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾(الحج:٥١). الآيات الواردة تشمل كل من مستوى التحليل والتركيب معاً لأن الله تعالى ضرب الأمثال للناس حتى يعتبر أولو الألباب ويتعظوا وفي ذلك تحليل، أما التركيب فيتمثل في معاني هذه الأمثال وما تقود إليه حتى يقوى بها إيمان المسلم وتزداد ثقته في الله سبحانه وتعالى.

سادساً: مجال التقويم: أما هذا المجال فقد وردت الكثير من الآيات التي توضح أن الإسلام هو دين المنطق والعقل، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(العنكبوت:٤٦)، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾(لقمان: ١١)، وكذلك قوله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾(الزمر:١١)، وغيرها من الآيات الكريمة. إن التقويم هو إعمال العقل وتوجيه كل ما يتعلمه الإنسان حتى يصدر أحكامه أو يبدع، وكل ذلك تشمله تلك الآيات.

مما تقدم يتضح لنا أن أهداف التربية في الإسلام قد اشتقت من ثوابت مأخوذة من منهج الخالق عزَّ وجلَّ، والمتأمل لهذه الأهداف التي سبق ذكرها، والتي توصل إليها علماء التربية في القرن العشرين قد وردت في القرآن الكريم منذ قرون مضت، بل تفوقت عليها بأن ربطت الجوانب الروحية الإيمانية والجوانب المادية الدنيوية، ووجهت هذه الأهداف لخير الإنسان في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: دور تصنيف الأهداف التربوية في تطوير العملية التعليمية:

إن لتحديد الأهداف السلوكية آثاراً واضحة على العملية التعليمية وتجويدها من حيث الإعداد والتنفيذ والتقويم، فقد اتفق الكثير من التربويين على أن تصنيف الأهداف التربوية سلوكياً له عدة فوائد، منها:

1. تمكن الطالب من تعلم النتائج المرغوب فيها، أو النتائج التي حددتها الأهداف.
2. تدل على شكل وقدرة النشاطات المطلوبة للقيام بعملية التعلم بنجاح.
3. تزويد المعلمين بأسس واضحة للتقويم.
4. يساعد المعلمين على تحديد الأساليب والطرق اللازمة لعملية التعليم.
5. تزويد المعلم بالأسس اللازمة لتقويم البرنامج التعليمي المعنى.

6. كلما كانت الأهداف محددة بوضوح كانت عملية التدريس أكثر فعالية وكان من الممكن قياس نواتج التعلم.
7. صياغة الأهداف بصورة سلوكية تساعد في وضع المنهج وإعداد الكتاب المدرسي وتسهل من عمل المدرس حتى يكون التدريس أكثر فعالية دون مردود إيجابي(جلال جبريل، 2008م، 178).

وهناك من أضاف فوائد أخرى لعملية تصنيف الأهداف التربوية، ومن هذه الفوائد:

1. تصنيف الأهداف له وظيفة أساسية هي توجيه القرارات الخاصة ببناء المناهج من حيث تحديد المجالات التي يتناولها المنهج والمحتوى الذي يتضمنه.
2. إن عملية اختيار المحتوى للمنهج الدراسي هي عملية يمكن إنجازها بسهولة عند تحديد الأهداف التربوية، ويمكن على أساسها اختيار أنسب محتوى وخبرات لتحقيق أفضل المخرجات التعليمية.
3. تحديد الأهداف يساعد في وضع الأسس العملية لعملية التقويم، فالأهداف تحدد المعلومات والمهارات والاتجاهات وأنماط السلوك التي يجب أن يكتسبها المتعلم.

المطلب الرابع: انعكاسات تصنيفات الأهداف التربوية على الأداء في المجال التربوي في السودان:

لا شك أن العالم أصبح قرية كبيرة، وأن ما يؤثر على الحياة في بلد يسهل انتقاله للآخرين، فكثير من الدول العربية قد اهتمت بتصنيفات الأهداف التربوية، وانعقدت عدة مؤتمرات في بلدان الخليج لمناقشة ذلك الموضوع.

إن تصنيف الأهداف التربوية في السودان وجد اهتماماً متزايداً انعكس في بعض الجوانب، منها:

1. اهتمت الكثير من الدراسات والبحوث التربوية بتصنيف أسئلة الامتحانات المرحلية وفقاً لتصنيف (بلوم) منذ ثمانينات القرن الماضي، ومن هذه

البحوث بحوث أعدت لامتحانات الأحياء، أعدها عبدالفتاح شاهين، وأخرى في مادة الكيمياء أعدها عبدالرحيم أحمد سالم، وثالثة في مجال الرياضيات أعدها كل من حسن عبدالغفور، ومعد هذه الدراسة وغيرها كثر، وكل ذلك أثر إيجاباً في طريقة وضع الامتحانات، وسادت فيها الأسئلة الموضوعية وتنوعت فيها المستويات المعرفية.

2. ذكر (محمد الحسن أبو شنب، 25،1993) - في المؤتمر التربوي الذي عقد مطلع تسعينات القرن الماضي- أن الأهداف التربوية وجدت اهتماماً كبيراً، فقد تم في هذا المؤتمر وضع أهداف محددة وتبنت استراتيجية التعليم العام عدداً من الأهداف والغايات التي يرجى تحقيقها من النظام التعليمي المتوقع.

إن مؤتمر سياسات التعليم الذي عقد في مطلع تسعينات القرن الماضي أوصى بإعادة النظر في التعليم الثانوي في السودان، وبناءً على تلك التوصية انعقدت عدة لجان شارك فيها عدد من المهتمين بالتربية، وخلصت تلك اللجان إلى وضع تصور كامل للتعليم الثانوي يقوم على عدد من المرتكزات، كما وضعت أهدافاً للمرحلة الثانوية، وعلى ضوء تلك الأهداف تم صياغة أهدافٍ تربوية لكل مادة من المواد الدراسية التي سوف يتم تدريسها في تلك المرحلة(محمد حسن سنادة، 2006م، 23).

مع ذلك الاهتمام بالأهداف التربوية نجد أن هناك عدم وضوح للأهداف التعليمية المرجوة من تدريس الكتب المدرسية بالنسبة لمعلمي تلك المواد، وأن معظم معلمي المادة يجهلون أسس صياغة الأهداف التربوية بصورة سلوكية إجرائية، فضلاً عند عدم استخدامها في تحضيرهم اليومي حسب علم الباحث وتجربته، إن من المؤمل أن تكون هناك أهداف تربوية معلومة لمعلم المادة، خاصة بالمواد التي يقوم بتدريسها وأن تضمن تلك الأهداف في مقدمة الكتب المدرسية إن لم تكن في كل وحدة من وحدات الكتاب المدرسي.(محمد الخوالدة، 2008م، 308).

الخاتمة

أهم نتاج البحث:

أهم النتائج التي يمكن أن نستخلصها من هذه الدراسة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. إن تصنيف الأهداف التربوية هو ثمرة جهد إنساني قام به علماء التربية منذ أكثر من قرن من الزمان، رغم أن الاهتمام بها في عالمنا العربي والإسلامي قد بدأ متأخراً.
2. إن المستويات المعرفية في تصنيف (بلوم) هي أساس للتصنيفات الأخرى، كما اعتبرها (بلوم) نفسه، وأن هذه المستويات لا تتعارض مع الأهداف الإسلامية للتربية وإن لكل مستوى منها ما يؤيده ويؤكد وجوده ضمن الأهداف الإسلامية للتربية والتي عرفت من قبله بقرون عدة.
3. إن تصنيف الأهداف التربوية يسهل وينظم العمل التربوي في كل مراحله، ابتداءً بالتخطيط للمناهج وتأليف الكتب الدراسية، وحتى التدريس.
4. إن العمل بالأهداف التربوية وتصنيفاتها محدود في السودان، بل ومفقود تماماً في الأنشطة الدراسية للمعلمين.

مقترحات الدراسة:

في نهاية هذه الدراسة يقترح الباحث الآتي:

1. إجراء تأصيل للأهداف التربوية في السودان وذلك عبر مؤتمر جامع بإشراف عمادة التأصيل بالجامعة.
2. الاهتمام بتحديد الأهداف التربوية تحديداً علمياً دقيقاً لكل مراحل العملية التربوية في السودان، وأن تضمن تلك الأهداف في المراشد والكتب الدراسية حتى تكون معلومة وواضحة لكل المدرسين.
3. عمل دورات تدريبية للمدرسين، ومن خلالها يتم تدريس تصنيفات الأهداف التربوية وأنواعها وكيفية صياغتها حتى تتصدر التحضير اليومي لكل المدرسين.
4. الاهتمام بتطوير نظم القياس والتقويم بتجويد نظم الامتحانات وإدخال طرائق أخرى مصاحبة للامتحانات المرحلية من أعمال سنة وامتحانات فصلية.
5. إجراء تقويم للكتب المدرسية للتأكد من سلامة المحتوى وتوافقه مع الأهداف المرسومة للمادة، وكذلك التأكد من سلامة اختيار تلك الأهداف وتوافقها مع الأهداف العامة للمرحلة والأهداف العامة للتربية.

المصادر والمراجع

المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. تفسير الجلالين.

المراجع العربية:

1. جلال من الله جبريل، التصميم التعليمي وفق الأهداف التربوية، جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، 2008م.
2. حسن أحمد مسلم، المناهج الدراسية مفهومها، أسسها، عناصرها، تنظيماتها، الرياض، السعودية، 2008م.
3. حلمي أحمد الوكيل، محمد أمين المغني، أسس بناء المناهج وتنظيماتها، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1987م.
4. رمضان سعد بدوي، استراتيجيات في تعليم وتقويم تعلم الرياضيات، دار الفكر، عمان، 2003م.
5. عبدالله سلطان ألصلاحي، دليل تأليف الكتاب المدرسي، مركز البحوث والتطوير التربوي، صنعاء، اليمن، 2001م.
6. لورين أندرسون وديفيد كراثوهل، مراجعة لتصنيف "بلوم" للأهداف التعليمية، ترجمة فايز مراد مينا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2006م.
7. محمد الحسن أبو شنب، ورقة لمؤتمر المناهج، سبتمبر، الخرطوم، 1993م.
8. محمد الحسن سنادة وآخرون، دليل المشرف الميداني، جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، السودان، 2007م.

9. محمد عبدالله الصالح وآخرون، تقويم البرامج التربوية في الوطن العربي، المركز القومي للبحوث التربوية لدول الخليج المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، 1850م.

10. محمد فاضل الجمال، نحو تربية مؤمنة، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1985م.

11. مروان أبوحويج، المناهج التربوية المعاصرة، الدار العلمية الدولية، عمان، الأردن، 2000م.

12. ميشيل كامل عطاالله، طرق وأساليب تدريس العلوم، دار المسيرة للطباعة، عمان، الأردن، 2002م.

13. نجوى عبدالرحمن شاهين، علم المناهج، دار القاهرة، مصر، 2006م.

14. نورماند جرونلد، الأهداف العقلية وتحديدها السلوكي وتطبيقاتها، ترجمة أحمد خيري كاظم، دار الفجالة، القاهرة، مصر، (بدون تاريخ).

15. يعقوب حسن نشوان، المنهج التربوي من منظور إسلامي، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1990م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

-Bloom B.S, A taxonomy of educational objectives, 1 cognitive domain, New York, David McKay (1956).

2-Wilson J.W, Evaluation of learning in second school mathematics, Mc Grow Hill (1971).

3-KLopfer L.E Evaluation of learning in science New York, Mc Grow Hill (1971).

العولمة وانعكاساتها على القيم الإسلامية

د. أحمد الطيب أحمد الماحي❁

❁ - أستاذ مساعد، قسم الأحياء والكيمياء، كلية التربية، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

مستخلص البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مفهوم العولمة وانعكاساتها على القيم الإسلامية بصفة عامة وعلى القيم الأخلاقية بصفة خاصة، كما يهدف إلى التعرف على آثار العولمة في النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات الإسلامية مما يؤثر على خصوصيتها الأخلاقية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي كما استخدم منهج المقارنة للوصول إلى نتائج البحث وكانت أهم نتائج البحث كالآتي:

- أن للعولمة إيجابيات من الناحية العلمية والاقتصادية مثل التطور في وسائل التكنولوجيا والتصنيع والتجارة.
- تسبب العولمة القلق في الدول التي لا تزال الأخلاق تشكل فيها مرجعية ثقافية ودينية وسلوكية وتربوية، ويمكن القول إن العولمة ضد الأخلاق.
- أن العولمة تحارب الهوية العربية والإسلامية.
- تدفق المعلومات عن طريق شبكة الإنترنت وإدخال القيم الجديدة للبيوت دون إذن من أهلها يؤدي بالأسر إلى زوال خصوصيتها الأخلاقية والثقافية.
- تركز العولمة في النظام السياسي إلى دعم الديموقراطية كنظام للحكم دون إعطاء أي اهتمام للأديان السماوية والشرع الإلهي.

Abstract

This research aims to identify the concept of globalization and its impacts on Islamic values in general and ethics values in particular. as well as it aims to identify the effects of globalization in the social, economic, and cultural aspects of Islamic societies, that results in affecting the moral privacy of these communities. The researcher has conducted the analytical descriptive method beside the comparative approach so as to achieve the findings of this approach, the most important results are as follows: That the globalization, scientifically and economically, has advantages, such as development in the means of technology, manufacturing and trade. Globalization has caused worry and stress in countries where morality still constitutes a cultural, religious, behavioral and educational reference, and it can be said that globalization is against morality. That globalization is fighting the Arab and Islamic identity. The flow of information through the Internet and the appearance of new values that attacking Families and houses without getting any permission, this in turn lead to the disappearance of their moral and cultural privacy. Globalization in the political system aims to support democracy as a system of government without giving any attention to divine religions and divine law.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد العالم الأول وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين أما بعد:

فمنذ أن أطل علينا زمان العولمة وما تتبعه من الانفجار المعلوماتي والمعرفي المدعوم بالتقدم التقني الهائل وانتشار تكنولوجيا نقل المعلومات من خلال الفضائيات والأقمار الاصطناعية والحاسب الآلي وشبكه الإنترنت فقد أصبحت المعلومات تدخل البيوت من غير استئذان فمنها الإيجابي ومنها السلبي ومنها ما هو خطير على تغير مفاهيم القيم والثقافات العربية والإسلامية فمنذ 11/ سبتمبر /2001م الشهيرة وضعت أمريكا قاعدة هي أن الإرهاب هو الإسلام وأن الإسلام هو الإرهاب كما راحت تؤلب دول العالم الأخرى على الدول الإسلامية واختتم ذلك مؤخراً بمصطلح الإسلامو فوبيا .

ونسأل هل يموت هذا الدين ؟ وتأتي الإجابة من رب هذا الدين الذي أراد أن يبقى نبراساً للبشرية وهادياً لها إلى يوم الدين يخرجها من الظلمات إلى النور

قال تعالى : (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)الآية (32)سورة التوبة.

ويلاحظ الباحث أن من بين الأهداف التي تدعمها أمريكا وروسيا وإسرائيل هو إنهاء الإسلام وإضعاف المسلمين مما يمكن الدول الغربية عموماً من نشر ثقافاتها وتحقيق الأهداف والمفاهيم العالمية الحديثة مما يسمى العولمة Globalization والطريق إلى عولمة الثقافة يعنى السيطرة على كل القيم والتقاليد ومحو الإرث الحضاري للأمة حتى ولو كان باتخاذ أساليب العنف وإشاعة الفوضى وإضعاف الدين واللغة وتمكين اللغة الإنجليزية في العالم هو أكبر دليل على مقومات العولمة. لذلك يتطلب الأمر من الدول العربية والإسلامية أن تضع خططها التعليمية والإعلامية التي تجعلها تحافظ على ثقافتها وهويتها وذلك بالتمكين للدين في نفوس أبنائها وأن تغرس القيم الإسلامية في شبابها وفق منهج واستراتيجيه واضحة حتى لا تهدد العولمة الثقافية سائر المجتمعات وتؤدي إلى صراع عنيف بين الشباب وقد يحدث لهم انفصام عن

ثقافتهم بانتشار هذه الثقافة العالمية الوافدة عبر وسائل الاتصال السمعية والبصرية وعبر شبكه الإنترنت فيه الكثير من الفوائد إن نحن استخدمناها في تطورنا العلمي والبحث وقد يكون تأثيرها سلبي[1]إن نحن أصبحنا متلقين للعلوم دون أن نسهم فيها لعدم امتلاكنا لتكنولوجيا المعلومات . وسوف يتناول الباحث بالتوضيح انعكاسات العولمة على المفاهيم والأهداف العامة لظاهرة العولمة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والآيدولوجية لمراحل ما بعد الإمبريالية وانعكاسات ذلك على القيم والأخلاق .

وسوف يقوم الباحث باستعراض إيجابيات وسلبيات العولمة وما يجب على الدول العربية والإسلامية القيام به في مجال معالجة المناهج التربوية لدرء مخاطر سلبيات العولمة على المجتمعات الإسلامية.

مشكلة البحث :

الوقوف على ظاهرة العولمة الذي يشير المعنى الحرفي له إلى العملية التي يتم فيها تحويل الظواهر المحلية آو الإقليمية إلى ظواهر عالمية وربط شعوب العالم في إطار مجتمع واحد لكي تتضافر جهودهم معاً نحو الأفضل.

وتكمن مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية :

1. ما ظاهرة العولمة وما وسائلها ؟
2. هل للعولمة إسهامات على الاقتصاد والثقافة في البلاد الإسلامية؟
3. ما انعكاسات العولمة على القيم والأخلاق الإسلامية؟

أهداف البحث :

1. بيان النتائج الحديثة على تطبيق أهداف ومفاهيم ظاهرة العولمة على الدول الغنية والدول الفقيرة وخاصة الدول الإسلامية وانعكاسات هذه الظاهرة على القيم والأخلاق .

---

(1) عبد القادر أحمد الشيخ الفادني، العولمة وتحدياتها التربوية والثقافية، الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2000م ص71.

2. الوقوف على الجهود المبذولة للتخفيف من آثار العولمة السلبية على القيم الإسلامية.

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث في دراسة ظاهرة العولمة وانعكاساتها على الاقتصاد والثقافة والمجتمع في الدول الإسلامية وإيجاد مفاهيم مشتركة من خلال الإيجابيات والسلبيات لظاهرة العولمة وما يترتب على الدول الإسلامية فعله لتجنب سلبيات العولمة على شباب المسلمين خاصة .

حدود البحث:

تناول ظاهرة العولمة وماهيتها والأهداف التي ترمى لتحقيقها من خلال تطبيقها عالمياً وكافة في البلاد الإسلامية.

منهج البحث :

المنهج الوصفي التحليلي وأسلوب المقارنة .

هيكل البحث:

المبحث الأول: العولمة ومجالاتها

المبحث الثاني: مفهوم العولمة وأثرها

المبحث الثالث: الإسلام دين العولمة

المبحث الرابع: استهداف الدين الإسلامي

المبحث الخامس: العولمة وشبكة الإنترنت

المبحث السادس : الخاتمة والنتائج

المبحث الأول

العولمة ومجالاتها

المطلب الأول : تعريف العولمة : Globalization

لغةً : العولمة هي مصدر مشتق من فعل (عَوْلَم) وهو فعل رباعي مجرد، وله وزن واحد (فَعْلَلَ) مثل تعْثَرَ وعْدبَر وهو فعل يغير معنى من معانى الصيرورة أى عولم الشيء جعله عالمياً [1].

وقيل إن العولمة أتت من كلمة العالم أو الكرة الأرضية Globe ثم اشتقت منها كلمة العولمة[2] Globalization .

اصطلاحاً : كثر تعريف العولمة على مفهومها الاصطلاحي وقد اختار الباحث منها التعاريف التالية :

- أنها تعنى مرحلة جديدة تتكيف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي ويحدث تلاحم غير قابل للفصل المحلى والعالمي بروابط ثقافية واقتصادية وسياسيه وإنسانية [3].
- العولمة ثمرة من ثمرات العلم والثقافة ، فهي عملية تنظيم للفكر من أجل اكتشاف المبادئ المهيئة للتطبيق العلمي في مناحي الحياة الأرضية والعلوية .
- إنها الغطاء النظري أو الفلسفة النظرية لاقتصاد السوق ولمجموعة الدول الصناعية والشركات متعددة الجنسيات من أجل فتح أسواق العالم أمام الصناعات الغربية بدعوى المنافسة والانفتاح وتشجيع الدول الأقل نمواً على التنمية.
- هي رأسمالية ما بعد مرحلة الإمبريالية .

---

(1) عبد العزيز عتيق : المدخل إلى عالم النحو والصرف ، دار النهضة العربية بيروت .

(2) عيسى إبراهيم محمد : الإسلام دين العولمة شركه مطابع السودان للعملة المحدودة.

(3) سعيد عثمان العولمة النظرية الاجتماعية والثقافية الكونية . المجلس الأعلى للثقافة 1998 القاهرة.

- هي مرحلة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وسيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ[1].

المطلب الثاني : مجالات العولمة:

تعددت مجالات العولمة وآلياتها وفيها المجال الاقتصادي والمجال السياسي والمجال الثقافي والمجال الإعلامي وغيره من المجالات الأخرى .

أولاً: المجال الاقتصادي :-

هو من أهم مجالات العولمة و تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب، فالدول الغنية بفهمها المادي للحياة وتفسيرها للصراع فيها تنحو دائماً إلى سلوك كل سبيل يمنحها التفوق، لأن الغاية عندها هي متاع الحياة ولذتها ودون مراعاة للأخلاق أو التعاطف الإنساني المجرد عن الغرض فهي بعد أن تروض فريستها وتدوخها اقتصادياً تحاول سلب إرادتها وخصوصيتها الثقافية حتى لا تتمكن من النهوض مرة أخرى .

ثانياً: المجال السياسي :-

بعد انهيار الشيوعية وسقوط جدار برلين عام 1989م انفردت الدول الرأسمالية الغربية وعلى رأسها أمريكا بقيادة العالم وأن النظرية الرأسمالية ستقود العالم وتمثل قمة التطور للفكر الإنساني وتسود الديمقراطية في دول العالم، ونتج عن ذلك سقوط الشمولية والنزوع إلى الديمقراطية القروية السياسية واحترام حقوق الإنسان .

ثالثاً: المجال الثقافي :

يكمن في أن الثقافة العالمية تقضي على هوية الدولة الفقيرة وخصوصيتها الثقافية بما في ذلك القيم والأخلاق والعقائد واللغة وقد انتشرت لغة الغرب الرئيسية وهي اللغة الإنجليزية على حساب اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم

---

(1) إبراهيم سعد، صور المستقبل العربي ط2 ،بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1985م ص109.

وهي لغة أهل الجنة قال تعالى :(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [1]

رابعاً : المجال الإعلامي :

وتعنى المظاهر الإعلامية زيادة تدفق الإعلام عبر الحدود الوطنية للدول عبر وسائل الإعلام التي تربط البشر في كل أنحاء العالم مثل شبكه الاتصالات com.Net work والأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت والبث التلفزيوني عن طريق القنوات الفضائية حتى قيل أن العالم أصبح قرية صغيرة .

(1) سورة يونس الآية 10.

المبحث الثاني

مفهوم العولمة وآثارها

أولاً: مفهوم العولمة :-

لقد كثرت التعريفات لمفهوم العولمة وقد اختار الباحث هذا المفهوم الشامل للعولمة وهو أن العولمة هي الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم قارة بلا حدود، فهي تعني أيضاً الانتقال من بيئة حضارية متقدمة إلى بيئة حضارية أقل وهذا ما تفرضه العولمة الآن أي أنها أيديولوجية تعكس إدارة الهيمنة على العالم [1].

وقد أدت الصراعات بين دول العالم إلى الوضع الحضاري الذي يعيشه الآن والذي أطلق عليه مفهوم العولمة حيث أن الدول الغنية في صراعها نحو المصالح وصلت مرحلة اقتصادية ضاقت بها أسواقها القديمة وذلك بعد مراحل استغلال الدول الضعيفة وإنشاء الحكومات الوطنية فيها وزيادة الوعي الوطني وتطوير الفكر العالمي وإنشاء المنظمات العالمية وروافدها كمنظمات حقوق الإنسان وغيرها، تحول الصراع نحو الكيف فبدأت الدول في تطوير الإنتاج رأسياً وتحسينه ومحاولات فتح مجالات أخرى للتسوق في برتوكولات واتفاقيات مع الدول الأخرى لضمان رواج صناعتها مع تطور الفكر الإداري وكافة النظم المرتبطة بالإنتاج.

ثانياً: آثار العولمة:-

تؤثر العولمة على العديد من الجوانب على العالم بأكمله بعدة طرق منها على سبيل المثال لا للحصر.

على المستوى الصناعي :

أدى التطور الصناعي فيما نسميه الثورة الصناعية في أمريكا ودول الغرب الأوربية إلى زيادة معدلات التجارة وإنشاء أسواق عالمية مع توفير المزيد من العولمة بغرض الوصول إلى عدد كبير من المنتجات الأجنبية للمستهلكين وتعدد أنواع الشركات وتخصصها الصناعي فضلاً

---

(1) السيد أحمد عثمان: المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، دراسات تفسيرية وتربوية، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1979م، ص، 12.

عن سهولة انتقال الخدمات والسلع داخل الحدود القومية بين الدول بعضها البعض مما خلق روحاً جديدة من التنافس والعمل على جودة المنتجات الصناعية والزراعية.

على المستوى المالي :.

من المجالات اللازمة المهمة للعولمة المستويات المالية التي تعتمد على إنشاء الأسواق العالمية الجديدة وتوفير المزيد من السوق والسير بعدد حصول المقترضين على التمويل الخارجي . ولكن مع نمو وتطور هذه الهياكل العالمية بسرعة تفوق أي نظام رقابي انتقالي . زاد عدم استقرار البنية التحتية المالية العالمية بشكل كبير، وهو ما اتضح سلباً في الأزمة المالية التي حدثت في أواخر عام 2008م مما أدى إلى انهيار العديد من المؤسسات والشركات العالمية.

على المستوى الاقتصادي :.

سبق أن عرفنا العولمة ومفهومها الاقتصادي ولكن هذا المجال الثاني في الأهمية للعولمة بعد المستوى المالي، فعلى هذا المستوى تم إنشاء سوق عالمية مشتركة تعتمد على حرية تبادل السلع ورؤوس الأموال يعني أن حدوث أي انهيار اقتصادي في أي دولة قد لا يمكن احتواؤه بسهوله وذلك كما حدث لدولة اليونان مؤخراً.

على المستوى السياسي :.

استخدم مصطلح العولمة أحياناً للإشارة إلى تشكيل حكومة عالمية تعمل على تنظيم العلاقات بين الحكومات في الدول الأخرى وتضمن الحقوق المترتبة على تطبيق العولمة الاقتصادية والاجتماعية فمن الناحية السياسية تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بمركز قوة كبير بين قوى العالم أجمع بسبب قوة اقتصادها وما لديها من ثروة وفيرة، وبمساعدة الولايات المتحدة للصين فإنه من المحتمل في غضون العشرين عاماً القادمة أن تصبح الصين قوة اقتصادية عالمية كبيرة وعندها سوف تحدث حركة كبرى لإعادة توزيع مراكز القوة بين قادة العالم .

على المستوى اللغوي:.

من أكثر اللغات انتشاراً في العالم هي اللغة الإنجليزية حيث يتم تدفق حوالي 50٪ من البيانات عبر شبكة الإنترنت الأخرى مثل اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم والتي هي لغة أهل الجنة قال تعالى :(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[1]

على المستوى البيئي :.

ظهور تغيرات بيئية لا يتم مواجهتها والتصدي لها إلا بالتعاون الدولي مثل تغير المناخ وصراع الدول على حدود المياه وتلوث الهواء كما يحدث في الصين ومشكلة الصيد الجائر للأسماك في المحيطات لذا فإنه منذ أن تم تأسيس الكثير من المصانع في الدول النامية دون إتباع لوائح وقوانين البيئة كما ينبغي فقد تتسبب العالمية وكذلك التجارة الحرة في زيادة معدلات التلوث.

على المستوى الاجتماعي :

أضحت وسائل العولمة في مجال الإعلام والاتصالات وخصوصاً الأقمار الاصطناعية التي تدور حول العالم في كل لحظة تتسلل إلى البيوت على وجه الأرض دون استئذان، تلعب بشخصية الأفراد والأمم جميعاً وتثير في برامجها وأنشطتها الشهوات الجنسية، وتزين عبادة الجسد وتشيع أنواع الشذوذ وتحطم قيم الفطرة الإنسانية الرفيعة فتتناقض بذلك مع النظام الاجتماعي والأخلاقي الذي أراد الإسلام في ظله أن يبني مجتمعاً نظيفاً فاضلاً[2] إن التأثر بالغرب من شأنه أن يسهم في تفشى الفردية والمظاهر الاستهلاكية

---

(1) سورة يونس الآية 10.

(2) صلاح على : وزير شئون حقوق الإنسان : حنتوب الوحدة والثقافة الإسلامية الثالث : المسلمون بين عولمة الأخلاق وأخلاق العولمة..htto – ww.alwast news- 263.html

لتفقد الأسرة الكثير من مقوماتها وتصبح كياناً مادياً بدلاً من أن تكون محضناً لتربية الأولاد ومدرسة لإعداد الرجال .

إن صناعة السينما و الفضائيات و الموضة ومستحضرات التجميل ووسائل الترفيه نجحت في التأثير على المرأة من خلال تشكيل نموذج معين من المرأة العصرية يتناقض مع الهوية الإسلامية للمرأة . وعلى المرأة المسلمة أن تحافظ على هويتها وأصالتها في زمن كثرت فيه الأيادي في الداخل والخارج سراً أو علانية متآمرة على طمس هذه الهوية.

المبحث الثالث

الإسلام دين العولمة

المطلب الأول : السياسة الأمريكية تجاه الدول الإسلامية :

بعد سقوط الإتحاد السوفيتي وإنهاء الحرب الباردة بين القطبين الأمريكي والروسي اعتمدت الولايات المتحدة نظرية هنغنتون التي تمثلت في الآتي :ـ

- السيطرة على البترول .
- تقليم أصابع الدول الإسلامية التي امتلكت أو تريد أن .
- تمتلك أسلحة نووية .
- إعلان قائمة الدول التي ترعى الإرهاب.
- محاولة عزل الصين ودول الشرق الأقصى من العالم الإسلامي .

إن السياسة الأمريكية المبنية على الأحادية والقطرية تحاول تنفيذ هذه السياسة بالوسائل التي تمتلكها والتي تظن أنها كافية لتحقيق أهدافها الاستراتيجية في الانفراد بحكم العالم ، فقامت بغزو أفغانستان والعراق وعندما دخلت الصين بقوة في الشأن السوداني بما يتطابق مع تحليل هنغنتون بأن التحالف بين الكنغو شيوشية والإسلام سيكون مصير خطر على أمريكا وعلى دول الغرب، لذلك فإن إشكالية الصراع بين أنظمة الاستبداد والشعوب والدول الإسلامية تتمحور حول قضية العقيدة ومحاولة إقصائها عن الحياة لأنها هي الدافعة للنمو والنهوض والمانعة من السقوط والذوبان في الآخر وخاصة العقيدة الإسلامية لأنها تشكل رؤية كاملة للكون والإنسان، ذلك لأن الالتزام بالقيم الإنسانية وعلى رأسها الأخلاق يحقق التحصين الكامل وتحول دون الاختراق[1].

---

(1) جمال نور الدين: الخوف من الإسلام_ الأسباب والآثار ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية العدد العشرون 2010م

المطلب الثاني : هل سيكون الإسلام دين العولمة ؟

إن الإجابة نعم بالتأكيد لأن الإسلام سيسود العالم وذلك لخصائصه الذاتية والعوامل الأخرى التي أودعها الله فيه وهيأها له ليكون الرسالة الخاتمة الملائمة لكل بني البشر والجن في كل زمان ومكان وإلى قيام الساعة والتي سينتشر نورها ويعم الكون كله حسب الوعد الإلهي في القرآن الكريم وفى السنة النبوية الشريفة[1]. قال تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ)[2].

يقول د / **بركات حمد مراد** في كتابه " ظاهرة العولمة رؤية نقدية : 53" ولعل رأس الأمور التي تؤهل القيم الإسلامية أو رسالة الإسلام هي:

- تأهيل القيم الإسلامية للعالمية عن طريق الدين قال تعالى : (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[3].
- تأهيل القيم الإسلامية للعالمية عن طريق الإسهامات البشرية في بناء الحضارة والإمكانات المادية مثل البترول .
- تأهل قيم الشورى باعتبارها أساساً للنظام السياسي وإقامة مجتمع العدل والمساواة.
- جعل العلم الذي هو طريق النهوض فريضة على الناس جميعاً وإلغاء الكهانة الدينية والاستغلال باسم الدين .
- امتلاك النص الإلهي الخالد القادر على الإنتاج في كل زمان ومكان وهو القرآن الكريم.

---

(1) عيسى إبراهيم محمد : الإسلام دين العولمة : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة2010م الخرطوم،ص114.12.سورة آل عمران الآية 85.

(2) سورة آل عمران الآية 85.

(3) سورة البقرة، الاية256.

إن مفتاح المستقبل رهن بمعرفة كيفية مجابهة العولمة، فالإسلام بما يعرف من معرفة الوحي أسهم على مر تاريخه في إذكاء جذور الفكر العقلاني والعلمي وضبط أهدافه وربما سيطلع الإسلام بمسؤولية حمل هذا المشعل من جديد[1].

المبحث الرابع: استهداف الدين الإسلامي

المطلب الأول : الإسلام دين الحق :

لقد كرم الله سبحانه وتعالى بني آدم وفضلهم على كثير من خلقه كما كرم المسلمين باختيار الإسلام كدين يقودهم لخيري الدنيا والآخرة، وهو دينٌ لا يقبل غيره قال تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ [2])ويعني ذلك الاصطلاحي التسليم التام لله سبحانه وتعالى والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه، وهذه أسمى درجه في تحقيق العبودية لله[3].ولقد تمنى كل الأنبياء أن يكونوا مسلمين قال تعالى: على لسان نوح عليه السلام"فَإِن تَوَلَّيْتُم ْفَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" يونس 72. والصراع الذي يدور الآن بين الدول الغربية و الدول الإسلامية و رغم كثرة التحليلات إلا أنه يمكن دمجه في سببين:

السبب الأول:

أن الصراع هو امتداد للصراع الاستعماري القديم حول الموارد البكر التي توجد في باطن الأرض العربية والإسلامية والتي تحتاجهما الدول الغربية كمحركات لاقتصادها كموارد للطاقة والمواد الخام.

السبب الثاني:

إن الصراع هو استهداف الدين الإسلامي في المقام الأول بتدبير من الدوائر الصهيونية والمسيحية التي ترى في الإسلام خطراً على معتقداتها أو أنه يشكل حاجزاً

---

(1) عيسى إبراهيم محمد : الإسلام دين العولمة: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة 2010م الخرطوم، ص115

(2) سورة آل عمران الآية (85).

(3) عيسى إبراهيم محمد : الإسلام دين العولمة: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة2010م الخرطوم، ص85.

بينها وبين الوصول لأهدافها في السيطرة على الموارد أو لسبب الأفكار والسلوك العدائي الذي يبديه نحوها بعض المتعصبين أو الأصوليين الإسلاميين.

وعليه يرى الكثيرون أنه لابد من تهدئة هذا الوضع الذي تكون نتيجته الأضرار البليغة التي تلحق بالمسلمين باعتبار عدم التكافؤ في المقدرات الإعلامية والدعائية والمال والتكنولوجيا والسلاح، إذ يميل الميزان لمصلحة الدول الغربية لذلك يرفع كثيرون شعارات حوار الأديان أو حوار الحضارات أو توحيد الديانات والدافع الأول في ذلك هو تجنب الذين يرون أن عدم التكافؤ هذا يؤدي إلى الإضرار بمصالح الدول الإسلامية والمسلمين ومستقبل الإسلام نفسه ، والدافع الثاني هو دافع حسن النية في الاعتقاد بأن الغرب يمكن أن يتقبل وجهة نظرهم ويحاورهم بصورة جادة ويتعامل مع ما يقضي إليه الحوار بمسؤولية ، وعن طريق هذه الحوارات يمكن إظهار الإسلام بالصورة المغايرة لما تكون عند الغربيين بأن الإسلام هو دين الإرهاب والتخلف وعدم قبول الآخر و هضم حقوق الإنسان والعدوانية والقسوة وغيرها من الأوصاف التي ألصقت بالإسلام[1].

المطلب الثاني: جوهر رسالة الإسلام:

يمكن من نتائج الحوارات السابقة والإيمان بالله استغلال جوهر الأديان كما يقول الإمام الصادق المهدي- السودان- للتوحد مع الآخرين للعمل سوياً على تحقيق القيم الآتية:

- مناصرة الأديان: في مواجهة الإلحاد
- الفضيلة : في مواجهة الرذيلة
- العدالة : في مواجهة الظلم
- السلام : في مواجهة الحروب
- العلاقات والأخوة البشرية : في مواجهة العنصرية

(1) عيسى إبراهيم محمد: الإسلام دين العولمة: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة2010م الخرطوم، ص86.

وهذه القيم هي جوهرة رسالة الإسلام، ولإنجاح الحوار لابد من وجود أهداف مشتركة والتوحد حولها وعلى الطرفين التعمق في المعرفة والفكر علماً بأن الدول الغربية نظرتها استغلالية للدول الإسلامية كما أن الدول الغربية دولٌ علمانية لا يمثل الدين ركناً أساسياً في حياتها كما هو عند المسلمين إذ أن السياسة منفصلة عن الدين بينما هي مرتبطة بالدين عند المسلمين، كما يجب التصدي للجماعات الإسلامية المتشددة في أفكارها بالحجة والمنطق وليس بالقهر والعنف الذي يؤدي إلى تماديها في اتجاه الإساءة للإسلام ويعتقد الباحث أن هذه هي الخطوة الأولى للحوار، أي ثبات وترميم الداخل الإسلامي[1].

المطلب الثالث: سلبيات العولمة :

الحديث عن عولمة الاقتصاد وعولمة الثقافة يتبعها الحديث عن عولمة الأخلاق، بحيث تستقل الأخلاق عن العلم والسياسة مما يؤدي إلى زوال الخصوصية الأخلاقية لكل المجتمع..

العولمة تحارب الهوية العربية الإسلامية وتدعو إلى إغلاق الجانب التاريخي للإنسانية، وفتح المجال للدافع الجديد في التبلور والإبداع، كما تسعى العولمة إلى تذويب الحدود الجغرافية بين دول العالم، وسوف يحارب ويحاصر اقتصادياً من لا يوافق ويكون معزولا ويُعد توحيد الدول الأوروبية مثالاً لهذا المخطط. وتحت مسمى عولمة بلا أخلاق، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صل الله عليه وسلم قال" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" رواه مسلم.

كتب د/ طلال عتريس أن التحولات التي بدأت تتسلل إلى علاقات الناس فيما بينهم وإلى الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها وإلى القيم التي يدافعون عنها، ومن ذلك سبيل المثال السرعة والقوة والربح و المنفعة في كل شؤون الحياة على حساب قيم التضحية والمساعدة و التعاطف حتى أمكن القول إن العولمة هي ضد الأخلاق.

---

(1) حسين إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي: مكتبة النهضة المصرية ط9، 1979م

ولقد أدى التلاعب الدولي بالموضوع الأخلاقي إلى انتهاك الأخلاق والمبادئ على مستوى الممارسة من تأييد حقوق المرأة وإنسانيتها إلى استخدامها موضوعاً للاستهلاك الجنسي والدعوة إلى حقوق الطفل إلى حماية الشبكات الدولية التي تتاجر بهؤلاء الأطفال. أما في مجال السياسة ونظم الحكم فإن العولمة قد ركزت على الديمقراطية وهي حكم الشعب لا حكم الشعب بالشرع الإلهي وإهمال الأساسيات الدينية في مجال العقائد تحت وطأة النمط الثقافي وسيادة اللغة الإنجليزية على جميع اللغات بما فيها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.ويلاحظ الباحث أن البرامج الترفيهية التي تنقلها وسائل الإعلام في الغرب هي الأكثر ضرراً على القيم الإسلامية التي نريدها للطفل المسلم[1].

المبحث الخامس: العولمة وشبكة الإنترنت

شبكة الإنترنت (الإيجابيات والسلبيات)

المطلب الأول: مخاطر الإنترنت :

رغم إيجابياته العديدة إلا أن للإنترنت كثيراً من المخاطر تتمثل في الطابع العالمي للشبكة، ذلك لأن القوانين الصادرة بشأن مخاطر الإنترنت في دولة ما ، تكون غير سارية بالضرورة في دولة أخرى، كما وليس هناك حدود تقيد حرية المعلومات على الشبكة العالمية[2].

وهكذا فإن حضارة الشبكة الداخلة إلى بيوتنا تحمل المعرفة بيد وتحمل الشر باليد الأخرى مما يستوجب الحذر والتحصين.

وفيما يلي نشر لبعض تلك المخاطر الناتجة عن هذه الشبكة المثيرة:

أ / <u>الإنترنت</u>:

(أغنت الأغنياء وأفقرت الفقراء) .

---

(1) عبد الرشيد عبد الحافظ: الآثار السلبية للعولمة وسبل مواجهتها ط1، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر ، 2005م القاهرة.

(2) الطيب علي عبد الرحمن: العولمة قدر أم اختيار 2005م الخرطوم.ص 179.

(التكنولوجيا توسع الفجوة بين الأثرياء والفقراء) .

تحت هذين العناوين يتحدث رتشارد جولي الذي أعد بحثاً جديداً للأمم المتحدة أوضح فيه :

أن شبكة الإنترنت تسهم في توسيع الفجوة بين الأغنياء والفقراء والتي بلغت مدى لم يسبق له مثيل، وذكر أنه في بلد مثل بنغلاديش يصبح شراء الكمبيوتر أمراً كمالياً إذ يكلف شراؤه ما يعادل دخل موظف حكومي لثمان سنوات، بينما يستطيع مواطن أمريكي أن يشتري كمبيوتر براتب شهر واحد وبنفس المواصفات التي رصدت لبنقلاديش[1].

ويشير البحث إلى أن التقدم التكنولوجي قد يطور الكثير من الناس في كل أنحاء العالم لأنه يوفر مزايا هائلة فيما يتعلق بتطوير المعلومات والاتصالات، وفي ذات الوقت يحذر من الانتشار غير المتساوي للتكنولوجيا الحيوية، الشيء الذي لا يتوافر إلا للأغنياء من الذكور البيض والمتعلمين، أي أن التكنولوجيا أصبحت سلاحاً ذو حدين :يجتذب الكثير من الناس ولكنها تحل محل الكثيرين منهم وبتزايد ملحوظ حتى أصبحت أهم أسباب البطالة[2].

ويشير البحث إلى أنه في الوقت الذي تسارعت فيه وتيرة العولمة ، الا إن قدرة قادة العالم على التعامل مع النتائج المترتبة على ذلك قد تراجعت كثيراً. ومن جانب آخر فقد وضح أن80٪ من كل مواقع شبكات الإنترنت بالإنجليزية ، في حين أن شخصا واحداً من بين كل عشرة أشخاص وعلى نحو عالمي يتحدثون بالإنجليزية ، ونشير إلى أن اللغات في العالم قد أصبحت مواجهة بغزو اللغة الإنجليزية والتي أشار إليها البعض بأنها أصبحت حقيقة مرة[3].نادى برنامج الإنماء التابع للأمم المتحدة بتقديم المزيد من العون

(1) الطيب علي عبد الرحمن، العولمة قدر أم اختيار 2005م، الخرطوم، ص179.

(2) صلاح علي، منتدى الوحدة الثقافة الثالث، المسلمون بين عولمة الأخلاق وأخلاق العولمة، 2005م، ص180.

(3) المرجع السابق.

التكنولوجي للدول الفقيرة محذراً من خطر إغفالها في غمرة الاندفاع لاحتكار المعرفة في العالم.

ب/ حرية (الإنترنت) تثير صخباً في أروبا:

أحدثت المخترعات المتميزة في التاريخ الإنساني في ثورات متلاحقة في أنماط الحياة البشرية ولا تكاد شبكة المعلومات الدولية تخرج من هذه القاعدة، فبجانب التغيرات التي نكرسها في الحياة اليومية أثبتت مهاراتها الفائقة في إثارة التجاذبات في الناحيتين الفكرية والقانونية بشكل نادر الحدوث ، لقد كان التحدي الذي فرضته شبكة الإنترنت واضحاً للجميع.

- هل هناك من يحتمل الحرية المطلقة من كل القيود أو يقبل بديمقراطية الباب المفتوح على مصراعيه؟

في أروبا يكثر الجدل حول هذه القضية فالحرية المتاحة في القارة العجوز تصطدم بالحريات الخارجة عن الحد في العالم الجديد، مما يبث عبر المواقع الأمريكية في الإنترنت يثير حنق المسؤولين الأوربيين بشكل متزايد[1].

20.صلاح علي: منتدى الوحدة والثقافة الإسلامية الثالث: المسلمين بين عولمة الأخلاق وأخلاق العولمة2005،ص180.

المطلب الثاني: الإيجابيات والسلبيات :

أ/ الإيجابيات:

تتمثل في المعالجات الصحافية والثقافية العربية وتبشر بسيادة نوع إيجابي بالمصاحبات والنتائج العظيمة الفائدة للتدفق الاتصالي والثقافي الذي يزداد مع توسع العولمة واختراقاتها للنطاقات الثقافية والوطنية وتستند في ذلك إلى الدور الذي يتحقق فيه نقل المعلومات من أحد أطراف الكرة الأرضية إلى الطرف الأقصى الآخر بسرعة وكفاءة.

---

(1) صلاح علي، منتدى الوحدة الثقافة الثالث، المسلمون بين عولمة الأخلاق وأخلاق العولمة، 2005م، ص180.

1)انتشار شبكات البث الفضائية يفرض تحديات على وسائل الإعلام العربية وتدفقها إلى حلبة المنافسة.

2) الزيادة في تنمية المعارف والمدركات وتطوير الوعي برؤية وقراءة التغيرات والتطورات في مختلف مناطق العالم.

3) قيام أجهزة الكمبيوتر بمهمات كانت قاصرة على الناس.

4) التنقيب عن الثروات المعدنية بواسطة الأقمار الصناعية.

5) مفيد للبيئة مثل قيام منظمات السلام الأخضر الدولية.

6) تفيد الأقمار الصناعية في أغراض المساحة المدنية والعسكرية وتخطيط المدن والمناطق السياحية[1].

ب/ السلبيات:

وهي كثيرة منها:-

(1)الاستعمار الإلكتروني عن طريق استيراد أجهزة الاتصالات.

(2)الهيمنة الأمريكية في مجال تدفق البرامج الإعلامية والتلفزيونية مما حدا بأحد الخبراء في إشارة إلى أن الأطفال الكنديين من كثرة ما يشاهدون من برامج أمريكية أضحوا لا يعرفون أنهم كنديون.

(3)القضاء على خصوصية الأفراد وحقهم في الحفاظ على حرماتهم وأسرارهم الخاصة.

(4)تغيير السلوك والنشاط البشري إلى طابع أشمل يحتوي على صفة العولمة.

(5)ضعف القوميات في بلاد العالم الثالث وخاصة دور لغاتهم الأم أو اللسان القومي.

(6)تمثل ثورة المعلومات تهديداً للأمن القومي للمجتمعات بفعل المعلوماتية المفتوحة فقد أصبح العالم قرية صغيرة تكاد معلوماته تكون على مشاعة ما لم تتوافر إمكانيات فاعلة لصيانتها من الاختراق[2].

---

(1) الطيب علي عبد الرحمن: العولمة قدر أم اختيار 2005م الخرطوم، ص 208.

(2) المرجع السابق.

المطلب الثالث: واقع المسلمين اليوم :

حسب تقارير الأمم المتحدة فإن واقع المسلمين يقول:

(1)يعاني 997 من العرب فوق 15 سنة من الأمية التكنولوجية.

(2)يشكل المسلمون ربع سكان العام ومع ذلك فإن حصتهم من الثروة العالمية 6٪.

(3)يُعدُّ ثلثا سكان العالم من المسلمين.

(4)حوالي 1.2 مليون مسلم من ذوي التعليم العالي يقبلون بسبب استنزاف العقول على الهجرة إلى أمريكا الشمالية و أستراليا ونيوزلندا وكندا كل عام.

(5)في العقود الثلاثة الماضية لقي ما لا يقل عن 2.5 مليون شخص حتفهم في حروب داخل أو بين الدول الإسلامية.

(6)80٪ من لاجئي العالم مسلمين.

هذا الواقع من حالة الضعف في بلاد المسلمين استغلته فيه الدول الغربية في الصراع ضد الإسلام لأن المسلمين فقدوا ميزان القيادة في مجال العلوم الدنيوية ، لذلك اعتقدوا بأن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين وأن العلم الحديث تحدى الإسلام وذلك بدون معرفة حقيقية بالإسلام، ورسخ ذلك في أذهان المسلمين أنفسهم وبأنهم يعيشون في مرحلة انحطاط منذ سقوط الدولة العباسية ناسين في ذلك العقول التي تشربت بالعلوم الإغريقية والرومانية والفارسية ونقحتها وطورتها وقدمتها في طبق من ذهب إلى الغرب ليبني عليها حضارته.

والإسلام يشجع على العلم المسخر لخير الإنسان والعمارة في الأرض ولا يعارضه على أساس أن العلم كله من الله أما غير المسلمين فإن تطورهم مبني على الثقافة المادية العلمانية التي سيمتها حب التفوق والتملك والتسابق نحو السيطرة على مقدرات الآخرين بالتكنولوجيا والمال والسلاح لأنها أساس الصراع في الحياة بين دول لا تؤمن بدين أو أن دينها نفسه يحثها على ذلك[1].

---

(1) عيسى إبراهيم محمد : الإسلام دين العولمة : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة2010م الخرطوم، ص 66_65"

الخاتمة وأهم النتائج:

هدفت هذت الدراسة إلى التعرف على ظاهرة العولمة وآلياتها وانعكاساتها على القيم الإسلامية في بلاد المسلمين ومجتمعاتهم باعتبار أن العولمة مرحلة حضارية في مراحل التطور الإنساني حدثت نتيجة التفاعلات السياسية والاجتماعية في المجتمعات البشرية على مر التاريخ الإنساني وآلياتها التي تحقق أهدافها في التحكم في الاقتصاد والثقافة والسياسية والإنسانية بما يخدم مصالح الدول الغنية على حساب مصالح الدول الفقيرة أو الضعيفة.

أهم النتائج:

(1) أن للعولمة إيجابيات من الناحية العلمية والاقتصادية مثل التطور في وسائل التكنولوجيا و التصنيع والتجارة والاكتشافات العلمية والبحوث المتطورة مما يسارع في التقدم الصناعي التكنولوجي لدول العالم أجمع.

(2) تسبب العولمة القلق والاضطراب للدول التي لا تزال الأخلاق تشكل فيها مرجعية ثقافية ودينية وسلوكية وتربوية ، ويمكن القول إن العولمة ضد الأخلاق.

(3) إن العولمة تحارب الهوية العربية والإسلامية.

(4) تدفق المعلومات عن طريق شبكة الإنترنت وإدخال القيم الجديدة للبيوت دون إذن من أهلها يؤدي بالأسر إلى زوال خصوصيتها الأخلاقية والثقافية.

(5) تركز العولمة في النظام السياسي على دعم الديمقراطية كنظام للحكم دون إعطاء أي اهتمام للأديان السماوية والشرع الإلهي.

التوصيات:

(1) على الدول العربية والإسلامية والدول الفقيرة عموماً محاولة فك الارتباط مع الغرب والاعتماد على الذات.

(2) التفاعل الإيجابي الرشيد.

(3) عدم السكوت على الآثار السالبة لوسائل الإعلام والاستسلام لها بما يهدد قيم المجتمع المسلم وثقافته.

(4) غرس القيم الإسلامية التربوية في النشء بواسطة المناهج التربوية لأن مصدرها الدين ولها أهداف ومقاصد ونموذجها الذي يحتذى به هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

(5) يوصي الباحث بإجراء دراسة شاملة لكل سلبيات العولمة وآثارها على المجتمع الإسلامي وطرق مواجهتها مستقبلاً.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. كتب الحديث.
3. السيد أحمد عثمان: المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، دراسات تفسيرية وتربوية، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1979م.
4. الطيب علي عبد الرحمن: العولمة قدر أم اختيار 2005م الخرطوم.
5. إبراهيم سعد، صور المستقبل العربي ط2 ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1985م .
6. أحمد يوسف أحمد: العرب وتحديات النظام الشرق أوسطى 1994م القاهرة.
7. الشحات حمود عطا : التمكين العالمي للإسلام: كيف كان وكيف يكون جـ2 2000م العواصم للنشر والتوزيع ،كفر الشيخ بيلا_ الكوم الطويل.
8. بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، 2001م .
9. جمال نور الدين: الخوف من الإسلام_ الأسباب والآثار ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية العدد العشرون 2010م.
10. حسين ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي: مكتبة النهضة المصرية ط9 ، 1979م.
11. صلاح علي: منتدى الوحدة والثقافة الإسلامية الثالث: المسلمين بين عولمة الأخلاق وأخلاق العولمة 2005م .
12. سعيد محمد عثمان: العولمة السياسية بين الفكريين الإسلامي والغربي من المنظور التاريخي، الناشر مؤسسة شباب الجامعة 2007م الإسكندرية.

13.عبد القادر أحمد الشيخ الفادني، العولمة وتحدياتها التربوية والثقافية، الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2000م .

14.عبد الرشيد عبد الحافظ: الآثار السلبية للعولمة وسبل مواجهتها ط1، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر ، 2005م القاهرة.

15.عبد العزيز عتيق: المدخل إلى عالم الصرف والنحو، دار النهضة بيروت.

16.عيسى إبراهيم محمد: الإسلام دين العولمة: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة2010م الخرطوم.

علاقة السلوك الديني بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى طلاب المستوى الجامعي

د. سمية خليفة محمد المهدي ❀

❀ - أستاذ مساعد ، قسم علم النفس التربوي، كلية التربية ، جامعة البطانة.

ملخص البحث

الهدف من هذه الدراسة التعرف على العلاقة بين الالتزام بالسلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي لدى طلاب المستوى الجامعي .وتكونت عينة الدراسة من (160) طالب وطالبة من طلاب الجامعات –المستوي الثالث موزعين على الكليات التالية:-

1) جامعة الجزيرة كلية التربية الحصاحيصا .
2) جامعة القرآن وتأصيل العلوم مدني – كلية الدراسات .
3) جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا مدني –محاسبة.
4) كلية مدني الأهلية–إدارة –محاسبة .

وكانت أدوات البحث كما يلي :-

1- طبقت الباحثة مقياس السلوك الديني والانفعالات الدينية الذي صممه مهيد محمد المتوكل (1998) .
2- مقياس التوافق النفسي – هيو م بل – (1934) ترجمة محمد عثمان نجاتي (1960). وقد تم تطبيق هذين المقياسين علي البيئة السودانية وتم اختبار صدقهما وثباتهما ولتحليل المعلومات استخدم الباحث الأساليب الإحصائية التالية :

1- معامل ارتباط بيرسون لحساب العلاقة الارتباطية لمتغيري البحث.
2- اختبار(ت) لحساب دلالة الفروق.

وأشارت النتائج إلى الآتي :

1) توجد علاقة ارتباطية موجبة بين الالتزام بالسلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير التوافق النفسي و الاجتماعي ترجع للنوع (ذكر/ أنثى) .
2) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للتخصص الدراسي .
3) توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للنوع (ذكر/أنثى) لمصلحة الطالبات .

وفي ختام البحث قدمت الباحثة بعض التوصيات والمقترحات ..

Abstract

The aim of the study is to know the relationship between the commitment in the religious behavior and the social and psychological adjustment of University students .The sample of the study consisted of (160) students of the third level there were dividing into the following faculties : 1/ Faculty Of Education – Univercity of Gezera 2/ Islamic Studies –Univercity of Quran 3/ Acount administration – Medani Civil Faculty .The tools of the study were are the following :1/ the researcher has applied the scale of the religious behavior and the religious emotion that has been designed by Muhaid Mohamed Almutwackil.(1998) . 2/Adjustment measure for Hue.M.Bel (1934) translated by Mohamed Osman Nagati (1960) and the measures have been practices on Sudan environment and their validity and reliability have been tested. The researcher used the following statistical tools to analysis information :1/ Person correlation coefficient .2/ T .test to account statistical differences . The results of this study are1 :/there are positive correlation coefficient between commitment in the religious behavior and emotions and between the social and psychological adjustment . 2/there are no statistical significant differences in the committee direction of the dynamic of social and psychological adjustment refer to the gender (feminine or neuter). 3/there are no statistical significant differences in the commitment of the religious behavior and the religious emotions refer to the sort of study . 4/there are statistical significant differences in the commitment of the religious behavior and the religious emotions refer to the gender for the favor of female . In the light of the above result the researcher was come up with numbers of recommendations and suggestions for further researches.

هيكل البحث :

المقدمة

- مشكلة الدراسة ، أهمية الدراسة ، أهداف الدراسة ، فروض الدراسة ، حدود الدراسة ، مصطلحات الدراسة .

المبحث الأول: الإطار النظري والدراسات السابقة :

- أولاً : التدين .
- ثانياً : التوافق النفسي .
- ثالثاً : الدراسات السابقة .

المبحث الثاني: إجراءات الدراسة الميدانية :

- أولاً : منهج الدراسة .
- ثانياً : مجتمع الدراسة وعينة الدراسة .
- ثالثاً : المقاييس المستخدمة في الدراسة .
- رابعاً : الأساليب الإحصائية .

المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها .

الخاتمة:

- أهم النتائج .
- التوصيات .
- المقترحات .
- قائمة المصادر والمراجع.

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وهدانا إلى صراطه المستقيم والصلاة والسلام على خير البشر من بدو وحضر سيدنا محمد الذي انشق له القمر ،الرسول القدوة فلا قدوة سواه ولا أسوة بغيره الذي كانت حياته نموذجاً عملياً لأدب النبوة والتربية والذي بعث رحمة للعالمين والذي أبان لنا الطريق بالوحي قال تعالى : (وهديناه النجدين) (البلد 10) .التربية هي الرحم الذي تتخلق فيه الأجنة بكل طاقاتها وقدراتها بشكل سليم و هي المناخ الذي يوفر الشروط لرعاية القابليات وتنمية كل القدرات والطاقات التي توزع وظائف الحياة الاجتماعية وتشكل النسيج الاجتماعي . وضح الإسلام الأسس التربوية الصحيحة لتربية الإنسان في جميع مراحل حياته والتي عن طريقها يتم التوافق النفسي والاجتماعي للفرد ومن ثم يستطيع أن يحقق ما فيه الخير والصلاح للمجتمع .

إن الإسلام وضع الحلول لكل المشكلات التي تعتري حياة البشر قال تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام :38) عليه فإن العمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلي الله عليه وسلم هي المنقذ للإنسان ، والدين الإسلامي هو دين التوسط والاعتدال وهو الذي يقود الإنسان إلي التوافق الصحيح مع نفسه ومع الآخرين والوصول إلي الصحة النفسية وتحقيق الشخصية السوية . التوافق النفسي هو حالة دائمة نسبياً يكون الفرد فيها متوافقاً نسبياً مع نفسه ومع الآخرين ويكون قادراً علي مواجهة مطالب الحياة وإن لم يستطع تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي يكون عرضه للإصابة بالاضطرابات النفسية التي تعوقه عن أداء العبادة التي خلق من أجلها الإنسان قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). (الذاريات 56) وعن القيام بدوره في المجتمع.

وتري الباحثة أن التوافق النفسي والاجتماعي للطلاب يشكل أهمية قصوى ، فعن طريقه يستطيع الطالب تقبل نفسه وبالتالي تقبل الآخرين، وهذه الدراسة محاولة لاكتشاف العلاقة بين الالتزام بالسلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي لطلاب المستوى الجامعي.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في النقاط التالية :

أولاً: تنبع أهمية هذه الدراسة من معالجة موضوع التدين برؤية جديدة وذلك من خلال التعرف على علاقة السلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي .

ثانياً: تتمثل أهمية الدراسة في المحاولة على التعرف على كل من مفهومي التوافق النفسي والاجتماعي واللذين يمثلان أهم محاور تحقيق الصحة النفسية والجسمية ويأتي إبراز علاقتهما بالإلتزام بالسلوك الديني إضافة أخرى لأهمية هذا البحث .

ثالثاً: تتمثل أهمية الدراسة في اختيار العينة من بين شريحة طلاب الجامعات السودانية حتى تتحقق الشخصية السوية في هذه الشريحة من طلاب الجامعات .

رابعاً: تأتي أهمية هذه الدراسة أيضاً من أنها يمكن أن تُعدَّ إضافة جديدة لأسلمه علم النفس وفي إمكانية الاستفادة منها في إعداد برامج فعالة في مجال الصحة النفسية والإرشاد النفسي والديني .

أهداف الدراسة :

أ/ معرفة طبيعة العلاقة بين السلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي وسط الطلاب.

ب/ التعرف على الفروق الإحصائية في التوافق النفسي على ضوء النوع (ذكر/ أنثى) .

ج/ معرفة مدى وجود فروق في الالتزام بالسلوك الديني على ضوء النوع (ذكر/أنثى).

مشكلة الدراسة :

لاحظت الباحثة من خلال عملها في المرحلة الجامعية أن كثيراً من الطلاب يعانون من سوء التوافق الأمر الذي انعكس سلباً على تحصيلهم الدراسي وتفاعلهم الاجتماعي وتوافقهم النفسي والاجتماعي مما دعا الباحثة لمعرفة الأسباب التي تكمن وراء هذا الموضوع وهل البعد عن التدين أو الالتزام بالسلوك الديني له علاقة بسوء التوافق، على أن تصاغ مشكلة الدراسة في السؤال التالي :

هل هناك علاقة بين الالتزام بالسلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي لطلاب المستوى الجامعي ؟

ذ فروض الدراسة :

الفرض الأول: توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائية بين الالتزام بالسلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي لطلاب المستوى الجامعي.

الفرض الثاني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير التوافق النفسي والاجتماعي ترجع للنوع (طلاب /طالبات) لمصلحة الطلاب .

الفرض الثالث: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير إلا السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للتخصص الدراسي.

الفرض الرابع: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للنوع (طلاب / طالبات) وهذه الفروق لمصلحة الطالبات.

حدود الدراسة :

الحدود المكانية : جامعة الجزيرة كلية الاقتصاد وكلية التربية –الحصاحيصا – كلية مدني الأهلية - جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم– مدني– جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

الحدود الزمانية: 2002م

مصطلحات الدراسة:

السلوك الديني : وهو يشير إلى التدين أي الالتزام بالسلوك الديني والتدين مأخوذ من الدين ومن معانيه اللغوية الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة ،التدين هو الطريقة أو المذهب الذي يسير عليه المرء نظرياً وعملياً وهو المنهج الذي يتبعه في حياته وفي علاقته مع غيره وفي عبادته لربه وفي خضوعه لله تعالى، (الزجيلي ، 1990: 5)

التوافق النفسي والاجتماعي:هو عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة الطبيعية والاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته .(زهران، 1997:27).

المبحث الأول

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً- التدين

معنى التدين: التدين مأخوذ من الدين ومن معانيه اللغوية : الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقليد ، من دان به أو دان بالشيء أي اتخذه ديناً ومذهباً أي اعتقده أو اعتاده، ودان بالإسلام دينا أي تعبد به وتدين ، فالتدين هو الطريقة أو المذهب الذي يسير عليه المرء نظرياً وعلميا ، وهو المنهج الذي يتبعه في حياته وفي علاقته مع غيره وفي عبادته لربه وفي خضوعه لله تعالى . والإسلام هو دين الله تعالى الذي يدعو إلى الاعتدال في جميع جوانب الحياة ، أي الاعتدال في التدين . (الزحيلي ، 1990:5) .

وجاءت النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة الشريفة تؤكد هذا المعني العام في طلب الاعتدال في التدين وهو ما يرادف التوسط في الأمور ، أو الوسطية في الحياة والسلوك ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ (البقرة 143).

وتأكد هذا المعني في أحكام فرعية كثيرة وفي أصول الشرع والدين وفي قواعده وفروعه فأمر بالاعتدال في الإنفاق مثلا وعدم الإسراف في المال أو التبذير فيه كما أمر بعدم البخل والشح والتقتير وأثني علي عباد الرحمن المؤمنين الفائزين برضوان الله تعالى وجناته بأنهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ (الفرقان:) 67.

إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية ،بحيث يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم وفي حدود طاقاتهم البشرية وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل بيئة ، هذا المنهج الذي يمثله الإسلام في صورته النهائية كما جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر تؤمن به إيماناً كاملاً وتستقيم عليه بقدر طاقتها وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك ، وتجاهد لهذه الغاية بكل ما تملك ، تجاهد الضعف البشري والهوى البشري في داخل النفوس (على ،2000: 10) . إن الدين يعرف بعباداته بين أناس كثيرين لا يعرفونه بعقائده ، وربما استدلوا على العقائد بالعبادات؛ لأن العبادة فرع من العقيدة والتجسيد العملي لها ، والعبادة هي المظهر للعبودية الحقة لله، إن لتنوع العبادات سراً خفياً فكل عبادة تبني جانباً من جوانب الشخصية الإنسانية ، المادية منها والمعنوية ، فالصلاة تبني جانب الحركة والنشاط والزكاة تبني عواطف

الحب والإيثار والصوم يبني ضمير الإنسان ويغذي روحه وأشواقه والحج يبني النزعة الفطرية للاجتماع ويعبر عن دوافع الأسفار والرحلات . وليس معنى هذا أن العبادات تقتصر على بناء هذه الأركان فما يعلم تأويلها إلا الله فإنها قبل كل شيء هي مظهر عبودية لله ثم تجئ الأهداف الأخرى معبرة عن جوانب حيوية في وجود الإنسان . (على ، 2000: 342).

دافع التدين: إن دافع التدين دافع نفسي له أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون وإلى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالباً منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروبها وهو يجد في حمايته ورعايته الأمن والطمأنينة ، نجد ذلك واضحاً في سلوك الإنسان في جميع عصور التاريخ وفي مختلف المجتمعات الإنسانية ، وتبين بعض آيات القرآن الكريم أن دافع التدين دافع فطري قال تعالى : (﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم 30)

ومن العوامل التي تساعد على إيقاظ وبعث دافع التدين في الإنسان ما يحيط به في بعض الحالات من أخطار تهدد حياته وتسد أمامه جميع سبل النجاة فلا يجد منها مهرباً إلا الالتجاء إلى الله فيتجه إليه بدافع فطري طالباً منه المعونة والنجدة مما يحيط به من أخطار قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ يونس22 . كل ذلك يدل على أن الدين فطري في طبيعة الإنسان (علي ، 2000: 49)

الاقتصاد في التدين : هو الاعتدال والاتزان والاستقامة في جميع أمور الدين بدون غلو ولا مغالاة وبدون تقصير أو إهمال ، إن الاقتصاد في الدين جاء به الشرع الحنيف أصلاً ويؤيده العقل ويتفق مع الفطرة البشرية والواقع الإنساني . فالإسلام لم يأت بالإيمان والعقيدة فحسب ولم ينحصر في الغيبيات وما وراء الطبيعة والكون وإنما جاء لينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بنفسه وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، وجاء هذا التنظيم عدلاً وسطاً لا إفراط ولا تفريط ، فأقام الإسلام التوازن بين الروح والجسد والعقل وشرع الأحكام لإقامة التوازن بين الدنيا والآخرة فقال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ

ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ ﴾ (القصص 77) . وهذا ما علمه الله تعالى للمؤمنين المتقين في دعائهم ، فقال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (البقرة 201- 202) وهذا ما بينه رسول الله ﷺ فقال (ليس خيركم من ترك آخرته لدنياه ، ولا خيركم من ترك دنياه لآخرته) (رواه الديلمي وابن عساكر عن انس) ، لذلك حرم الإسلام الرهبانية لأنها انقطاع عن الحياة الدنيا وتعطيل لمنافعها وقتل الغرائز البشرية وكبت لها وانحراف عن وظيفة الإنسان في الكون استخلافاً وعمارة وبناء وعبودية لله تعالى (الأصفهاني ،552هـ :404) . وهذا الاقتصاد والاعتدال والاتزان والتوسط والاستقامة في الأمور هو ما يتفق مع العقل السليم وهو ما دعا إليه العقلاء والحكماء والمصلحون في أقوالهم وأشعارهم ونصائحهم ،قال الشاعر :

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة فلا تركب ذلولاً ولا صعباً (المنذري ،1388هـ/1968م: 128/4).

ثانياً : التوافق النفسي

مفهوم التوافق من أكثر المفاهيم شيوعاً في علم النفس ذلك لأنه يقيم سلوك الإنسان ، وعلم النفس إنما هو علم سلوك الإنسان لذلك لا نجد مؤلفاً في هذا العلم إلا وقد تضمن تعريفاً وتحديدا لهذا المفهوم لذلك أحيط به كثير من الخلط (عوض ،1996: 21) . توافق تعني التقريب والوفاق من الناحية اللغوية وهذا المعني الذي اختاره علماء النفس للدلالة على حالة التقارب بين طرفين يسعى كل واحد منهما إلى إضعاف عناصر الخلاف وتنمية عناصر الاتفاق (عبدالله ، 1981: 32) .

توجد مفاهيم عديدة ذات صلة بالتوافق منها مفهوم التكيف ، والفرد لابد أن يسعي إلى تحقيق التكيف بين عناصر ذاته المختلفة وكذلك بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه ولكن تحقيق التكيف ليس بالأمر الهين إذ يتعرض الإنسان لكثير من المشكلات التي تعرض حياته للاضطراب ولذلك يلجأ إلى كثير من العمليات العقلية اللاشعورية كالتبرير والكبت والإسقاط وإذا فشل في تحقيق التكيف فإنه يبتعد عن حالة السواء ويقترب من حالة الشذوذ أو المرض وكلما كان الإنسان أقدر على حل مشكلاته حلاً منطقياً كان أميل إلى اكتساب الصحة النفسية (عيسوي ، 1997 :ز.و.ص) . ومصطلح التكيف مستمد أصلاً من علم الحياة ويعني أي تغير في الكائن الحي سواء أكان في الشكل أو الوظيفة يجعله أكثر قدرة على المحافظة على حياته وبقاء جنسه ، وفي علم النفس يعني التغير الذي يطرأ علي الخبرة الحسية من حيث الكيف أو الشدة أو الوضوح عندما يظل التنبيه ثابتاً كالتكيف في حالات البصر واللمس والتذوق والألم (عبدالله ،1997: 241) وعملية التكيف داخلية وخارجية تتضمن التلاؤم مع البيئة التي تختلف وتتغير (Dancer، 1972: 148)

وعندما وصل مفهوم التكيف إلى تفسير السلوك الاجتماعي أصبح أكثر اتساعاً بحيث شمل كل ما يقوم به الفرد من سلوك ليوائم بين سلوكه ومطالب البيئة التي ستعيش فيها أي إن مفهوم التكيف في علم النفس يقصد به تغير سلوك الفرد كي ينسجم مع غيره من الأفراد وخاصة باتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية (الصالح ،1996: 8) عليه نجد أن كلمة توافق أكبر إشارة للتكيف الذي يستهدف تحقيق الغرض وإشباع الحاجات اما بالتغيير أو التغير ، فالتوافق أكثر استهدافاً لغرض مقصود وبطريقتي التغيير والتغير لا بمجرد التغيير أي الفعل ولا بمجرد الانفعال مع البيئة (دسوقي ،1984: 112) . استخدم علماء الأخلاق هذا المصطلح للإشارة إلى الاتسام بالخلق المثالي حيث أن هناك قواعد محددة للسلوك والأفكار إذا التزمها الإنسان أصبح متوافقاً ، وأثرت آراؤهم في مبادئ علم النفس المعاصر (Lanyoni:5:1950) . يرى العلماء (الظواهريون) أنه لا يمكن تقدير أي سلوك متوافق وأي سلوك غير متوافق من قبل شخص آخر فالفرد صاحب السلوك هو الوحيد الذي يمكنه تقدير مناسبة سلوكه مستخدماً في ذلك إطاره المرجعي الفريد (خبراته الشخصية) (Lamyon:1975:12) . كما إن التفسير الظواهري للتوافق يعني الانسجام والمؤازرة والمشاركة والتضامن وهي مترادفات تقابل مصطلح (Confermity) (فهمي، 1979: 21)

يستعمل مصطلح التوافق (Adjustment) في علم النفس من وجهة النظر الميكانيكية في دراسة السلوك العضوي . وقد شاع مؤخراً استعماله في علم النفس فقد استخدمه علماء المدرسة السلوكية والطب النفسي ففي المدرسة السلوكية استخدمه واطسون يشير إلى دورة الاستجابات العضوية للكائن الحي للمثيرات ابتداء من التوترات النفسية عند غياب الطعام وما ينتج من انفراج هذه التوترات بعد إحضار الطعام (:Young1959:438) . أما في مجال الطب النفسي فقد استخدم في جانبين الجانب الأول هو التحليل النفسي فيستخدم هذا المفهوم مرتبطاً بالدراسات الموضوعية في توجيه السلوك في بعض المجالات وفي عملية التعليم فإن توافق الطلاب يعني الانسجام مع بيئة المدرسة والوالدين ، المدرسين ، الطلاب الآخرين . أما في الجانب الآخر وهو جانب علم الأمراض (الباثولوجي) يستخدم المصطلح بمعنى التوافق وسوء التوافق ومنها سوء التوافق مع المدرسة (الكردي ، 1980:11)

أبعاد التوافق : يصنف زهران التوافق بأنه عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة الطبيعية والاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته وهذا التوازن يتضمن إشباع حاجات الفرد تحقيق متطلبات البيئة وهو يحدد أبعاد التوافق في ثلاثة أبعاد وهي :

1/ التوافق الشخصي: 2/ التوافق الاجتماعي 3/ التوافق المهني

ويتفق في ذلك مع كل من تندال (1961) وشافار وشوبن 1956) والذين ذكروا أن هذه المجالات تتعدد بتعدد أوجه الحياة وهي :

1) التوافق الشخصي: ويتضمن الرضا عن النفس والسعادة مع النفس وإشباع الدوافع والحاجات.
2) التوافق الاجتماعي: ويتضمن السعادة مع الآخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية وتقبل التغير الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي السليم والعمل لخير الجماعة والسعادة الزوجية مما يؤدي إلى تحقيق الصحة الاجتماعية .
3) التوافق المهني : ويتضمن الاختيار المناسب للمهنة والاستعداد علماً وتدريباً لها والدخول فيها والانجاز والكفاءة والإنتاج والشعور بالرضا والنجاح وهو ما يعبر عنه بالعامل المناسب في المكان المناسب (عبد الغني ،2000:33). والتوافق يتضمن التكامل الشخصية وانتظامها وتوافق وظائفها المختلفة (عبد الغفار ،1979: 22) .

ضرورة التوافق : يفرضها كون الإنسان في مواجهة بيئته والفرد إزاء مجتمعه والبيئة تحوي مواد إشباع حاجات الإنسان إلى الطعام والشراب والمأوى والعمل من أجل العيش وتكوين أسرة وتربية أبناء والمجتمع يقوم بتنظيم استخدامات موارد البيئة بقواعد وعادات وسلوك وتقاليد وأعراف وقوانين لابد من الامتثال لها والخضوع لما تفرضه من توافق اجتماعي ، فالدنيا هي السعي والكد والعمل للتغلب على العقبات والعوائق والصعوبات وليس على الفرد فقط لكي يحقق التوافق إن يتغلب على العقبات الراجعة إلى قدرته بل يجب أن يتغلب على العقبات الأخرى التي ترجع أساساً لتغيرات ظروف الحياة ومواقف الفرد (دسوقي، 1984: 32) .

التوافق من منظور إسلامي :

يقوم المحك الإسلامي في السلوك السوي على فكرة التوازن أو الوسطية بين الأطراف أو الأقطاب والتوازن هو السمة الرئيسة في المحك الإسلامي لذلك يطلق عليه محك التوازن (Equilibrium Criterion) لأنه يعتمد على تحقيق التوازن بين جوانب النفس الإنسانية ويوفق بين النزعات المتقابلة في الطبيعة البشرية مثل الخوف والأمل ، والحب والكره والواقع والخيال ، والجوانب الحسية والجوانب المعنوية ،رغبة الفرد في السيطرة ورغبة الفرد في الخضوع ، كما يقوم على تحقيق التوازن بين الفرد من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى والكون بأسره من ناحية ثالثة .

السلوك السوي في الإسلام وسط بين الجماعة والفردية بمعني أن الإسلام يلغي الحواجز بين الفرد والمجتمع فلا ينظر للفرد إلا أنه فرد في جماعة كما أنه لا ينظر إلى الجماعة إلا باعتبارها مكونة من أفراد قال تعالى : (وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان وأتقو الله إن الله شديد العقاب) (المائدة :2) .

والسلوك السوي في الإسلام أيضاً وسط بين العبادة والعمل فالمسلم مطالب بأن يعمل وأن يتعبد بدون أن ينسيه أحدهما الآخر قال تعالي (.... وإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) (الجمعة :10) وكذلك يجمع السلوك السوي في الإسلام بين التطوع والالتزام فالأركان الخمسة في الإسلام تمثل قمة الالتزام بالنسبة للمسلم لأن إسلامه لا يصح إلا بأدائها .(كفافي ،1997: 59) . إن الشخصية السوية في الإسلام هي الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح وتشبع حاجات كل من البدن والروح وهي التي تعني بالبدن وصحته وقوته وتشبع حاجاته في الحدود التي رسمها الشرع وهي التي تتمسك في الوقت نفسه بالإيمان بالله وتؤدي العبادات وتقوم بكل ما يرضي الله تعالي وتتجنب كل ما يغضبه (نجاتي ،1993: 236) . عليه فإن توافق الإنسان في إطاره العام لا يمكن أن يتحقق إلا بإعطاء كل ركن من أركان الشخصية حقه ومستحقه من الإشباع والإرواء بنمطية متوازنة وعادلة لا يطغى فيها جانب على جانب قال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص :77) وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة:201) (الزحيلي، 1990: 7)

ثالثاً: الدراسات السابقة

1/ دراسة عبد الباسط (2000م) :

عنوان الدراسة : العلاقة بين التدين والاضطرابات النفسية (القلق والاكتئاب)

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين التدين والاضطرابات النفسية (القلق والاكتئاب) وتكونت عينة الدراسة من (200) طالب وطالبة (100) من أفراد العينة يمثلون الذكور بمتوسط عمر (23.2) سنة و(100) من الإناث بمتوسط عمر (22.5) سنة.

أدوات الدراسة: استخدم الباحث استمارة لجمع المعلومات الأولية بالإضافة إلى مقياس السلوك والانفعالات الدينية ومقياس المعرفة الدينية ومقياس القلق ومقياس الاكتئاب .

نتائج الدراسة:

(أ) وجود علاقة ارتباطية سالبة بين كل من أبعاد التدين الثلاثة والقلق والاكتئاب لدى الطلاب والطالبات .

(ب) وجود فروق دالة إحصائياً في القلق والاكتئاب تعزى لمتغير النوع

(ج) وجود فروق دالة إحصائياً في القلق وأبعاد التدين وسط الطلاب الذكور تعزي لمتغير التخصص الدراسي ،أما بالنسبة للطالبات فقد ظهرت فروق دالة في الاكتئاب وأبعاد التدين تعزي لمتغير التدين .أكثر أبعاد التدين قدرة على التنبؤ بمستوى منخفض للقلق والاكتئاب هي على التوالي بعدا المعرفة الدينية والسلوك الديني .

2/ دراسة حواء علي محمد الطيب (2000):عنوان الدراسة علاقة سمة التدين بمفهوم الذات

هدفت الدراسة إلى التعرف على علاقة سمة التدين بمفهوم الذات وتكونت عينة الدراسة من طلاب كلية التربية حنتوب بجامعة الجزيرة وحجم العينة (150) طالباً وطالبة .

أدوات الدراسة:

طبقت الباحثة مقياس الالتزام الديني من إعداد الباحث محمد أحمد خير السيد ومقياس تنسي لمفهوم الذات .وقامت الباحثة بتحليل المعلومات مستخدمة اختبار (ت) ومعامل ارتباط بيرسون للتأكد من صحة الفروض .

نتائج الدراسة :

(أ) وجود ارتباط موجب بين سمة التدين ومفهوم الذات .

(ب) توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة والطالبات في سمة التدين لمصلحة الطالبات .

(ج) كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب مرتفعي التدين ومتوسطي التدين في مفهوم الذات لمصلحة الفئة الأولى وكذلك توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب مرتفعي التدين وضعيفي التدين في مفهوم الذات لصالح الفئة الأولى .

3/دراسة محمد محمد مصطفى الشيخ : (1980) عنوان الدراسة ☺علاقة القيم الدينية بالتوافق النفسي) .

هدفت الدراسة إلى معرفة علاقة القيم الدينية بالتوافق النفسي .

وتكونت عينة الدراسة من طلاب جامعة الأزهري بلغ عددها (480) طالباً ومتوسط أعمارهم (23) سنة .

أدوات الدراسة : قام الباحث بتطبيق مقياس القيم الذي يشتمل علي (12) قيمة منها القيم الدينية ، قيم الإنجاز ،قيم التحرر وقيم المثابرة .

نتائج الدراسة :

أ/ وجد الباحث أن هناك ارتباطاً دالاً بين جميع القيم التي يقيسها مقياس القيم وبين التوافق النفسي .

ب/ وجد الباحث أن القيم الدينية هي الأكثر ارتباطاً بالتوافق النفسي إذ أنها تصدرت جميع القيم الأخرى التي تم قياسها . (فهمي ، 1975) .

4/دراسة ماكلين (1978) :

عينة الدراسة :

بلغت عينة الدراسة من (178) طالباً وطالبة من الجامعيين ، صنفهم (45) منهم على أنهم متدينون و(123) غير متدينين .

أدوات الدراسة :

استخدم الباحث مقياس التوجه الديني (الداخلي والخارجي) لألبورت واستبيان كلفورنيا للشخصية ومقياس الشخصية لكاتل وقائمة التفضيل الشخصي لإدوارد .

نتائج الدراسة :

أ) وجود فروق دالة بين المجموعتين (المتدينة وغير المتدينة) حيث أظهر المتدينون قدراً أكبر من ضبط الذات والكفاية الشخصية والاجتماعية .

ب) لا توجد فروق بين المجموعتين في النمو الاجتماعي والقدرة عل الإنجاز (عبد المجيد ، 1967) .

5/ دراسة سعيدة أبو سوسو (1986) :

عنوان الدراسة :أثر القيم الدينية والخلقية علي التوافق النفسي والاجتماعي :

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر القيم الدينية والخلقية على التوافق النفسي والاجتماعي وتكونت عينة الدراسة من مجموعتين اشتملت المجموعة الأولى على (100) طالبة مسلمة من بين الطالبات اللاتي اتسمن بالالتزام الديني وتكونت المجموعة الثانية من (100) طالبة مسلمة من بين الطالبات اللاتي لم يتسمن بالالتزام الديني .بلغ متوسط أعمارهن (22.7) .

أدوات الدراسة :

استخدمت الباحثة اختبار التوافق ومقياس التشدد في الخلق ومن اختبار القيم الفارق .

نتائج الدراسة :

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين في كل من متغيرات التوافق المنزلي والصحي والاجتماعي والانفعالي لمصلحة المجموعة المتسمة بالتدين (خير السيد ، 1998).

6/دراسة سعاد عبد العظيم البنا (1990) :

بعنوان : دور الأدعية والأذكار في علاج القلق :

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الأدعية والأذكار في علاج القلق عينة الدراسة : تكونت عينة الدراسة من (162) طالبة من طالبات كلية التربية بجامعة المنصورة وبلغ متوسط أعمارهن (21.6) ومن الأدوات التي استخدمت في الدراسة استخدمت الباحثة مقياس تايلور للقلق الصريح مع جميع أفراد العينة قبل تطبيقها لبرنامجها التجريبي الذي اشتمل علي مجموعة من الأدعية والأذكار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،وبعد تطبيق البرنامج التجريبي قامت الباحثة بقياس درجة القلق مرة أخرى لجميع أفراد العينة باستخدام مقياس تايلور.

نتائج الدراسة :

أوضحت نتائج الدراسة أن للأدعية والأذكار الواردة عن الرسول صلي الله عليه وسلم أثراً كبيراً في انخفاض مستوى القلق .

7/ دراسة أحمد القاضي (1990) :

هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير الألفاظ القرآنية في علاج التوتر العصبي وتكونت عينة الدراسة من ثلاث مجموعات أجريت عليهم سلسلة من التجارب في ولاية فلوريدا ،تضمنت المجموعة الأولى مجموعة من المسلمين المتحدثين باللغة العربية وضمت المجموعة الثانية عدد من المسلمين غير المتحدثين باللغة العربية.أما المجموعة الثالثة فقد اشتملت على مجموعة من غير المسلمين وغير المتحدثين باللغة العربية . قامت تجارب الدراسة في السلسلة الأولى على الاستماع لبعض آيات القرآن الكريم مسجلة علي شريط كاست ومتلو بصوت قارئ وقد بلغ عدد جلسات هذه السلسلة.(85|) جلسة استخدم فيها الباحث أجهزة إلكترونية مزودة بجهاز كمبيوتر لمراقبة وقياس أدق التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للتجربة .

وأظهرت نتائج هذه السلسلة وجود أثر مهدئ لآيات القرآن الكريم التي تم الاستماع إليها في(97٪) من أفراد العينة وظهر هذا الأثر في انخفاض مستوي ضغط الدم وانخفاض سرعة ضربات القلب، استرخاء العضلات، انخفاض مقاومة الجلد للتيار الكهربي الخفيف ،وزيادة موجات ألفا التي سجلها جهاز تخطيط الدماغ وفي السلسلة الثانية والتي بلغت جلساتها (85) جلسة أيضاً تليت على المتطوعين من أفراد العينة قراءات عربية غير قرآنية روعي فيها أن تكون مشابهة للقراءات القرآنية من حيث اللحن المميز للتلاوة، ولقياس الأثر استخدم الباحث الأجهزة الإلكترونية نفسها المشار إليها ،فأظهرت النتائج أن الأثر المهدئ عصبياً للاستماع ظهر في (35٪) من أفراد العينة.

وفي السلسلة الثالثة لم يستمع المتطوعون لأي قراءة خلال (40) جلسة وقد أوضحت نتائج هذه السلسلة أن الجلسات الصامتة لم يكن لها تأثير واضح على درجة التوتر العصبي وقد فسر القاضي هذه النتائج بأن لألفاظ آيات القرآن الكريم أثر في تخفيض مستوي التوتر العصبي.

مناقشة الدراسات السابقة على ضوء علاقتها بالبحث:

هذه الدراسات تم تصنيفها حسب المنهج العلمي المتبع فيها ،اتبعت كل الدراسات السابقة المنهج الوصفي وهذا ما اعتمدته الدراسة الحالية ما عدا دراستين فقط اتبعتا المنهج التجريبي .وبالرغم من اختلاف الموضوعات التي تناولتها هذه الدراسات من حيث نوع الاضطرابات النفسية والأساليب الإحصائية والبرامج التجريبية إضافة إلى اختلاف العينات (ذكور /إناث) والبيئة الاجتماعية والمستوى التعليمي إلا أن كل هذه الدراسات اتفقت نتائجها على أهمية التدين في الصحة النفسية، وتلاحظ الباحثة أن من بين الدراسات الوصفية التي قامت بعرضها والبالغ عددها (6) دراسات هناك دراسة واحدة فقط جمعت بين التدين والتوافق النفسي وهي دراسة سعيدة أبو سوسو (1986) بعنوان القيم الدينية والخلقية وأثرها علي التوافق النفسي والاجتماعي، وعليه يلاحظ قلة الدراسات الصفية التي تناولت علاقة التدين بالتوافق النفسي والاجتماعي .أما مجموعة الدراسات التي اتبعت المنهج التجريبي والتي تتصل بموضوع البحث الحالي فقد اعتمدت في برامجها التجريبية علي استخدام بعض جزئيات السلوك التعبدي ومن ثم التعرف على مدى تأثيره على الجانب النفسي وخلال قراءة الانعكاسات الفسيولوجية الناتجة عن برنامج التجربة ومن هذه الدراسات دراسة القاضي(1991) ودراسة سعاد البنا (1990) .

وتخلُص الباحثة مما سبق إلى الآتي :

أولاً : جاءت نتائج كل الدراسات المذكورة أعلاه مؤكدة علي الدور الإيجابي لعامل التدين في إطاره السلوكي والمعرفي على الصحة النفسية للفرد .

ثانياً : اعتمدت الدراسات الوصفية التحليلية في قياسها لعامل التدين باعتباره بعداً واحداً ما عدا دراسة واحدة .

لذلك تعتقد الباحثة أن دراستها الحالية إضافة جديدة لعلم النفس الرامي لتأصيل المعرفة النفسية وذلك من خلال محاولة الباحث التعرف على ماهية العلاقة بين أبعاد التدين المتمثلة في السلوك الديني والانفعالات الدينية وصحة الفرد النفسية تحديداً في علاقة هذه الأبعاد بالتوافق النفسي والاجتماعي.

المبحث الثاني

الإجراءات الميدانية للدراسة

أولاً: منهج الدراسة :

اتبعت الباحثة في دراستها المنهج الوصفي الذي يهدف إلى وصف ما هو كائن وتفسيره، واختارت الباحثة المنهج الوصفي لأنه أكثر المناهج ملاءمة لدراسة مشكلة البحث الحالي وذلك لأنه يهتم برصد الوقائع ومعرفة ما وراء الظواهر التي حدثت بالفعل .(فاندالين ،1986: 317)

ثانياً: مجتمع الدراسة :

يتكون المجتمع الأصلي للدراسة من طلاب الجامعات –المستوى الثالث– ممثلاً في طلاب وطالبات الكليات التي تتميز مناهجها بالصبغة الدينية تخصص التربية دراسات إسلامية مثل جامعة القرآن وتأصيل العلوم وجامعة الجزيرة كلية التربية تخصص دراسات إسلامية والكليات التي لا تتميز مناهجها بالصبغة الدينية ممثلة في طلاب وطالبات كلية مدني الأهلية تخصص علوم إدارية وحاسوب السودان للعلوم والتكنولوجيا وجامعة الجزيرة . كلية التربية وقد بلغ العدد الكلي للمجتمع الأصلي للدراسة (500طالب وطالبة) موزعين على التخصصات التالية :

1) جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم – كلية التربية – تخصص دراسات إسلامية (200) طالب وطالبة .
2) جامعة الجزيرة – كلية التربية – تخصص دراسات إسلامية (220) طالباً وطالبة
3) جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – تخصص محاسبة (40)طالباً وطالبة
4) كلية مدني الأهلية –تخصص علوم إدارية وحاسوب (40) طالباً وطالبة .

تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة الطبقية العشوائية وذلك لمناسبتها لظروف المجتمع الأصلي للدراسة (السيد ،1978: 33) بعد تحديد مجتمع الدراسة قامت الباحثة باختيار عينة الدراسة التي تتكون من (160) طالباً وطالبة بنسبة (32٪) من المجتمع الأصلي .

ثالثاً: المقاييس المستخدمة في الدراسة :

وقد استخدمت الباحثة الأدوات التالية لجمع المعلومات المتعلقة بمتغيرات الدراسة وهي:

1) استمارة جمع المعلومات الأولية لمعرفة النوع (ذكر / أنثى) والجامعة – الكلية - التخصص.
2) مقياس التوافق الذي وضعه هيوم .بل (1934) وصمم في الولايات المتحدة الأمريكية وترجمه إلى العربية محمد عثمان نجاتي (1960) .وطبق على البيئة المصرية والسودانية وقد تم اختياره كأداة لقياس التوافق للأسباب التالية :

أ/ أكثر ملاءمة لأنه يقيس التوافق مباشرة .

ب/ يتناسب مع أهداف الدراسة الحالية وله درجة عالية من الثبات والصدق .

ج/ يمكن تصحيحه بسهولة .

د/ تم تطبيقه على البيئة المصرية والسودانية .

3/ مقياس السلوك الديني والانفعالات الدينية –الذي صممه مهيد محمد المتوكل (1998) وقد طبق علي البيئة السودانية .

وقد قامت الباحثة باختبار صدق وثبات المقاييس وعرضها على عدد من المحكمين المختصين في مجال علم النفس والمناهج وأصول التربية واللغة العربية وذلك للتأكد من وضوح عباراتها وسلامة لغتها ومدى ملاءمتها لموضوع البحث .

رابعاً الأساليب الإحصائية:

لمعالجة بيانات العينة استخدمت الباحثة الأساليب الإحصائية التالية للحصول على النتائج : 1/ معامل ارتباط بيرسون 2/ معامل اسبيرمان براون .3/اختبار (ت)

المبحث الثالث

عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها و تفسيرها

مشكلة البحث الحالي تحددت في أربعة أسئلة وفرضت أربعة فروض كإجابات محتملة لهذه الأسئلة وسوف تكون نتائج التحليل مرتبة تبعاً لترتيب الأسئلة والفروض .

أولاً: نتائج الفرض الأول وتفسيرها :

السؤال الأول للدراسة هو :هل توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً بين الالتزام بالسلوك الديني وما يصحبه من انفعالات دينية وبين التوافق النفسي والاجتماعي لدى طلاب المستوى الجامعي ؟

و ينص الفرض الأول على الآتي:

توجد علاقة ارتباطيه موجبة ودالة إحصائياً بين الالتزام بالسلوك الديني والانفعالات الدينية والتوافق النفسي والاجتماعي لدى طلاب المستوى الجامعي للإجابة علي السؤال الأول وتحقيق صدق الفرض الأول قامت الباحثة بتطبيق قانون معامل ارتباط بيرسون .

المتغير	عدد الأفراد	قيمة (ر)	مستوى الدلالة 0.01	الاستنتاج
التوافق النفسي والاجتماعي	150			توجد علاقة ارتباطيه موجبة ودالة إحصائياً
السلوك والانفعالات الدينية	150	0.260	0.208	

التوافق النفسي والاجتماعي السلوك والانفعالات الدينية من الجدول السابق نجد أن قيمة (ر) دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) وبدرجة ثقة عالية، وهذا يشير إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً بين السلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات سابقة عديدة منها دراسة مصطفى أحمد تركي (1979) والتي تشير إلى وجود ارتباط إيجابي دال بين المرونة والتدين كما أشارت أيضاً دراسة فرانسيس إلى وجود علاقة ارتباطية بين الانبساط والتدين وكذلك دراسة موريس (1984) التي تشير إلى أثر الحج على القلق والاكتئاب وأثبتت النتيجة أن هناك ارتباط موجب دال بين الالتزام الديني (الحج) وانخفاض درجة القلق والاكتئاب .

وتتصل هذه الدراسات السالفة الذكر بموضوع الدراسة الحالية من حيث اهتمامها بالعلاقة بين التدين والاضطرابات العصبية التي تعد من أسباب الصحة النفسية بصورة عامة ومن ثم التوافق النفسي بصفة خاصة .

وهذا يؤكد أنه كلما ارتفعت درجة التزام الفرد بالسلوك الديني وما يصحبه من انفعالات دينية كلما ارتفعت درجة توافقه النفسي والاجتماعي وبالتالي يستطيع أن يتمتع بصحة نفسية وهذا يتفق مع معظم نتائج الدراسات السابقة مما يؤكد صحة الفرض ومما يعضد هذا القول الشخصية السوية المتكاملة المتمتعة بالصحة النفسية والمتمثلة في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والتي يتمثل فيها قمة الالتزام بالسلوك الديني، عليه يتضح مما سبق أن هذا الفرض قد تحقق .

ثانياً: نتائج الفرض الثاني وتفسيرها :

السؤال الثاني للدراسة : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير التوافق النفسي والاجتماعي ترجع للنوع ؟

و ينص الفرض الثاني للدراسة على الآتي :توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير التوافق النفسي والاجتماعي ترجع للنوع (ذكر / أنثى) .

وللإجابة عن السؤال الثاني وتحقيق صدق الفرض الثاني قامت الباحثة بالخطوات التالية :

1/ إيجاد الفروق بين متوسطات درجات الطلبة في التوافق النفسي والاجتماعي .

2/ إيجاد الفروق بين متوسطات درجات الطالبات في التوافق النفسي والاجتماعي .

وفي سبيل تحقيق هذه الفروض قامت الباحثة بالاتي :

1/ إيجاد المؤشرات الإحصائية وهي مجموع الدرجات ، مجموع مربعات الدرجات ، المتوسط ، الانحراف المعياري .

جدول يوضح المؤشرات الإحصائية للفرض الثاني في التوافق النفسي والاجتماعي

المتغير	مجموع الدرجات في التوافق	مجموع مربعات الدرجات	المتوسط (م)	الانحراف المعياري (ع)
طلبة (توافق نفسي واجتماعي)	8146.9	1076526	111.6	121.4
طالبات (توافق نفسي واجتماعي	8985.9	1105459	116.7	119.8

2/ تطبيق اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المتوسطات –جدول يوضح قيمة (ت)المحسوبة

المتغير نوع (ذكر أنثى)	عدد الأفراد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة(001	الاستنتاج
طلبة	73	116.7	119.8	37.	2.6	لاتوجد فروق
طالبات	87	116.6	121.4			

من الجدول السابق نجد أن قيمة (ت) المحسوبة أقل من قيمة (ت) الجدولية عند مستوى (0.01) عليه فإن الفرض ليس له دلالة إحصائية لذلك يمكن القول بأنه لا توجد فروق جوهرية بين الطلبة والطالبات في التوافق النفسي والاجتماعي .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات سابقة عديدة منها دراسة الطواب و(1994) والتي أشارت إلى عدم وجود فروق دالة بين متوسط درجات الطلاب والطالبات في التوافق النفسي والاجتماعي .كذلك تتفق هذه النتيجة مع دراسة حاج الشيخ (1998) حيث أثبتت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب والطالبات في التوافق النفسي والاجتماعي .

عليه يمكن القول بأن الفرض لم يتحقق ويمكن قبول النتيجة التي توصلت إليها الدراسة وهي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة والطالبات في التوافق النفسي والاجتماعي لأنها تتفق مع نتائج الدراستين السابقتين .

ثالثاً: نتائج الفرض الثالث وتفسيرها :

السؤال الثالث للدراسة : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للتخصص الدراسي.

و ينص الفرض الثالث علي الآتي : توجد فروض ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للتخصص الدراسي .

وللإجابة علي هذا السؤال الثالث وتحقيق صدق الفرض الثالث للدراسة قام الباحث بالخطوات التالية :

1) إيجاد الفروق بين متوسطات درجات طلاب الكليات التي تتميز مناهجها بالصبغة الدينية.

2) إيجاد الفروق بين مجموع الدرن متوسطات الدرجات لطلاب الكليات التي لا تتميز مناهجها بالصبغة الدينية .

3) إيجاد المؤشرات الإحصائية وهي مجموع الدرجات، مجموع مربعات الدرجات، المتوسط ، الانحراف المعياري .

المتغير	مجموع الدرجات	مجموع مربعات الدرجات	المتوسط	الانحراف المعياري
كليات تتميز مناهجها بالصبغة الدينية	6674	1312101.0	185.3	190.90
كليات لا تتميز مناهجها بالصبغة الدينية	7039	1343258.0	195.3	193.16

4/ تطبيق قانون اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المتوسطات عندما ن1 = ن2

ت =م1 - - - - م2

جدول يوضح قيمة (ت) المحسوبة في السلوك والانفعالات الدينية

المتغير التخصصي	عدد الأفراد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت) المحسوبة	مستوي الدلالة 0.1	الاستنتاج
الكليات التي تتميز مناهجها بالصبغة الدينية	75	185.3	190.9	1.8	2.7	لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية
الكليات التي لا تتميز مناهجها بالصبغة الدينية	75	195.3	193.2			

من الجدول السابق نجد أن قيمة (ت) المحسوبة أقل من قيمة (ت) الجدولية عليه فإن الفرق ليس له دلالة إحصائية عليه فإنه لا توجد فروق جوهرية في متغير السلوك والانفعالات الدينية تعزى للتخصص الدراسي، وبمقارنة هذه النتيجة مع الدراسات السابقة نجدها تختلف مع النتيجة التي توصلت إليها دراسة عبد الباسط(2000) حيث أثبتت وجود علاقة ارتباطيه بين القلق والتدين للطلاب تعزي للتخصص وكذلك وجود علاقة ارتباطية بين التدين والاكتئاب لدى الطالبات تعزى للتخصص الدراسي .

وتعزي الباحثة هذه النتيجة إلى أن الالتزام بالسلوك الديني يرجع في الأساس إلى التربية والتنشئة الوالدية . ويعد الالتزام الديني تربية إيمانية والمقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان وهي كل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الإيمانية والأمور الغيبية وكذلك تعويده منذ تفهمه أركان الإسلام وتعويده من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء وهي كل ما يتصل بالمنهج وتعاليم الإسلام من عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع وأنظمة وأحكام (علوان، 147:1981:7)

أما علماء التربية والأخلاق فقد أكدوا هذا التفسير حيث قال الإمام الغزالي في تعويد الولد خصال الخير أو مبادئ الشر باعتبار قابليته وفطرته قال(والصبي أمانة عند واليه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وان عود الشر أهمل إهمال البهائم وشقي وهلك وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه مكارم الأخلاق(علوان ، 1981:153) .

رابعاً: نتائج الفرض الرابع وتفسيرها :

السؤال الرابع للدراسة هو هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني ترجع للنوع (ذكر /أنثى) ؟

و ينص الفرض الرابع للدراسة على : توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني ترجع للنوع لمصلحة الطالبات .

وللإجابة عن السؤال الرابع وتحقيق صدق الفرض الرابع قامت الباحثة بالخطوات التالية :

1/ إيجاد الفروق بين متوسطات درجات الطالبات في السلوك الديني .

2/ إيجاد الفروق بين متوسطات درجات الطلاب في السلوك الديني .

وفي سبيل تحقيق هذه الفروق قامت الباحثة بالاتي :

1/ إيجاد المؤشرات الإحصائية وهي (مجموع الدرجات، مجموع مربعات الدرجات، المتوسط، الانحراف المعياري) .

جدول يوضح المؤشرات الإحصائية - - السلوك الديني

المتغير (سلوك ديني /نوع)	مجموع الدرجات	مجموع مربعات الدرجات	المتوسط	الانحراف المعياري
طلاب	300979	258216	4123	188.00
طالبات	42658	3306547	5554	207.2

2/ تطبيق قانون اختبار (ت)

ت=م1- م2/(ن1 ع1 + ن2 ع2× 1)

جدول يوضح قيمة (ت) في متغير السلوك الديني (طلاب / طالبات)

المتغير	عدد أفراد العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت) المحسوبة	مستوى الدلالة	الاستنتاج
طلاب	73	13.6	188.0	26.6	2.57	توجد فروق إحصائية دالة
طالبات	77	14.9	207.2			

من الجدول السابق نجد أن قيمة (ت) المحسوبة أكبر من قيمة (ت) الجدولية عليه فإن الفرض له دلالة إحصائية وأثبتت النتيجة انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني ترجع للنوع ولصالح الطالبات .

بمقارنة النتيجة مع الدراسات السابقة نجد أنها تتفق مع دراسة الطيب (2000) حيث أثبتت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة والطالبات في سمة التدين لمصلحة الطالبات

كذلك تتفق هذه النتيجة مع دراسة السيد (1998) حيث أثبتت هذه الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الالتزام الديني بين أفراد العينة ترجع لمتغير النوع (ذكر/أنثى) لمصلحة الإناث .

عليه فإن الدراسات السابقة والدراسة الحالية تؤكد أن الطالبات أكثر التزاماً بالسلوك الديني من الطلبة ، وتعزي الباحثة ذلك إلى أن الالتزام بالسلوك الديني يرجع في المقام الأول إلى التربية المنزلية الصالحة وأن ارتباط البنات بالمنزل أكثر من ارتباط الأولاد الذين يتأثرون بالمجتمع الخارجي بما فيه من انحلال وفساد مما يضعف التزامهم الديني بعكس البنات .

كذلك نجد أن البنات أكثر حرصاً على طلب العلم النافع ويظهر هذا جلياً في أن المرأة منذ عهود الإسلام الأولى كانت حريصة على طلب العلم وان الإسلام اعتنى بالمرأة من ناحية تعليمها وقد

ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص النساء بأيام يعلمهن مما علمه الله وذلك عندما جاءته امرأة قالت يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا يوماً نأتي إليك فيه فتعلمنا مما علمك الله فقال عليه الصلاة والسلام (اجتمعن يوم كذا وكذا) فاجتمعن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله (البخاري ومسلم) (علوان ،1981:272).

وهذا يدل على حرص النساء علي طلب العلم وجملة القول إن النتائج التي خرجت بها الدراسة الحالية أكدت على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للنوع (ذكر / أنثى) لمصلحة الطالبات وهذا ما أكدته نتائج الدراسات السابقة وعليه يقبل الفرض

الخاتمة

أهم النتائج ،التوصيات ،المقترحات والمراجع

أهم النتائج :

1) توجد علاقة ارتباطية موجبة بين الالتزام بالسلوك الديني والتوافق النفسي والاجتماعي.
2) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير التوافق النفسي و الاجتماعي ترجع للنوع (ذكر / أنثى) .
3) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للتخصص الدراسي .
4) توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغير السلوك الديني والانفعالات الدينية ترجع للنوع (ذكر/أنثى) لمصلحة الطالبات .

التوصيات :

بناء على النتائج التي توصلت إليها الدراسة قدمت الباحثة بعض التوصيات :

1) الاهتمام بالصحة النفسية.
2) توفير الخدمات النفسية والإرشاد والتوجيه النفسي والتي تساعد الطلاب على حل المشكلات والصعوبات التي تحول دون تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي.
3) نشر الوعي الديني بين الطلاب من خلال المحاضرات والندوات والمناشط الدينية والروحية المختلفة.
4) إنشاء مراكز التوجيه والإرشاد النفسي بالمدن والقرى وذلك للمساعدة في نشر التوعية الصحية .
5) إنشاء وحدات الإرشاد والتوجيه النفسي بالجامعات .

المقترحات :

في ختام البحث قدمت الباحثة مقترحات لبحوث أخرى.

1) علاقة الالتزام بالسلوك الديني ومفهوم الذات .
2) العلاقة بين التدين وتكوين الاتجاهات لدى طلاب المستوى الجامعي .
3) العلاقة بين التدين والتحصيل الدراسي لطلاب الجامعات .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : القرآن الكريم .

المراجع العربية

1) أبو النيل، محمد السيد : 1997م الإحصاء النفسي والاجتماعي والتربوي ،دار النهضة العربية –بيروت
2) الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد :1381ه/1961م
3) الزجيلي ، محمد مصطفي :1990م
4) الاعتدال في التدين فكراً ومنهجاً ،طرابلس الجماهيرية العظمي ، دار هايل للطباعة الخرطوم .
5) المنذري ، عبد العظيم عبد القوي :656ه
6) مختصر صحيح مسلم ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –الكويت
7) الإمام البخاري ، أبو عبدالله بن إسماعيل البخاري (1419ه - 1998م)
8) صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض
9) الدسوقي ، كمال(1984م)
10) علم النفس ودراسة التوافق – ط2 النهضة العربية – بيروت
11) الشرقاوي ، حسن وآخرون :(1984م)
12) نحو علم نفس إسلامي ، مؤسسة الشباب . الإسكندرية
13) زهران ، حامد عبد السلام : (2000م)
14) علم النفس الاجتماعي ،عالم الكتب القاهرة (الطبعة الثاني8
15) علي ، سعيد إسماعيل :2000م
16) القرآن الكريم رؤية تربوية ،دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الأولى
17) عبد الغني ، صلاح الدين : (2000)
18) في الصحة النفسية ، دار الفكر العربي القاهرة
19) الصالح ، مصلح : (1996م)
20) التكيف الاجتماعي والتحليل الدراسي ، دار الفيصل للثقافة ، الرياض
21) القوصي ، عبد العزيز : (1981م)
22) أسس الصحة النفسية ، القاهرة ، مكتبة وهبة

الكتب المترجمة

23) مقياس التوافق + كراسة التعليمات ترجمة محمد عثمان نجاتي – القاهرة
24) فاندالين ، ديويولد : (1996م) مناهج البحث في التربية وعلم النفس ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون الطبعة السادسة الأنجلو المصرية – القاهرة .1996م)
25) لامبرت ، وليم ودولاس : (1998م)

علم النفس الاجتماعي ، ترجمة سلوى الملا ، دار الشروق القاهرة

26) المراجع الأجنبية :

27) /17Lanyon Gooastem :(1975)
28) Adjustment Behavior and Person Weslay –Publishing co , Canada
29) Yong ,K,MCRAMOND:()1972) /18

البحوث والرسائل الجامعية :

30) أحمد.عبد الباسط :(1986) العلاقة بين التدين والاضطرابات النفسية لطلاب المستوى الجامعي ، رسالة ماجستير غير منشورة –جامعة الجزيرة.

31) علي محمد الطيب ،(2000) علاقة سمة التدين بمفهوم الذات لطلاب المستوي الجامعي – جامعة الجزيرة كلية التربية حنتوب .

32) الشيخ ، محمد محمد مصطفى :(1980) علاقة القيم الدينية بالتوافق النفسي لطلاب المستوي الجامعي – رسالة ماجستير–جامعة الأزهر .

33) أبو سوسو ، سعيدة (1986) أثر القيم الدينية والخلقية على التوافق النفسي –طلاب المستوى الجامعي – رسالة ماجستير غير منشورة

34) عبد العظيم البنا ، سعاد :(1990) دور الأدعية والأذكار في علاج القلق لطالبات جامعة المنصورة – رسالة ماجستير- جامعة المنصورة .

35) القاضي ، أحمد (1990) تأثير الألفاظ القرآنية في علاج القلق (للمسلمين وغير المسلمين بولاية فلوريدا) –رسالة ماجستير منشورة .

36) خامسا : المجلات والدوريات :

37) مرسي ، كمال ابراهيم والرشيد ، بشير (1984م) التوجيه والإرشاد فلسفته وأخلاقياته في المجتمعات الإسلامية - المجلة التربوية القاهرة .

38) مرسي ، كمال : (1981 م) المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية التربوية – ورقة بحثية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – سلسلة المنهجية الإسلامية ج (2) . هرتون - فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية .

39) الكردي ، مها : (1980م)

40) التوافق والتكيف الشخصي والاجتماعي لدي أطفال الملاجئ واللقطاء ، المجلة الاجتماعية القومية ، العدد (2) مجلد (17) – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية .

41) موسى ، عبد الله عبد الحي : (م1981) التوافق النفسي لدي طلاب وطالبات كلية التربية - بنها ، دراسة في بحوث في علم النفس التربوي - مكتبة الخانجي القاهرة .

معارك المهدية بين الثورة والدولة

(دراسة وصفية تحليلية)

(1881- 1898م/1300- 1316هـ)

د. حاتم الصديق محمد أحمد ❁

❁ - أستاذ مشارك، قسم التاريخ، كلية التربية جامعة الزعيم الأزهري.

مستخلص

تناولت هذه الدراسة أهم المعارك التي خاضتها الثورة والدولة المهدية في الفترة من (1881- 1898م- 1300- 1316هـ) ضد الحكم التركي – المصري في السودان ولم يكن أمام هذه الثورة إلا أن تدخل في معارك متواصلة لتزحف لطرد الأتراك من السودان لذلك وجد الإمام المهدي نفسه في أول المعارك في أبا (1881م/ 1300هـ) ثم تطور الأمر بعد ذلك وتوالت النجاحات حتى هاجمت قوات المهدي مدينة الأبيض(1882- 1883م/1301- 1302هـ)، ورغم الهزيمة في هذه المعركة إلا أن المهدي استطاع تجميع قواته وتغيير أسلوبه العسكري القتالي ، حيث اتجه إلى أسلوب الحصار بدلا عن الهجوم وهو الأسلوب الذي انتهجته قوات الإمام المهدي منذ معاركه الأولى . ونجح بعد ذلك في الكثير من المعارك حتى تم له تحرير الخرطوم في(26يناير 1885م/ 1304هـ) ، وبعد وفاة المهدي تولى الخليفة عبد الله السلطة في الدولة المهدية ودخل في العديد من المعارك التي فشل في معظمها لعوامل وأسباب داخلية وخارجية سوف تجاوب عنها الدراسة .

Abstract:

This study dealt with the most important battles fought by the revolution and the Mahdist state in the period from(1881-1898)(1300-13015) against the Turkish-Egyptian rule in the Sudan .This revolution was only fought in continuous battles to expel the Turks from Sudan. After the success of the Mahdi forces in Abba island (1881 AD). Mahdi forces attacked the city of Al-Obeyed (1882-1883). Despite the defeat in this battle,Mahdi managed to consolidate his force s and change his military style.Where he turned to the style of siege instead of attack, a method used by the forces of Imam Mahdi since the first battles. And succeeded in many battles until he was liberated Khartoum on (26- January-1885)(1303) and after the death of the Mahdi,Khalipha Abdullah took over the power in the state of Mahdia and entered in many battles, Which, failed in most of them for internal and external reasons Which , the study will answer these questions.

مقدمة

خاضت المهدية الثورة والدولة العديد من المعارك الداخلية والخارجية التي شكلت بعد ذلك تاريخ المهدية في السودان وقد كانت هذه المعارك نقطة الانطلاق الحقيقي للمهدية ابتداءً من معركة الجزيرة أبا في العام (1881م/1300هـ) والتي تمثل نقطة الانطلاق الحقيقية للمهدية ، كما أنها تُعَدُّ أهم معارك المهدية ثم توالت المعارك التي شكلت التاريخ العسكري للمهدية حيث حدثت المواجهات في قدير ضد راشد بك أيمن ويوسف الشلالي وانتصر فيها الإمام المهدي وبعد ذلك جاءت معركة الجمعة الفاشلة أو هجوم الجمعة الذي خسرت المهدية فيه عشرة آلاف مقاتل وبعد هذا الهجوم تحول الإمام المهدي في أسلوبه القتالي من الهجوم المباشر إلى الحصار وهو أسلوب برعت فيه قوات المهدية بصورة كبيرة وأصبح نموذجاً طبق بحرفية عالية في بارا والأبيض والخرطوم . وقد كانت معركة شيكان واحدة من معارك المهدية الاستراتيجية والتي ظهرت فيها مقدرات المهدي القيادية وبراعة قواده في إدارة المعركة حيث تحقق الانتصار بخسائر قليلة جداً.

بالإضافة لمعارك الإمام المهدي في كردفان وتحرير الخرطوم كان هناك عدد من المعارك المهمة والتي دارت أحداثها في شرق السودان بقيادة عثمان دقنة حيث نجح هذا القائد في خلق حالة من الفوضى والاضطرابات في شرق السودان مكنت الإمام المهدي من أن يقاتل قوات الحكومة في حاميتها وهو مرتاح نسبياً وحتى في عهد الخليفة عبدالله نجد أن عثمان دقنة استطاع أن يشكل خطراً حقيقياً على القوات الحكومية في سواكن ويستولى على عدد من المدن لذلك سوف تتطرق الدراسة لبعض معاركه في شرق السودان .

بعد وفاة المهدي واجهت الخليفة عبد الله العديد من المشاكل الداخلية والخارجية ولذلك اهتمت الدراسة ببعض المعارك التي دارت في عهد الخليفة مثل القلابات ومعركة توشكي وكرري . الناظر لهذه المعارك الثلاث يجد أن المهدية كسبت

القلابات ولكنها هزمت في توشكي وكرري لذلك سوف نسلط عليها الضوء لمعرفة العوامل والأسباب التي أدت لخسارة المهدية لهذه المعارك.

أهمية البحث:

تكمُن أهمية البحث في الآتي :

أ. تتبع أهم معارك المهدية في السودان (1881- 1898م/1300- 1316 هـ) والأسلوب القتالي الذي كان متبعاً في ذلك الوقت .

ب. شرح الأسلوب القتالي للمهدية في مرحلة الثورة والدولة .

ج .توضيح أثر العوامل الداخلية والخارجية في إضعاف القوة العسكرية للدولة المهدية .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- دراسة معارك المهدية بصورة تفصيلية .
2- شرح العوامل والأسباب التي أسهمت في فشل ونجاح المهدية الثورة والدولة في بعض المعارك.
3- مقارنة معارك المهدية الثورة بمعارك المهدية الدولة وتوضيح الفرق بينهما.

منهجية البحث:

اتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي .

أسئلة البحث:

1- ما أهم معارك المهدية ؟
2- هل تُعَدُّ معركة أبا أهم معركة للمهدية أم هناك معارك أكثر أهمية ؟
3- ما الأسلوب القتالي المتبع في معارك المهدية ؟

فروض البحث:

1. تتفاوت معارك المهدية الثورة والدولة في الأهمية ولكن تبقى معارك الثورة هي الأهم ؟

2. تُعَدُّ معارك المهدية من أبا وحتى شيكان من أميز وأهم معارك المهدية لأنها ساعدت في تثبيت أركان المهدية.
3. تنوع الأسلوب القتالي للمهدية بين الهجوم والحصار حسب المكان والزمان.

الدراسات السابقة :

هذا البحث تناول موضوع (أهم معارك المهدية) بالشرح والتحليل كما أن هناك عدد من الدراسات المنفصلة التي تناولت معارك المهدية بصورة مجملة ومفصلة منها :

(1) إسماعيل عبدالقادر الكردفاني،الحرب الحبشية السودانية، (1885- 1888م) ، (الطراز المنقوش ببشرى يوحنا ملك الحبوش) ، (تحقيق) محمد إبراهيم أبو سليم، محمد سعيد القدال، دار الجيل، بيروت، 1991م. تناول الكاتب علاقة المهدية بالحبشة مع تسليط الضوء على معركة القلابات .

(2)ونستون تشرشل، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان، (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق، القاهرة 2006م. تناول فيه الكاتب معارك الغزو الإنجليزي المصري ضد المهدية وشرح معركة كرري مع توضيح استبسال الأنصار في معركة كرري رغم الهزيمة.

(3) عبد المحمود أبو شامة، من أبا إلى تسلهاي حروب حياة الإمام المهدي ، المطبعة العسكرية، أم درمان ،1987م. تناول أبو شامة معارك المهدية من أبا حتى تسلهاي في شرق السودان ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة في شرح معارك المهدية بالتفصيل مع إعطاء صورة قريبة للواقع .

(4) عصمت حسن زلفو ،شيكان، تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس، ط2، شركة كرري للطباعة والنشر، المطبعة العسكرية سابقا، أمدرمان، 1984.

(5)__________، كرري ، تحليل عسكري لمعركة أم درمان ، مطبعة التحدي ، الخرطوم ، 1981م. تعد دراسات زلفو حول شيكان وكرري من أهم الدراسات التاريخية العسكرية التي تناولت معارك المهدية بالتفصيل مع إرفاق العديد من الخرائط التي ساعدت على فهم هذه المعارك.

حدود البحث:

حدود البحث المكانية يقصد بها المناطق التي دارت فيها معارك المهدية ابتداءً من أبا وحتى معركة كرري والإطار الزماني من (1881- 1898م) (1300-1316هـ).

هيكل البحث:

أتت هذه الدراسة في فصلين وعشرة مباحث حيث تضمن الفصل الأول ستة مباحث ، وأما الفصل الثاني فقد تضمن أربعة مباحث مع خاتمة ونتائج وتوصيات ، وقائمة للمصادر والمراجع.

الفصل الأول

معارك الثورة المهدية

المبحث الأول:

معركة الجزيرة أبا 16رمضان 1298(هـ 1881م/1298هـ)

كانت معركة الجزيرة أبا في العام 1881م (1298هـ) من أهم معارك الثورة المهدية وذلك لعدد من الأسباب والتي منها أن هذا الانتصار تحقق في ظروف صعبة وبالغة التعقيد كما أن الإمام المهدي لم يكن يخطط لمواجهة الحكومة في أبا والدليل أن خطابات المهدي ورسائله كانت تدعو الأتباع والأحباب والمريدين للهجرة إلى قدير(جبل ماسا) ولكن وقوع أحد الخطابات في يد الحكومة عجل بالمواجهة بين الطرفين ([1]).

أرسلت الحكومة الحكمدار محمد رؤوف نائبه محمد أبو السعود للجزيرة أبا لمعرفة حقيقية الخطاب الذي وقع في يدها وقد ذهب أبو السعود وقابل المهدي وتأكد له أنه صاحب الخطاب المعني عندها حاول أبو السعود أن يقنع محمد أحمد المهدي بالذهاب معه للخرطوم لكن المهدي رفض هذا الطلب وقال له إنّه المهدي المنتظر ، عندها تحرك أبو السعود ناحية الخرطوم ليخبر الحكومة أن المهدي هو صاحب الخطاب وأنه يرفض الحضور للخرطوم [(2)].

كان محمد أبو السعود يأمل أن يسلم له المهدي ويذهب معه للخرطوم لكن من الواضح أن أبو السعود لا يعرف المهدي المعرفة الجيدة ومدى إصراره على مواقفه وفي الوقت نفسه الإمام المهدي مصر على مواصلة المشوار الذي بدأه والوصول إلى نهايته . وقد بدأ هذا المشوار بدعوة اتباعه للهجرة إلى قدير .

([1]) روبرت أوكولينز ، تاريخ السودان الحديث ، (تحقيق) مصطفى مجدي الجمل ، المركز القومي للترجمة ، دار العين للنشر، الإسكندرية ، 2010م ص43.

([2]) جوزف أورفالد ، عشر سنوات في الأسر في معسكر المهدي ، (1882- 1892م) ، (ترجمة) عوض أحمد محمد الضو ، مطبعة التمدن الخرطوم، 2008م، ص8.

بعد هذه المقابلة والتي تمت على عجل أكد محمد أبوالسعود للمهدي أنه لا يستطيع مواجهة الحكومة فأكد له المهدي أنه سوف يقاتل بمن معه من الرجال عندها عرف أبو السعود أن المهدي لا يمكن أن يذهب إلى الخرطوم إلا بالقوة ([1]).

الإعداد للمعركة :

بعد رجوع أبو السعود إلى الخرطوم أرسل الإمام المهدي لقبائل دغيم وكنانة والعمارنة والحسنات والفلاتة يدعوهم للانضمام إليه في أبا وفي مساء الجمعة 16 رمضان وبعد صلاة التراويح التقى الإمام المهدي بعدد من صانعي المراكب من منطقة (الفشاشوية) منهم مصطفى سليمان وعثمان حاج شريف وأخبره أن الحكومة أرسلت حملة للقضاء عليه في أبا . بعد ذلك دخل المهدي مسجده في أبا وأخرج عدداً من الرايات وزعها على أتباعه وقسمهم إلى مجموعات وقدرت أعدادهم ما بين 313إلى 350 وبايعهم المهدي بيعة الموت وقسمت المجموعات إلى عشرات وعلى كل مجموعة (مقدم) ومن أشهر المقدمين عمر اللحوي، عمر السرورابي، الشيخ إدريس الشاعر وغيرهم ([2]).

نجح الإمام المهدي في حشد قواته لمواجهة قوات الحكومة المتحركة نحوه من الخرطوم في اتجاه الجزيرة أبا كما عمل على رفع روحهم المعنوية والاستفادة من هذه الروح في تحقيق نصر حاسم وسريع.تحركت قوات أبوالسعود من الخرطوم في 11 أغسطس من عام (1881م/1298هـ) على ظهر الباخرة الإسماعيلية وهناك رواية على باخرتين وقد وصلت إلى الجزيرة أبا بعد عشر ساعات وعليها قوة تتكون من 650-

---

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، (1820- 1956م) ط2، مطبعة دار مصحف أفريقيا ، الخرطوم ، 2002، ص 174.

❖ الرمنتجون نوع من البنادق كانت مستخدمة في فترة الحكم التركي المصري.

([2]) عبد المحمود أبو شامة ، من أبا الى تسلهاي حروب حياة الامام المهدي ، المطبعة العسكرية، أم درمان ،1987م، 10- 11.

850 من قوات الحكومة تحت قيادة محمد أبو السعود مسلحين ببنادق (الرمنتجون)❖ ونزلت هذه القوات في جنوب الجزيرة أبا ([1]).

كان برفقة قوات أبوالسعود المتوجهة ناحية المهدي في أبا محمد عثمان أبو قرجة والشيخ فضلو من قرية (أم غنيم) على النيل الأبيض وكان معهم زيادة عبدالله ومحمد أبوشوك كأدلاء وهم من قرية (الفشاشوية) ([2]).

خطة المهدي القتالية :

تولى الإمام المهدي قيادة قواته بنفسه واصطفت هذه القوات بين الأشجار وهم في انتظار وصول قوات الحكومة وقد كانت قوات الإمام المهدي تعتمد على سلاح بسيط وهي السيوف والرماح والعصي لكنها تحمل إيماناً عميقاً بقضيتها مقابل الأسلحة النارية لقوات الحكومة ([3]).

حاول الإمام المهدي أن يطبق أسلوب المباغتة ضد قوات أبوالسعود مستغلاً الاضطراب الواضح على قوات العدو ، ورغم محدودية الزمن فقد شكل المهدي قواته في أربعة محاور وهجم بقواته على قوات أبو السعود هجمة رجل واحد ولم تستغرق المعركة سوى سبع دقائق وكان النصر فيها حليفاً للإمام المهدي ، أمر الإمام المهدي بجمع الأسلحة والغنائم كما تم أسر تسعة أشخاص من قوات الحكومة وصلى المهدي بقواته صلاة الصبح خوفاً على دفعتين وضربت (النقارة) لجمع الناس ودخل خلوته ليغسل جرحاً تعرض له في منكبه أثناء المعركة ([4]).

يمكن القول إنّ هناك عدداً من العوامل ساعدت في أن يحقق الإمام المهدي انتصاره الحاسم على قوات أبي السعود والتي منها :

- استخدام المهدي لعنصر المفاجأة.

([1]) فيرغس نيكول ، سيف النبي مهدي السودان ،(ترجمة) عبد الواحد عبدالله يوسف ، الناشر ، مركز عبد الكريم ميرغني ، الخرطوم ،2009م، ص 164.

([2]) المرجع نفسه ، ص 12.

([3]) فيرغس نيكول ، مرجع سبق ذكره ، ص 166.

([4]) عبد المحمود أبو شامة ، مرجع سبق ذكره ، ص 13.

- الروح المعنوية العالية لقواته والتي جاءت من شخصية المهدي القيادية .
- عوامل المناخ والبيئة والمتمثلة في الأمطار التي هطلت على الجزيرة أبا قبل يوم من المعركة والغابة التي احتضنت المعركة والتي شكلت عائقاً طبيعياً لقوات الحكومة.
- الطريقة التي نزلت بها قوات أبي السعود للجزيرة حيث أن نزول هذه القوات بشكل غير منتظم مكن المهدي من القضاء عليها.
- بطء الأسلحة النارية التي كانت تستخدمها قوات أبي السعود حيث أن حماس قوات المهدي كان أسرع من الطلقات النارية .

وضح من خلال الانتصار الذي تحقق في معركة أبا أن التدابير التي اتخذها المهدي حققت له النجاح المطلوب وكفلت له القضاء على حملة أبي السعود وقد كان المهدي وقواته يقاتلون من أجل قضية يؤمنون بها ، أما جنود الحكومة فقد كانوا يؤدون واجباً عسكرياً مثله مثل الكثير من الواجبات التي قاموا بها من قبل ([1]).

المبحث الثاني:

معارك المهدي في قدير :

بعد الانتصار في معركة أبا عرف المهدي أن الحكومة لن تتركه في حاله لذلك قرر الهجرة إلى قدير والاحتماء بها ثم بعد ذلك يقرر ماذا يفعل لمواجهة الحكومة حيث أنه أصبح خصماً لها.

حاول المهدي أن يقلد النبي (صلى الله عليه وسلم) في أمر الهجرة إلى قدير (جبل ماسا)❖ ولذلك قال (... أخبرني سيد الوجود (صلى الله عليه وسلم) وأشار إلى بمكاتبة المسلمين ودعوتهم إلى الهجرة معنا فهي مطلوبة جداً ومن الأمور التي لا يجوز مخالفتها ...) ، وقد ساعدت الهجرة المهدي وقواته في أن يبتعد عن حاميات الحكومة

([1]) محمد سعيد القدال، الإمام المهدي، محمد أحمد بن عبدالله، (1844- 1885م) ، دار الجيل بيروت ، 1992م، ص 104.

وهي تعد اختباراً عملياً لمدى استعداد الناس للانخراط في المهدية وهي عملية استراتيجية أعطت المهدي وأنصاره فرصة كبيرة لإعداد أنفسهم لمواجهة قوات الحكومة في ميدان مفتوح ([1])

قوات المهدي في قدير :

تحرك المهدي نحو قدير في جنوب كردفان وانضم إليه في الطريق الأمير عبد الرحمن النجومي والشيخ الحسين الزهراء وعدد من أبناء القبائل في الطريق نحو قدير وعبر موكب المهدي أراضي الجمع و الأحامدة ثم تقلي حتى وصل إلى قدير بعد ثلاثة أشهر. بعد الوصول إلى قدير أصبح المهدي يعد قواته لمعاركه الدفاعية رغم حالة الإعياء التي اجتاحت قواته . كما نجح في دعوة قبائل جبال النوبة للمهدية،كما شكلت الجبال نقطة قوة للمهدي حيث أصبحت نقطة استطلاع ودفاع في الوقت نفسه، وفي قدير بدأ المهدي يدرب قواته على القتال المنظم بوحدات متماسكة بدلا عن قتال القبائل العشوائي الذي كان سائداً في ذلك الوقت ([2]).

حملة راشد بك أيمن (9ديسمبر 1882م/ 1301هـ)

عرف راشد بك أيمن مدير فشودة بعد سماعه لانتصار المهدي في أبا أن خصمه لا يمكن مواجهته بصورة مباشرة لذلك قرر مباغتته في قدير لذلك حشد كل قواته في فشودة وبمعاونة الملك (كيكون) مك الشلك حيث بلغت قواته 700 جندي نظامي وألف من الشلك مسلحين بالأسلحة النارية وتحرك من فشودة ناحية المهدي في قدير بصورة سرية ، لكن رابحة الكنانية نجحت في إيصال خبر الحملة للمهدي في قدير([3]).

❖ حاول الإمام المهدي أن يشبه هجرته إلى قدير والاحتماء بجبل ماسة بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم واحتمائه بغار ثور عندما هاجر من مكة إلى المدينة ونرى أن هذا الإجراء الذي قام به المهدي كان الغرض منه إقناع عامة الناس بأنه يسير على نهج النبي الكريم . الباحث.

([1]) محمد محجوب مالك ، المقاومة الداخلية لحركة المهدية ، (1881- 1898م) ، دار الجيل ،بيروت، 1986م ، ص 58- 59.

([2]) المرجع نفسه، ص 42- 43.

([3]) المرجع نفسه، ص 44.

كان راشد بك أيمن من القادة الأتراك الذين اتصفوا بالشجاعة والإقدام وصاحب طموحات شخصية كبيرة ،عندما علم بوصول المهدي إلى قدير وأن قواته فتكت بهم الحمى وهو في حالة من الضنك والتعب قرر مهاجمته بدافع أن يتولى أرفع المناصب إن هو نجح في هذه المهمة، وفي الوقت نفسه كان راشد بك أيمن يخالف التعاليم العسكرية حيث أن الحكمدار في الخرطوم لم يأذن له بمهاجمة المهدي في قدير ([1])

يرى ونستون تشرشل في كتابه تاريخ الثورة المهدية أن راشد بك أيمن صاحب مبادرة لكنه قليل الخبرة بالنسبة لأمور الحرب ولقد قرر أن يأخذ بزمام المبادرة ويقبض على المهدي دون أن يأخذ أي احتياطات ([2]).

إذا كان راشد بك أيمن قليل الخبرة حسب رأي ونستون تشرشل إلا أنه كان يرغب في أن يصنع مجداً شخصياً وذلك من خلال القضاء على المهدي وبذلك يصعد سلم الشهرة والمجد.

وصول الحملة إلى قدير :

أجهد راشد بك أيمن قواته بالسير المتواصل من أجل مباغتة المهدي وعند وصوله إلى هناك هجمت عليه قوات المهدي واستطاعوا أن يكسروا التشكيل الذي كان يقاتل به. كما نجح سلاح الفرسان عند المهدي من تعقب الفارين من قوات راشد وقتلهم ([3]).

تكتيك المهدي لمهاجمة راشد بك أيمن (1882 / 1302هـ):

أسهمت قدرة المهدي القيادية في تحقيق نصر حاسم على راشد بك أيمن وقواته وذلك من خلال التخطيط لمهاجمة قوات راشد بك عند مدخل الغابة التي تقع عند أطراف قدير وهو الطريق الوحيد الذي سوف تسلكه قوات راشد كما أرسل المهدي مجموعتين من الفرسان للاستطلاع والمطاردة ، وقد قرر المهدي مهاجمة قوات راشد

([1]) محمد سعيد القدال ، الإمام المهدي، محمد أحمد بن عبدالله ، مرجع سبق ذكره، ص 111.

([2]) ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ، (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق، القاهرة ، 2006م،ص 43.

([3]) فيرغس نيكول ، مرجع سبق ذكره، ص 180.

عندما يكون نصفها داخل الغابة والنصف الآخر خارجها وبذلك تمكن المهدي من إبادة الحملة ولم ينجُ منها سوى مائة أسير وضابط واحد فر بحصانه إلى فشودة . ويعد هذا الانتصار أول انتصار يحققه المهدي على جيش نظامي جاء بهدف القضاء عليه([1]). وقد غنم المهدي من قوات راشد بك أيمن حوالي ألف بندقية من طراز (را منتجون)([2])

يُعَدُّ الانتصار على قوات راشد بك أيمن الثاني للمهدي حيث فعل هذا الانتصار مفعول السحر وسط الأنصار وتوافد الناس لمبايعته والدفاع عن المهدية كما كسب المهدي الكثير من الغنائم .

حملة يوسف الشلالي (29مايو1882 / 1302هـ)

بعد هزيمة راشد بك أيمن تم عزل الحكمدار محمد رؤوف وتعيين الحكمدار عبدالقادر باشا حلمي وقبل وصول الحكمدار الجديد للسودان أصبح (جقلر) باشا المهندس الألماني حكمداراً بالإنابة وقرر القضاء على المهدي في قدير بعد أن وجد موافقة من الحكومة المصرية ، أعد (جقلر) باشا حملة من حاميات الخرطوم وسنار والأبيض بلغت أحد عشر بلك يضم 2000 جندي نظامي و 1500جندي غير نظامي ومعهم ثلاثة مدافع وأوكل أمر قيادة هذه الحملة ليوسف الشلالي حاكم سنار وهو صاحب خبرة في العمل الإداري والعسكري في بحر الغزال والاستوائية كما ضمت الحملة طه أبو صدر وعبد الهادي صبير من قادة الشايقية ومعهم عبدالله بك دفع الله أخ أحمد بك دفع الله من كبار تجار الأبيض ([3]).

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 178.

([2])إبراهيم فوزي ، السودان بين يدي غردون وكتشنر، ج1، مطبعة الكتب الوثائقية ، القاهرة ،2008م، ص84.

([3]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 179.

المهدي وأخبار الحملة :

كانت أخبار حملة الشلالي تأتي للمهدي بواسطة المك (آدم أم دبالو) مك تقلي وللمزيد من المعلومات قام المهدي بإرسال عدد من فرسان الاستطلاع لجمع المعلومات منهم عثمان زلفى ومحمد حاج شريف كما قام بإرسال مجموعة أخرى إلى المك (تيفرا) مك جبل (فنقر) وذلك بعد أن وصلت قوات أبي السعود إلى فشودة ،وقد وقع بعض فرسان الاستطلاع في يد الشلالي وقام بقتلهم مما كان له الأثر السلبي في نفوس قوات الشلالي وذلك لما أظهره الفرسان من شجاعة وإقدام([1]).

هزيمة يوسف الشلالي :

تم تبادل الخطابات بين المهدي والشلالي وفي أحد هذه الخطابات طلب الشلالي من المهدي التسليم وأكد له أنه ليس المهدي المنتظر وأتباعه عبارة عن بقارة ومجموعة من الجهلاء حسب رأي الشلالي ، وتقدم الشلالي بعد ذلك من فشودة غرباً حتى وصل إلى قدير،قامت قوات المهدي بمهاجمة قوات الشلالي في 30 مايو(1882م / 1302هـ)وتمت إبادة الحملة وقتل يوسف الشلالي وعبد الله بك دفع الله ، بعد هذا الانتصار كسب المهدي الكثير من الغنائم والأسلحة وتزايد أتباع المهدي في قدير حتى وصل عددهم إلى 8000 وتلقت الحكومة ضربة موجعة بعد هذه الهزيمة ([2]).

بعد الانتصار الذي حققه المهدي على كل من راشد بك أيمن ويوسف الشلالي استولى على الكثير من الأسلحة والذخائر وبايعه الناس وزاد إيمانهم به فعمل على تنظيم جيشه وقسمه لرايات وعين الخلفاء كما قام المهدي بجمع عدد كبير من الأدعية والأذكار في كتاب واحد أطلق عليه اسم الراتب ([3]).

كانت هزيمة يوسف الشلالي متوقعة لأنه اعتقد هزيمة المهدي ولكن نسي أن المهدي هو صاحب المبادرة وهو كذلك صاحب ميدان القتال كما أن تزايد أتباع المهدي أعطى المهدي مقدرة إضافية على حشد هذه القوات لتحقيق النصر على أي قوات تأتي إليه في قدير .

([1]) عبد المحمود أبو شامة ، مرجع سبق ذكره، ص 23.

([2]) ب.م هولت، المهدية في السودان، ترجمة، جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت ،1982م، ص 66- 67.

([3]) سليمان كشة ، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية ، (ب.د)، (ب.ت) ، ص 50.

المبحث الثالث

تحرير الأبيض (1883م / 1303هـ)

بعد الانتصارات التي تحققت ضد راشد والشلالي أدرك المهدي ضعف الحكم التركي - المصري عسكرياً ولذلك أصبحت كردفان الهدف الرئيس للمهدي، حيث استطاع أن يسيطر على معظم حامياتها ولذلك قرر من قدير وبصورة سرية الزحف ناحية الأبيض في يوليو من عام 1882م ، تحرك المهدي نحو الأبيض ولم يأخذ معه الأسلحة النارية التي غنمها من معاركه السابقة والسبب في ذلك أنه أراد أن يقاتل أنصاره بالطريقة ذاتها التي كان يقاتل بها النبي(صلى الله عليه وسلم) وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخدم السلاح الناري ، كما أنه كان يرغب في أن يرسخ في أذهان الأنصار أن المهدية لا تنتصر بالسلاح الناري (1).قبل أن يتحرك المهدي نحو الأبيض قام بإرسال رسولين إلى محمد سعيد مدير الأبيض يطلب منه تسليم المدينة غير أن محمد سعيد قبض على الرسولين وقام بإعدامهما (2).

من خلال إقدام محمد سعيد على قتل رسل المهدي يبدو أنه لم يستفد من تجربة الشلالي الذي قام بقتل رسل المهدي وكان لهذا الإجراء أثره السلبي وسط سكان الأبيض لأن رسل المهدي أظهروا مقدرة عالية على التحمل والصبر ومواجهة الموت بكل شجاعة .

كان الطريق ممهداً أمام المهدي للوصول إلى الأبيض وذلك بفضل العهود والمواثيق التي استطاع المهدي أن يعقدها مع رجال الدين والتجار داخل وخارج مدينة الأبيض ، كما أن أتباع المهدي استطاعوا أن يشعلوا الثورة في المناطق التي بها حاميات حكومية مثل اسحف والطيارة ❖ ، وبعد أن وصل المهدي بالقرب من الأبيض أرسل عدداً من الإنذارات يدعو فيها أهلها للانضمام (3).انضم إليه من داخل المدينة إلياس باشا أم

---

(1) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 194.

(2)ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، ط4، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1968م، 131.

❖ اسحف والطيارة مدن في كردفان سيطر عليها الامام المهدي بعد اعلان الثورة

(3)محمد محجوب مالك ، مرجع سبق ذكره، ص 63.

برير وعبد الرحمن بانقا، ومحمد علي إسماعيل ، وولد العريق ، وولد صالح سوار الدهب وهؤلاء من قادة العمل التجاري والديني والاجتماعي والذين عرفهم المهدي منذ زيارته الأولى لمدينة الأبيض ([1]).وعسكرت قوات المهدي في منهل (كابا) الذي يبعد ستة أميال جنوب غرب مدينة الأبيض ثم استدعى كل من الفكي (المنا إسماعيل) من التيارة وانضم للمهدي في الطريق عبدالله ود النور الذي عسكر بقواته في خور طقت شمال شرق المدينة ([2])

هجوم الجمعة على الأبيض 24شوال 1301هـ/8سبتمبر 1882م:

يعد هجوم الجمعة على مدينة الأبيض أول حادثة تصطدم فيها مثالية المهدي بالواقع، فقد كان المهدي يحقق انتصاراته بواسطة السلاح الأبيض ولم يستخدم السلاح الناري الذي تركة في قدير وقد نسي المهدي أن معاركه السابقة كانت تتم في العراء وأنه يستطيع بفاعلية وسرعة قواته أن يباغت العدو ويعمل على الحد من السلاح الناري ، ولكن هذه المرة المدينة محصنة بخندق قام محمد سعيد بحفره منذ أن قدم المهدي إلى قدير مما أعطى المدينة قوة إضافة وتم وضع عدد من المدافع على الأبراج التي تم بناؤها لحماية المدينة ضد هجمات المهدي المتوقعة . وقع أنصار المهدي فريسة للأسلحة النارية ولم يتمكن الأنصار من اقتحام المدينة وقد خسر المهدي في هذا الهجوم حوالي عشرة آلاف مقاتل وانسحبت قواته من المدينة([3]).

ما بعد الهزيمة :

بعد الهزيمة انسحبت قوات المهدي إلى منهل (الجنزارة)❖ وأشار عدد من أتباع محمد سعيد مدير الأبيض بمهاجمة المهدي لكنه رفض هذه الفكرة لخوفه من

([1]) محمد سعيد القدال ، الامام محمد أحمد المهدي ،مرجع سبق ذكره ، ص 122.

([2]) نفس المرجع ص 123.

([3]) محمد محجوب مالك ، مرجع سبق ذكره ، ص 64.

❖منهل الجنزارة واحد من مناهل المياه التي تقع بالقرب من مدينة الأبيض تجمعت فيه قوات الإمام المهدي قبل تحرير الأبيض.

مهاجمة الأبيض من قبل قوات المنا إسماعيل عند خروجه منها . تعد هزيمة الجمعة أو هجوم الجمعة الفاشل على الأبيض أول هزيمة تتلقاها قوات المهدية منذ أول انتصار لها في أبا ويقال إنّ الخليفة عبدالله طلب من المهدي الرجوع إلى قدير أو الذهاب إلى دارفور ليكون بعيداً عن الحكومة لكن هذا المقترح وجد معارضة شديدة من إلياس باشا أم برير الذي ارتبط مصيره بالمهدية لذلك اقترح على المهدي نقل معسكره إلى منهل الجنزارة بالقرب من الأبيض وإحضار الأسلحة النارية من قدير ووافق المهدي على ذلك ، وتحول بعد ذلك من أسلوب الهجوم إلى أسلوب الحصار بعد تكوين فرقة الجهادية وفي الوقت نفسه حاصرت قوات المهدي مدينة بارا بواسطة الفكي والمنا ورحمة محمد منوفلي [1].

إن هجوم الجمعة جعل المهدي يغير تكتيكه العسكري وذلك بتحوله من أسلوب الهجوم إلى الحصار ثم استخدامه للأسلحة النارية واستحداث فرقة جديدة وهي فرقة الجهادية التي أسهمت بصورة كبيرة في حصار وتحرير المدن مثل الأبيض وبارا والدلنج واسحف والتيارة.

قام المهدي بإحضار الأسلحة النارية من قدير وكون قوة جديدة عرفت بالجهادية❖ تحت قيادة حمدان أبوعنجة .

بعد أن علم الحكمدار عبدالقادر باشا حلمي بخطورة الموقف في كردفان وأن مدينة الأبيض مهددة من قبل قوات المهدي قام بإرسال حملة إنقاذ عبر بارا فلما علم المهدي بخبر الحملة أمر بردم الآبار مما ساعد على إرهاق هذه القوة وعند اقترابها من بارا في أكتوبر 1882م اعترضتها قوات المنا إسماعيل ورحمة محمد منوفل وتمكنوا من قتل قائدها وإبادة نصفها وفر النصف الآخر نحو الأبيض [2].

([1]) ب. م هولت ، مرجع سبق ذكره ،ص 72.

❖الجهادية هم قوات الحكومة في الحاميات التركية أسرهم المهدي أثناء معاركه ضد الحكومة ومعظم أفراد الجهادية من النوبة والقبائل الجنوبية ، انظر ب.م هولت ، المرجع السابق ، ص 72.

([2]) المرجع نفسه، ص 72.

تحرير مدينة الأبيض :

سلمت مدينة بارا بواسطة قائدها في ذلك الوقت النور عنقرة الذي أصبحت له مكانة كبيرة في المهدية بعد حصار شديد للأمير عبد الرحمن النجومي في 6يناير 1883م بعدما فقدت الأمل في وصول حملة إنقاذ أخرى إليها وإعطاء المهدي الأمان لسكان المدينة الذين حضروا لمبايعة المهدي في منهل الجنزارة ([1]).

بعد تسليم مدينة بارا ضرب المهدي حصاراً شديداً على مدينة الأبيض بعد مشورة إلياس باشا أم برير الذي ذكر للمهدي أن هذا الحصار سوف يؤدي لتسليم المدينة بعد نفاد كمية الغلال التي داخل المدينة وانهيار الروح المعنوية للسكان وجنود الحكومة وإذا حاولت الحكومة أن ترسل حملة لفك الحصار سوف يعمل الأنصار على القضاء عليها قبل وصولها للأبيض([2]).اشتد الحصار على المدينة حتى أكل الناس الماشية النافقة وجلود الحيوانات ولحم الحمير والقرض والصمغ العربي وارتفعت أسعار الغلال وانعدمت في نهاية الأمر ولم يستطع الناس التحمل لذلك هرب الكثير من السكان من المدينة والتحقوا بمعسكر المهدي ([3]).

في نهاية الأمر اضطر محمد سعيد مدير الأبيض تسليم المدينة للمهدي في 15يناير 1883م ودخلها المهدي دخول الفاتحين كما هجم الأنصار على المدينة يبحثون عن الغنائم والأموال في مدينة عرفت في ذلك الوقت كأفضل مدينة تجارية في السودان ، كان لتحرير الأبيض مفعول السحر في نفس المهدي وأنصاره وثبت عملياً بعد هذا النصر أن التكتيك القتالي يتغير حسب المكان والزمان كما أعاد تحرير الأبيض الروح المعنوية للثورة المهدية التي كادت أن تندثر بعد هجوم الجمعة ([4]).

([1]) المرجع نفسه، ص 73.

([2]) يوسف ميخائيل، التركية والمهدية والحكم الثنائي، شاهد عيان، (تحقيق)، أحمد إبراهيم أبوشوك، مركز عبد الكريم ميرغني، أمدرمان 2004م ، 86.

([3]) يوسف مخائيل ، مصدر سبق ذكره ، ص 89.

([4]) محمد سعيد القدال، الإمام محمد أحمد المهدي ، مرجع سابق ، ص 25.

المبحث الخامس

معركة شيكان 4محرم (1301هـ/5نوفمبر 1883م)

تُعَدُّ معركة شيكان أو (حملة هكس) من أهم وأميز معارك المهدية فقد استخدم فيها الإمام المهدي أفضل الأساليب العسكرية واستطاع أن يحقق النصر على القوات الإنجليزية المصرية ويكسر ما يعرف بالمربع الإنجليزي الذي عرف بصلابته في معارك الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس.

بعد اندلاع الثورة المهدية وتتابع انتصارات الإمام المهدي قامت بريطانيا بإرسال الكولنيل (استيورت) لكتابة تقرير عن الأوضاع في السودان حيث كتب تقريراً ضافياً جاء فيه (... وضباطهم يجهلون أبسط فنون الفنون العسكرية وليس في قدرتهم تنفيذ أهون التحركات والمناورات العسكرية وثلث الجنود يجهلون استخدام البنادق والكثير منهم يعتقدون أن للمهدي قوة سحرية ...) بعد هذا قامت الحكومة في القاهرة بعزل الحكمدار عبدالقادر باشا حلمي وعينت مكانه علاء الدين باشا وبذلك فقدت القاهرة أفضل رجالها في السودان وتم ترشيح الكولنيل (هكس باشا)❖ الضابط المتقاعد في الجيش الهندي للقيادة في مصر لقيادة أركان حملة القضاء على المهدي وانضم إليه عدد من الضباط الأوربيين منهم الميجور (فركهار) والكابتن (هيرلث) البريطاني والبارون (اسكندروف) البروسي الذي قاد حملة القاهرة نحو الخرطوم بصورة سريعة حيث وصلتها في 7مارس 1883م ([1]).

❖ هكس باشا ، هو وليم هكس الكولونيل في الجيش البريطاني في الهند ، انضم هكس إلى الجيش الهندي عام 57-1858م وشارك في حملة نيبير إلى الحبشة عام 1868م وكان عمره في ذلك الوقت 52 سنة ، ويعد ضابطاً متميزاً ، ولأنّ مجال الترقي أمامه كان ضعيفاً في الجيش الهندي بعد ضم شركة الهند الشرقية للجيش البريطاني وهو قد كان يعمل بها ، نتيجةً لذلك فكر في الحصول على وظيفة أخرى تدر عليه دخلاً أوفر، وعندما عُرض عليه تولي قيادة أركان الجيش المصري في السودان لم يتردد، وهو قد تولى بعد عبد القادر باشا حلمي. انظر روبن نيللاند ، حروب المهدية ، (ترجمة عبدالقادر عبدالرحمن)، مطابع الوحدة ، أبوظبي ، 2002م ،، ص93- 94.

([1]) عصمت حسن زلفو ، شيكان ، مرجع سبق ذكره، ص 74- 75.

توترت العلاقة بين قادة الحملة هكس باشا والحكمدار علاء الدين باشا ونيازي باشا القائد العام للقوات وسبب هذا الخلاف أن هكس باشا يعتقد أن السلطة التنفيذية والعمليات يجب أن تكون تحت إدارته وفي الوقت نفسه كان لسليمان نيازي الحق في أن يصبح القائد للحملة وذلك بصفته القائد العام للجيش في السودان رغم هذه الخلافات استطاعت الحملة أن تحقق بعض النجاحات في النيل الأبيض ضد تجمعات (ود المكاشفي) و (عبدالله ود برجوب) وأتباعهما من (جهينة) و(اللحويين) و(الشنخاب) و(الكواهلة) وهذه العمليات كانت باقتراح نيازي باشا حيث أشار بتنظيف بعض الجيوب على النيل الأبيض وفعلاً تم تحقيق عدد من الانتصارات حتى وصل إلى الجبلين .ساهمت الخلافات بين قادة الحملة في أضعاف الروح المعنوية للجنود ولذلك تدخلت الحكومة المصرية وعملت على نقل نيازي باشا إلى البحر الأحمر وأصبحت بعد ذلك تحت قيادة علاء الدين باشا وهكس باشا.([1]).

أسهمت الخلافات بين قادة الحملة في إضعاف الروح المعنوية للجنود ولذلك تدخلت الحكومة المصرية وعملت على نقل نيازي باشا إلى البحر الأحمر وأصبحت بعد ذلك تحت قيادة علاء الدين باشا وهكس باشا.

تكوين الحملة:

تكونت حملة هكس من أثني عشر آلف وتسعمائة من الأفراد والمقاتلين تحركت في شكل صندوق فيه خمسة بلوكات من الباش بوزق وأربعة آلاف مدفع (كروب) وعشرة مدافع جبلية وستة مدافع (نورد فلوت) وستة مدافع رشاش (متر اليوز) وصاحب الحملة 2000 تابع وإداري كما تحميل المؤن والأسلحة على عشرة آلاف من الدواب وتحركت الحملة من الدويم في 27 سبتمبر عام 1883م ([2]).

([1]) المرجع نفسه، ص 76- 77.

([2]) محمد سعيد القدال ، الإمام محمد أحمد المهدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 126- 127.

صحب الحملة عدد من مراسلي الصحف البريطانية بغرض التوثيق وكتابة تقارير صحفية حية عنها ومن الصحف التي صاحبت الحملة مراسل صحيفة (التيمس) و(الديلي نيوز) و(الغرافيك) كما قام هكس باصطحاب عدد من السودانيين بغرض أن يصبحوا حكاماً على كردفان بعد القضاء على المهدي مثل (قناوي بك أبو عموري) و (بساطي بله المحسي) باش كاتب الخرطوم و(حمد بك التلب الجعلي) رئيس محكمة الاستئناف و(محمود بك أحمداني الكنزي) مدير الخرطوم و (عبد الرحمن بك بانقا الجعلي) كما قام بالإبقاء على الكولنيل (ده كولتجن)من أركان حربه في النيل الأبيض بين الخرطوم وفشودة لمنع السكان من الالتحاق بالمهدي في الأبيض ([1]).

كانت حملة هكس عبارة عن مزيج من المصريين والسودانيين والأتراك وبعض الضباط الأوربيين من مجتمعات مختلفة وتدريب عسكري مختلف بالإضافة لكل ذلك ليس لهم هدف واضح أو رابط عقائدي فالضباط الأوربيين عبارة عن مرتزقة تدفعهم المغامرة والقوات المصرية هي بقايا جيش عرابي تم إحضارهم للسودان مقيدين بالسلاسل والأغلال والجنود السودانيون محترفون لمهنة الجندية يعملون للحفاظ على مهنتهم والاستمرار فيها ، والعدد الضخم من الدواب فهو يعيق سير الحملة وهي في حاجة دائمة للماء والأعشاب والاتباع من غير المحاربين هم عبء إضافي على قادة الحملة من حيث الاهتمام ([2]).

ترتيب المهدي لمواجهة الحملة :

كان المهدي على علم تام بخبر الحملة منذ تحركها من الخرطوم بواسطة استخباراته وظلت الأخبار تأتيه تباعاً وبعد مغادرة الحملة (للدويم) أرسل المهدي مجموعة من قواته لمناوشة الحملة دون الالتحام معها بقيادة محمد عثمان أبوقرجة وعبد

([1]) مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية (من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم) ،ج2،دار جامعة الخرطوم ،1984م، ص 26- 27.

([2]) المرجع نفسه، ص 127.

الحليم وعامر إلياس أم برير [1].قام المهدي بإرسال المنشورات للقبائل التي تفرقت بعد تحرير الأبيض كما خرج من المدينة بقواته وإعداد معسكر ضخم تجمعت فيه كل القبائل الموالية له وكان يشرف على التدريب القتالي بنفسه كما قام بإرسال الخطابات للقبائل المقيمة حول الطريق الذي تقرر أن تسلكه الحملة يأمرهم بإخلاء الطريق [2].

نجح الإمام المهدي في استخدام الحرب النفسية تجاه قوات الحملة المتحركة نحوه في الأبيض كما استفاد من العوامل الجغرافية والمناخية المتاحة في المنطقة لكي يحقق نصراً كبيراً على هذه الحملة وقد أسهمت الإجراءات التي اتخذها المهدي في زرع الخوف في جنود الحملة ، ومن الواضح أن المهدي كان يخطط لهذه المعركة وهو أحسن حالاً من قادة الحملة .كانت الأبيض تبعد عن الدويم 250ميلاً لذلك تحركت الحملة عبر الطريق الذي تم اختياره بواسطة علاء الدين باشا وهو(شات، هجليجة ، أم دبيكرات، الأضية ، الرهد ، علوبة حتى وصل إلى فولة المصارين في 3نوفمبر 1883م حيث قام هكس بإرسال خطاب للمهدي يتوعده فيه بالهزيمة إذا لم يستسلم لجيشه المتقدم نحوه في الأبيض [3].

تقسيم جيش المهدي:

لمواجهة حملة هكس قسم المهدي جيشه إلى راياته الثلاثة والتي ظهرت منذ قدير وهي الراية الزرقاء لأهل الغرب والراية الخضراء لقبائل النيل الأبيض والراية الحمراء لقبائل شمال السودان وأهل الجزيرة ، وقد كانت الراية الزرقاء تحت قيادة الأمير يعقوب (جراب الرأي) والراية الخضراء تحت قيادة الأمير موسى ود حلو والبشير عجب الفيه ، والراية الحمراء تحت قيادة الأمير عبد الرحمن النجومي ، وقوات الجهادية

---

(1) محمد سعيد القدال، الإمام محمد أحمد المهدي ،مرجع سبق ذكره ، ص 127.

(2) محمد محجوب مالك ، مرجع سبق ذكره ، 68.

(3) عبد المحمود أبو شامة ، مرجع سبق ذكره ، ص53.

تحت قيادة حمدان أبو عنجة وقد كان عدد قوات الجهادية عند مواجهة هكس قد بلغ ستة آلف مقاتل تم تقسيمهم إلى أرباع[1] .

وصل الخلاف مداه بين هكس وعلاء الدين باشا حتى قيل إن أكثر الجنود والضباط يظهرون الكراهية لهكس وعدم الطاعة له وفي يوم الجمعة 1محرم 1301هـ وصلت الحملة إلى غابة شيكان وفي اليوم الثاني سيطرت قوات المهدي على (البركة) وهي مكان تتجمع فيه المياه في فصل الخريف وكان الغرض من ذلك أن لا تتمكن قوات الحملة من السيطرة عليها وكان عدد قوات المهدي كما ذكرهم إبراهيم فوزي خمسين ألف مقاتل مسلحين بمختلف الأسلحة ، ونتيجة للعطش الشديد فر أحد جنود الحملة لمعسكر المهدي وأخبره بكل التفاصيل عندها قرر المهدي مواجهة الحملة وكان ذلك في يوم 4محرم 1301هـ [2].

دخلت قوات هكس إلى غابة شيكان وهي في حالة من الإعياء وقلة المياه وفي يوم 5 نوفمبر 1883م انقسمت الحملة إلى ثلاثة مربعات عندها أعطى المهدي أتباعه إشارة الهجوم وتحولت المعركة إلى مذبحة وقتل العديد من الضباط والجنود وتمت إبادة معظم الحملة وقتل من الأوربيين (آودو نوفان) ❖ و(فيزتلى)❖ والأوربي الوحيد الذي نجى من الحملة يدعى (جوستاف كلوتز)❖ الذي انضم لمعسكر الرهد في الرهد وهكذا تم القضاء على أكبر حملة تم إرسالها للقضاء على المهدي في عقر داره وبعد سبعة أيام من الانتصار دخل المهدي مدينة الأبيض في موكب مهيب يحفه النصر من كل جانب ويتحلق حوله الأنصار ومعه عدد من الأسرى الذين تم القبض عليهم بعد القضاء على الحملة [3].

---

[1] المرجع نفسه، ص55- 56.

[2] ابراهيم فوزي ، مصدر سابق ،ص 150- 151.

❖آودونوفان هو مراسل جريدة الديلي نيوز البريطانية كان مرافق لحملة هكس .❖فيزتلي هو رسام جريدة (لندن نيوز) البريطانية رافق حملة هكس للقضاء على المهدي في كردفان ❖جوستاف كلوتز هو الأوربي الوحيد الذي نجى من حملة هكس بعد القضاء عليها بواسطة قوات المهدي ، انظر ب. م هولت ، مرجع سبق ذكره ، ص 84- 85.

[3] ب. م هولت ، مرجع سبق ذكره، ص 84- 85.

أسهمت الخلافات بين قادة الحملة في سرعة القضاء عليها من قبل المهدي كما أن هذه الخلافات المتواصلة أفقدت الحملة التركيز في المهمة الرئيسية وهي القضاء على المهدي.

نتائج معركة شيكان:

ترتب على انتصار المهدي في معركة شيكان والقضاء على حملة هكس عدد من النتائج والتي تتمثل في :

- أصبحت للمهدي سمعة داخلية وخارجية كبيرة جداً حيث وصلت إليه بعض الوفود من الحجاز والهند وتونس ومراكش .
- أصبح هم المهدي بعد هذا الانتصار الحاسم السيطرة على الخرطوم والقضاء على الحكم التركي المصري نهائياً في السودان .
- قامت الحكومة بسحب حاميتها البعيدة إلى الخرطوم لكي لا تقع في قبضة المهدي مثل الكوة وفشودة والدويم مما مهد الطريق أمام المهدي للزحف نحو الخرطوم بعد ذلك.
- كسب المهدي مادياً ومعنوياً.
- استطاع المهدي بعد شيكان أن يعزل دارفور وبحر الغزال وخط الاستواء عن الخرطوم وسيطر عليهم بعد ذلك.([1]).

([1]) المرجع نفسه ، ص 85- 86.

المبحث السادس

تحرير الخرطوم 26يناير (1885م /1304هـ)

بعد الانتصارات التي حققها المهدي في كردفان وقضائه على حملة هكس قررت الحكومة المصرية إخلاء السودان ولذلك تم اختيار عبدالقادر باشا حلمي الحكمدار السابق للسودان والذي رفض هذه المهمة ثم وقع الاختيار على الضابط البريطاني غردون باشا وقد وافق غردون على هذه المهمة مرتكزاً على خبرته السابقة في السودان حيث عمل مديراً على خط الاستواء ثم حكمداراً على السودان في عهد الخديوي إسماعيل باشا ([1]).

تحرك غردون من القاهرة إلى أسوان وفي صحبته الكولنيل (استيورت) الضابط المصري إبراهيم فوزي وبعد أن وصل إلى بربر قام بإرسال خطاب للمهدي في الأبيض مع بعض الهدايا ليعينه حاكماً على كردفان وطلب منه فك الأسرى الأوربيين والعمل على إعادة التجارة بين كردفان وباقي مناطق السودان كما طلب منه العمل على إصلاح خط التلغراف بين كردفان والخرطوم ، كان الغرض من هذا الخطاب إشاعة الفرقة بين أتباع المهدي بعد هذا العرض السخي حسب رواية (استيورت) فقد كان غردون يطمح في أن يعمل أتباع المهدي على إقناعه بهذا العرض([2]).

تم تبادل الخطابات بين المهدي وغردون منذ أن كان الأخير في بربر وقد بلغت هذه الرسائل ثمانية رسائل وملحقين وجاء في إحدى خطابات غردون للمهدي (... وإن كان حضرتكم تريد أن تكون سلطاناً على كردفان فقد أعطيناها لكم لتكون سلطاناً عليها ...)([3]). وفي خطاب آخر يدعو المهدي غردون باشا لترك المسيحية واعتناق الإسلام

([1]) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي ،دار الثقافة ،بيروت، 1980م، ص674.

([2]) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) ، مرجع سبق ذكره، ص 680.

([3])منشورات المهدي، (تحقيق) محمد ابراهيم أبوسليم ،دارالجيل،بيروت،لبنان،1979م، 319.

وهو إن اتبع المهدي حاز على شرف الدنيا والآخرة وإلا هلك وكان عليه إثمه وآثام جميع من اتبعه ([1]).

يمكن القول إن غرور غردون باشا منعه من أن يرى المكانة التي وصلها المهدي ومدى تماسك قواته وانصياعهم له وفي الوقت نفسه أن سيطرة المهدي على كردفان أصبحت حقيقة وكذلك دارفور وبحر الغزال وشرق السودان وأن الثورة اشتعلت في معظم مناطق السودان وأصبحت الخرطوم هي المحطة القادمة.

حصار الخرطوم

لفرض حصار مبكر على الخرطوم قام بإرسال محمد عثمان أبو قرجة إلى الخرطوم بغرض حصار المدينة وأطلق عليه لقب (أمير البرين والبحرين) كما نادى المهدي بالنفير العام في الجزيرة والمناطق المتاخمة للخرطوم ووصل أبوقرجة ونزل في منطقة الجريف جنوب الخرطوم([2]).

لتشديد الحصار على الخرطوم تولى العبيد ود بدر مهمة الحصار من جهة الشرق لكن قواته تعرضت لعدد من الهزائم وطلب المدد من المهدي ، وقد كان غردون بعد وصوله للخرطوم قد سعى إلى تحصينها والدفاع عنها في مواجهة المهدي، أما المهدي فقد تحرك بعد ذلك من الأبيض في جيش كبير حتى وصل إلى الرهد ([3]).

تمكنت قوات الشيخ محمد الخير أستاذ المهدي في مارس من العام 1884م من قطع خط التلغراف الواصل بين القاهرة والخرطوم مما ضاعف عزلة المدينة وانقطاعها عن العالم الخارجي في ذلك الوقت كانت أمام غردون باشا فرصة تاريخية للهرب من الخرطوم في الفترة بين 18 فبراير تاريخ وصوله و12مارس بداية الحصار على الخرطوم

([1]) عبد الودود شلبي، الأصول الفكرية لحركة المهدية ، المهدي السوداني ودعوته ، مكتبة الأدب ، القاهرة ،2001م ، ص 260.

([2]) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة و النشر، الخرطوم، 2007م، ص 804.

([3]) محمد محجوب مالك ، مرجع سق ذكره، ص 69.

بمن معه من الموظفين المصريين وغيرهم من الأجانب وذلك عبر بربر لكنه أضاع هذه الفرصة التاريخية لأن طريق بربر كان مفتوحاً وآمناً لخروجه ([1]).

تحصين الخرطوم من قبل غردون باشا :

لزيادة التحصينات حول المدينة ولمنعها من السقوط في يد قوات المهدية عمل غردون باشا على وضع الألغام وكتل الحديد داخل النيل في موسم ارتفاع المياه وزيادة حفر خندق في الجهة الجنوبية من المدينة ، وفي ذلك الوقت قام المهدي بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي الأمير العام على الجيش إلى الخرطوم حيث كتب لغردون يطلب منه التسليم فكان رد غردون باشا (... لست مبال بك ولا بسيدك المهدي ...)([2]).

بعد نزول حمدان أبوعنجة في أم درمان نجح في أن يسيطر على الطوابي التي تحمى الخرطوم من جهة أم درمان وقد ساعد ذلك في رفع الروح المعنوية للمهدي، الشيء الذي انعكس إيجاباً على قواته، وأصبحت السيطرة على أم درمان هي المفتاح الحقيقي للسيطرة على الخرطوم بعد ذلك، بعد أن ازداد الضغط على المدينة بفضل الخطة المحكمة التي وضعها المهدي لخنق المدينة.

بعد السيطرة على أم درمان، عمل المهدي على تشديد الحصار أكثر على الخرطوم، ولذلك طلب الخليفة عبد الله من محمد خالد زقل في الفاشر مد قوات المهدية بالأسلحة الموجودة معه، وقد حدد الخليفة عبد الله لمحمد خالد زقل سلاح الرمنتجون.([3])

وفي خطاب آخر بتاريخ 20 صفر 1302هـ/1884م ألح الخليفة على محمد خالد زقل في طلب الأسلحة لأنّ تحرير المدينة يحتاج إلى المزيد من الأسلحة، ولأنّ الحصار مضروب من ثلاثة جهات ولحاجة القوات للبارود عليه أن يرسل بارود المدافع

([1]) محمد فؤاد شكري، مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ، (1820- 1899) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م ، 3337.

([2]) مكي شبيكة ، الخرطوم بين المهدي وغردون ، مطبوعات لجنة الدراسات الاضافية ، جامعة الخرطوم ،1986م، ص 21.

([3]) مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 8 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص200.

والجُلَل.[1] وطلب الخليفة من محمد خالد أيضاً الاستعانة بالإبل واستئجارها من عرب دارفور.وحدد الخليفة عبد الله حاجة القوات من الأسلحة لمحمد خالد زقل بأن لا تقل عن حمولة ألفي بعير، وهي الكميات التي طلبها المهدي.[2]

كان طلب الدعم العسكري والحربي من محمد خالد زقل تصرفاً عسكرياً مهماً وذلك لتشديد الحصار على المدينة المتهالكة، وإحضار المزيد من الأسلحة والذخيرة يعمل على رفع الروح المعنوية لقوات المهدية المتربصة بقوات غردون.

لقد ساهمت الفاشر بصورة كبيرة في مد قوات المهدية بالأسلحة وفي تحرير المدينة، وتسريع عملية نقل الأسلحة من دارفور إلى الخرطوم.إضافةً للأسلحة والبارود التي طلبها الخليفة عبد الله من محمد خالد زقل، طلب منه إرسال أعداد من قوات (البازنقر) وهي القوات التي كانت تتبع للزبير باشا رحمه في بحر الغزال ، والجهادية، وذلك لدعم القوات المحاصِرة للمدينة (... عجِّلوا بإرسال جانباً من الجهادية وجانب من البازنقر بأسلحتهم الطرفين وجانب من الخيول ...).[3]

معركة أبي طليح وتحرير الخرطوم :

رغم الهزيمة التي تعرضت لها قوات المهدية في أبي طليح وهي تسعى لمنع وصول حملة الإنقاذ إلى الخرطوم إلا أنها تعد من المعارك المهمة في تاريخ المهدية حيث أن هذه المعركة نجحت في تأخير حملة الإنقاذ مما ساعد المهدي على الانقضاض على الخرطوم.بعد أن وصلت أخبار هزيمة قوات المهدية في أبي طليح إلى المهدي، عقد مجلس حربي فيه الخلفاء وكبار الأنصار وأقاربه، طُرحت فكرة الانسحاب إلى كردفان، وجدت الفكرة في البداية بعض التأييد، وكان أكبر المعارضين لها محمد عبد الكريم خال المهدي، ونتيجةً لمعارضته قرر المجلس الهجوم قبل أن تصل قوات الإنقاذ،

---

(1) مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 20 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص202.

(2) مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 22 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص206.

(3) مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 28 ربيع أول 1301هـ، ديسمبر 1883م، ص157.

وما عزز فكرة الهجوم ما ورد على لسان بعض الهاربين من المدينة حيث أوضح للمهدي نقاط الضعف في بعض المناطق والتي يمكن من خلالها دخول المدينة.[1]

انهيار استحكامات الخرطوم:

كانت الخرطوم تحيط بها العديد من الاستحكامات، مثل الكلاكلة وبري، والقوات التي تم توزيعها على هذه الاستحكامات بلغ عددها خمس أورطات من الجنود و25 أوردي من الباش بوزق والشايقية، وتم حفر خندق بين النيلين الأبيض والأزرق لحماية المدينة ووضعت عليه الأسلاك الشائكة والمسامير الحديدية (الضِريسَة)*، وكان الهدف من وضع الضريسة والتحصينات أن تعيق الدخول إلى داخل المدينة، ولكن المهدي كان يعرف كل شيء وذلك عبر الذين فروا منها. في مساء الأحد جماد الأولى (1305هـ/ 25 يناير 1885م) عَبَرَ المهدي النيل الأبيض إلى معسكر النجومي وتشاور معه في شأن الهجوم، استقر الرأي على أن يكون الهجوم في فجر الاثنين الثاني من جماد الأولى1305هـ/ 26 يناير 1885م، وعند الفجر بدأ الهجوم على المدينة، واختار المهدي هذا التوقيت لكي لا تتمكن القوات الحكومية من إلحاق الخسائر بجنوده.[2]

كان النجومي صاحب قيادة الهجوم من جهة النيل الأبيض ومعه 40 ألف مقاتل، واستطاع اختراق الدفاعات عبر فتحة صغيرة بين الاستحكامات، وكان هناك ما يقارب 20 ألف جندي منتشرين في مواجهة الدفاعات. وبعد وصول جيش النجومي بدأت القوات المواجِهة للاستحكامات في الهجوم، واستطاعت المجموعة الأولى من قوة

---

(1) ب.م هولت، مرجع سبق ذكره، ص121.

*الضريسة، هي عبارة عن قطع الحديد التي يتم تجميعها مع بعضها، وهي ذات رؤوس حادة استخدمها غردون باشا للدفاع عن مدينة الخرطوم، حيث قام بغرسها في الطين لمنع الأنصار من دخول الخرطوم، انظر حاتم الصديق محمد أحمد، دور الأمير يعقوب في المهدية ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2009م، ص48.

(2)حاتم الصديق محمد أحمد ، مرجع سبق ذكره، ص48.

الأنصار الوصول إلى مقر غردون وقتله وتحررت المدينة في وقت وجيز وكان ذلك في 26 يناير 1885م.[1]

بعد تحرير المدينة دخلها المهدي ومعه الأنصار وصلى بها صلاة الجمعة وقد ذكر هولت أن المهدي أراد أن يتخذها عاصمة له وتم إعداد منزل كبير للمهدي كما أن الخليفة عبدالله اتخذ من مبنى الحكمدارية مقراً له وأعدت منازل أخرى لكبار القادة ولكن تغيرت الخطة بعد ذلك وأصبحت أم درمان عاصمة الدولة الوليدة ، لم يمكث المهدي كثيراً بعد تحرير الخرطوم حيث توفي في 9رمضان 1302ه/22 يونيو 1885م بعد إصابته بالحمى[2].

([1]) نفس المرجع، ص49.

([2]) ب.م هولت ، مرجع سابق، 122.

الفصل الثاني

معارك الدولة المهدية

المبحث الأول:

معركة القلابات 9مارس 1889م / 1307هـ):

لم تكن الجبهة الحبشية من ضمن أولويات الخليفة عبدالله الذي تولى السلطة بعد وفاة المهدي لكن تدخلت عدد من العوامل جعلت من الخليفة ينتبه لعلاقته بالحبشة ومن هذه العوامل القوات المرابطة بالقلابات إذا تركت دون حرب سوف تعمل على التعدي على مناطق الإنتاج والقضارف ليست ببعيدة عن القلابات، ،أضف إلى ذلك أن قوات المهدية في تلك المناطق قد بلغت ستين آلف مقاتل ([1]).

تعاقب على عمالة القلابات كل من محمد ود أرباب الذي قتل على يد الأحباش ثم يونس ود الدكيم وحمدان أبوعنجة وتم عزل يونس ود الدكيم وأرسل إلى دنقلا في العام 1888م وأصبح حمدان أبوعنجة القائد العام للجيش وأميراً على القلابات . هاجم حمدان أبوعنجة الحبشة في 9 يناير 1888م بجيش ضخم قسمه على أرباع وعلى كل ربع قائد من قواده وهم أحمد ود على وعبد الله ود إبراهيم والزاكي طمل وعربي دفع الله ([2]).

حققت قوات حمدان أبوعنجة العديد من الانتصارات على الأحباش وعمل على تحصين القلابات ضد الهجمات المحتملة من قبل الأحباش لأن الملك يوحنا فكر في مهاجمة المدينة وخطط لذلك رداً على الهزائم التي مني بها ، استنفر الملك يوحنا كل الأحباش بغرض تحقيق نصر حاسم وسريع على الانصار ، تمكن يوحنا من حشد 250 ألف مقاتل معهم زعماء الأحباش وقادة المناطق مثل (الرأس عدل) و(الرأس الوله) وهيلا مريم وصالح شنقة زعيم التكارير وزحف بجيشه نحو القلابات ([3]). بعد أن

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره ، ص 283.

([2]) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، مصدر سبق ذكره ، ص 1064.

([3]) المصدر نفسه ، ص 1076- 1077.

وصلت أخبار هذه الحملة لحمدان أبو عنجة عمل على تحصين المدينة بزريبة ضخمة وسور داخلي لحماية العائلات والذخائر والغلال وجعل للزريبة أربعة أبواب وعلى كل باب مدفع ، وقبل أن يكمل حمدان أبوعنجة بناء الزريبة أصابته الحمى فمات في 29يناير 1889م فكانت وفاته صدمة لكل الجيش المرابط في القلابات وللخليفة عبدالله في أم درمان لأنه يعد من أميز قادة المهدية ([1]).

بعد وفاة حمدان أبوعنجة عين الخليفة عبدالله الزاكي طمل قائدا للجيش وأميراً على القلابات فتمت مبايعة الزاكي طمل من عموم الجيش وقد كان الزاكي طمل من أبرز قادة المهدية وله خبرة ودراية بالحرب واستعداداً لمواجهة يوحنا والجيش الحبشي أكمل تحصين المدينة واستنفر القبائل، وقد كان يوحنا يخطط للسيطرة على القلابات ويجعلها الحد الفاصل بينه والمهدية ([2]).

حاصرت قوات الملك يوحنا القلابات في يوم 6رجب 1306هـ/1888م وشرعت قواته في ضرب المدينة بالأسلحة النارية (المدافع والبنادق) وكان عدد قوات الأنصار في المدينة 75 ألف مقاتل وقد كان إطلاق النار كثيفاً من قبل الأحباش وقد ردت قوات الأنصار بوابل من النيران تجاه الأحباش وانطلق غبار كثيف غطى الأفق واستمرت الحرب لمدة خمس ساعات ولاحت بشائر النصر للأنصار([3]).

تبين ليوحنا أن قبيلته الأمهرة أظهرت شجاعة فائقة في القتال بينما قبيلة التقري كانت ضعيفة الأداء عندها تقدم الصفوف ليحث قواته على القتال وقد تقدم وهو محمول على كرسي عليه الملابس الإمبراطورية الزاهية وحوله حشد من الأتباع عندها وجه الأنصار أسلحتهم تجاه هذا الحشد ويعتقد الدكتور محمد سعيد القدال أن الأنصار لم يكونوا يعرفون أن هذا الموكب يضم ملك الحبشة فاخترقت إحدى

([1]) المصدر نفسه ، ص 1077.

([2]) إسماعيل عبدالقادر الكردفاني ، الحرب الحبشية السودانية ، (1885- 1888م) ، (الطراز المنقوش ببشرى يوحنا ملك الحبوش) ، (تحقيق) محمد ابراهيم ابوسليم ، محمد سعيد القدال ، دار الجيل ، بيروت ، 1991م، ص 94- 96.

([3]) المصدر نفسه، ص 100- 101.

رصاصات الأنصار ذراع يوحنا وأصابته إصابة مميتة عندها طلب الإمبراطور من ابنه التراجع إلى داخل الحبشة وقد نجحت تلك الرصاصة في أن ترجح كفة الأنصار وتحولهم من الهزيمة إلى النصر([1]).

بعد مقتل يوحنا لاحقت قوات الزاكي طمل فلول الأحباش حتى نهر عطبرة واستطاع أن يقتل الكثير منهم ويسبي مجموعات أخرى وأخبر الخليفة عبدالله بذلك ([2]).

غنائم الأنصار من القلابات :

غنم الأنصار من الأحباش بعد معركة القلابات الكثير من الذهب منها طاقية من الذهب الخالص وعدد من الصلبان الذهبية وسوار من الفضة وعدد كبير من الأسلحة حيث حصل الأنصار على 1186 من الأنواع المختلفة من الأسلحة منها بندقية (رمنتجون) و (أبو لفته) و(خشخشان) وعدد كبير من الذخيرة ([3]).تمكن الأنصار كذلك من الحصول على جثمان يوحنا ملك الحبشة وقاموا بقطع رأسه وأرسلوه للخليفة في أمدرمان مع عدد كبير من قادته الذين تم أسرهم كما خسر الأنصار في هذه المعركة حوالي 2600 مقاتل ([4]).

الناظر لمعركة القلابات يجد أن النصر كان إلى جانب الأحباش في بداية المعركة لكن إصرار الأنصار على الدفاع عن مدينتهم ومهاجمة موكب يوحنا مكنهم من تحقيق نصر مهم وقتل يوحنا ملك الحبشة الأمر الذي مثل قاصمة الظهر للجيش الحبشي ، وقد أعطى الانتصار على الأحباش الخليفة عبدالله الدافعية والحماس لغزو مصر بعد ذلك.

([1]) محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة ، دراسة في السياسة الداخلية والخارجية للدولة المهدية (1881- 1898م)، دار الجيل ، بيروت ،1992م، ص 142- 143.

([2]) نعوم شقير ، مصدر سبق ذكره ، ص 1078.

([3]) المصدر نفسه ، ص 1083.

([4]) روبن نيللاند ، حروب المهدية ، (ترجمة عبدالقادر عبد الرحمن)، مطابع الوحدة ، أبوظبي ، 2002م ، ص 201.

المبحث الثاني

معارك الأمير عثمان دقنة في شرق السودان

مثل شرق السودان نقطة انطلاق مهمة للثورة المهدية وذلك بعد أن التحق عثمان دقنة بالإمام المهدي في الأبيض ولقبه بأمير الشرق وبعث به إلى شرق السودان ليعمل على نشر المهدية في تلك المناطق ومن الأبيض توجه الأمير عثمان دقنة إلى قبائل البشاريين والأمرأر وعمل على دعوتهم للمهدية واستجاب الكثير منهم وانضموا لحركة المقاومة في شرق السودان وكان ذلك إيذاناً ببداية الثورة المهدية في الشرق ([1]).

أسهمت الطائفة المجذوبية في تعزيز روح المقاومة في نفس الأمير عثمان دقنة وأعطته دفعة قوية لمواصلة الثورة في شرق السودان . ويمكن القول إن لقاء الإمام المهدي بالأمير عثمان دقنة في الأبيض كان له ما بعده حيث كمل كل واحد منهما الآخر فعثمان دقنة صاحب المبدأ الناقم على الحكم التركي يبحث عن الثأر لنفسه وعقيدته وعشيرته والإمام المهدي يبحث عن نشر المهدية في كل السودان وبذلك اتحدت رؤية وقدرات الرجلين . كان عثمان دقنة الرجل الأنسب لتقلد زمام المهدية في شرق السودان وذلك لمعرفته بشرق السودان وقبائله وقد استطاع الأمير عثمان دقنة بخبرته وحنكته الاستفادة من الطريقة المجذوبية في جذب الأتباع وتحقيق العديد من الانتصارات .

الأسلوب القتالي عند الأمير عثمان دقنة :

يلاحظ أن الأسلوب القتالي المستخدم عند الأمير عثمان دقنة كان يتغير من معركة إلى أخرى وهو يشبه أسلوب الإمام المهدي القتالي حيث تدرج من الهجوم للحصار وتُعد معركة أوكاك (سنكات) أول معركة يستخدم فيها عثمان دقنة أسلوب الهجوم ويمكن وصفه بالهجوم الانتحاري ، ثم توالت معارك عثمان دقنة في شرق السودان حيث جاءت معارك قباب حيث استخدم فيها عثمان دقنة أسلوب حرب العصابات وهو أسلوب استخدمه أمير الشرق لضرب تحصينات المدن في شرق السودان،

([1]) عثمان دقنة ، (تحقيق) محمد ابراهيم ابو سليم دار الجيل ، بيروت، 1991م ، ص، 60.

أوكاك (سنكات) ،واقعة الساحل الأولى (التيب) الأولى، واقعة الساحل الثانية (التيب) الثانية، واقعة الساحل الثالثة (التيب) الثالثة ، واقعة كسلا ، واقعة اتبره ، واقعة (التمنيب الأولى)، واقعة (التمنيب الثانية)، واقعة محمود على (تهشيم) ([1]).

واقعة الساحل الأولى (التيب الأولى)1301هـ/5- 11 نوفمبر 1883م :

تعرف واقعة الساحل الأولى باسم (التيب) وهى تحريف للكلمة البجاوية (انديتيب) والتي تعني الساحل وقد حدثت هذه الواقعة بعد أن قرر الأمير عثمان دقنة مهاجمة سنكات (أوكاك) ([2]).

حيث أرسل الأمير عثمان دقنة الخضر على الخضر لحصار طوكر فقرر سليمان نيازي مدير شرق السودان إرسال حملة بقيادة محمود باشا طاهر لفك الحصار عن طوكر وصحب الحملة قنصل بريطانيا في سواكن (مونكريف) وعندما تقدمت الحملة من(ترنكتات) نحو طوكر هجمت عليها قوات الأمير عثمان دقنة ففر بعضهم منها عبر البحر إلى سواكن وقتل عدد كبير من جنودها كما قتل (مونكريف) قنصل فرنسا في هذه الواقعة وفي ديسمبر من عام 1883م استطاع عثمان دقنة إبادة حملة أخرى كانت في طريقها نحو سنكات ([3]).

قدر عدد قوات هذه الحملة بـ 55 رجلا وبعد مقتل مونكريف وفرار محمود باشا زادت الروح المعنوية لدى أنصار عثمان دقنة وتم وصف محمود عبدالقادر بالجبن وتم عزله من منصبه بعد هذه الواقعة ([4]).

واقعة الساحل الثانية (التيب) الثانية 1301هـ/ 4نوفمبر 1884م:

فكر عثمان دقنة في حصار مدينة سواكن ولتحقيق ذلك بعث مصطفى على هدل بغرض إثارة القبائل حول كسلا ثم حصارها . ثم نجح عثمان دقنة في قطع الطريق

([1]) المصدر نفسه ، ص 78- 79.

([2]) المصدر نفسه ، ص 59.

([3]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 209.

([4]) مذكرات عثمان دقنة ، مصدر سبق ذكره ، ص 60.

التجاري بين سواكن – بربر الذي ترسل به التعزيزات إلى الخرطوم فأصبح بذلك الوضع في غاية الخطورة بالنسبة لبريطانيا ولكي لا تسقط كسلا في يد عثمان دقنة قررت السلطات البريطانية في مصر حملة بقيادة فالتين بيكر أخ صمويل بيكر مكونة من 3600 من (الجندرمة) وهم قوات البوليس التي تم تكوينها بعد تسريح جيش عرابي ([1]).

يشير مكي شبيكة في كتابه السودان والثورة المهدية إلى أن مهمة هذه الحملة كانت بوليسية تتركز على حفظ الأمن لكن بيكر عمل على إعدادها إعداداً عسكرياً ومن مهامها حماية الطريق التجاري بين سواكن – بربر الذي وقع تحت سيطرة قوات عثمان دقنة ، لكن في 9 يناير صدرت الأوامر لبيكر بالتخلي عن فتح الطريق التجاري وان يعمل على إنقاذ كل من سنكات وطوكر ولكن رغم هذه المهام إلا أن معنويات قواته كانت في الحضيض وقد وضح ذلك منذ لحظات وداعهم في القاهرة وفي الوقت نفسه لم يكن لهم دافع للقتال ([2]).

كان بيكر يفاضل بين إنقاذ سنكات وطوكر فسنكات كانت في أسوأ حالاتها لأنها تواجه الموت جوعاً أما طوكر فقد كانت تعاني من نقص الذخيرة وقد وقع اختيار بيكر على إنقاذ طوكر وذلك لصعوبة إنقاذ سنكات ، وقد تحركت قواته نحو آبار التيب ووجد قوات عثمان دقنة تسيطر عليها وتشكلت قواته في شكل مربع وهو أسلوب قتالي معروف عند الإنجليز عندها هجمت قوات الأمير عثمان دقنة على المربع مما أدى إلى فرار فرقة القاهرة والإسكندرية وانقلبوا على المربع وفرت القوات الإنجليزية المصرية من المربع وتخلوا عن أسلحتهم وتم القضاء على الكثير من جنود الحملة ([3]).

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره ،ص 209.

([2]) مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية ، ج3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 50- 51.

([3]) مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية ، ج3 ، مرجع سبق ذكره، 59.

قتل ألفين من جنود الحملة وفر بيكر مع فلول قواته إلى سواكن وتردى الوضع في سنكات وفشل وصول النجدات إليها فقرر قائدها الخروج منها بكل من معه وعلى بعد ميل من المدينة تمت إبادتهم واستطاع عثمان دقنة السيطرة على سنكات وفي نفس شهر فبراير استسلمت طوكر ([1]).

غنم عثمان دقنة من معركة التيب الثانية 6 مدافع و3000 بندقية و5000 قطعة ذخيرة وتعد من اهم معارك الأمير عثمان دقنة في شرق السودان ([2]).

أسهم سقوط سنكات وطوكر وهزيمة بيكر في حدوث اضطرابات في سواكن وبعد أن أصبحت المصالح البريطانية في شرق السودان مهددة تخلت بريطانيا عن حذرها، وقررت إرسال ثلاث فرق بقيادة الجنرال جرهام إلى سواكن والغرض الرئيس من هذه الحملة تخفيف الضغط عن سواكن وإظهار قوة بريطانيا وفي نهاية شهر فبراير تحرك (جرهام) من (ترنكتات) واستطاع هزيمة الأمير عثمان دقنة وتمكن كذلك من احتلال طوكر ولكن أخلاها بسرعة وتراجع إلى سواكن والسبب في هذا التراجع السريع أن بريطانيا لا ترغب في بقاء قواتها خارج سوكن وهي لا تستطيع الاحتفاظ بهذه المدينة البعيدة رغم الهزائم التي لحقت بعثمان دقنة إلا أنه بقي محتفظاً بقدرته على الحركة وظل يشكل خطراً على سواكن وتحول إلى أسلوب حرب العصابات واستطاع أن يلحق الكثير من الخسائر بالقوات الانجليزية – المصرية ونجح في عزل الخرطوم عن شرق السودان ([3]).

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره ، ص209- 210.

([2]) مذكرات عثمان دقنة ، مصدر سبق ذكره ، ص 61.

([3]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره ، ص210.

المبحث الثالث

معركة توشكي 3 أغسطس 1889 / 1307هـ)

كانت خطة الأمام المهدي وحسب ما وعد أصحابه أنه سوف يفتح مصر لذلك توقف الحلم قليلاً بعد وفاته وعندما تولى الخليفة عبدالله السلطة عمل على تنفيذ خطة المهدي ولذلك سعى إلى إنقاذ جيش النجومي المعد مسبقاً لهذه المهمة ، تحرك هذا الجيش في أول الأمر من أم درمان ناحية الشمال حسب توجيهات الخليفة.

مع بداية عام 1303هـ/1886م قام الخليفة عبد الله بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي إلى بربر ليتحرك منها إلى دنقلا، ومعه جميع قوات الراية الحمراء، وقد وصل إلى دنقلا في أواخر عام 1303هـ/1886م واتخذ منها معسكراً لقواته وقام بإرسال الطلائع إلى جنوب مدينة حلفا.[1]

كان عدد القوات التي تحركت نحو بربر تحت قيادة النجومي تقدر بحوالي سبعين ألفاً، وعندما وصلوا إلى بربر تفرق الكثير من تلك القوات في أنحاء البلاد ولم يبقَ منهم سوى عشرين ألف مقاتلٍ منهم عشرة ألفٍ من الجهادية الذين تمردوا عليه ولكنه اكتشف هذا التمرد واستطاع أن يقضي على هذا التمرد، وبعد أن وصل إلى دنقلا قام الخليفة عبد الله بتعيين مساعد قيدوم مدعوماً بعدد من المقاتلين لكي يكون وكيلاً لعبد الرحمن النجومي.[2]

وحدث نفور واضح بين النجومي ومساعد قيدوم حتى وصل مرحلة أنّ كل واحد منهم يقوم باستعراض جيشه وحده، وفي عام 1305هـ/1888م قام الخليفة باستدعاء الأمير عبد الرحمن النجومي إلى أم درمان وقام بتأنيبه وتحقيره أمام الناس، وذكر له بأنه شخص منفعل ولا يصلح للقيادة، وفي أواخر عام 1305هـ/1888م رجع النجومي إلى دنقلا بغرض التقدم نحو مصر، وعند حلول 1306هـ/1889م انتشرت المجاعة في

---

(1) إبراهيم فوزي، مصدر سبق ذكره، ج2، ص109.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص177.

جميع أنحاء السودان، وقام الخليفة عبد الله بتعيين يونس الدكيم قائداً عاماً وعاملاً على دنقلا، وأمره بأن يضغط على النجومي لكي يتحرك نحو مصر.[1]

لقد تم نقل يونس الدكيم من القلابات إلى دنقلا، وقد كان نقله بعد خلاف نشب بينه وبين حمدان أبو عنجه، وسبب هذا الخلاف أنّ يونس الدكيم قد تغول على سلطات حمدان أبو عنجة في القلابات، وتأكد الخليفة عبد الله من عدم استمرارهم مع بعض في القلابات ولذلك تم تعيين يونس الدكيم عاملاً على كل الجيش في دنقلا.[2]

ومما شجع الخليفة عبد الله للضغط على النجومي للتحرك نحو مصر أنّ عدداً من القبائل في جنوب مصر قد أبدت الموافقة على الوقوف مع قوات الخليفة عبد الله ضد القوات المصرية، ومن تلك القبائل قبيلة الجعافرة، ورغم مرض النجومي تحرك بجيشه الذي فرّ عدد كبير منه من دنقلا نحو الشمال وقام بصرف مقدار قليل من الذرة لكل مقاتل وهو شيء لا يكفي لإطعام قواته.[3]

انضم إلى النجومي في دنقلا 2087 مقاتلاً من قبيلة البطاحين، وقد استقبلهم النجومي بعرضة كبيرة خارج المدينة، ورفع النجومي كشفاً شاملاً للخليفة بالأعداد التي انضمت إليه وسلاحهم وراياتهم.[4]

لقد كان قوام قوات النجومي يتكون من قوات الراية الحمراء بالإضافة إلى قوات القبائل التي انضمت إلى النجومي مثل الرباطاب والجعليين والشايقية والشكرية والدناقلة والمحس والرزيقات والهبانية، والمسيرية، وقد كانت أسلحتهم بدائية مقارنةً

([1]) المصدر نفسه ، ج2، ص178- 179.

([2]) د. و. م. خ/ مهدية 2/68/1 من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبوعنجة، 25 جماد أول 1306هـ، يناير 1889م، ص272.

([3]) إبراهيم فوزي، مصدر سبق ذكره، ج2، ص179- 180.

([4]) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 8 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص89.

بأسلحة القوات المصرية، حيث كان الخليفة عبد الله يعتقد بأنّ سلاح القوات المصرية هو نفس السلاح الذي قاتلوا به ضدهم في سنوات المهدية الأولى.[1]

وقد كانت أعداد القوات التي مع النجومي في دنقلا قبل أن تتحرك منها شمالاً تتكون من 11977 مقاتلاً وعدد الخيول 840 أمّا السلاح الأبيض فقد بلغ 2841 قطعة سلاح، هذه الأعداد كانت في 7 ربيع أول 1306هـ/نوفمبر1889م.[2]

هروب قوات النجومي:

لقد كانت هنالك حالات هروب وسط جيش النجومي وأهالي دنقلا، وقد بدأ هروب الجهادية عندما تحرك النجومي من دنقلا نحو كرسكو، وقد هرب الجهادية- بعد إحساسهم ببوادر الهزيمة والإهمال الواضح من الخليفة عبد الله بهذه الحملة - الذين يعملون بالمدافع وانضموا للجيش المصري، وقد هرب 32 جهادياً وهرب أيضاً رئيس الطوبجية بخيت جاموس الشيء الذي جعل النجومي يفقد عدداً من جنوده المهمين، ومما أزم موقف النجومي هروب الجهادية الذين يحملون المدافع، ونفقت الإبل التي معه الأمر الذي دفعه إلى تكليف بعض الأنصار بجر المدافع لمسافة طويلة ثم دفنها بعد ذلك لكي لا تقع في يد القوات الإنجليزية والمصرية.[3]

وقد شملت حالات الهروب الأهالي الموجودين في دنقلا، حيث هرب عدد منهم إلى جهة القوات المصرية والانضمام إليها، واستغلوا في ذلك المراكب، فصدر توجيه من محمد خالد إلى حمودة إدريس رئيس نقطة (دلقو) بأن لا يسمح لأي مركب بالمرور ما لم تكن تحمل تصريحاً بالمرور.[4]

([1]) عبد الوهاب احمدعبدالوهاب، توشكي، دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومي على مصر، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1979م، ص49- 50.

([2]) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 7 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص85.

([3]) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، القعدة 1306هـ، أغسطس 1889م، ص103.

([4]) د. و. م. خ/ مهدية 2/37/1 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 16 شوال 1313هـ، مارس 1896م، ص17.

الخلاف بين النجومي ومساعد قيدوم ويونس الدكيم:

لقد عصفت بالجبهة الشمالية موجة من الخلافات بين قادة الدولة المهدية، ومن أبرز تلك الخلافات التي انعكست سلباً على أداء قوات المهدية، الخلاف الذي تجدد بين النجومي ومساعد قيدوم، وهذا الصراع بذل فيه الخليفة عبد الله دوراً مقدراً في حسمه، وقد كان كل من النجومي ومساعد قيدوم يطلبون من الخليفة عبد الله الإذن بالحضور إلى أم درمان وتوضيح وجهة نظره، وتحول الصراع إلى صراع آخر بين يونس الدكيم ومساعد قيدوم.

وقد كان الصراع بين النجومي ومساعد قيدوم صراعاً إدارياً وليس قبلياً، وما يدل على ذلك أنّ مساعد قيدوم قد دخل في صراع آخر مع يونس الدكيم، والصراع بين النجومي ومساعد قيدوم يرجع إلى أسباب إدارية وتنظيمية وأسباب أخرى شخصية غير قبلية، ولكن هذا الصراع في نهاية الأمر أضعف قوة الجيش.[1]

رغم الخلاف الواضح بين النجومي ومساعد قيدوم إلا أنّ الخليفة عبد الله قد استطاع أن يصلح بينهم، وبعد هذا الصلح طلب الخليفة من النجومي أن يعمل على ترحيل عائلة مساعد قيدوم من صرص إلى دنقلا على أن يوكل أمر ترحيلهم إلى عدد من أتباعه.[2]

تنظيم جيش النجومي في الشمال:

كانت هنالك العديد من التوجيهات التي تصدر من الخليفة عبد الله إلى النجومي بخصوص الجيش الذي معه، وقد طلب منه تنظيم جيشه وتقسيمه إلى أربع رايات كبيرة، وأن يقوم بتوضيح أعداد الجيش وأعداد الأرباع وسلاحهم وأن يقوم بتعيين الأشخاص القادرين على الإدارة والقيادة أمثال مساعد قيدوم وعبد الحليم مساعد

([1])عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب ، مرجع سبق ذكره.، ص77.

([2]) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 14 رجب 1305هـ، مارس 1888م، ص43.

ومحمد حمزة، كقادة للربع وأن يستعرض الجيش في شكل صف واحد بدلاً عن التربيعات، والهدف من أسلوب الصف إدخال الخوف في نفوس الأعداء.[1]

قسم النجومي جيشه إلى أربعة أقسام وهي كالآتي:

القسم الأول	تحت قيادة النجومي	7400
القسم الثاني	تحت قيادة إسماعيل حركة	2000
القسم الثالث	تحت قيادة عبد الحليم مساعد	2200
القسم الرابع	تحت قيادة مساعد قيدوم	1200
المجموع		12800[2]

لقد كانت قوات النجومي الموجودة في صرص تحت قيادة عبد الحليم مساعد تعاني من الجوع والعري والإرهاق، الأمر الذي دفع الأمير عبد الحليم مساعد بأن يكتب للأمير عبد الرحمن النجومي يطلب منه إرسال مدد من الغذاء والكساء، ولكن في الوقت نفسه كانت قوات النجومي تعاني أشد المعاناة ولذلك رفع النجومي طلب الدعم إلى الخليفة عبد الله.[3] لقد أسهم الجوع وبصورة مباشرة في فرار عدد من قواته إلى داخل الأراضي المصرية، الشيء الذي أدخل الحزن في نفس النجومي لأنه لم يكن يعتقد بأن أحداً من قواته سوف ينضم إلى معسكر الأعداء.[4]

ونتيجةً لحالة الجوع طلب عبد الحليم مساعد من مساعد قيدوم السماح له بالدخول إلى الأراضي المصرية والعمل على جلب الغذاء من هنالك، ولكن قوبل طلبه بالرفض وهذا الرفض صادر من الخليفة عبد الله، وذكر مساعد قيدوم لعبد الحليم مساعد

([1]) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 24 صفر 1306هـ، اكتوبر 1888م، ص66.

([2]) إ ف . أر ونجت ، المهدية والسودان المصري ، (ترجمة) محمد المصطفى حسن، دار عزة للطباعة والنشر ، الخرطوم ، 2009م، ص 449.

([3]) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص92.

([4]) د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى يونس الدكيم، 29 القعدة 1306هـ، يوليو 1889م، ص32.

بأنّ القوات المصرية لم تدخل إلى الأراضي السودانية ولذلك لا يمكن مهاجمتهم أو دخول أراضيهم.[1]

الخطابات المتبادلة بين النجومي وسردار الجيش المصري:

كانت هنالك عدد من الخطابات التي بعثها سردار الجيش المصري جرنفل إلى عبد الرحمن النجومي، وعندما علم الخليفة عبد الله بتلك الخطابات طلب من النجومي عدم الرد على تلك الرسائل لأنّ جميع الخطابات التي ترد إليه من جرنفل لا تحتوي إلا على الغش والخداع، وأنّ هذا المنع يأتي من باب سد الثغرات، وذكره بكتابات جرنفل إلى عثمان دقنة عندما كان في كسلا حيث امتنع عثمان دقنة عن الرد الشيء الذي أدى إلى أن يقطع جرنفل تلك الرسائل مع عثمان دقنة.[2]

لقد كانت للخليفة نظرة بعيدة تجاه الرسائل التي ترد إلى النجومي من سردار الجيش المصري، وقد كان الخليفة عبد الله يقرأ الأحداث جيداً، فقد خشي من كتابات سردار الجيش المصري على تماسك النجومي، وأن يستثمر جرنفل النقص في الغذاء والسلاح والذخيرة في الضغط على النجومي ويدفعه إلى التسليم، ولخوف الخليفة عبد الله من ذلك نجده قد قام بمنع النجومي من الرد على تلك الرسائل.

وساطة محمد سر الختم بين النجومي والحكومة المصرية:

حاول محمد سر الختم الميرغني التوسط بين النجومي والحكومة المصرية، وقد ذكر للنجومي بأنه سوف يعمل على رفع مطالبه إلى الحكومة المصرية، ويعمل كذلك على وقف الحرب بين النجومي والحكومة المصرية، وسوف يسعى إلى إقناع الحكومة المصرية بعدم التقدم جنوباً داخل الأراضي السودانية.[3] كانت هناك عدد من المحاولات

([1]) د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من عبد الحليم مساعد إلى عبد الحليم مساعد، 24 رمضان 1305هـ، مايو 1888م، ص67.

([2]) د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي، 15 الحجة 1306هـ، ابريل 1889م، ص53.

([3]) د. و. م. خ/ مهدية 1/7 من محمد سر الختم الميرغني إلى عبد الرحمن النجومي، 7 ربيع آخر 1304هـ، ديسمبر 1886م، ص1.

من قبل سردار الجيش المصري (قرانفل) يدعو فيها النجومي للتسليم كما حملت بعض هذه الخطابات التهديد والوعيد من (قرانفل) للنجومي ([1]).

تقدم قوات النجومي نحو الأراضي المصرية:

لم تنجح وساطة السيد محمد سر الختم الميرغني ولم يستطع (جرنفل) أن يستميل النجومي* ويقنعه بالتسليم، وقد تحركت القوات المنهكة، حتى وصلت إلى سمنه حيث بلغ عددها هناك 4000 مقاتل والنساء والأطفال 7000، وأمّا الجيش الذي كان تحت قيادة عبد الحليم مساعد 1200 والنساء والأطفال 1000.([2]). ودارت الحرب بين الطرفين حيث قتل من الأمراء في أرقين 6 وأمّا الخسائر في المعركة الفاصلة والتي حدثت في توشكي فقد خسر النجومي 1200 قتيلاً و4000 أسير، وقتل النجومي في هذه المعركة، وبعد مقتله حاول أصحابه حمله على جمل والدخول به إلى داخل الأراضي السودانية، ولكن فرق المطاردة المصرية استطاعت أن تلحق بهم وتستولي على جثمان الأمير البطل التي وجد معها ابن عبد الرحمن النجومي عبد الله الذي نجا من المعركة.([3])

رغم الهزيمة التي تعرض لها الأمير عبد الرحمن النجومي وقواته في توشكي إلا أنها كانت لها أثر عظيم في نفوس المصريين وقد أدخلت الخوف في نفوسهم من خلال توغل هذه القوات في بلادهم لمسافة 60 ميلاً، وقد كانت مصر تتابع الحملة وتوغلها شمالاً وقد عاد الفرح للمصرين بعد القضاء على الحملة في توشكي ([4]).

([1]) محررات عبد الرحمن النجومي ، محمد ابراهيم أبوسليم ، إصدارات مركز أبوسليم ، الخرطوم ،2004م، ص122.

([2]) ونجت ، مصدر سبق ذكره ، ص 491.

([3])علي محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان، (1889- 1899م)، المطبعة المصرية للكتاب، المكتبة العربية، القاهرة، 1977م، ص 43.

([4]) إر. ونجت ، المهدية والسودان المصري ، مصدر سابق ، ص 488.

المبحث الرابع

معركة النخيلة

تُعد معركة النخلية ومن بعدها كرري من أفشل معارك المهدية ويرجع ذلك إلى عدد من الأسباب ففي معركة عطبرة أو النخيلة رفض الأمير محمود ود أحمد مشورة الأمير عثمان دقنة حول الهجوم على قوات كتشنر فكان مقترح عثمان دقة أن تبتعد قوات الأنصار عن مجرى النيل وتتوغل في الصحراء الشرقية ثم الالتفاف على قوات كتشنر من الخلف ومهاجمتها في بربر أو في حاميته التي أقامها عند نهر عطبرة ، لكن الأمير الشاب لم يستجب لمقترح عثمان دقنة رغم أنه كان الأنسب لكسب المعركة حسب معطيات ذلك الوقت . تحرك جيش محمود ود أحمد حتى وصل إلى النخيلة وعمل على بناء زريبة كبيرة وأصبح ينتظر هجوم كتشنر عليه وكان له ما أراد وفي 8 ابريل 1898م ومنيت قوات المهدية بهزيمة ساحقة رغم استبسال الأنصار في تلك المعركة ([1]).بعد هذه المعركة تراجع عثمان دقنة إلى أم درمان ، أما كتشنر قضي أربعة أشهر بعد معركة النخيلة يعد فيها جيشه وتوجه بعد ذلك إلى أم درمان للقضاء على الدولة المهدية وإنهاء حكم الخليفة عبدالله ([2]).

معركة كرري: (1898م/13016هـ)

أكمل كتشنر تجهيزاته للزحف النهائي نحو أم درمان ووصلت إليه عدد من المدافع الجديدة في معسكره كما وصلته المزيد من القوات الإنجليزية والمصرية وبلغت قواته 25800رجل ثلثها من البريطانيين . و الخليفة في أم درمان أخذ يستعد لمواجهة هكس حيث عمل على تحصين خنادق السبلوقة شمال أم درمان وبدأ كذلك يعد قواته من جميع الرايات والقبائل كما قام بإرسال مركبين لجلب الغلال من مناطق جنوب النيل الأبيض ([3]).

([1]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص 215.

([2]) حسن أحمد ابراهيم ، تاريخ السودان الحديث ، (1821- 1956م) ، درا النشر ،الخرطوم ، 1987م ، ص94.

([3]) ب. م هولت ، مرجع سبق ذكره، ص 269- 270.

لم يتمكن الخليفة عبدالله من الاستفادة من الظروف المحيطة به ووضح ذلك عندما سحب قواته من السبلوقة بحجة عدم مقدرته في إمداد هذه القوات بالغذاء بعيداً عن أم درمان وبذلك وجدت قوات الغزو الطريق ممهداً للوصول إلى عاصمة الدولة المهدية . وفي الأول من سبتمبر من العام 1898م وصلت هذه القوات إلى بلدة العجيجة على الجانب الغربي من النيل وفي الجانب الشرقي ظهرت قوات من الجعليين تساند الحملة استطاعت هذه القوات وبمساعدة المراكب الاستيلاء على موقع مواجه للعاصمة أم درمان . ونصبت المدافع لضرب العاصمة وكانت قبة المهدي تحت نيران الغزو ([1]).

بعد وصول قوات كتشنر إلى موقع جبل كرري كان الخليفة في انتظار أعدائه ، كان كتشنر يعتقد أن الخليفة سوف يعمل على مهاجمته ليلاً ولذلك بعث كتشنر بجواسيسه ليشيع وسط الأنصار أنه سوف يهاجمهم ليلاً فكان قرار الخليفة الخاطئ وهو مهاجمة جيش العدو عند الصباح ([2]).اجتمعت جميع الرايات في كرري بما فيها الراية الحمراء بعد أن قام الخليفة عبدالله بإطلاق سراح الخليفة محمد شريف حامد كما كانت الراية الزرقاء تمثل جيشاً لوحدها واتخذ الجيش شكل العرضة ([3]).

التحمت قوات الخليفة عبدالله بقوات الغزو الانجليزي – المصري في 2 سبتمبر عام 1898م ودارت معركة ضارية بين الفريقين استطاع السلاح الناري الحديث أن يحصد آلاف السودانيين في ساعات قليلة كما قاتل الأنصار بكل بسالة وشجاعة ، لكن نسبة للخسائر الكبيرة قرر الخليفة عبدالله التراجع ناحية الغرب بغرض تنظيم وتجميع قواته ثم بعد ذلك مواجهة القوات الإنجليزية – المصرية ([4]).

([1]) ب.م هولت ، مرجع سبق ذكره ، ص 217.

([2]) ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، ط4 ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1968م ، ص 217- 218.

([3])عصمت حسن زلفو ، كرري ، تحليل عسكري لمعركة أم درمان ، مطبعة التحدي ، الخرطوم ، 1981م ، 380.

([4]) عزام ابوبكر على الطيب ، العلاقات بين الخليفة عبدالله التعايشي وقبائل السودان ، (1885- 1898م) ، الهيئة القومية للثقافة والفنون ، الخرطوم ، 1992م ، ص 147.

انتهت معركة أم درمان بعد قتال استمر لمدة خمس ساعات تم خلالها القضاء على قوات المهدية وحققت قوات كتشنر الكثير من المكاسب ومن أهمها دخول العاصمة أم درمان ([1]).

وقد كانت معركة كرري قاصمة ظهر المهدية وبفضل عدم التقدير الجيد للخليفة عبدالله منيت قوات المهدية بهزيمة ساحقة أدت في نهاية الأمر إلى نهاية الدولة المهدية التي بدأت منذ العام 1881م واستمرت حتى العام 1898م . وبهزيمة المهدية في كرري انهارت الدولة التي كافح الإمام المهدي والخليفة عبدالله من بعده لتثبيت دعائمها .

([1]) ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ' (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق القاهرة ، 2006م، 286.

الخاتمة

مثلت القوات المقاتلة في الثورة والدولة المهدية العمود الفقري لهذه الثورة ثم الدولة حيث وقع على عاتقها الكثير من المهام وقدمت الكثير من التضحيات ، فكانت تقوم بالقتال المباشر والالتحام مع العدو و أصبحت تقوم كذلك بدور الاستطلاع وتقديم التقارير للإمام المهدي عن المعارك وقوات العدو المتحركة والمقيمة ، ثم أصبحت بعد ذلك العنصر الفعال في الإيمان بالمهدي والمساعد في نشر دعوته ، ولذلك انتبه الإمام المهدي للدور المهم والحساس الذي تلعبه القوات المقاتلة لذلك عمل على رفع روحهم المعنوية وتدريبهم بصورة دورية وكذلك عمل على تنظيمهم في مجموعات وفرق (رأس المية) و(رأس العشرين) كما ظهر مصطلح المقدم والأمير والعامل ، ومن وراء كل ذلك كان المهدي يطمح لتشكيل قوات مقاتلة قادرة على تنفيذ كل المهام بدقة وسرعة عالية .

بعد وفاة الإمام المهدي واجهت الخليفة عبدالله مشكلة تنظيم هذه القوات ورغم وجود الرايات التي عمل على تنظيمها الإمام المهدي نجد أن الخليفة عبدالله عمل على دمجها تدريجياً في الراية الزرقاء وظهرت بعد ذلك الانقسامات الداخلية والمشاكل القبلية مما كان له الأثر السلبي على الدولة المهدية وعجل بهزائم الدولة المهدية بعد ذلك في توشكي وكرري وأم دبيكرات . ويمكن القول أنه ورغم السلبيات التي صاحبت فترة المهدية في السودان إلا أنها وضحت بصورة جلية مقدرة المقاتل السوداني على الصبر وتنفيذ الخطط العسكرية على أكمل وجه وقد وضح ذلك في معارك المهدي الأولى حتى تحرير الخرطوم وفي معارك الأمير عثمان دقنة ومعركة القلابات.

(أ) النتائج:

من نتائج الدراسة :

(1) نجاح الإمام المهدي في استغلال العامل الديني في إشعال الثورة المهدية .

(2) استفادة الإمام المهدي من العوامل الجغرافية والطبيعية في تحقيق الانتصارات على قوت الحكومة .

(3) تغير الأسلوب القتالي عند المهدي ساعده في تحقيق انتصارات حاسمة ومهمة .

(4) معارك المهدية في فترة الخليفة عبد الله منيت فيها الدولة بعدد من الهزائم مثل طوكر وتوشكي وكرري فكان بداية النهاية للمهدية .

(ب) التوصيات:

1) العمل على دراسة التاريخ العسكري للمهدية بصورة مفصلة لمعرفة نقاط الضعف والقوة والاستفادة من هذه التجربة .

2) تشجيع الباحثين والمهتمين لدراسة الجوانب غير المطروقة من تاريخ المهدية

3) إنشاء مركز لدراسة التاريخ السوداني العسكري .

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر :

الوثائق :

1. د. و. م .خ/ مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 8 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص200.
2. د. و. م .خ/ مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 20 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص202.
3. د. و. م .خ/ مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 22 صفر 1302هـ، نوفمبر 1884م، ص206.
4. د. و. م .خ/ مهدية 2/A10/1 من الخليفة عبد الله إلى محمد خالد زقل، 28 ربيع أول 1301هـ، ديسمبر 1883م، ص157.
5. د. و. م. خ/ مهدية 2/68/1 من الخليفة عبدالله إلى حمدان أبوعنجة، 25 جماد أول 1306هـ،يناير 1889م،ص272.
6. د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 8 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص89.
7. د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 7 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص85.
8. د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، القعدة 1306هـ، أغسطس 1889م، ص103.
9. د. و. م. خ/ مهدية 2/37/1 من محمد ود بشارة إلى حمودة إدريس، 16 شوال 1313هـ، مارس 1896م، ص17.
10. د.و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص92.

11.د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى يونس الدكيم، 29 القعدة 1306هـ، يوليو 1889م، ص32.

12.د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من عبد الحليم مساعد إلى الحليم مساعد، 24 رمضان 1305هـ، مايو 1888م، ص67.

13.د. و. م. خ/ مهدية 3/1/1 من الخليفة عبد الله إلى عبد الرحمن النجومي، 15 ذو الحجة 1306هـ، أبريل 1889م، ص53.

الكتب الوثائقية :

1. إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون و كتشنر، ج1، مطبعة الكتب الوثائقية، القاهرة، 2008م.
2. إسماعيل عبدالقادر الكر دفاني ، الحرب الحبشية السودانية ، (1885-1888م) ، (الطراز المنقوش ببشرى يوحنا ملك الحبوش) ، (تحقيق) محمد ابراهيم أبوسليم ، محمد سعيد القدال ، دار الجيل ، بيروت ، 1991م.
3. إ ف . أر ونجت ، المهدية والسودان المصري ، (ترجمة) محمد المصطفى حسن، دار عزة للطباعة والنشر ، الخرطوم ، 2009م.
4. جوزف أورفالد ، عشر سنوات في الأسر في معسكر المهدي ، (1882- 1892م) ، (ترجمة) عوض أحمد محمد الضو ، مطبعة التمدن الخرطوم، 2008.
5. عثمان دقنة ، (تحقيق) محمد ابراهيم أبو سليم دار الجيل ، بيروت، 1991م.
6. محررات عبد الرحمن النجومي ، محمد ابراهيم أبوسليم ، إصدارات مركز أبوسليم ، الخرطوم ، 2004م.
7. ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ، (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق، القاهرة ، 2006م .
8. ونستون تشرشل ، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان ، (ترجمة) عزالدين محمود ، دار الشروق القاهرة ، 2006م .
9. نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، 2007م.

10. يوسف ميخائيل، التركية والمهدية والحكم الثنائي، شاهد عيان، (تحقيق)، أحمد إبراهيم أبوشوك، مركز عبد الكريم ميرغني، أمدرمان 2004م.

ثانياً- المراجع العربية :

1. حاتم الصديق محمد أحمد ،دور الأمير يعقوب في المهدي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2009م.
2. حسن أحمد إبراهيم، تاريخ السودان الحديث، (1821- 1956م) ،در النشر، الخرطوم، 1987م .
3. سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، (ب. د)، (ب. ت) .
4. عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب، توشكي، دراسة تاريخية لحملة عبد الرحمن النجومي على مصر ،دار جامعة الخرطوم للنشر، 1979م .
5. عبد المحمود أبوشامة، من أبا إلى تسلهاي حروب حياة الإمام المهدي، المطبعة العسكرية، أمدرمان، 1987م.
6. عصمت حسن زلفو، شيكان، تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس ،ط2، شركة كرري للطباعة والنشر، المطبعة العسكرية سابقا، أمدرمان، 1984.
7. ________، كرري، تحليل عسكري لمعركة أمدرمان، مطبعة التحدي، الخرطوم، 1981م .
8. عبدالودودشلبي، الاصولالفكريةلحركةالمهدية، المهديالسودانيودعوته، مكتبةالاد ب، القاهرة، 2001م.
9. على محمد بركات، السياسة البريطانية واسترداد السودان، (1889- 1899م)، المطبعة المصرية للكتاب، المكتبة العربية، القاهرة، 1977م، ص 43 .
10. عزام أبوبكر على الطيب ، العلاقات بين الخليفة عبدالله التعايشي وقبائل السودان، (1885- 1898م) ، الهيئة القومية للثقافة والفنون ، الخرطوم ، 1992م.
11. محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ، (1820- 1956م) ط2، مطبعة دار مصحف إفريقيا ، الخرطوم ، 2002.

12. ____________، الإمام المهدي، محمد أحمد بن عبدالله، (1844- 1885م) ، دار الجيل بيروت ، 1992م.

13. ____________، المهدية والحبشة ، دراسة في السياسة الداخلية والخارجية للدولة المهدية (1881- 1898م)، دار الجيل ، بيروت ،1992م

14. محمد محجوب مالك ، المقاومة الداخلية لحركة المهدية ، (1881- 1898م) ، دار الجيل ،بيروت، 1986م

15. 15- مكي شبيكة ، السودان والثورة المهدية (من موقعة أبا إلى حصار الخرطوم) ،ج2،دار جامعة الخرطوم ،1984م.

16. ____________ ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي ،دار الثقافة ،بيروت، 1980م.

17. ____________ ، الخرطوم بين المهدي وغردون ، مطبوعات لجنة الدراسات الإضافية ، جامعة الخرطوم ،1986م.

18. محمد فؤاد شكري، مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ، (1820- 1899) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م .

19. ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، ط4، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1968م.

ثالثاً- المراجع الأجنبية :

1. ب.م هولت، المهدية في السودان، ترجمة، جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت، 1982م.

2. روبن نيللاند، حروب المهدية، (ترجمة عبد القادر عبد الرحمن)، مطابع الوحدة، أبوظبي، 2002م .

3. روبرت أوكولينز ، تاريخ السودان الحديث ، (تحقيق) مصطفى مجدي الجمل ، المركز القومي للترجمة ، دار
4. العين للنشر، الإسكندرية ، 2010م.
5. فيرغس نيكول ، سيف النبي مهدي السودان ،(ترجمة) عبد الواحد عبدالله يوسف ، الناشر ، مركز عبد الكريم ميرغني ، الخرطوم ،2009م.

أثر الوقف على التنمية الاقتصادية

د. محمد يعقوب برشم هجي ❁

❁ - أستاذ مساعد، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم .

ملخص الدراسة

الوقف من المعاملات المالية التي حث الإسلام أهل البر والإحسان على فعلها، كما يعتبر الوقف أحد روافد الاقتصاد الإسلامي، الذي يقوم بتخفيف عبء الإنفاق من خزينة الدولة، يتحمل نفقات بعض الخدمات كالتعليم والصحة ودور العجزة والإيتام ويتعدى ذلك إلى الحيوان والطيور.

الوقف قبل الإسلام كان محصور في دور العبادة، والنقلة الكبيرة للوقف ظهرت في المدينة المنورة، وقد تعددت أهدافه وأنواعه وفق المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في ذلك الزمان، إذ قام أصحاب الخير بتحويل بعض إسهاماتهم للمحتاجين من ذويهم، وهو ما يعرف بالوقف الذري، ومن بعدهم للفقراء والمساكين ليصرف عليهم من ريعه، على أن يبقى أصل الوقف ثابتاً ليستمر نفعه على الموقوف عليهم، وهو ما يعرف إسلامياً بالصدقة الجارية.

الهدف من هذه الدراسة هو إبراز أثر الوقف في التنمية الاقتصادية، بتحريك النشاط الاقتصادي عن طريق الوقف لإشباع الحاجات الضرورية للمجتمع.

ومن الناحية الاقتصادية يهدف الوقف إلى خلق رأس مال إنتاجي يعين على التنمية الاقتصادية وتمويل بعض الخدمات العامة المتعلقة بحياة المستفيدين من الوقف، كما يعمل على تحقيق التوازن والاستقرار الاقتصادي وتنمية الوقف.

Abstract

The paper was investigating the study of endowment and economic development as a part of financial transaction that Islam encourages the charitable people to do since it is a branch of Islamic economic. The paper used the descriptive method to show the endowments role in the modernization of social and economic development in Sudan Thus the paper got the following. The effect of the endowment in the economic development is clear in the social solidarity that meets the necessary needs and the public services. The Sudanese endowment board uses modern investment methods to develop its activities.

مقدمة

الوقف يمثل أحد العناصر الأساسية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للأمة الإسلامية، وهو من الصدقات التي حث عليها الإسلام دون إلزام، وترك الأمر فيه لتقدير المتصدق حسب تقربه لله تعالى.

الوقف يعمل ضمن إطار القواعد الشرعية تمشياً مع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعي المتجددة عبر الزمان والمكان، لذلك لابد من تفعيل دور الوقف في التنمية الاقتصادية لتشمل الأنشطة المادية والروحية.

المتتبع لمسيرة الأوقاف منذ عهد النبوة مروراً بالدولة الأموية والعباسية وأخيراً التركية وتقسيم الدولة الإسلامية إلى دويلات، يلاحظ التوسع وازدياد عدد الأوقاف، ولم يقتصر أوجه صرفها على الفقراء والمساكين، بل شمل الخدمات العامة، خاصة التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية، وقامت أوقاف لحماية الطفولة والأمومة، وحفاظاً لهذه الأوقاف يتطلب الأمر البحث عن وسائل الوقف في التنمية الاقتصادية كمواكبة المتغيرات الاقتصادية المعاصرة.

سبب اختيار البحث:

لأهمية الوقف باعتباره صدقة جارية تعمل على تخفيف النفقات العامة للمجتمع المسلم عن طريق إشباع حاجات الفقراء والمساكين إقامة المرافق العامة.

مشكلة البحث:

للوقف أثر في التنمية الاقتصادية يتحمل نفقات الفقراء والمساكين وإنشاء المرافق العامة في الدولة الإسلامية الأولى، والغرض من الوقف هو تحريك النشاط الاقتصادي، لذا يطرح الباحث الأسئلة الآتية:

1. هل الوقف مؤسسة مالية قادرة على إحداث التنمية الاقتصادية؟
2. هل يمكن تطوير نظام الوقف بقيام مؤسسات اقتصادية؟
3. كيف يمكن تطوير نظام الأوقاف واستثمار أموالها؟ وما الوسائل؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أن الوقف أحد دعائم التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإحياء الروح الطوعية في نفوس المسلمين.

أهداف البحث:

1. تأصيل الوقف كوعاء اقتصادي.
2. إبراز الدور التنموي والاقتصادي للوقف.
3. تمويل واستثمار أموال الوقف باستخدام الوسائل التي تواكب المتغيرات الاقتصادية.

الفرضيات:

1. للوقف قدرة على التنمية الاقتصادية.
2. للوقف أثر على قيام مؤسسات اقتصادية.
3. الوقف يسهم في دعم النظام المصري الإسلامي والبنوك التي تعمل على هدى الأحكام الشرعية .

منهج البحث:

يتم استخدام المنهج الاستقرائي والتحليل الاقتصادي لمعرفة الدور الاقتصادي للوقف كمتغير تابع، والتحليل الإحصائي لمعرفة العلاقة الدالية بين الوقف والتنمية الاقتصادية كمتغير مستقل.

مصادر البحث:

1. مصادر أولية، مقابلات، التقارير، البحوث.
2. مصادر ثانوية، الكتب القديمة والحديثة.

هيكل البحث:

الفصل الأول: الوقف في الإسلام.

المبحث الأول: مفهوم الوقف الإسلامي.

المبحث الثاني: المفهوم القانوني والاقتصادي.

الفصل الثاني: التنمية الاقتصادية وصيغ تمويل الوقف.

المبحث الأول: التنمية والنماء الاقتصادي.

المبحث الثاني: أثر الوقف على التنمية الاقتصادية.

المبحث الثالث: صيغ تمويل الأوقاف.

الفصل الثالث: تنمية الوقف في الإسلام.

المبحث الأول: نشأة الوقف في السودان.

المبحث الثاني: التجربة السودانية في تنمية الوقف.

الفصل الأول

الوقف في الإسلام

المبحث الأول: مفهوم الوقف:

عرفت الأمم السابقة حسب معتقداتها نوعاً من العقارات والتصرفات المالية التي لا تخرج عن معنى الوقف، لأنها كانت تعبد آلهة على الطريقة التي تعتقدها، وكان هذا داعياً لأن يكون لكل أمة معبد وطقوس وأناس يقومون عليها ويختصون بشأنها، وكان لابد لهذه المعابد من مصادر تحسب لها ولينفق من إيرادها على القائمين بأمرها والمعنيين بشؤونها، واستخدام هذه الموارد يدل على وقف أو في معنى الوقف.

فإن أول ما عرف في العرب قبل الإسلام الكعبة المشرفة، ثم أصبح مصلى عاماً للعرب على اختلاف قبائلهم، يحجون إليه كل عام، ثم جعلوه مقراً للأصنام بعد أن عرفوا عبادة الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، فإذا كانت الأحباس معروفة قبل الإسلام، فإن الفرق بينها وبين الإسلام هو أن أحباس الجاهلية موضوعة لغرض الفخر، وأحباس المسلمين الأصل فيها أن تكون قربى لله عزَّ وجلَّ.

نشأة الوقف:

نشأ الوقف في عهد الرسولﷺ، وثبت بالسنة القولية والفعلية، وبعده جاء إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على العمل بالوقف.

اختلف المسلمون في أول صدقة في الإسلام فقال المهاجرون: إن أول صدقة في الإسلام هي صدقة عمر بن الخطاب؆، وقال الأنصار إن أول صدقة في الإسلام هي صدقة النبيﷺ.

وقد ورد في مغازي الواقدي: إن أول صدقة موقوفة كانت في الإسلام، أراضي مخيريق التي أوصى بها للنبيﷺ، فوقفها عليه أفضل الصلاة والسلام، وهي سبعة حوائض "بساتين" كانت لمخيريق اليهودي الذي قاتل في غزوة أحد مع النبيﷺ، وفاء للعهد الذي كان بين يهود المدينة والمسلمين على أن يشتركوا معهم في الدفاع عن المدينة، وأعلن أنه إن قتل فإن حدائقه "بساتين" للنبيﷺ أن يضعها حيث شاء، فأخذ

النبيﷺ الحدائق بعد مقتل مخيريق، وكان يعزل منها "أي من غلاتها" نفقة أهله سنة ويضع الباقي في الكراع –الخيل- ومصالح المسلمين.

تعريف الوقف:

لغة: هو الحبس، والفعل وقف يوقف، وقفاً فهو وقف، قال صاحب المصباح: "وقفت الدار وقفاً، حبستها في سبيل الله، وشيء موقوف، وقف أيضاً تسمية بالمصدر، والجمع أوقاف[1].

فالوقف والحبس والتسبيل بمعنى واحد، وقال ابن قدامة: "والوقف جمع وقف، يقال منه وقفت وقفاً، ولا يقال أوقفت إلا في شاذ اللغة، ويقال: "حبست وأحبست".

الوقف اصطلاحاً:

لقد اختلف الفقهاء في تعريفهم للوقف مع اتفاق في المعنى، ويرجع السبب في الاختلاف إلى مذاهبهم من، حيث حكمه أو شروطه، ونورد تعريف المذاهب الأربعة المتفق عليها.

أ) الحنفية: حبس العين على ملك الواقف والتصديق بالمنفعة[2].

ب) المالكية: "وهو إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً"[3].

ج) الشافعية: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته، وتصرف منافعه تقرباً إلى الله تعالى"[4].

د) الحنابلة: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة أو المنفعة على بر أو قربة"[5].

---

[1] لسان العرب، المعجم الوسيط، المصباح المنير.

[2] الوقف والوصايا، أحمد علي الخطيب.

[3] مفتاح الدراية لأحكام الوقف والوصايا، يوسف إسحق حمدالنيل، دبي، 1978م.

[4] الوقف والوصايا، أحمد علي الخطيب.

[5] نفس المصدر.

مشروعية الوقف:

لقد تضافرت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية في الحث على البر، ورغبت المحسنين في ذلك، ووعدهم الله تعالى بالجزاء الأوفى، وهذه طائفة من أدلة الوقف:

القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران:٩٢)، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة:٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (المزمل:٢٠).

الأحاديث النبوية: أ."عن أنس رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأمر ببناء المسجد فقال: يا بني النجار ثامنوني، فقالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فأمر بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد"(رواه البخاري)[1].

ب.عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(رواه مسلم)[2].

ج.أن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم زيادة في حسناتكم"(رواه ابن ماجه في سننه)[3].

حُكم الوقف: الوقف حكمه الاستحباب، وهو مذهب جمهور الفقهاء: مالك، الشافعي، الحنبلي، وأبو يوسف، وهو من أشهر علماء المذهب الحنفي، وهو الراجح.

الوقف: قال ابن قدامة: "وألفاظ الوقف ستة، ثلاثة صريحة، وثلاثة كناية"[4]:

الصريحة: وقفتُ، ولبستُ، وسبلتُ، متى أتى بواحدة من هذه الثلاث صار وقفاً من غير انضمام أو زائد، لأن هذه الألفاظ ثبت لها عُرف الاستعمال بين الناس، وانضم إلى

---

(1) البخاري، ج2، ص(661)، حديث رقم(1769).

(2) مسلم، ج3، ص(1255)، حديث رقم(1631).

(3) سنن ابن ماجه، ج2، ص(134)، حديث رقم(1172).

(4) المغني، ج8، ص(189- 190).

ذلك عُرف الشرع بقول النبيﷺ لعمر: "إن شئت حبست أهلها وسبلت ثمرتها"، فصارت هذه الألفاظ في الوقف كلفظ التطليق في الطلاق.

الكناية: هي تصدقت، وحرَّمت، وأبدّتُ، فليست صريحة، لأن لفظة الصدقة والتحريم مشتركة، فإن الصدقة تستعمل في الزكاة والهبة والتحريم يستعمل في الظهار والأيمان، والتأبيد يحتمل تأبيد التحريم، وتأبيد الوقف، ولم يثبت لهذه الألفاظ عرف الاستعمال فلا يحصل الوقف بمجردها ككنايات الطلاق فيه، فإن انضم إليها أحد ثلاثة أشياء حصل الوقف بها، وهي:

1. أن ينضم إليها لفظة أخرى تخلصها من الألفاظ الخمسة، فيقول: صدقة موقوفة، أو محبسة، أو محرمة، أو مؤبدة،.
2. أن يصفها بصفات الوقف، فيقول: صدقة لاتباع، ولا توهب، ولا تورث، لأن هذه القرينة تزيل الاشتراك.
3. أن ينوي الوقف، إلا أن النية تجعله وقفاً في الباطن دون الظاهر، لعدم الاطلاع على ما في الضمائر، فإن اعترف بما نواه لزم في الحكم لظهوره، وأن قال: ما أردت الوقف، فالقول قوله، إلى أن قال: "ابن قدامة" وظاهر مذهب أحمد أن الوقف يحصل بالفعل مع القرائن الدالة عليه، مثل أن يبني مسجداً ويأذن للناس بالصلاة فيه أو مقبرة ويؤذن بالدفن فيها.

شروط الوقف:

1. أن تكون العين الموقوفة دائمة المنفعة.
2. أن يكون الوقف على وجه من وجوه البر.
3. أن يكون الوقف على معنيين، سواء أكانوا أشخاصاً حقيقيين أو اعتباريين.
4. أن يكون دائماً غير منقطع.
5. أن يكون لازماً لا خيار فيه ولا رجعة عنه.

أنواع الوقف:

1. وقف خيري.
2. وقف أهلي "ذري".
3. وقف مشترك.

1/الوقف الخيري: هو ما كان مسبلاً في أعمال الخير العامة لمصالح المسلمين، مثل:

أ. بناء المساجد، والمراكز الإسلامية والمدارس والسكنات للمرابطين في الثغور، وللغزاة والمجاهدين في سبيل الله.

ب. بناء المصحات والمشافي "المستشفيات" ودور الأيتام وملاجئ المعوقين والجسور والطرق وجميع الخدمات العامة.

2/الوقف الأهلي: وهو ما كان على الأحفاد أو الأقارب ومن بعدهم إلى الفقراء والمساكين، ويسمى أحياناً بالوقف الذري، إن قال الشخص: وقفت على ذريتي أو نسلي، دخل في ذلك كل ما نسب إليه من أولاد أو بنات دون مراعاة للطبقات إن لم ينص عليها.

3/الوقف المشترك: هو الوقف الذي خصصت غلته إلى الذرية وجهة البر معاً، أو هو ما يجمع الأهلي والخيري على أنه يجب في جميع الأحوال أن ينتهي الوقف إلى جهة البر لا تنقطع.

أركان الوقف:

الركن **لغةً** : الجانب الأقوى، ركن الشيء جانبه الذي يسكن إليه[1].

اصطلاحاً: هو ما كان به قوام الشيء، بحيث يعد جزءاً داخلاً في ماهيته، وحسب اختلاف الفقهاء في تحديد ما هو داخل في ماهية الوقف، اختلفوا في أركانه، فقد خالف الحنفية جمهور الفقهاء، فهم يكتفون بذكر الصيغة فقط، كركن للوقف،

[1] القاموس المحيط، (229/4).

كون الصيغة تضم سائر الأركان، لذا يذكر ابن نجم: "وأما ركنه فالألفاظ الدالة عليه" وهذا رأي الحنفية في كل العقود[1].

أركان الوقف عند جمهور الفقهاء أربعة:

1. الواقف.
2. الموقوف.
3. الموقوف عليه.
4. الصيغة.

الواقف: وهو المالك للذات أو المنفعة، اشترط الشافعية أن يكون الواقف صحيح العبارة، أن يكون أهلاً للتبرع بأن يكون عاقلاً بالغاً، سواء باشر بنفسه أم باشر عنه غيره بمقتضى وكالة صحيحة.

لا يجوز الوقف من صغير أومجنون لا يعقل أبداً أو معتوه مختل العقل على الدوام، لأنهم محجوزون لذاتهم، كما لا يجوز الوقف من الولي أو الوصي أو من في حكمهما، إذ ليس لهؤلاء أن يتبرعوا بشيء من أموال من هم في ولايتهم، لأنهم أمناء على حفظ أموالهم وإنمائها.

شروط الواقف: المراد بشرط الواقف هو ما يمليه، ويشترطه الواقف في كتاب وقفه، بمحض إرادته، ليعبر عن رغباته، وما يقصده بالنسبة لإنشاء الوقف والنظام الذي يتبع فيه من حيث اقتصاره على فئة معينة، ومن حيث الولاية عليه وتوزيع ريعه، هذا كله إذا لم يخالف نصاً شرعياً.

الموقوف: وهو العين التي حبست من أرض زراعية وعقار، كالمنازل، والحوانيت، والمساجد، والآبار، والطرق، والقناطر، والمنقولات من الأواني وغيرها، ليس منه الطعام لأنه مستهلك.

---

[1] عبدالكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، ص(48)، نقلاً عن أسامة عبدالمجيد العاني، إحياء دور الوقف لتحقيق التنمية، ص(45).

الموقوف عليه: يقصد بالموقوف عليه، الجهة المستفيدة من الوقف، أو هو الذي وقفت عليه المنفعة.

الصيغة: وهي ما يصدر من الواقف من قول أو كتابة أو إشارة مفهومة، تعبيراً عن إرادته، وتبياناً لمقصده في أنه أراد حبس عين من أعيانه عن التملك وتخصيصها لجهة معينة.

المبحث الثاني

المفهوم القانوني والاقتصادي للوقف

المفهوم القانوني للوقف:

يُعتبر الوقف عقداً من عقود المعاملات الشرعية التي لا تتم إلا بوجود أطراف العقد فيها ليصح ويثبت بها، كما يُعد الوقف شخصية اعتبارية ذات وجود شرعي وقانوني للتعامل مع الناس مباشرة بواسطة ممثله الشرعي الذي يسمى عند الفقهاء بناظر الوقف أو متولي الوقف.

الشخصية الاعتبارية أو المعنوية أو القانونية اختراع قانوني حديث تولد في الغرب مع نشوء الشركات الحديثة، ولقد نشأ مفهوم الشخصية الاعتبارية في بريطانيا والولايات المتحدة، وتطور على مدى القرون الثلاثة التي سبقت الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حتى بلغ هذا المفهوم مرحلة النضج[1] مع أن حقيقة هذا المصطلح متمثلة وبارزة عند الفقهاء الذين أثبتوا شخصية الوقف الاعتبارية في نقل المصادر القديمة من بيان مفهوم الوقف وأركانه وشروطه وأحكامه المتعلقة بصحة كونه وقفاً، وإثبات إخراج الملك من الواقف، يجعله وقفاً للجهة الموقوف عليها وقفاً منجزاً ومؤبداً يصرف لهم من غلته وريعه، ويبقى أصل الوقف ثابتاً يحفظه المتولي ويقوم بتثمينه وإصلاحه وعمارته وحمايته.

لعل أول إشارة إلى الوقف في القوانين[2] الغربية جاءت في القانون الإنجليزي للأعمال الخيرية الصادر عام 1601م، حيث وردت أول إشارة قانونية أوربية للوقف من خلال تعريف العمل الخيري بأنه: "أية أعمال يقوم بها شخص أو مجموعة أشخاص، بقصد خدمة النفع العام أو المساعدة في ذلك"، ثم اعتبرت النظم الأوربية أن مثل هذه الامتيازات تشمل كل ما يخصص للجمعيات الخيرية والمستشفيات والكنائس والهيئات التعليمية، وما شابه ذلك.

---

[1] منذر قحف، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص(20).

[2] المصدر نفسه.

الوقف مؤسسة وفكرة ونظام أبدعه المسلمون وطوروه وارتقوا به، ثم نقله الغرب الأوربي والأمريكي عنهم، كانت الحروب الصليبية لحظة تاريخية فاصلة من التطور الحضاري الأوربي، إذ من خلالها نقل الكثير من النظم والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك أنماط الحياة والأدوات والوسائل المعيشية من الشرق الإسلامي إلى الغرب الأوربي، استمر تعايش الأوربيين مع المجتمعات الإسلامية لأكثر من قرنين من الزمان، أسسوا خلال تلك الفترة مستوطنات في فلسطين وبلاد الشام، واستطاعوا اكتشاف مصادر الفقه في الحضارة الإسلامية والاستفادة من تلك المصادر ونقلها إلى مجتمعاتهم عند العودة إليها[1].

عمليات النقل الحضاري والعلمي من العالم الإسلامي إلى أوربا بدأ قبل ذلك بكثير، ولم تكن قاصرة على الشرق الإسلامي، بل تم معظمها في مناطق أخرى، أهمها الأندلس وصقلية[2]، وذلك في مراحل سابقة للحروب الصليبية، إذ أنه من خلال الاحتكار مع المشرق الإسلامي، ومع مناطق المجاورة للأندلس تم نقل العديد من العلوم والفنون والاختراعات، بل إن العديد من رواد النهضة الأوربية تعلموا على ايدي المسلمين في تلك المناطق، ثم أصبحوا بمثابة القنطرة التي تدفقت من خلالها نظم الحضارة الإسلامية.

ظهر أول وقف بالمفهوم الإسلامي في بريطانيا عام 1264م على يد "والتردي ميرتون"، الذي كان يعمل مستشاراً لملك إنجلترا "هنري الثالث"، والمتأمل في نص وثيقة الوقف الذي كتبه "دي ميرتون" يجد أنه سار على نفس الصيغ الإسلامية للوقف، حيث قام بتغيير بعض العبارات واستبدل بها نصوص مسيحية ومفاهيم تتفق مع الثقافة البريطانية آنذاك، فبدأ وثيقته بالثناء على "الرب والابن والروح القدس والثالوث المقدس والسيدة العزراء والقديس يوحنا وجميع القديسين"، تماماً كما تبدأ صيغ الأوقاف

---

(1) الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين(12- 13م، 6- 7هـ)، محمد يوسف عوض.

(2) الحدود الإسلامية البيزنطية من الاحتكاك العسكري إلى التفاعل الحضاري الثقافي، محمد فتحي عثمان، القاهرة، دار الفكر، 1992م.

الإسلامية بحمد الله سبحانه وتعالى، والصلاة والسلام على رسولهﷺ، والترحم على بعض الشيوخ أو آباء الواقف وأجداده، ثم استخدم "دي ميرتون" نفس الصيغة الإسلامية في التعبير عن نية الواقف ورغبته في التبرع والتنازل والتخلي عن إقطاعية "مالدون وفازليه"، كذلك سار الأمر في الوثيقة وهم طلاب العلم من أقاربه الدارسين في جامعة إكسفورد وغيرها، واتبع "دي ميرتون" نفس القواعد الإسلامية في الوقف مثل المعايير التي يتم عليها التعامل مع نظام الوقف التي تعرف في فقه الوقف بالشروط العشرة، وهي أول حالة للوقف في التاريخ الغربي بالمعنى الحضاري للوقف كما عرفه المسلمون.

بعد ذلك تطور نظام الوقف في الغرب حتى صار هو القوة المجتمعية الأساسية والمؤسسة للحضارة الغربية الراعية لها، فلا تكاد توجد جامعة أو مؤسسة علمية أو تعليمية لا تعتمد نظام الوقوف أساساً لوجودها، أو لتسيير مجمل نشاطاتها ويكفي هنا أن نذكر أن جامعة "هارفارد" قد بلغ وقفها عام2000م ستة عشر مليار "16مليار" دولار أمريكي، كما بلغ مجمل وقف واحدة من المؤسسات الخيرية وهي مؤسسة "بيل وميلندا جينس" الوقفية التي أنشأت عام2000م، حوالى أربعة وعشرين مليار دولار أمريكي[1].

إن مجمل فعاليات الحضارة الأمريكية على وجه الخصوص الثقافية والعلمية التعليمية والبحثية بل السياسية تقوم على الأوقاف، ونستطيع القول إن نظام الوقف هو عصب الحياة الأمريكية الذي بدونه لا يكاد يبقى شيء.

تسجيل الوقف:

ينشأ الوقف بإصدار إشهاد شرعي، وتبدأ الإجراءات بعريضة موجهة لقاضي المحكمة الشرعية التي يقع العقار بدائرتها، أو مكان إقامة الواقف، أو مكان المال المراد وقفه[2].

---

[1] تجربة الوقف في إطار عالمي، ياسر الحوراني، مجلة أوقاف، العدد(6)، ربيع الثاني 1425هـ، يوليو2004م.

[2] منشورات هيئة الأوقاف الإسلامية، الحلقة الدراسية لتطوير وتنمية الأوقاف، 1990م، قاعة الشارقة، جامعة الخرطوم.

تقدم العريضة للمحكمة والإشهادات المتعلقة بتصرف في العقار، يسميها القاضي أو المساعد القضائي المأذون له بمباشرة إجراءات التقاضي وسماع الدعاوى، وتسمع الإشهادات المتعلقة بالتصرف في العقار، إلا إذا كان العقار باسم المشهر وخالي من الموانع ومحدد المساحة وقيمته، وصدق حاكم الإقليم أو أجهزته المتخصصة بالتصرف فيه.

ومعنى هذا أنه في حالة وقف العقار ينبغي على الواقف أن يستخرج شهادة بحث سارية المفعول، ويحصل على تقدير العقار، وإذناً بالتصرف فيه من الجهات المتخصصة.

وإن استوفى ذلك، قدم عريضته ومرفقاتها للقاضي الشرعي المختص الذي عليه أن يتحقق من شخصية الواقف وأغراضه وشروط الوقف والجهة الموقوف عليها، وكل ما يلزم من استجلاء للحالة المعروضة أمامه، وإن استوفى الموقوف هذا، فله أن يصدر إشهاداً شرعياً يبين فيه الواقف والموقوف والموقوف عليهم، وكافة شروط الواقف، وله أن يرفض أي شرط يتناقض وأحكام الشريعة الإسلامية.

وبمجرد صدور الإشهاد الشرعي بالوقف، فإن ذلك يُعد بداية ميلاده واكتساب شخصيته المعنوية، ويلزم تسجيل ذلك لدى سجلات الأراضي، إن كان عقاراً، وعندها يكتسب الوقف شخصية معنوية تأهله أن يتقاضى ويقاضي، وتكون له ذمة مالية متميزة عن ذمة الواقف، يسأل عن ديونه التي أنفقت على مصارفه، طبقاً للشروط المحدودة في الإشهاد، ويكون له من يمثله أمام الجهات المختلفة، نقول أنه تكون للوقف شخصية اعتبارية، إذ يعترف القانون بنوعين من الشخصيات، شخص طبيعي، وشخص اعتباري أو معنوي، فأما الشخص الطبيعي فهو الإنسان منذ الحمل به، شريطة أن يولد حياً، وتنتهي الشخصية بالوفاة.

أما الشخص الاعتباري فهو غير الإنسان، ومثاله الدولة ومؤسسات والهيئات والطوائف الدينية والأوقاف والشركات التجارية والجمعيات وفقاً لأحكام القانون، وكل مجموعة من الأشخاص أو الأموال تثبت لها الشخصية الاعتبارية بمقتضى نص القانون.

المفهوم الاقتصادي للوقف:

المفهوم العام للاقتصاد هو التوسط في الأمور وعدم الإسراف والتقتير، أي تدبير شؤون المال وخلق المنفعة للإنسان، وقد روى الطبراني في الكبير أن الرسولﷺ قال: "التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزء من النبوة"، وفي حديث آخر رواه الترمذي من حديث رسول اللهﷺ بأن الاقتصاد جزءاً من أجزاء النبوة"[1].

ومن هذا المفهوم نجد أن الوقف هو تحريك المنافع والخدمات عن أصول رأسمالية إلى استهلاك وإيرادات يستخدمها في المستقبل الفرد والجماعة، ويمكن القول بأنها عملية تجمع بين الادخار والاستثمار، أي تستقطع من الاستهلاك وتحول إلى الاستثمار بغرض زيادة المنافع.

وهذه المنافع تنتج خدمات صالحة كمثال لذلك مكان الصلاة في المسجد، السرير في المستشفى، ومقعد التلاميذ في المدرسة، ويمكن أن تباع هذه المنافع للمستهلكين ويوزع ريعها أو عائدها للموقوف عليهم.

الوقف أشبه بمؤسسة اقتصادية إسلامية تعمل في الاستثمار للمستقبل من أجل الأجيال القادمة، لتوزيع المنتج من الاستثمار في شكل منافع وخدمات، أو بمعنى آخر في شكل إيرادات وعوائد.

الوقف هو عملية تنموية تتضمن الإنتاج من خلال عملية الاستثمار، وتقوم على التضحية الاستهلاكية لتعود خيراتها على مستقبل حياة المجتمع الوقفي ونظرة إلى هذه الخيرات الوقفية نجدها تنقسم إلى نوعين:

1- منافع استهلاكية تخص الموقوف عليهم.

2- منافع قصد منها الاستثمار في إنتاج الخدمات المباحة شرعاً.

الأموال الموقوفة التي تستخدم في الاستثمار الصناعي والزراعي والتجاري لإنتاج الخدمات لا يقصد بها الوقف نفسه، وإنما يقصد منه زيادة الإيراد ليتم الصرف على

[1] التيسير بشرح الجامع الصغير في أحاديث النذير، العلامة المناوي، ج1، ص(459).

أغراض الوقف، فالأملاك الاستثمارية في هذه الحالة يمكن أن تنتج أي سلعة أو خدمة مباحة تباع لطالبيها في السوق، وتستعمل إيراداتها الصافية في الإنفاق على غرض الوقف.

مفهوم أموال الوقف:

طبيعة المال هي التداول بين الناس لإحداث المنافع العامة وإظهار الملكية والتصرف في المال بحرية، سواء عن طريق عقود المفاوضات أو التبرعات، أو بشتى الطرق الناقلة للملكية، حتى لا يكون التداول محصوراً بين الأغنياء دون الفقراء.

حيث عرف جمهور الفقهاء المال بأنه: "اختصاص الشخص بشيء يخوله له الشرع للانتفاع والتصرف فيه وحده إلا لمانع"، والوقف هو حالة خاصة للمال حيث يكون محبوساً على جهة معينة تستفيد من ريعه بصورة تفيد الاستمرار والدوام، دون حق التصرف في أصل المال.

القصد من الوقف هو إيجاد مصدر له ريع أو عائد متجدد يمكن المستفيد منه "الموقوف عليه" من استمرار الانتفاع به على وجه يشبع حاجاته، وفي الأغراض التي حددها صاحب الوقف، فطبيعة مال الوقف هي النمو أو قابلة للزيادة، فالأشياء التي لا تنمو أو غير قابلة للزيادة لا يتحقق منها عائد ينتفع به أو يصرف على جهات الخير والبر المختلفة المحددة بشرط الواقف[1].

---

[1] أحمد مجذوب أحمد، إيرادات الأوقاف الإسلامية ووظيفتها في إشاعة الحاجات العامة، بحث ضمن وقائع الندوة العالمية لتطوير وتنمية الأوقاف الإسلامية، قاعة الصداقة، الخرطوم، 1994م، ص(52).

الأموال الموقوفة:

الأموال التي أوقفها المسلمون في تاريخهم كثيرة جداً، حتى أنها شملت فعلاً جميع أنواع الأموال، فقد وقفت الأصول الثابتة من أراض زراعية، ومبانٍ لتستعمل مباشرة للأقراضها الوقفية نحو المساجد والمدارس والمستشفيات والمكتبات.

وكذلك وجدت أوقاف النقود، الدراهم، الدنانير، كانت توقف لواحد من غرضين، إما لأقراضها لمن يحتاج إليها، حيث تعاد بعد انقضاء الحاجة لتقرض من جديد إلى محتاج آخر، ووجدت أيضاً أوقاف النقود للاستثمار، ولعل ذلك قد بدأ منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم أو التابعين، إذ يروي البخاري في صحيحه أثراً عن الزهري فيمن جعل ألف دينار في سبيل الله ودفعها إلى غلام له تجارة، يتجر فيها، وجعل ربحه صدقة للمساكين والأقربين[1]، تم استمرت أوقاف النقود للاستثمار مضاربة في جميع العصور وفي مشارق البلاد الإسلامية ومغاربها حتى أواخر العهد العثماني.

تتميز الأموال الموقوفة بالآتي:

1. مال نامٍ أو قابل للنمو.
2. مصرف الأموال نحو جهات البر.
3. تتمتع بحماية قانونية.

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري على صحيح البخاري، منذر قحف، مصدر سابقن ص(40).

الفصل الثاني

التنمية الاقتصادية

المبحث الأول: التنمية والنماء الاقتصادي

التنمية الاقتصادية هي الاهتمام بالإنتاج وعمارة الأرض، والنشاط الاقتصادي أحد واجبات الإنسان في خلافة الأرض، ليقوم بتحقيق السعادة في الحياة الدنيا ويرجو أجرها في الآخرة.

التنمية لغة:

مصدر أنمى ونمّى بالتضعيف، إنماء وتنمية، وهو من نمى ينمّي بالياء، وحكى بعضهم أنه من نمى، ينمو، لكنها لغة ضعيفة، والنماء: الزيادة، يقال: نمى الشيء إذا زاد وكثر، والإنماء والتنمية فعل ما به يزيد الشيء ويكثر، والأشياء على وجه الأرض إما نامٍ كالنبات والشجر ونحوه؛ وإما صامت كالحجر والحبل[1].

وفي الإنماء والتنمية: الاستثمار وهو مشتق من ثمر الرجل إذا تمول، ويقال: أثمر الرجل ماله إذا نماه وكثره، ويقال: مال ثمر أي مال كثير، وسميت الزيادة ثمراً لأنها زائدة عن أصل المال[2].

فيكون الاستثمار والتنمية والإنماء بمعنى واحد، فهي تعني العمل الذي يحصل به نماء وثمرة للمال، والنماء نتيجة الإنماء ويكون بعمل يحصل به النماء، وقد يكون ذاتياً كالولد والثمرة، يكون النماء حقيقياً، وقد يكون تقديراً.

فالحقيقي: هو الزيادة بالتجارة والتوالد والنتاج.

والتقديري: التمكن من الزيادة.

أما التنمية والاستثمار في اصطلاح المتقدمين من الفقهاء، فإن القارئ لا يكاد يجد مدلولاً فقهياً محدداً لمفهوم الاستثمار، تحدد فيه الضوابط والقيود، ولا يخرج استعمال

---

[1] لسان العرب، (341/15). الصحاح، (1823/20).

[2] لسان العرب، (107/4)، مادة ثمر. والمعجم الوسيط، (100/1).

الفقهاء لهذه المصطلحات عن المدلول اللغوي ومراد ذلك ليس إلى عدم معرفتهم بها[1]، وإنما لوضوح المعنى عندهم من جهة، وربما يرجع ذلك أيضاً إلى قلة المعاملات الاقتصادية واعتمادها على وسائل لا تحتاج إلى مفاهيم أو ضوابط كثيرة وبعدهم عن التأثير بالأمم المجاورة التي تكثر عندهم المعاملات المالية واختلاط المشروع منها بغيره من جهة أخرى.

العلاقة بين التنمية والإنماء:

التنمية والإنماء بمعنى واحد، إلا أن التنمية اسم مصدر، والإنماء مصدر للفعل نمى المال ينميه، والمراد منها الفعل نفسه، أي القيام بعملية الإنماء بغية حصول النماء.

الاستثمار مصطلح يراد به الطرق والوسائل التي يستخدمها الفرد من أجل الحصول على نماء المال وزيادته، والنماء هو النتيجة لعملية التنمية والإنماء، وبناء على ذلك فلا نماء إلا بتنمية وإنماء، ولا تنمية بلا استنماء، فحصول النماء يتوقف على التنمية وتحقيق التنمية يتوقف على الاستنماء[2].

لا تحقق التنمية أهدافها ما لم تقم على التخطيط العلمي الذي يتطلب وجود الخبراء والفنيين المتخصصين بنسبة تفوق الحاجة إلى العمال اليدويين، لأن حاجة المستقبل من الطاقة الفكرية أكبر من الحاجة إلى طاقة البشر الجسدية، فقد حلت الآلة الحديثة مكان القوى البشرية، إذ أنها تقوم بإنتاج نصيب الفرد الواحد الذي يؤديه في اليوم تستخرجه من بضع ساعات، مما أدى إلى تقليل الحاجة للعاملين بالأيدي، واتجهت الحاجة إلى العاملين بالفكر العلمي.

وفي هذا الصدد يقدر الباحثون أن حاجة البلدان المتقدمة[3]، من القوى العاملة الجسدية لن تتجاوز (1٪) في نهاية القرن التاسع عشر، أما الباقي (99٪) فهي كلها

---

(1) الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات، سليمان بن عبدالله بن حمود "أباالخيل"، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1425هـ، 2004م، ص(278).

(2) الاستثمار، أحكامه وضوابطه من الفقه الإسلامي، قطب مصطفى، ص(19).

(3) التنمية الاقتصادية، عادل مختار الهواري، ص(97)، رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية، محمد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1977م، ص(181).

حاجات فكرية بحتة، لقد أدركت البلدان الصناعية هذه الحقيقة، ولذلك نراها توجه التربية والتعليم في بلدانها إلى غزو الفكر واستنماء العقل، ومن هنا أصبح النمو في بلد من البلدان إلا ما يتوفر عليه هذا البلد من دخل اقتصادي، قد يكون مرتفعاً وسط ركام من التخلف الفكري والصناعي والاجتماعي، كما هو الحال في بعض الدول المنتجة للبترول"، بل إن النمو الآن يقاس بالعلم والتقنية بالمستوى العلمي والتكنولوجي الذي يتوفر عليه هذا البلد أو ذلك.

عند الحديث عن مفهوم التنمية يجب أن نأخذ في الاعتبار النقاط التالية:

1- لا يقصد بالتنمية أنها عملية اقتصادية بحتة، ومن ثم لا يجوز إهمال الجوانب الاجتماعية والسياسية، كما لا يجوز تركها خارج التحليل في البداية، ثم إدخالها كإضافة هامشية لإعطاء مظهر شمولي للتحليل، فلا يجوز تصور عملية التنمية منذ البداية إلا على أنها عملية تطوير حضاري ضخم وعميق وأنها عملية اقتصادية اجتماعية سياسية على نحو شامل ومتكامل.

2- التنمية هي بناء الإنسان العربي، وتحرير له وتطوير لكفاءته، ودعم لثقته بنفسه، وإطلاق لقدرته على العمل البناء، وتنميته لوجدانه الإنمائي، كما أنها تمثل عملية التغيير الأساس من بنية وأحجام ومستويات إنجاز مختلف أوجه النشاط في المجتمع، إنها عملية التفاعل المستمر الهادف إلى تحقيق رفاهية الإنسان الاقتصادية والاجتماعية.

3- لا يجوز إهمال دور العوامل التاريخية التي أسهمت وبقوة في تحقيق النمو الاقتصادي الضخم الذي حققته الدول الصناعية الرأسمالية الغربية، ولا يجوز تصور إمكان تطبيق مفهوم ونموذج هذه الدول في التنمية لتحقيق التنمية في البلدان التابعة الموجودة حالياً، لأن الكثير من هذه العوامل التاريخية غير متوفرة الآن، ولا يمكن تصور مجرد إمكان توفيرها

للبلدان التابعة على نفس النحو الذي كانت عليه عندما حققت الدول الصناعية الرأسمالية تقدمها ونموها[1].

4- التنمية عملية ديمقراطية تؤكد على المشاركة الشعبية الواسعة في اتخاذ القرارات وعلى ضرورة شمول فوائدها، لمختلف فئات المجتمع من منظور تكافؤ الفرص وتحقيق العدالة الاجتماعية.

5- لا يجوز تصور أن هناك تنمية حقيقية ومستمرة في ظل العلاقات الاقتصادية الدولية الحالية التي أدت وتؤدي إلى تسوية النمو في البلدان التابعة، والتي وضعت وما زالت تضع هذه البلدان في حالة تبعية متعددة الآليات للدول الصناعية المتقدمة، والتي جعلتها وتجعلها في وضع غير متكافئ في السوق العالمية، وبعبارة أخرى لا يمكن تصور التنمية في إطار أوضاع التبعية المالية.

6- التنمية والدفاع عن الوطن عمليتان مترابطتان، فتحرير الأرض وحماية مكتسبات التنمية لا يمكن أن يكون إلا بتدعيم القوة الدفاعية التي تتطلب تطوراً للإمكانات الاقتصادية وتهيئة الموارد المادية والبشرية، كما أن نمو قدرات المجتمع في الدفاع عن موارده يعطيه الإمكانات الأوسع في تحقيق المزيد من البناء[2].

7- وأخيراً لا يمكن تصور أي مفهوم للتنمية لا يكون الإنسان هو مركز الاهتمام فيه، بحيث يكون هو الهدف والوسيلة معاً، وبعبارة أخرى لا يجوز تصور التنمية إلا إذا كانت دفعاً حقيقياً ومستمراً لمستوى حياة الناس في الاقتصاد المتخلف، ورفعاً مستمراً وحقيقياً لإمكاناتها وكفاءاتهم، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت التنمية عملية هجوم على

---

[1] التنمية الاقتصادية، مصدر سابق، ص(101).

[2] التنمية الاقتصادية، مصدر سابق، ص(104).

الفقر، على أن يؤخذ الفقر هنا بمعنى شامل عميق يشمل جوانب الحياة كلها، مادية وروحية وثقافية، وعلى أن يفهم بمعنى مطلق يتصل بنحقيق المستويات الأساسية الدنيا اللازمة للإنسان، كإنسان في هذه المجالات وبمعنى نسبي يتصل بالوضع النسبي للبشر بعضهم البعض داخل المجتمع، وهذا لا يتحقق أيضاً إذا تصورنا أن الفقر من هذا المنظور يمكن أن يكون موجوداً وضارباً بجذوره في أعماق الحياة في المجتمع، حتى ولو كان هناك شراء نقدي قوي، وحتى لو كان المجتمع غنياً بالأموال[1].

التنمية الاقتصادية:

المفهوم الأعم للاقتصاد هو التوسط في الأمور وعدم الإسراف والتغيير إلى تدبير شؤون المال وخلق المنفعة للإنسان، وقد روى الطبراني في الكبير أن الرسولﷺ قال: التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزء من النبوة"[2].

وفي حديث آخر رواه الترمذي من حديث رسول اللهﷺ بأن الاقتصاد جزء من أجزاء النبوة، فقد روي عنه أنه قال: "المحدثون لهم منازل، فمنهم من أعطي ثلث النبوة، ومنهم أعطي نصفها، ومنهم من له الزيادة حتى يكون أوفرهم حظاً من ذلك من له ختم الولاية، فقال قائل للترمذي: إني أهاب القول أن يكون لأحد من النبوة شيء سواء الأنبياء، قال الترمذي: ألم يبلغك حديث رسول اللهﷺ أنه قال: الاقتصاد والهدي والسمت جزء من أربعة وعشرين جزءاً من أجزاء النبوة[3].

إن الوظيفة الأولى لأي نظام اقتصادي أياً كان طبيعته هي إنتاج السلع لمواجهة الرغبات الإنسانية، وذلك بمجهود مباشر للفرد على الموارد الأولية الطبيعية، إذاً المفهوم الاقتصادي للإنتاج هو خلق المنفعة للإنسان.

---

[1] ياسر الحوراني، تجربة الوقف في إطار عالمي، مجلة أوقاف، العدد 6، يونيو 2004م.

[2] التيسير بشرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، العلامة المناوي، ج1، ص(459).

[3] التيسير بشرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، العلامة المناوي، ج1، ص(459).

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية شهدت الأقطار حركة واسعة ومزيداً من الاهتمام بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية دون استثناء بين الدول المتقدمة منها أو المتخلفة، وإن اختلفت دوافع هذا الاهتمام، وذلك نسبة للظروف الأمنية والسياسية التي حلت بالعالم أجمع.

فالاقتصاد علماً وممارسة يعني التعرف على عناصر الإنتاج والموارد المتاحة التي تحكمها الندرة، ومحاولة استغلالها بصورة مثلى لتحقيق أقصى قدر ممكن من الإشباع لأفراد المجتمع[1].

فقد وردت عدد من التعريفات حول التنمية الاقتصادية، كلها تقريباً تحمل معنى واحداً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. إن التنمية الاقتصادية هي: إجراءات تتخذ عن قصد من شأنها زيادة الدخل القومي خلال فترة زمنية بمعدل أكبر من زيادة نمو السكان[2]، كما يقصد بها أيضاً السياسات والإجراءات المقصودة والمخططة التي تهدف إلى تحقيق التنمية الشاملة عن طريق إحداث تغييرات في هيكل الاقتصاد القومي وتحقيق زيادة سريعة ودائمة في متوسط الفرد الحقيقي. وهذا يستلزم تغير بنيان الاقتصاد القومي عن طريق تطوير الصناعة والزراعة والعمل على زيادة عدد العاملين فيها، كما يتبع ذلك استخدام التكنولوجيا ليؤدي إلى زيادة الإنتاج وحجم التبادل التجاري، مما يعني أن التنمية الاقتصادية تسعى إلى تطوير وسائل الإنتاج، والذي يوجه هذه التنمية الاقتصادية هو الإنسان، كما أنها تعتمد بصفة أساسية على الأفراد من خلال تخطيط شامل لعملية التنمية الاقتصادية ومشروعاتها والأفراد أو القوى العاملة أو الموارد البشرية هم أحد جوانب الإنتاج وقوته المحركة، لذلك كان الاهتمام بالعنصر البشري وتنميته

---

[1] الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، محمود الخالي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1984م.

[2] التعليم والتنمية الاقتصادية، محمد نبيل نوفل، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م، ص(55، 78).

واستثماره على اعتبار أن الطاقة الإنتاجية للبشر أكبر قيمة من عناصر الثروة الأخرى.

2. التنمية الاقتصادية هي: الزيادة المستمرة في الدخل الفردي من فترة زمنية طويلة، ويجب أن يصحب تلك الزيادة في الدخل ارتفاع مستوى معيشة الفرد ورفاهيته، وزيادة قدرة الفرد على الإنتاج، وإصلاح ميزان المدفوعات[1].

التنمية الاقتصادية تعبر عن العملية التي يتم بموجبها أن تستخدم الدولة أو منطقة ما الموارد المتاحة في تحقيق زيادة نصيب متوسط الفرد من السلع والخدمات الذي يؤدي إلى ارتفاع مستواه المعيشي، كما أن التنمية الاقتصادية هي العملية التي يتم بموجبها زيادة حقيقية في الناتج القومي لاقتصاد معين خلال فترة طويلة من الزمن.

من خلال التعريفات الماضية يمكن أن تستنتج أن عملية التنمية الاقتصادية هي عملية الانتقال من الوضع الاقتصادي المتخلف إلى الوضع الاقتصادي المتقدم، أي نقل الاقتصاد القومي المتخلف إلى حالة التقدم.

ومن أخطر ما تواجهه التنمية الاقتصادية التبعية التي تجعل الدول النامية مفتوحة لمختلف التقلبات الاقتصادية، مما يؤثر على بناء صرح التنمية الاقتصادية، ويجعل أمر التنمية صعباً بسبب عدم الاستقرار، ويكون النمط الاقتصادي للدول ممثلاً لصراع بين واقع النشاطات الاقتصادية وبين المشاكل المعوقة للتنمية الصناعية والأمل المرجو من هذه التنمية.

---

[1] التنمية الاقتصادية والتجربة العصرية، أحمد دويدار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م.

المبحث الثاني

أثر الوقف على التنمية الاقتصادية

التنمية الاقتصادية تهتم بالموارد المتاحة، كما تهتم بإنتاج الحاجات العامة، أو الضروريات التي تعين الفرد على محافظة النفس والمقاصد الشرعية الأخرى.

قد عرفت الدولة الإسلامية بعض الأملاك العامة لإنفاق المال عليها، تكاد تنفرد بها، وهي المساجد، الماء، الكلأ، النار، الملح، وهذه الأملاك تعتبر عامة تستوجب الصرف عليها، وقد رد حديث عن النبيﷺ بجعل هذه الأملاك مشاعة للجميع يستوي فيها الغني والفقير، الجماعة والفرد، ولا حق على شخص دون الآخر.

وفي حديث رواه أبوداؤود في سنده قال: وعن امرأة يقال لها بهيسة عن أبيها قال: استأذن أبي النبيﷺ فدخل بينه وبين قميصة، فجعل يُقبل ويلتزم، ثم قال: يا نبي الله: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ قال: الماء، قال: يا نبي الله ما الشيء الذي لا يحل منعه، قال: الملح، قال: يا نبي الله ما الشيء الذي لا يحل منعه، قال: أن تفعل الخير خير لك"[1]، وفي حديث آخر، عن رجل من المهاجرين من أصحاب النبيﷺ قال: غزوت مع رسول اللهﷺ ثلاثاً أسمعه يقول: المسلمين شركاء في ثلاث: في الكلأ، الماء، النار"، رواه أبوداوود، وفي حديث آخر رواه ابن ماجه، عن عائشة –رضي الله عنها- قالت: يا رسول الله، هذا الماء وقد عرفناه، فما بال الملح والنار؟ قال: يا حميراء من أعطي ناراً فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت تلك النار، ومن أعطي ملحاً فكأنما تصدق بجميع ما طيبت تلك الملح، ومن سقي مسلماً شربة من ماء حيث لا يوجد الماء، فكأنما أحياءها[2].

فالأثر الاقتصادي للوقف يتمثل في تقديم الخدمات العامة للموقوف عليهم، وهو ما تقوم به الأوقاف العقارية، مثال: وقف المسجد الذي يعد المكان للمصلين، ووقف

---

[1] الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبدالعزيز عبدالقوي المنذري، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ج2، ص(75- 76).

[2] المصدر السابق نفسه، ص(75- 76).

المدرسة الذي يوفر حجرة الدراسة للطلاب، والمستشفى الوقفية لعلاج المرضى وراحتهم، وهذه الخدمات تمثل في مجملها الأموال والأصول الثابتة لإنتاج المنافع المتولدة منها، وهي بهذا المعنى تعتبر رأس مال إنتاجي يهدف إلى تقديم منافع من أجل التنمية الاقتصادية للأجيال القادمة والموقوف عليهم[1].

الوقف يدخل في باب الإنفاق العام، لأنه يتصف بالدوام، وعدم الانقطاع، لأن الوقف يشترط فيه بقاء الأصل، ويمكن القول بأن الصدقة الجارية التي يتصف بها الوقف كالبحيرة التي تمد النهر بالمياه طوال العام، ويتجدد منافعها للمستفيدين.

ومن وجهة النظر الاقتصادية يمكن التفريق بين الوقف العقاري، والذي يتميز عن الوقف الاستثماري في طريقة الإدارة وأسلوب المحافظة على الوقف.

فالوقف العقاري يحتاج إلى نفقات الصيانة والترميم، وتأتي تمويلها من إيرادات الوقف نفسه للمحافظة على الوقف، فالوقف الاستثماري ينفق على أصل الوقف ليكون قادراً على الإنتاج، والجزء الآخر ينفق على أغراض الوقف حسب شرط الواقف.

أثر الوقف التنموي:

قبل البحث عن الأثر التنموي الذي يمكن أن يؤديه أموال الأوقاف وفكرة الأوقاف نفسها التي تدعو إلى الاستقرار بإنشاء أوقاف جديدة من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فإنه ينبغي النظر إلى التزايد التنموي للوقف[2].

طبيعة الوقف الإسلامي هو أن يجعل من الوقف ثروة استثمارية متزايدة، فالوقف في شكله العام هو ثروة إنتاجية توضع في الاستثمار على سبيل التأبيد، يمنع بيعه واستهلاك قيمته، فالوقف إذاً ليس استثمار في المستقبل فقط، بل هو استثمار متزايد،

---

[1] أثر الوقف في تنمية قطاع التعليم، محمد يعقوب برشم، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 2015م، ص(74- 75).

[2] نفس المصدر، ص(75).

من أهم خصائصه استهدافه الوقف السابق الذي أنشأته الأجيال الماضية، والوقف الجديد للأجيال الحاضرة.

التاريخ الإسلامي يوضح تزايد الوقف في عصر الانحطاط، والشرط الضروري لتزايد الوقف هو عملية الحبس من قبل أصحاب الوقف، وهو أمر مرتبط بالإحساس الروحي للعقيدة الإسلامية، وعلى هذا فقد اتفق العلماء على أن الوقف المؤبد يجب أن ينفق على صيانة أصله من إيراداته حتى لو لم ينص الواقف على ذلك، ومعنى أن المحافظة على أصل مال الوقف واجب على القائمين بأمر الوقف كما كان عليه عندما حبسه الواقف.

ومن الملاحظ أن هنالك عاملاً برز منذ أوائل القرن العشرين أدى إلى زيادة القيمة الإنتاجية للوقف القديم والتزايد السكاني والنمو الاقتصادي في البلدان والمجتمعات الإسلامية، معبراً عنه بتزايد حجم الإنتاج القومي، وذلك لأن معظم الأموال الوقفية الموروثة من الأجيال السابقة، صارت اليوم من أفضل وأحسن المناطق السكنية والتجارية بالنسبة لأوقاف المدن، بل أدى إلى إعادة بناء بعض الأوقاف العقارية كالمساجد، والمنازل السكنية، بحيث يهدم البناء القديم ويقام بدلاً عنه مباني متعددة الطوابق، يستخدم واحد منها مسكن للموقوف عليهم ويستغل الباقي استثماراً يعود نفعه على غرض الوقف نفسه، قد بلغت الأوقاف بالمدن حداً كبيراً في جميع البلدان الإسلامية التي أتيحت لها الفرصة الطويلة للتزايد، وتعتبر من الثروة القومية في فلسطين والعراق والسعودية[1].

في السودان تحتل أملاك الأوقاف عقارات رئيسة وسط المدن الكبيرة، كالخرطوم، عطبرة، مدني، الأبيض، كادقلي، وغيرها من المدن، وفي قلب مركزها التجاري، كما تشمل جزءاً كبيراً من خيرة أراضيها الزراعية بالقرب، من تلك المدن والمناطق الزراعية، سواء كانت مروية أو مطرية.

---

(1) أثر الوقف في تنمية قطاع التعليم، مصدر سابق، ص(76).

فالدور التنموي للأوقاف العقارية يظهر في تعدد بناء القطع السكينة والتجارية مما يؤدي إلى زيادة أموال الأوقاف، والذي بدوره يؤدي إلى إنعاش النشاط الاقتصادي للمستفيدين.

والهدف من تنمية الأوقاف من الناحية الاقتصادية هو تحقيق مستوى حياة معيشية أفضل للموقوف عليهم، ويتم ذلك من خلال زيادة معدل إنتاج السلع الزراعية في حالة الأوقاف الزراعية، وزيادة خدمة المنافع العقارية في حالة الأوقاف العقارية على أن تكون الزيادة أكبر من المستفيدين.

ونمو الوقف يعني معدل الزيادة في حجم الأوقاف خلال فترة معينة، أو معدل التغيير الذي تحدده المنفعة الوقفية، أو نصيب الفرد المستفيد خلال فترة معينة، ويعتبر نمو الوقف هو مقياس أو معيار لدرجة النمو الاقتصادي، بشرط ألا يكون هذا النمو بمعدلات تكاليف عالية، ولا يكون على حساب التصفيات الكبيرة لحساب الموقوف عليهم، إنما تكون في حدود المعقول.

فنمو الوقف عادة يكون مصحوباً بارتفاع إيجارات الأوقاف وزيادة نصيب الموقوف عليهم، ومعدلات النمو الوقفي تختلف من بلد لآخر، ويرجع ذلك إلى:

1. حجم التراكم الوقفي بالنسبة للدولة، فمثلاً في السودان نجد أن هنالك أراضي وقفية تحتاج إلى تأهيل هذه الراضي تتيح فرصة للنماء مستقبلاً.
2. تجديد أسعار الإيجارات العقارية حسب المتغيرات الاقتصادية، هذا التجديد يؤدي إلى زيادة نصيب الموقوف عليهم، بالإضافة إلى وسائل استثمار الأوقاف الحديثة يؤدي إلى تحسين موارد الوقف.
3. بعض المفاهيم السائدة لدى المسلمين أن الوقف هو تشييد المسجد دون أن يجعل له وقف آخر يكون إيراداً للمسجد، وهذه المساحة الأرضية لا يستفاد منها في النمو مستقبلاً.

المبحث الثالث

صيغ تمويل الأوقاف

تمويل الوقف:

يقصد بالتمويل الجهة التي يلجأ إليها المستثمر لاستدانة قدر أو كمية من الكمال، بغرض زيادة رأس المال الذي بحوزته، لبدء عملية الإنتاج، أو هي الوسيلة التي يلجأ إليها الشخص لتحريك الأموال بغرض تعظيم الربح.

ومن وسائل التمويل الادخار والقرض، سواء كان هذا القرض من مصادر داخلية أو مصادر خارجية، ويستخدم هذا القرض في المشاريع ذات الإنتاجية الكبيرة، وغالباً ما يكون عائدها لسنوات طوال، أي يستفيد منها الجيل القادم.

لذلك لا يلجأ ناظر الوقف إلى القرض، خشية ألا يستطيع الحصول على العائد المطلوب مع مطالبة صاحب القرض برد المال بسعر الفائدة الربوي، لذلك ظلت الأوقاف تمول استثمارها من عائد إجار العقارات والأراضي الزراعية الموقوفة، وقل ما تلجأ إلى غيرها من المخاطر خوفاً من إهدار أموال الفقراء والمساكين وضياع أصل الوقف.

الاقتراض للوقف:

القرض في عالم المصارف قد يكون بطريقة القرض العادي البسيط، وقد يكون بطريقة فتح الاعتماد[1].

القرض العادي البسيط هو أبسط صور الائتمان المصرفي، إذ تتضمن العملية تسلم النقود للعميل، أما مباشرة أو بطريقة القيد في الجانب الدائن لحسابه لدى المصرف المقرض، ويكون العقد متضمناً بيان الفوائد والعمولة، ويخضع لأحكام القواعد العامة التي يخضع لها القرض بوجه عام.

أما القرض بطريقة الاعتماد فيتمثل في وجود عقد بين البنك وعميل له، يتعهد فيه البنك بوضع مبلغ معين تحت تصرف العميل خلال مدة معينة، ولا شك أن هذه الصورة

---

[1] مشكلة الاستثمار في البنوك الإسلامية وكيف عالجها الإسلام، دار الوفاء، دار المجتمع، محمد صلاح محمد الصاوي، ص(450).

من صور الائتمان أكثر مرونة من سابقتها، وأكثر ملاءمة للحاجات التجارية في الواقع، لأن صاحب المشروع قد لا يحتاج إلى المبلغ المقترض بكامله بصورة آلية، حيث يكون استلامه إياه ضد مصلحته، لأنه يلزمه بدفع فوائد عن مبلغ كبير ليس بحاجة إليه، وهو غير مضطر لاستخدامه حين تناوله إياه، بل يكفي أن يكون لديه ما يمكنه من مواجهة حالات محتملة في المستقبل.

ولا شك أن هذا أكثر ملاءمة وأقل تكلفة للعميل، حيث يستطيع أن يسحب ويدفع ليعود إلى السحب ثانية حسب ظروفه، ودون أن يتحمل فائدة إلا عن المبلغ الذي يسحبه لا غير.

أما القرض عند المسلمين فهو من عقود الإرفاق، بحيث لا يحل بحال أن يشترط المقرض زيادة على القرض، مهما قلَّ حجمها وضعف مقدارها، فهو موقف مبدئي ثابت، لم تنل منه التقلبات الاقتصادية المعاصرة، لأنه يستمد ثباته وأصالته من ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال ابن قدامة: "كل قرض شرط فيه أن يزيده فهو حرام بغير خلاف"[1].

تحدث الفقهاء عن الاقتراض على مال الوقف من أجل عمارته إذا تهدم أو احترق، سواء أكانت العمارة كلية أو جزئية، فمبدأ الاقتراض على مال الوقف من أجل عمارته، يمكن تطويره، بحيث يستفيد من التكنولوجيا المالية المعاصرة، وبشكل هذا الاقتراض صيغة معاصرة لتمويل تنمية الأوقاف الإسلامية واستثمارها، وبخاصة أنه لا يوجد ما يمنع شرعاً من الاستدانة لزيادة رأس المال الوقفي إذا أمكن حمايته حقوق إغراض الوقف من أي حرمان أو تقليل منها، لأنه يمكن في كثير من الأحيان أن نغطي الزيادة في الإيرادات الناشئة عن الزيادة الرأسمالية أقساط سداد القرض، وبالتالي لا تتقضي حصة أغراض الوقف من الإيرادات[2].

---

[1] عبدالرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير على متن المقنع، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ- 1984م، ج4، ص(390).

[2] منذر قحف، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص(244).

الصيغ التقليدية:

هي التي شاع استخدامها في الماضي لتمويل الأوقاف، منها:

1/**عقد الإجارة:** وهو أن يقوم متولي أو ناظر الوقف بتأجير العقار الموقوف بأجرة المثل لمستأجر يقوم باستغلاله والانتفاع به، وتتراوح عقود الإجارة بين عام وثلاثة أعوام، وقد تكون مدة الإجارة منصوص عليها في حجة الوقف من قبل الواقف، أو متروك تحديدها لمن له النظارة.

إن عقد الإجارة الواحدة لقصر مدته وارتباطه بأجرة المثل السائدة هو من أكثر صيغ الانتفاع الاقتصادي بالوقف.

2/**عقد الإجارتين:** وهو عقد يلجأ إليه ناظر الوقف، بإذن القاضي حيث يصبح عقار الوقف خرباً لا يمكن الانتفاع به، ولا توجد غلة تفي بإعمارة ولا يوجد من يستأجر بأجرة واحدة، ويقوم بتعميره على حساب الأجرة، في حين وجود من يرغب في استئجاره لمدة طويلة بأجرين، أحدهما معجلة تستخدم في إعمار الوقف، والثانية مؤجلة على أقساط سنوية للوقف، ومن هنا جاءت تسمية العقد بعقد الإجارتين[1].

3/**الإحكار أو التحكير:** هو عقد تعطى بمقتضاه أرض الوقف الخالية لمستأجر، نظير أجرة معجلة تقارب قيمة الوقف، ليكون له عليها حق القرار الدائم، ويتصرف فيها كالملكين بالبناء أو الغرس، أو غيره من أوجه الانتفاع، كما يقوم بدفع أجرة زهيدة مؤجلة للوقف، وللمحتكر حق البقاء والقرار في أرض الوقف ما دام يدفع أجرة مثل الأرض الخالية من البناء أو الغرس الذي أحدثه فيها، وتقدر أجرة المثل بالتحقق عن القيمة التي تستأجر بها أرض الوقف لو أن ما قد أحدث بها أزيل.

---

[1] محمود أحمد مهدي، صيغ تمويل الأوقاف الإسلامية، محمد عفيف، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني.

هذه الصيغة تعطي المستأجر "المحتكر" حق دائم في استئجار العقار الموقوف ما دام ملتزم بدفع أجرة المثل، ما لم يخل بالشروط الأخرى التي يفسخ عند الإخلال بها عقد التحكير.

4/**المرصد**: يعرفه ابن عابدين في الحاشية بأنه: "دين على الوقف ينفقه المستأجر لعمارة الدار "الوقف" لعدم وجود مال حاصل في الوقف[1].

ويتم هذا العقد حين يكون عقار الوقف خرباً غير صالح للانتفاع به، ولا توجد في الوقف غلة تنفق على عمارته، والناس لا يرغبون في استئجاره إجراة طويلة بأجرة معجلة تنفق على تعميره، بل يوجد من يستأجر بأجرة ينفقها على عمارته وإصلاحه على أن يكون ما أنفقه ديناً مرصداً على العقار.

---

[1] ابن عابدين، الحاشية، ج4، كتاب الوقف، ص(402).

الفصل الثالث

تنمية الوقف في السودان

المبحث الأول: نشأة الوقف في السودان:

اهتم أهل السودان منذ دخول الإسلام في القرن الأول الهجري بأمر الوقف كجزء من العبادات الطوعية التي تقربهم إلى الله زلفى، وعرفوا هذا التصرف منذ القدم وقامت عليه حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وشاركوا الدولة في بناء المرافق العامة بوقف أموالهم لإقامة المعاهد الدينية، والمدارس، والمراكز الصحية، والمساجد، ودور السكن، وكفالة الأيتام، وذلك لتحقيق التكافل الاجتماعي، وعلاج مشكلة الفقر التي يعاني منها المجتمع وإزالة الحاجة وتلبية رغبات السواد الأعظم لأهل السودان من متطلبات الحياة الضرورية.

دخل الإسلام السودان منذ القرن الأول الهجري في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي السرح والي مصر، ولم يمض قرنان إلا وعم الإسلام معظم شمال السودان.

ولعل أول وقف بالسودان هو مسجد دنقلا العجوز، ثم انتشر بعد ذلك الوقف في مختلف أرجاء السودان، وكان معظمها مساجد وخلاوى بعضها كان في مجال الزراعة والتعليم.

بعد انهيار الدولة الإسلامية الذي بدأ منذ العصر العباسي مروراً بالعصر الأيوبي ودولة المماليك، نجد أن الإسلام قد قوي في السودان الذي كانت تحكمه ممالك نصرانية كمملكة علوة، والتي تسمى بمملكة الفونج، والتي بقيت على النصرانية حوالي ألف عام.

قام تحالف بين "عمارة دنقس" و"عبدالله جماع" تمكنوا من نزع الملك من الفونج وخربوا عاصمتها سوبا وأسسوا السلطنة الزرقاء، أول دولة إسلامية بالسودان، واتخذ

عمارة من سنار عاصمة لملكه، وبذلك تأسست مملكة سنار الإسلامية عام910هـ الموافق له1505م[1].

اشترى ملك سنار في عهد السلطنة الزرقاء أرضاً بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وأوقفها لخدمة الحجاج السودانيين، وما زالت هذه الأوقاف موجودة إلى يومنا هذا، وتعرف بالأوقاف السنارية، ثم انتشر الوقف في عهد سلطنة الفور في القرن السادس عشر، إذ كان السلاطين يقومون بتشجيع العلم وتكريم العلماء بإعطاء كل عالم قطعة أرض تكون وقفاً له ولطلبة العلم، ومصدراً للمسكن والمأكل، لذا انتظمت الخلاوى والمساجد في الأحياء السكنية والقرى والمدن في سلطنة سنار.

ولم يقتصر الوقف في عهد سلاطين، بل امتد إلى خارج السودان، فشمل أوقاف المقدس التي أوقفت لصالح المسجد الأقصى، ووقف الفور بجدة بالمملكة العربية السعودية، وآبار علي المعروفة التي يحرم منها الحجاج القادمين من المدينة المنورة، وتتسب هذه الأوقاف إلى السلطان علي دينار آخر سلاطين الفور، ولم ينقطع الوقف أثناء التركية السابقة ولا في عهد دولة المهدية عند منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، بل ظل المسلمون يقفون أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وخدمة لذويهم وأهلهم، ودفعاً للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وظل الأمر على هذا المنوال إبان فترة الحكم الثنائي والإنجليزي المصري، الذي امتد من سنة1889م إلى سنة1956م، تاريخ استقلال السودان، حيث استمر السودانيون عقب الحكومات الوطنية المتعاقبة على السودان يقفون بعض أموالهم وعقاراتهم ومنقولاتهم طيلة تلك الحقبة إلى يومنا هذا.

إدارة الوقف:

يعرف المسؤول عن إدارة الوقف في المجتمع الإسلامي الأول بالناظر، أي الذي له بعد النظر لإدارة الوقف والإشراف عليه والعمل فيما يخص الوقف وما يتصل به من

---

[1] نعوم شقير، تاريخ السودان، ص(97).

حقوق وأموال من أجل تحقيق أغراض وأهداف تتعلق بالوقف هذا بالإضافة إلى المحافظة عليه ورعايته واستثماره لمنفعة الموقوف عليهم[1].

أما في السودان كان مؤسسوا المساجد والخلاوى القرآنية هم الذين يقفون على إدراتها، أو يضعون شروطاً هي شرط الواقف، تحدد من يديرها وجهة صرف ريعها، وبصدور قانون المحاكم الشرعية بالسودان أصبح للوقف جهة شرعية يتبع إليها وخلال تلك الفترة فقد تنقلت تبعية الأوقاف الإسلامية في السودان من الناحية الإدارية إلى ثلاث جهات مختلفة للنهوض بها إدارياً ومالياً والحفاظ على الأصل، وهي[2]:

1. الهيئة القضائية.
2. الشؤون الدينية.
3. هيئة الأوقاف الإسلامية.

الهيئة القضائية:

لائحة المحاكم الشرعية لسنة1919م جعلت العمل بآراء فقهاء الحنفية هو المرجح إلا في المسائل التي يصدر فيها قاض القضاة، واعتبرت الأوقاف من اختصاص دائرة الأحوال الشخصية، وكان لها قسم بإدارة المحاكم الشرعية يعرف بالقسم العمومي الشرعي، ويديرها مكتب قاضي القضاة، وفي سبيل مسح وحصر وإحصاء وحسن إدارة الأوقاف فقد أصدر فضيلة قاضي القضاة عدة نشرات للجهات المختصة تتعلق بتوجيهات عامة وأخرى تطلب الرجوع للدفاتر والمستندات لمعرفة الأوقاف وإلى غير ذلك من الأغراض الإدارية، فقد ظلت الأوقاف تحت إشراف الهيئة القضائية حتى قامت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

---

[1] قانون الوقف الخيري الإسلامي لسنة1971م.

[2] قانون الوقف الخيري الإسلامي، مصدر سابق.

الشؤون الدينية والأوقاف:

إن الأوقاف في عهد الشؤون الدينية تعتبر واحدة من مصالح الوزارة لها مدير وموظفين وميزانية خاصة بها، وهيكل إداري ضمن اختصاصات الوزارة، لتحقيق الأهداف المنوط بها، أي يصدر التصديق المالي لتحويل النفقات العامة من وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وذلك بخلاف النفقات التي تخص عقارات الوقف وتنفيذ شرط الواقف، وهذه من مال الوقف.

هيئة الأوقاف الإسلامية:

بصدور قانون هيئة الأوقاف سنة1986م آلت لهذه الهيئة جميع الممتلكات المملوكة لأوجه البر الإسلامية، وإدارة جميع الحقوق والإلتزامات المتعلقة بالأموال الموقوفة، سواء التي نشأت في حجة الوقف أو سنده أو العقد، أو الاتفاقيات والمعاملات أو الوقائع المتعلقة بها، وتختص هذه الهيئة بإدارة وتطوير وتنمية واستثمار وتحسين الأموال الموقوفة لجهات البر داخل وخارج السودان، بشرط الإلتزام بأحكام الشريعة الإسلامية مع مراعاة شرط الواقف، ولهذه الهيئة حماية الأموال الموقوفة وتحسينها وترميمها وبناؤها وإعادة بنائها وتعديلها.

المبحث الثاني: التجربة السودانية في تنمية الأوقاف:

بدأت التجربة السودنية الحديثة عام 1986م بإعادة تنظيم إدارة الأوقاف باسم هيئة الأوقاف الإسلامية، وقد أعطيت هذه الهيئة صلاحيات واسعة إدارية وتنفيذية بالنسبة للأوقاف التي لا تعرف وثائقها ولا شروط واقفيها، وكذلك الأوقاف الجديدة التي تعمل على استدراج الأموال اللازمة لإقامتها من جمهور المتبرعين، أما بالنسبة للأوقاف التي يعين واقفوها النظار عليها، فإن الهيئة قد أعطيت سلطات رقابية فقط في الإشراف على إدارتها[1].

---

[1] علي أحمد النصري، دراسة حول قوانين الوقف في السودان، ورقة مقدمة في الندوة العالمية لتنمية وتطوير الأوقاف الفترة 27- 1994/8/30م، الخرطوم.

النهضة الحقيقية للأوقاف في السودان بدأت بعد عام1991م، حيث أصدرت الحكومة قرارات تمنح هيئة الأوقاف قطع في مشروعات المواقع السكنية والتجارية والاستثمارية، هذا النوع من الوقف يعتبر من الناحية الشرعية نوعاً من الإرصاد، وإن كان يعامل معاملة الأوقاف من الناحية الواقعية.

هذا القرار نص بأن تخصص أراضي للأوقاف بمعدل (5٪) من المساحة المدرجة في خطة الأراضي في جميع الولايات، على أن يكون نصف ريعها لمشروعات الأوقاف المتعلقة بقطاع التعليم، والنصف الآخر للدعوة الإسلامية بشكل عام، والجدير بالاهتمام بالنسبة للتجربة السودانية هو قيام الهيئة باستخدام نموذج تنظيمي مبتكر يعمل أساساً على اتجاهين:

1. استقطاب أوقاف جديدة تدخل ضمن قنوات معينة مرسومة مسبقاً.
2. استثمار وتنمية الأموال الوقفية، سواء في ذلك الموروث من الأجيال السابقة، أو التي تمنحها الدولة لهيئة الأوقاف.

إحصائية عقارات الأوقاف بالولايات المختلفة الفترة1995 حتى2002م

الرقم	الولاية	العقارات
1	الخرطوم	915
2	سنار	263
3	النيل الأبيض	319
4	شمال كردفان	263
5	جنوب كردفان	074
6	غرب كردفان	114
7	شمال دارفور	322
8	جنوب دارفور	167
9	غرب دارفور	052
10	نهر النيل	607

الرقم	الولاية	العقارات
11	الشمالية	140
12	البحر الأحمر	256
13	القضارف	131
14	كسلا	154
15	النيل الأزرق	009
16	الجزيرة	865
	الجملة	4.651

المصدر: "هيئة الأوقاف السودانية الاتحادية- الميزانية العامة تقارير مختلفة"

أوقاف جديدة	خيري	ذري	النوع
محلية ودمدني	06	258	قطعة سكنية مدني الجديدة
الحصاحيصا	06	-	عقارات
الحصاحيصا	12	-	دكان بمدينة أبوعشر
الحصاحيصا	10	-	عقارات بمدينة المحيريبا

بالإضافة إلى (76.283م.م) ضمن مخطط ودمدني الجديد خصصت بقرار ووزير التخطيط العمراني ولاية الجزيرة رقم(13) لسنة2015م أوقاف مشروطة.

أوقاف مشروع الجزيرة:

أنشئت هذه الأوقاف بقانون مشروع الجزيرة 1927م بمساحة قدرها (9.593.633)فدان أرض زراعية داخل المشروع، مؤجرة بواقع الفدان عشرة ريال آنذاك بما يساوي عشرة قروش في الوقت الحالي تدفع نهاية كل موسم زراعي ومخصصة لمساجد وخلاوى بمديرية النيل الأزرق، وهي تشمل الآن ولايات الجزيرة، سنار، النيل الأبيض والنيل الأزرق، وتوقف دفع المبلغ منذ1989م، وقد جرت عدة

مكاتبات لتعديل قيمة المثل وتحويل هذه الأوقاف من إدارة المشروع إلى هيئة الأوقاف[1].

عند قيام حملة إحياء سنة الوقف التي انعقدت بقاعة الصداقة الخرطوم في 2010/10/5م، وجه رئيس الجمهور خطابة بأن تعطى الأولوية بالسداد ودفع الديون الحكومية على الأوقاف حتى لا يتعطل الوقف أكثر ويلحق الضرر بالمستفيدين من منافع الوقف، إشارة إلى أوقاف مشروع الجزيرة.

أراضي سكنية واستثمارية غير مشيدة قدرها (169.141.5)متر مربع، الأراضي الزراعية بولاية الجزيرة:

1- 9593.633فدان داخل المشروع.

2- 1950فدان ذري تابع المدنيين.

3- 6.460.091فدان خارج المشروع.

توجد هذه الأوقاف داخل محلية جنوب الجزيرة ومدني الكبرى.

عند قيام مخطط مدني الجديدة غرب مدخل ولاية الجزيرة تم تخصيص (258)قطعة لوقف المدنيين، خصماً من استحقاقهم بمشروع الجزيرة، قطعة لكل فدان، كما خصصت (6)قطع بمدينة مدني الجديدة خصماً من أراضي أوقاف المشروع تكون لهيئة الأوقاف الإسلامية بولاية الجزيرة/ مدني.

أثر الوقف في التنمية الاجتماعية بالسودان:

طبيعة أهل السودان تمتاز بالجود والكرم، فلا يخلو منزل من بيوت المدن أو القرى إلا وبه جزء أوقف لاستقبال الضيوف، قل عددهم أو كثر، ويعرف هذا المنزل في الأحيان بالديوان أو الخلوة، فهو وقف غير مباشر يستفيد منه الغني والفقير معاً، فالوقف أصيل في أهل السودان وله تأثير على المجتمع السوداني نذكر منه على سبيل المثال[2]:

---

[1] تقارير ومستندات هيئة الأوقاف الإسلامية بولاية الجزيرة- مدني.

[2] أحمد المجذوب أحمد، مصدر سابق، ص(68).

1- **الدعوة الإسلامية:** عرفت الأوقاف المتخصصة للدعوة الإسلامية بصورة متكاملة في عهد مملكة سنار الإسلامية التي اهتم حكامها بالعلماء والدعاة وخصصوا الأوقاف وأجروا عليهم الرواتب ومنحوهم الأعطيات وتفرغ هؤلاء لتبليغ الدعوة ونشر العلم وتربية الناس مناهج الذكر والشكر لله.

2- **الخلاوى والمعاهد الدينية:** هي مدارس أقيمت في المجتمع السوداني بتدريس العلوم الإسلامية، خاصة تحفيظ القرآن الكريم، وعلوم الحديث، والسيرة النبوية، والفقه، وتقام هذه الدروس في المساجد، والخلاوى عادة تقام خارج المدن والقرى بعيداً عن الضوضاء لعزل الطالب عن مشاغل الحياة نتيجة لحفظ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الأخرى، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ. خلاوى الغُبُش ببربر بالمسجد الذي تلقى فيه الإمام محمد أحمد المهدي قدراً من العلوم الشرعية للمسجد مزارع خصص ريعها لمصروفاته ومصروفات الخلاوى الملحقة به.

ب. معهد أمدرمان العلمي، أنشيء عام1902م بمسجد أمدرمان الكبير، وهو المنارة الإسلامية التي تماثل الأزهر الشريف بالسودان، درس فيه معظم الرجال المشاهير بالدولة، ومن أوقاف هذا المعهد تدفع رواتب المعلمين ويمنح الطالب مبلغ اثنين جنيه سوداني آنذاك، وتعرف هذه المنحة بالجرايا، تصرف شهرياً للطالب، بالإضافة إلى السكن والمأكل وأخيراً تحول هذا المعهد إلى جامعة أمدرمان الإسلامية.

3- **الرعاية الصحية:** عرف المجتمع السوداني الأوقاف المتخصصة للرعاية الصحية في وقت متأخر، وكانت بداية ذلك المراكز الصحية التي أنشأها المرحوم عبدالمنعم محمد في أماكن متعددة بالخرطوم وأمدرمان أيضاً في المستشفى الذي بناه المحسن البُلك ومستوصف أبي زيد الملحق بأوقاف مسجده بمدني،

يضاف إليها عدد من المراكز الصحية والعيادات الملحقة بالمساجد والتي تقدم خدماتها إما مجاناً للفقراء أو بأسعار رمزية احتساباً لله تعالى.

4- **الأطراف الصناعية الخرطوم:** هي مؤسسة تعنى برعاية المعاقين طرفياً وأصحاب الشلل، التي حدثت لهم بسبب الحروب أو حوادث الحركة المرورية أو الكوارث الطبيعية[1].

أنشئت الأطراف الصناعية بالسودان عام1946م عقب الحرب العالمية الثانية بهدف تصنيع الأطراف للجنود الذين بترت أطرافهم إبان الحرب، وهي هيئة قومية مستقلة تعرف بالهيئة القومية للأطراف الصناعية والتعويضية، ذات شخصية اعتبارية، ولها أوقاف خاصة بها، تنفق من ريعها لصناعة الأطراف للمعاقين وأصحاب الشلل.

ولإعادة المعاق إلى حظيرة المجتمع ساهم أهل الخير والبر بأموالهم، فجعلوها أوقافاً يصرف إيرادها في صناعة الأيدي والأرجل الصناعية للذين فقدوا أطرافهم بسبب الحرب أو الكوارث الطبيعية أو حوادث المرور بأسعار رمزية وبتخفيض (50٪) لمرضى الأطفال من عمر (12)عام فما دون، وإكرامية لأصحاب الإعسار "الفقراء".

وهذه المنفعة تشمل جميع المجتمع السوداني، بغض النظر عن كونه غني أو فقير، مسلم أو غير مسلم، وبهذا المعنى فقد ساهم الوقف في إعادة الثقة للمعاقين طرفياً وجعلهم أحد أفراد المجتمع العامل، بعد أن فقدوا الأمل وأصبحوا عالة على المجتمع، ومن جهة أخرى فقد أعاد الوقف التوازن النفسي بدمج المريض في المجتمع المنتج، ومن الناحية الاقتصادية فإن هذه المؤسسة توفر للدولة ملايين من العملات الصعبة التي كانت تنفقها على إرسال المعاقين للعلاج خارج القطر، إذا أخذنا في الاعتبار أن سعر الطرف في جمهورية مصر العربية بـ(2)ألف جنيه مصري، بخلاف تذاكر السفر والنثرية والإعاشة، والمملكة العربية السعودية الطرف فيها بـ(15)ألف ريال سعودي، بخلاف ما يتمتع به المعاق من راحة نفسية بين الأقارب والأصحاب، وهذه المعاني لا تقاس بقيمة، فهي قمة القيم.

---

[1] سجلات الهيئة القومية للأطراف الصناعية والتعويضية، الخرطوم، المنطقة الصناعية.

الفصل الرابع

النتائج والتوصيات

النتائج:

1. أثر الوقف في التنمية الاقتصادية يظهر في التكامل الاجتماعي الذي يعتبر من ثوابت الاقتصاد الإسلامي، فهو يسهم في تغطية الحاجات الضرورية، وذلك بمساهمة الميسورين من أهل البر والإحسان في الخدمات العامة للإنسان والحيوان معاً.
2. قامت هيئة الأوقاف السودانية باستخدام أساليب الاستثمار الحديثة وعقدت الندوات والسمنارات بهذا الخصوص، إلا أن هذه المحاولة تعتبر ضعيفة مقارنة بالنشاط المنوط بالأوقاف القيام به.
3. التغيير المستمر في منصب مديري الأوقاف، وأحياناً التعيين السياسي أدى إلى ضعف الأوقاف في بعض الجوانب، وهذا لا يعني أن يقع العبء على المديرين لوحدهم، إنما القصور يلحق بأهل الأموال والميسورين الذين يعتبرون أن إقامة تشييد المؤسسات الكبيرة هي مسؤولية الدولة، وذلك لغياب نشر ثقافة فقه الوقف.

التوصيات:

1. الاهتمام بنشر ثقافة فقه الوقف وسط الجماهير لتحقيق التكافل الاجتماعي والاستفادة من الوقف لمعالجة قضايا الفقر والجهل وإحياء القيم الإسلامية.
2. استنفار الميسورين الخيرين من أصحاب الأموال لوقف أموالهم لتلبية المحتاجين لمياه الشرب لحاجة الكثيرين من أهل المدن الطرفية والقرى المجاورة للمدن لهذا المرفق الحيوي.
3. تعيين المدير العام لهيئة الأوقاف يشترط فيه أن يكون متمتعاً بالخلق القويم والأمانة والحرص على مصالح الوقف، والسيرة الحسنة والدراية الكافية بالشؤون الإدارية والمالية لأداء مهمته، وأن يكون مسؤولاً عن كل خسارة أو دين نشأ عن سوء استخدام أموال الأوقاف.

المصادر والمراجع

1. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري على صحيح البخاري.
2. أحمد علي الخطيب، الوقف والوصايا.
3. أحمد مجذوب أحمد، إيرادات الأوقاف الإسلامية ووظيفتها في إشباع الحاجات العامة.
4. الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي.
5. تقارير ومستندات هيئة الأوقاف الإسلامية ولاية الجزيرة.
6. التيسير بشرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير العلامة المناوي.
7. سجلات الهيئة القومية للأطراف الصناعية والتعويضية، الخرطوم، المنطقة الصناعية.
8. سليمان بن عبدالله بن حمود "أباالخيل" الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
9. عبدالرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير على متن المقنع.
10. عبدالعزيز عبدالقوي المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف.
11. قانون الوقف الخيري الإسلامي لسنة 1971م.
12. مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز، القاموس المحيط.
13. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.
14. محمد بن بكر بن منظور، لسان العرب.
15. محمد يعقوب برشم، أثر الوقف في تنمية قطاع التعليم، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أمدرمان.
16. منذر قحف، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته.
17. نعوم شقير، تاريخ السودان.

18.ياسر الحوراني، تجربة الوقف في إطار عالمي، مجلة أوقاف العدد(6)، ربيع 1425هـ/يونيو2004م.

19.يوسف إسحق حمد النيل، مفتاح الدراية لأحكام الوقف والعطايا.

Lie Group and Spin Representation (Representation)

(تمثيل زمرة لِي وزمرة اللف المغزلي)

د.الطيب عبد القادر عبد الماجد[*]

[*] - أستاذ مساعد ، قسم الرياضيات، كلية التربية مرحلة الأساس ،جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

المستخلص

الهدف من هذه الورقة العلمية توضيح تمثيل زمرة لِي وزمرة اللف المغزلي ، ثم توضيح الدوران في الفضاءات النونية مستحدثةً زمرة معينة ، مُثل جبر لِي براسم محتفظاً بخصائص أقواس لِي. وعمم التمثيل علي المصفوفات في الفضاء المركب حيث الزمرة الموحدة في الفضاء الثنائي والزمرة الموحدة الخاصة في الفضاء الثلاثي . وتم التعبير في فترات أوسع عن زمرة اللف المغزلي في الفضاء النوني .

Abstract

The main goal of this paper is to discuss the representation theory, to explain how rotations in R^n space are induced by the action of a certain group, a Lie algebra representation as map of Lie algebras preserving the Lie bracket. In way that generalizes the action of the unit complex numbers unitary group, on R^2 and special unitary group, on R^3. We expressed in terms of multiplication in a large algebra containing both the group spin(n) and R^n.

Introduction:-

A (complex) representation (π, V) of a group G on a complex vector space V with chosen basis identifying $V \cong C^n$) is a homomorphism

$$\pi: G \to GL(n, C)$$

This basically a set of n by n matrices, one for each group element, satisfy the multiplication rules of the group elements, n is called the dimension of the representation. The groups G we are interested in will be examples of what mathematicians call " Lie group".

For a representation π and group elements g that are close to the identity, one can use exponentiation to write $\pi(g) \in GL(n, C)$as

$$\pi(g) = e^A$$

where A is also a matrix, close to zero matrix.

Given representations π_1 and π_2 of dimensions n_1, and n_2, one can define another representation of dimensions $n_1 + n_2$ called direct sum of the two representations, denoted by $\pi_1 \oplus \pi_2$ this representation is given by the homomorphism

$$(\pi_1 \oplus \pi_2) : g \in G \to \begin{pmatrix} \pi_1(g) & 0 \\ 0 & \pi_2(g) \end{pmatrix}$$

In other words, one just takes as representations matrices block-diagonal matrices with π_1 and π_2 giving the blocks.

To understand the representations of a group G one proceeds by first identifying the irreducible ones, those that cannot be decomposed into two representations of lower dimension.

A representation π is called irreducible if it cannot be put in the form $\pi_1 \oplus \pi_2$, for π_1 and π_2 of dimension greater than zero.

[1] The Group $U(1)$and its Representations:-

The elements of group $U(1)$ are points on the unit circle, which can be label by unit complex number $e^{i\theta}$, for $\theta \in R$ .Note that θ *and* $\theta + 2\pi n$ label the same group element: Multiplication of group elements is just complex multiplication which by properties of exponential satisfies $e^{i\theta_1}e^{i\theta_2} = e^{i(\theta_1+\theta_2)}$.

- So in terms of angle θ the group law is just addition $(mod\ 2\pi)$.
- Since $U(1)$ is commutative group, all irreducible representation will be one-dimensional.
- such an irreducible representation will be given by a map

$$\pi: U(1) \rightarrow GL(1, C)$$

But an invertible 1 by1 matrix is just an invertible complex number, and will denote of these as C^*.

Theorem(1-1):-

All irreducible representations of the group $U(1)$are unitary , and given by

$\pi_k : \theta \in U(1) \rightarrow \pi_k(\theta) = e^{ik\theta} \in U(1) \subset GL(1, C) \cong C^*$ for k$\in Z$.

Proof:-

The given π_k satisfy the homomorphism property

$$\pi_k(\theta_1 + \theta_2) = \pi_k(\theta_1)\pi_k(\theta_2)$$

And periodicity property $\pi_k(2k) = \pi_k(0) = 1$.

We just need to show that any $f: U(1) \rightarrow C^*$ satisfying the homomorphism and periodicity properties is of this form.

Computing the derivative $f'(\theta) = \frac{df}{d\theta}$ we find

$f'(\theta) = \lim_{\delta\theta \to 0} \frac{f(\theta+\delta\theta)-f(\theta)}{\delta\theta}$ (Using the homomorphism property)

$= f(\theta) \lim_{\delta\theta \to 0} \frac{f((\delta\theta)-1)}{\delta\theta}$

$=f(\theta)f'(0)$

Denoting the constant $f'(0)$ by C, the only solution to this differential equation satisfying $f(0) = 1$ are $f(\theta)=e^{C\theta}$

Requiring periodicity we find $f(2\pi) = e^{C2\pi} = f(0) = 1.$

Which implies $C = ik$ for $k \in Z$, and $f=\pi_k$ for some integral k.

The representation we have found are all unitary, with π_k taking values not just in C^*, but in $U(1) \subset C^*$.

1-1 The Charge Operator:-

The general principle that since the state space H is a unitary representation of Lie group, we get an associated self- adjoint operator on H.

For the case of $G = U(1)$, this operator is just the operator that acts by multiplication by the integer q on the representation space C of the irreducible representation (π_q , G) .Since the irreducible representation of $G = U(1)$ are all one- dimensional , this means that as a $U(1)$ representation, we have

$$H = H_{q_1} + H_{q_2} + \cdots + H_{q_n}$$

For some set of integers $q_1, q_2,\ldots,q_n$ (n is dim of H, the q_i may not be distinct). We will call this operator the charge operator.

Definition(1-1):-

The charge operator Q is the self adjoint linear operator on H that acts by multiplication by q_i on the irreducible representation H_{q_i} .It acts on H as the matrix

$$\begin{bmatrix} q_1 & 0 & \ldots & 0 \\ 0 & q_2 & \ldots & 0 \\ \vdots & \vdots & \ldots & \vdots \\ 0 & 0 & \cdots & q_n \end{bmatrix}$$

Q is the quantum mechanical observable , operator on H . From the action of G on H, one can recover the representation, i.e., the action of symmetry group $U(1) on H$, by multiplying i and exponentiation to get

$$\pi(\theta)=e^{iQ\theta}=\begin{pmatrix} e^{iq_1\theta} & o & o..........o \\ o & e^{iq_2\theta} & ....o \\ .... \\ .... \\ o & o................ & e^{iq_n\theta} \end{pmatrix} \in U(n)\subset GL(n,C)$$

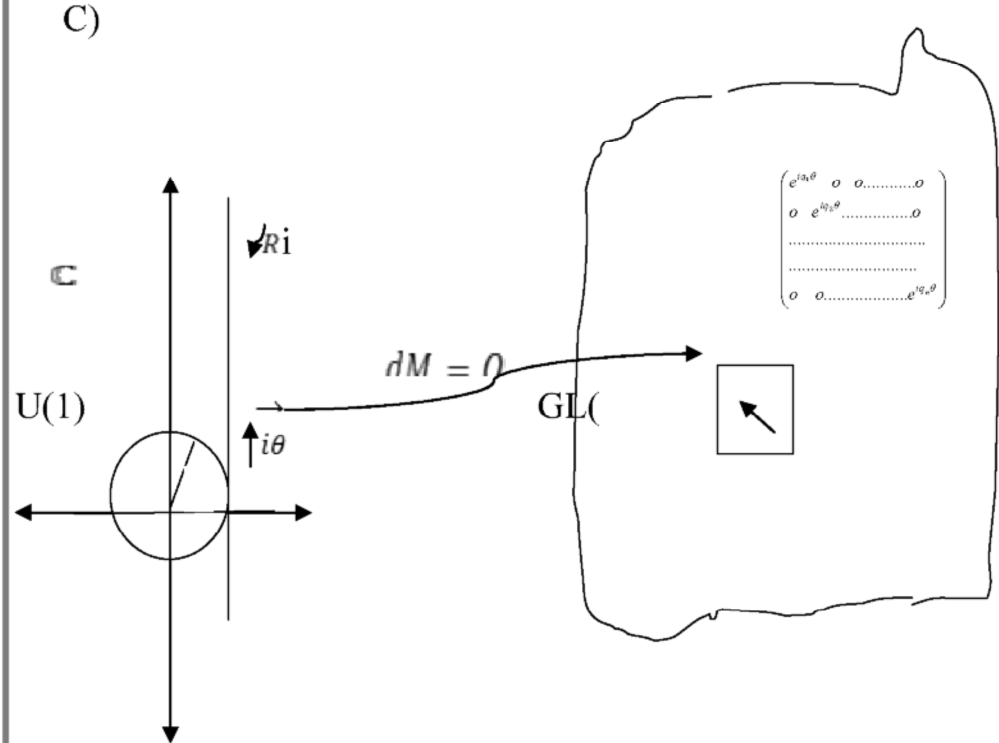
(2.4)

The standard physics terminology is that "Q generates the $U(1)$ symmetry transformation".

The general abstract high – powered mathematical point of view is that the representation π is a map between manifolds , from the Lie group $U(1)$ to the Lie group $GL(n,C)$, that takes identity of $U(1)$ to the identity space of $GL(n,C)$. As such it has differential, π', which is a map from tangent space at the identity of $U(1)$(which here is iR) to the tangent space to identity of $GL(n,C)$ which is the space $M(n,C)$, the n by n complex matrices. The tangent space at the identity of a Lie group is called "Lie algebra". Here the relation between the differential of π and the operator Q is

$$\pi':i\theta\in iR\rightarrow\pi'(i\theta)=iQ\theta$$

One can sketch the situation as follows: GL(n, C)



Fig(1): **The representation π is a map between manifolds , from the Lie group $U(1)$ to the Lie group $GL(n, C)$.**

1-2 Dual Spaces and Inner Products:-

Given a vector space V over afield K, dual vector space V^* is the set of all Linear map $V \rightarrow K$ $i.e.,$:

$$V^* = \{L: V \rightarrow K \text{ such that } L(\alpha v + \beta w) = \alpha L(v) + \beta L(w)\}$$

For $\alpha, \beta \in K, v, w \in V$. An e element of a vector space V is written as "ket vector ".

$|v\rangle$ where v is a label for a vector. An element of the dual vector space V^* is written as a" bra vector" $\langle l|$

-Evaluating $l \in V^*$ on $v \in V$ gives an element of K , written $\langle l|v\rangle$.

If $\Omega: V \rightarrow V$ is linear map

$$\langle l|\Omega|v\rangle = (l|\Omega\, v) = l(\Omega\, v)$$

Definition(1-2):- (Inner Product, Real case)

An inner product on real vector space V is map $\langle .,.\rangle: V \times V \rightarrow R$.

That is linear in both variables and symmetric $(\langle v,\omega\rangle = \langle \omega, v\rangle)$.

Definition(1-3):- (Inner Product Complex case)

An Hermitic inner product on complex vector space V is map $\langle .,.\rangle: V \times V \rightarrow C$ That is linear in the second variables and ,anti linear in the first variablesi.e, for $\alpha, \beta \in C$ and $u, v, w \in V$.

$$\langle \alpha u + \beta v, w\rangle = \overline{\alpha}\langle u, w\rangle + \overline{\beta}\langle v, w\rangle$$

And conjugate symmetric $\langle v, w\rangle = \overline{\langle w, v\rangle}$.

[2] Bases, Linear Operators and Matrix Elements:-

In particular an orthonormal basis $\{e_i\}$, $i = 1 \dots n$ satisfy $< e_i, e_j > = \delta_{ij}$. We will denote basis vectors in the bra-ket notation by $|i\rangle = e_i$.

An arbitrary vector $v \in V$ can be expressed as

$$v = v_1 e_1 + v_2 e_2 + \cdots + v_n e_n$$

The linear function on V which takes value the coefficient $v_i$of the basis vector e_i on a vector $v \in V$, $v_i = \langle e_i, v\rangle$

In bra-ket notation we have $v_i = \langle e_i|v\rangle$ and $|v\rangle = \sum_{i=1}^{n}|i\rangle\langle i|v\rangle$

For corresponding elements of V^*, one has (using anti-linearity)

$\langle v| = \langle v| = \sum_{i=1}^{n} \overline{v_i}\langle i| = \sum_{i=1}^{n}\langle v|i\rangle\langle v|$

The operation of taking a vector $|v\rangle$to a dual vector $\langle v|$ corresponds to taking a column vector to the row vector that it is conjugate- transpose. $\langle v| = (\overline{v_1}, \overline{v_2}, \dots, \overline{v_n})$ .Then one has

$$\langle v|\omega\rangle = (\overline{v_1}, \overline{v_2}, \dots, \overline{v_n})\begin{bmatrix}\omega_1\\ \vdots \\ \omega_n\end{bmatrix} = \overline{v_1}\omega_1, \overline{v_2}\omega_2, \dots, \overline{v_n}\omega_n$$

If Ωis a linear operator $\Omega: V \to V$, with matrix elements $\Omega_{ij}: < j|\Omega_i >$. As matrices the action of Ω on $|v\rangle$given by:

$$\begin{bmatrix} v_1 \\ \vdots \\ v_n \end{bmatrix} \to \begin{bmatrix} \Omega_{11} & \Omega_{12} & \cdots & \Omega_{1n} \\ \vdots & \vdots & \cdots & \vdots \\ \Omega_{n1} & \Omega_{n2} & \cdots & \Omega_{nn} \end{bmatrix} \begin{bmatrix} v_1 \\ \vdots \\ v_n \end{bmatrix}$$

The decomposition of a vector υ in terms of coefficients $|v\rangle = \sum_{i=1}^{n} |i\rangle\langle i|v\rangle$.

2-1 Adjoint Operators :

The adjoint of a linear operator $\Omega: V \to V$ is operator $\Omega^{\dagger}$ satisfying $< \Omega v , \omega > \ = \ < v, \Omega^{\dagger} \omega >$ or in bar-ket notation

$$< \Omega v \mid \omega > \ = < v \mid \Omega^{\dagger} \omega > \ \forall v, \omega \in V$$

Generalizing the fact $< \alpha v \mid = \bar{\alpha} < v|, for\ \alpha \in C, \ < \Omega v \mid \ = < \ v \,|\Omega^{\dagger}.$ $<\Omega v|$ is conjugate transposed of $|\Omega\, v \rangle$.

$(\Omega^{\dagger})_{ij} = \overline{\Omega_{ij}}$, the linear transformation is self adjoint if $\Omega^{\dagger} = \Omega$, skew – adjoint if $\Omega^{\dagger} = -\Omega$.

2-2 Orthogonal and unitary transformations:-

A special class of linear transformations will be Invertible transformations that preserve the inner product, i.e., satisfying

$$< \Omega v, \Omega \omega > \ = < \Omega v \mid \Omega \omega > = < \ v, \omega > = < v| \ \omega >$$

$\forall\, v, \omega \in V$. Such transformations take orthonormal bases to orthonormal bases

$< \Omega v , \Omega \omega > = < \ v , \Omega^{\dagger} \Omega \omega > \ = < \ v , \omega >$

So $\Omega^{\dagger}\Omega \ = 1$ or equivalently $\Omega^{\dagger} = \Omega^{-1}$.

In matrix rotating, this first condition becomes:

$$\sum_{j=1}^{n} (\Omega^{\dagger})_{ij}\, \Omega_{jk} = \sum_{j=1}^{n} \bar{\Omega}_{ij}\, \Omega_{jk} = \delta_{ik}$$

Which says that the column vectors of matrix for Ω are orthonormal vectors.

2-3 Orthonormal Groups

The orthonormal groups $O\ (n)$ in n-dimensional is the group of invertible transformations preserving inner product on a real n-dimensional vector space V.

This is also the group of n by n real invertible matrices satisfying

$$(\Omega^{-1})_{ij} = \Omega_{ji}$$

The sub group of $O(n)$ of matrices with determinant 1 (equivalently , the sub group preserving orientation of orthonormal bases) is called $SO(n)$.

We have

$\Omega^{-1}\ \Omega = 1 \Rightarrow \det\ (\Omega^{-1})\ \det(\Omega) = \det(\Omega^{\dagger})\ \det(\Omega) = (\det\Omega)^2 = 1$.

So, $\det(\Omega) = \pm 1$.

$O(n)$ is continuous Lie group , with two components:

$SO(n)$, the subgroup orientation preserving transformations all elements of $SO(\ 2)$, are given by matrices of the form:

$$\begin{pmatrix} cos\theta & -sin\theta \\ sin\theta & cos\theta \end{pmatrix}$$

These matrices given counter -clock wise rotations in R^2 by angle θ. The other component of $O(2)$ will be given by matrices the form

$$\begin{pmatrix} cos\theta & sin\theta \\ sin\theta & -cos\theta \end{pmatrix}$$

Note that the group $SO(\ 2)$ is isomorphic to group $U(1)$ by

$$\begin{pmatrix} cos\theta & -sin\theta \\ sin\theta & cos\theta \end{pmatrix} \Leftrightarrow e^{i\theta}$$

Definition(2-1):- (Unitary Groups)

The unitary groups $U(n)$ in n-dimension is the group of invertible transformations preserving a Hermitian product on a complex n- dimensional vector space V. This is also the group of $n\ by\ n$ complex invertible matrices satisfying

$$(\Omega^{-1})_{ij} = \overline{\Omega_{ji}} = (\Omega^{\dagger})_{ij}$$

The sub group of $U(n)$ of matrices with determinant 1 is called SU (n).

The Same calculation as in the real case here gives

det (Ω^{-1}) det (Ω) =det$(\Omega^{\dagger})$det(Ω)= $\overline{\det(\Omega)}$ det (Ω) = $|det\ (\Omega)|^2 = 1$.

So det (Ω) is a complex number of length one. The map

$$\Omega \in U(n) \ \rightarrow det\ (\Omega) \in U(1)$$

Is a group homomorphism .

[3] Lie Algebras and Lie Algebras Representations :

For a group G we have defined unitary representations (π, V) for finite dimensional vector space of complex dimension n as homomorphism $\pi: G \ \rightarrow \ U(n)$

Definition(3-1):- (Lie Algebra)

For G Lie group of n by n invertible matrices, the Lie algebra of G (written Lie(G) or $\mathcal{G}$) is the space of n by n matrices X such that $e^{tX} \in G$ for $t \in R$.

Definition(3-2):- (Adjoin Representation)

The adjoin representation (Ad, $\mathcal{G}$) is given by H the homomorphism Ad: $\mathcal{G} \in$G→ {x→ $\mathcal{G}$ x $\mathcal{G}^{-1}$} ∈GL($\mathcal{G}$) meaning

$$(\mathrm{Ad}\ (\mathcal{G}))x = \mathcal{G} \times \mathcal{G}^{-1}$$

To show that this is well defined, one needs to check that $\mathcal{G}$ x $\mathcal{G}^{-1} \in \mathcal{G}$ when x$\in \mathcal{G}$, but this can be shown using the identity

$$e^{t\mathcal{G} x \mathcal{G}^{-1}} = \mathcal{G}\ e^{tx}\ \mathcal{G}^{-1} \Rightarrow e^{t\mathcal{G} x \mathcal{G}^{-1}} \in G\ if\ e^{tx} \in G$$

To check this, just expand the exponential and use

$$(\mathcal{G}x\mathcal{G}^{-1})^k = (\mathcal{G}x\mathcal{G}^{-1})(\mathcal{G}x\mathcal{G}^{-1}) \ldots (\mathcal{G}x\mathcal{G}^{-1}) = \mathcal{G}x^k\mathcal{G}^{-1}$$

It is homomorphism, with

$$\mathrm{Ad}(\mathcal{G}_1)\ \mathrm{Ad}(\mathcal{G}_2) = \mathrm{Ad}(\mathcal{G}_1\mathcal{G}_2)$$

The adjoint representation (Ad, $\mathcal{G}$) is in general not complex representation , but a real with Ad($\mathcal{G}$)∈GL($\mathcal{G}$) = GL(dim $\mathcal{G}$, R).

Definition(3-3):- (Lie bracket)

The Lie bracket operation on $\mathcal{G}$ is the bilinear anti-symmetric map given by the commutator of matrices

$$[\ .\ ,.\ ] : (X,Y) \in \mathcal{G} \times \mathcal{G} \to [X,Y] = XY - YX \in \mathcal{G}$$

Theorem(3-1):-

if $X , Y \in \mathcal{G}$,$[X,Y] = XY - YX \in \mathcal{G}$

Proof:

Since $X \in \mathcal{G}$, have e^{tX}∈G , $y \in \mathcal{G}$, we have e^{tY}∈G by the adjoint representation

$$Ad(e^{tX})_Y = e^{tX}Ye^{-tX} \in \mathcal{G}$$

As t varies this gives us parameterized curve in g. It is velocity vector will also be in g, so. $\frac{d}{dt}(e^{tX}Ye^{-tX}) \in \mathcal{G}$

$$\frac{d}{dt}(e^{tX}Ye^{-tX}) = \frac{d}{dt}(e^{tX}Y))e^{-tX} + e^{tX}Y\left(\frac{d}{dt}(e^{-tX})\right)$$

$$= Xe^{tX}Ye^{-tX} - e^{tX}YXe^{-tX}$$

Evaluating this at t= o gives

$XY - YX$

Which is thus shown to be in $\mathcal{G}$.

To do calculations with a Lie algebra choose basis $X_1, X_2, \dots, X_n$ for vector space g , the Lie bracket can be written in terms of this basis as $[X_j, X_k] = \sum_{l=1}^{n} C_{jkl} X_l$

3-1 Lie Algebra of the Orthogonal and Unitary Groups:-

The groups we are most interested in, are the groups of linear

Transformations preserving an inner product the orthogonal and unitary groups. Subgroups of $GL(n,R)$ or $GL(n,C)$ of elements Ω satisfying the conditions $\Omega\Omega^{\dagger} = 1$.

In order to see what this condition Becomes on the Lie algebra, write $\Omega = e^{tX}$, for some parameter t, X matrix in the Lie algebra matrices is since transpose of a product matrices is product of transpose matrices .

i.e., $(XY)^T = Y^T X^T$

And the complex conjugate of product of the matrices is the product complex conjugates of matrices, one has:

$$(e^{tX})^{\dagger} = e^{tX^{\dagger}}$$

The condition $\Omega\Omega^{\dagger} = 1$

Thus becomes $e^{tX}(e^{tX})^{\dagger} = e^{tX}e^{tX^{\dagger}} = 1$

Since X and $X^{\dagger}$ commute, this becomes $e^{t(X+X^{\dagger})} = 1$ or $X + X^{\dagger} = 0$

So the matrices we want to exponent are skew- adjoint , satisfying $X^{\dagger} = -X$.

3-2 Lie Algebra representations:

A (Complex) Lie algebra representations (ϕ, V) of Lie algebra $\mathcal{G}$ on an $n - dimensional$ complex vector space V is given by a linear map.

$$\phi : X \in \mathcal{G} \rightarrow \phi(X) \in gL(n,C) = M(n,C)$$

Satisfying $\phi([X,Y] = [\phi(X), \phi(Y)]$ such a presentation is called unitary if its image is in $U(n)$, i.e., is satisfies

$$\phi(X)^{\dagger} = -\phi(X)$$

Given a basis $X_1, X_2, \ldots, X_d$ of Lie algebra of dimension d with structure constant C_{jk} a representation given by choice of

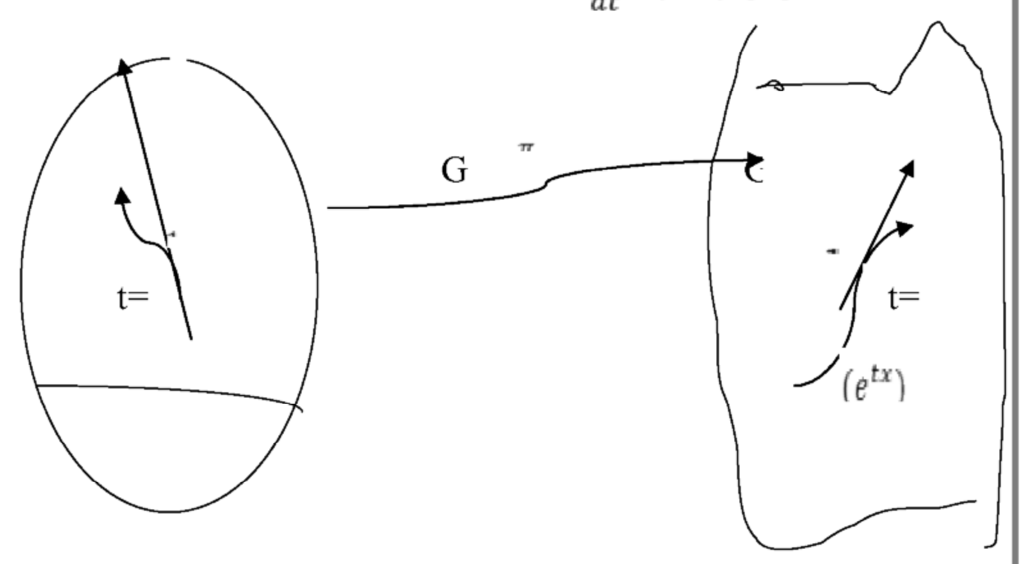
n by n complex matrices $\phi(X_j)$ satisfying the commutation relations

$$[\phi(X_j), \phi(X_k)] = \sum_{l=1}^{d} C_{jkl}\, \phi(X_l)$$

The representation is unitary when the matrices are skew-adjoint.

The notion of Lie algebra is motivated by the fact of homomorphism property causes the map π to be largely determined by its behavior infinitesimally near the identity, and thus by the derivative π'.

To define the derivative of such a map is in terms of velocity vectors of paths.To representation π : $G \to GL(n, C)$ a linear map $\pi': \mathcal{G} \to M(n, C)$ Where $\pi'(x) = \frac{d}{dt}\pi(e^{tX})|_{t=0}$



Fig(2): **Representation the derivative of such a map is in terms of velocity vectors of paths.**

In the case of $U(1)$ we classified all irreducible representations (homomorphism $U(1) \to GL(1, C) = C^*$) by looking at the derivative of the map at identity.

Theorem(3-1) :-

If $\pi: G \rightarrow GL(n, C)$ is group homomorphism , then

$\pi' : X \in \mathcal{G} \rightarrow \pi'(X) = \frac{d}{dt}(\pi(e^{tX}))|_{t=0} \in gL(n, C) = M(n, C)$

Satisfies :-

(1) $\pi(e^{tX}) = e^{t\pi'(X)}$

(2) For $\mathcal{G} \in G$, $\pi'(\mathcal{G} X \mathcal{G}^{-1}) = \pi(\mathcal{G})\pi'(X)(\pi(\mathcal{G}))^{-1}$

(3) π' is a Lie algebra homomorphism

$\pi'([X, Y]) = [\pi'(X), \pi'(Y)]$

Proof:-

(1)we have :

We have : $\frac{d}{dt}\pi(e^{tX}) = \frac{d}{ds}\pi(e^{(t+s)X})\Big|_{s=0}$

$= \pi(e^{tX})\frac{d}{ds}\pi(e^{sX})|_{s=0}$

$= \pi(e^{tX})\pi'(X)$

So $f(t) = \pi(e^{tX})$ satisfies the differential equation $\frac{d}{dt}f = f\pi'(X)$ with initial condition $f(0) = 1$. This has the unique solution $f(t) = e^{t\pi'(X)}$.

(2) We have $e^{t\pi'(\mathcal{G}X\mathcal{G}^{-1})} = \pi\left(e^{t\mathcal{G}X\mathcal{G}^{-1}}\right)$

$= \pi(\mathcal{G}e^{tX}\mathcal{G}^{-1})$

$= \pi(\mathcal{G})e^{t\pi'(X)}\pi(\mathcal{G})^{-1}$

Differentiating with respect to t at t = o gives

$\pi'^{(\mathcal{G}X\mathcal{G}^{-1})} = \pi(\mathcal{G})\pi'(X)(\pi(\mathcal{G}))^{-1}$

(3) Recall that

$$[X, Y] = \frac{d}{dt}(e^{tX}Ye^{-tX})\Big|_{t=0}$$

So $\pi'[X, Y] = \pi'(\frac{d}{dt}(e^{tX}Ye^{-tX})\Big|_{t=0})$

$$= \frac{d}{dt}\pi'(e^{tX}Ye^{-tX})\Big|_{t=0}$$ (by linearity)

$$= \frac{d}{dt}\pi(e^{tX}\pi'(Y)\pi(e^{-tX})\Big|_{t=0}$$ (by 2)

$$= \frac{d}{dt}\left(e^{t\pi'(X)}\pi'(Y)(e^{-t\pi'(X)})\right)\Big|_{t=0}$$ (by 1)

$$= [\pi'(X), \pi'(Y)]$$

[4] The Rotation and Spin Groups in 3 and 4 Dimensions:-

The rotation group in two dimensions about the origin are given by elements of $SO(2)$, with counter- clockwise rotation by an angle θgiven by the matrix $R(\theta) = \begin{pmatrix} cos\theta & -sin\theta \\ sin\theta & cos\theta \end{pmatrix}$.

This can be written as, $R(\theta): e^{\theta L} = cos\theta + Lsin\theta$ for $L = \begin{pmatrix} 0 & -1 \\ 1 & 0 \end{pmatrix}$

In three dimension the group SO(3) is 3- dimensional and non-commutative . One now has three independent directions one can rotate about, which one can take to be the $X, Y \text{ and } Z - axes$ with rotation about these axes given by:

$$R_x(\theta) = \begin{pmatrix} 1 & 0 & 0 \\ 0 & \cos\theta & -\sin\theta \\ 0 & \sin\theta & \cos\theta \end{pmatrix}$$

$$R_y(\theta) = \begin{pmatrix} \cos\theta & 0 & \sin\theta \\ 0 & 1 & 0 \\ -\sin\theta & 0 & \cos\theta \end{pmatrix}$$

$$R_z(\theta) = \begin{pmatrix} \cos\theta & -\sin\theta & 0 \\ \sin\theta & \cos\theta & 0 \\ 0 & 0 & 1 \end{pmatrix}$$

The infinitesimal picture near the identity of the group, given by the Lie algebra structure on $SO(3)$is much easier to understand.

For orthogonal groups the Lie algebra can be identified with space of anti- symmetric matrices so in this case has basis

$$L_1 = \begin{pmatrix} 0 & 0 & 0 \\ 0 & 0 & -1 \\ 0 & 1 & 0 \end{pmatrix}, L_2 = \begin{pmatrix} 0 & 0 & 0 \\ 0 & 0 & -1 \\ 0 & 1 & 0 \end{pmatrix}, L_3 = \begin{pmatrix} 0 & -1 & 0 \\ 1 & 0 & 0 \\ 0 & 0 & 0 \end{pmatrix}$$

Which satisfy the commutation relations

$[L_1, L_2] = L_3$, $[L_2, L_3] = L_1$, $[L_3, L_1] = L_2$ The Lie bracket operation $(X, Y) \in R^3 \times R^3 \to [X, Y] \in R^3$

that makes R^3 a lie algebra SO (3)= SU(2) is just cross- product on vectors in R^3 .

The commutation relations for L_i determine the Lie algebra representation $(ad, SO(n))$ by the definition of the adjoint representation, $(\mathrm{ad}(X))_Y = [X, Y]$. For infinitesimal rotations about $X - axis$, one has the adjoint representation

$$(ad(L_1)(L_1) = 0\ ,\ (ad(L_1)(L_1) = L_3\ \ , (ad(L_1)(L_1) = -L_2 \quad (2.33)$$

On vectors, such infinitesimal rotations vector, the standard basis e_i, of R^n by matrix multiplication, giving

$$L_1 e_1 = 0\ , L_1 e_2 = e_3, L_1 e_3 = -e_2$$

Lie algebra representation, with the isomorphism identifying $L_i = e_i$. At level of the group, rotations about the x- axis by an angle θ correspond to matrices

$$e^{\theta L_1} = \begin{pmatrix} 1 & 0 & 0 \\ 0 & cos\theta & -sin\theta \\ 0 & sin\theta & cos\theta \end{pmatrix}$$

Our two isomorphism are on column vectors (" vector" representation onR^3)and on anti- symmetry real matrices (" adjoint" representation on SO(3)) with the isomorphism given by :

$$\begin{pmatrix} v_1 \\ v_2 \\ v_3 \end{pmatrix} \leftrightarrow \begin{pmatrix} 0 & -v_3 & v_2 \\ v_3 & 0 & -v_1 \\ -v_2 & v_1 & 0 \end{pmatrix}, \text{let } A = \begin{pmatrix} 0 & -v_3 & v_2 \\ v_3 & 0 & -v_1 \\ -v_2 & v_1 & 0 \end{pmatrix}$$

On the anti symmetric matrices the Lie group representation is given by $Ad\ (g)\ (A) = g\ A\ g - 1$ when g is 3 by 3 orthogonal matrix .

On the anti symmetric matrices the Lie algebra representation given by $ad(X)(A) = [X, A]$ where X is 3 by 3 anti symmetric matrix.

4-1 Spin Group in Three and Four Dimensions:

The orthogonal groups $SO(n)$ in that they come with associated group, called spin(n). with every element of $SO(n)$ corresponding to two distinct elements of spin(n) .

$Spin\ (n)$ is topologically the simply- connected double-cover of $SO(n)$, and one can choose the covering map ф: $Spin\ (n) \rightarrow SO(n)$ to be group homomorphism.

$Spin(n)$ is a Lie group of the same dimension , with an isomorphic tangent space at the identity , so Lie algebras of the two groups are isomorphic $SO(n) \cong spin\ (n)$.

We will construct spin (n) and covering map ф only for the cases $n = 3$ and n = 4 , with higher dimensional . For n = 3 it turn out that $spin(n) = SU(2), and\ for\ n = 4, spin\ (4) = SU(2) \times SU(2)$.

To see how this works it is best to not use just real and complex numbers, but also bring in third number system, quaternions.

4-2 Rotation and Spin Group in Four Dimensions:-

Pairs (u, v) are units quaternions give the product group $sp(1) \times sp(1)$. An element of this group on $H = R^4$ by

$q \to uqv$ and this preserves length of vector and is linear in q, so it must correspond to element of group $SO(4)$.

The Pairs (u,v) and $(-u,-v)$ give the same orthogonal transformation of R^4, so the same element of $SO(4)$. One can show that $SO(4)$ is group $sp(1) \times sp(1)$, with elements (u,v) and $(-u,-v)$ identified. The name $spin(4)$ is given to the Lie group that "double covers" $SO(4)$

So here $$spin(4) = sp(1) \times sp(1)$$

4-3 Rotations and Spin Groups in Three Dimensions:

The subgroup spin (3) that only acts on 3 of dimensions and double –covers SO (3).To find this, consider the subgroup spin(4) consisting of pair (u,v) of the form(u,u^{-1}) (subgroup isomorphic to $sp(1)$, since elements correspond to a single unit length quaternion u).The subgroup acts on quaternions by conjugation

$q \to uqu^{-1}$

So $$q = \vec{v} = v_1 i + v_1 j + v_1 k$$

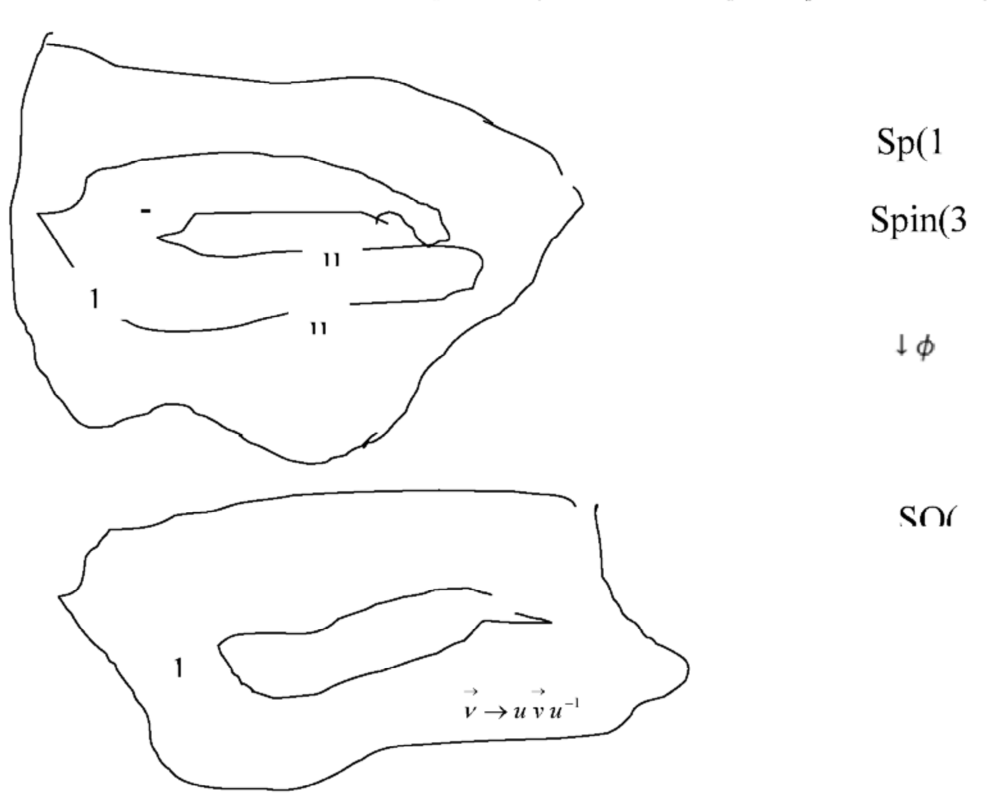
An element $u \in Sp(1)$ acts on $\vec{v} \in R^3 \subset H$ as

$\vec{v} \to u\vec{v}u^{-1}$

This is a linear action, preserving the length $|\vec{v}|$, so corresponds to an element of $SO(3)$.

We thus have a map

$\phi : u \in sp(1) \to \{\vec{v} \to u\vec{v}u\} \in SO(3)$



Fig(3):**Mapping between the spin (3) and double – covers SO (3)**.

Both u and $-u$ act in same way on $\vec{v}$

The relationship between rotations of $R^3$and unit quaternions is quite simple: for $\vec{\omega} = \omega_1 i + \omega_2 j + \omega_3 k$ a unit vector in $R^3 \subset H$, conjugation by the unit quaternion $u(\theta, \vec{\omega}) = cos\theta + \vec{\omega} sin\theta$

Gives a rotation about the $\vec{\omega}$ axes by an angle 2θ . The factor of 2 here reflects the fact that unit quaternions double –cover the rotation group $SO\ (3)$. For example takes the rotation as Z – axis by choosing $\vec{\omega}$=K. A unit quaternions $u_\theta = cos\theta + ksin\theta$ has inverse

$$u_\theta^{-1} = cos\theta - ksin\theta$$

And acts on $\vec{v} = v_1 i + v_2 j + v_3 k$

$$\vec{v} \to u_\theta \vec{v} u_\theta^{-1} = (cos\theta + ksin\theta)(v_1 i + v_2 j + v_3 k)(cos\theta - ksin\theta)$$
$$= (v_1(cos^2\theta - sin^2\theta) - v_2(2sin\theta cos\theta))i$$
$$+ (2v_1 sin\theta cos\theta + v_2(cos^2\theta - sin^2\theta))j + v_3 k$$
$$= (2v_1 cos2\theta - v_2 sin2\theta)i + (v_1 cos2\theta - v_2 sin2\theta)j + v_3 k$$

For rotations about the Z arises the double – covering map

$$\Phi: u_\theta = (cos\theta + ksin\theta) \in sp(1) = spin(3) \to \begin{pmatrix} cos2\theta & -sin2\theta & 0 \\ sin2\theta & cos2\theta & 0 \\ 0 & 0 & 1 \end{pmatrix} \in SO(3)$$

As θ goes from 0 to 2π , u_θ traces a circle in $sp(1)$.

In case of $U(1)$, the unit vector in $R^2$with basis i, for the case of $sp(1)$, can again take the identity to be in the real direction, and the tangent space(the Lie algebra $sp(1)$)is isomorphic to R^3, with basis i, j, k.

The Lie brackets just the commentator e.g. $[i, j] = ij - ji = 2k$.

Linear combination of these basis vectors one gets for paths

$$u(\theta, \vec{\omega}) = cos\theta + \vec{\omega} sin\theta$$

$$\frac{d}{d\theta} u(\theta, \vec{\omega})|_{\theta=0} = (cos\theta + \vec{\omega} sin\theta)|_{\theta=0} = \vec{\omega} = \omega_1 i + \omega_2 j + \omega_3 k$$

The derivative of the map ϕ will be linear map ϕ':$sp(1) \to SO(3)$ using the formula

$$\phi\,(cos\theta + ksin\theta) = \begin{pmatrix} cos2\theta & -sin2\theta & 0 \\ sin2\theta & cos2\theta & 0 \\ 0 & 0 & 1 \end{pmatrix}$$

$$\phi'\,(k) = \frac{d}{d\theta} \Phi(cos\theta + ksin\theta)|_{\theta=0} = \begin{pmatrix} cos2\theta & -sin2\theta & 0 \\ sin2\theta & cos2\theta & 0 \\ 0 & 0 & 1 \end{pmatrix}$$

$$= \begin{pmatrix} 0 & -2 & 0 \\ 2 & 0 & 0 \\ 0 & 0 & 0 \end{pmatrix} = 2L_2$$

Repeating this on other basis vectors one find that $\phi'(i) = 2L_1,\ \phi'\ (j) = 2L_2\ ,\ \phi'\ (k) = 2L_3$. Thus $\phi'$is an isomorphism of $sp(1)\ and\ SO\ (3)$ identity the basis $\frac{i}{2}, \frac{j}{2}, \frac{k}{2}\ and L_1, L_2, L_3$

that satisfy simple commutation relations

$$\left[\frac{i}{2},\frac{j}{2}\right] = \frac{k}{2},\left[\frac{j}{2},\frac{k}{2}\right] = \frac{i}{2},\left[\frac{k}{2},\frac{i}{2}\right] = \frac{j}{2} \qquad (2.44)$$

4-4 The Spin Group and SU(2) :

We discuss the isomorphism between quaternions H and space of 2 by 2 complex matrices, the Pauli matrices can be used to gives such an isomorphism taking

$$I \to 1 = \begin{pmatrix} 1 & 0 \\ 0 & 1 \end{pmatrix}, i \to -i\sigma_1 = \begin{pmatrix} 0 & -i \\ -i & 0 \end{pmatrix}$$

$$j \to -i\sigma_2 = \begin{pmatrix} 0 & -1 \\ 1 & 0 \end{pmatrix}, k \to \begin{pmatrix} -i & 0 \\ 0 & i \end{pmatrix},$$

The correspondence between H and 2 by 2 complex matrices is then given by:

$$\vec{q} = q_0 + q_1 i + q_2 j + q_3 k \leftrightarrow \begin{pmatrix} q_0 - iq_3 & -q_2 - iq_1 \\ q_2 - iq_1 & q_0 + iq_3 \end{pmatrix}$$

Since $$det \begin{pmatrix} q_0 - iq_3 & -q_2 - iq_1 \\ q_2 - iq_1 & q_0 + iq_3 \end{pmatrix} = q_0^2 + q_1^2 + q_2^2 + q_3^2$$

We see that the length squared function on quatemions corresponds to the determinant function on 2 by 2 complex matrices.

The complex matrices in SU (2) can be written in the form $\begin{pmatrix} \alpha & \beta \\ -\bar{\beta} & \bar{\alpha} \end{pmatrix}$ with α, β $\in \mathbb{C}$ arbitrary complex number satisfying $|\alpha|^2 + |\beta|^2 = 1$ with unit vectors in H is given by $\alpha = q_0 - iq_3, \beta = -q_2 - iq_1$

We see that sp(1) , spin(3) and SU(2) are all names for the same group, geometrically S^3 , the unit sphere in R^4 .

We have an identification of Lie algebra sp(1) = SU(2) between pure imaginary quaternions skew .Hermition trance– zero 2 by 2complex matrices

$$\vec{\omega} = \omega_1 i + \omega_2 j + \omega_3 k \leftrightarrow \begin{pmatrix} -i\omega_3 & -\omega_2 - i\omega_1 \\ \omega_2 - i\omega_1 & i\omega_3 \end{pmatrix} = \omega.\sigma$$

With basis $\frac{i}{2}, \frac{j}{2}, \frac{k}{2}$ gets identified with a basis for Lie algebra SU(2) which written in terms of Pauli matrices is $X_j = -i\frac{\sigma_j}{2}$ satisfying the commutation relations

$$[X_1, X_2] = X_3,\ [X_2, X_3] = X_1\ ,\ [X_3, X_1] = X_2$$

Which are precisely the same commutation relations as for

SO(3) $[L_1, L_2] = L_3, [L_2, L_3] = L_1\ , [L_3, L_1] = L_2$

We have no less than three isomorphic Lie algebras $sp(1) = SU(2) = SO(3)$ which we have adjoint representation.

$$\omega_1 \frac{i}{2} + \omega_2 \frac{j}{2} + \omega_3 \frac{k}{2} \leftrightarrow -\frac{i}{2}\begin{pmatrix} \omega_3 & -\omega_1 - i\omega_2 \\ \omega_1 + i\omega_2 & \omega_3 \end{pmatrix} \leftrightarrow$$

$$\begin{pmatrix} 0 & \omega_3 & \omega_2 \\ \omega_3 & 0 & -\omega_1 \\ -\omega_2 & \omega_1 & 0 \end{pmatrix}$$

With this isomorphism identifying basis vectors as

$$\frac{i}{2} \leftrightarrow -i\frac{\sigma_1}{2} \leftrightarrow L_1$$

At the level of Lie groups we have seen-that our identification of H and 2 by 2 matrices identifies sp(1) with SU(2) taking

$u(\theta, \vec{\omega}) \rightarrow cos\theta I - i(\omega.\sigma)sin\theta =$

$$\begin{pmatrix} cos\theta - i\omega_3 sin\theta & (-i\omega_1 - \omega_2)sin\theta \\ (-i\omega_1 + \omega_2)sin\theta & cos\theta + i\omega_3 sin\theta \end{pmatrix}$$

The relation to SO(3) relations is that this is an SU(2) element such that if one identifies vectors $(v_1, v_2, v_3) \in R^3$ with complex matrices $\begin{pmatrix} v_3 & v_1 - iv_2 \\ v_1 + iv_2 & -v_3 \end{pmatrix}$

Then:

$$(cos\theta I - i(\omega.\sigma)sin\theta) \begin{pmatrix} v_3 & v_1 - iv_2 \\ v_1 + iv_2 & -v_3 \end{pmatrix} (cos\theta I - i(\omega.\sigma)sin\theta)^{-1}$$

Is the same vector, rotated by an angle 2θ about the axis given by ω.

We will define

$$R(\theta, \omega) = e^{\theta(\omega_1 X_1 + \omega_2 X_2 + \omega_3 X_3)} = e^{-i\frac{\theta}{2}\omega.\sigma} = \cos(\frac{\theta}{2})I - i(\omega.\sigma)\sin(\frac{\theta}{2}) \quad (2.51)$$

And then it is conjugation by $R(\theta, \omega)$ that rotates vectors by an angle θ about ω.

In particular, rotation about the Z-axis by an angle θ is given by conjugation $R(\theta, \begin{pmatrix} 0 \\ 0 \\ 1 \end{pmatrix}) = \begin{pmatrix} e^{-i\frac{\theta}{2}} & 0 \\ 0 & e^{i\frac{\theta}{2}} \end{pmatrix}$

In term of the group SU(2) , the double covering map Φ thus acts on diagonalized matrices as

$$\Phi: \begin{pmatrix} e^{-i\theta} & 0 \\ 0 & e^{i\theta} \end{pmatrix} \in SU(2) \to \begin{pmatrix} cos2\theta & -sin2\theta & 0 \\ sin2\theta & cos2\theta & 0 \\ 0 & 0 & 1 \end{pmatrix} \in SO(3)$$

4-5 Spin Group in Higher Dimension:-

For each n>2, the orthogonal group SO(n) is double-covered by group spin(n) with an isomorphic Lie algebra. Special phenomena relating these spin groups occur for n<7 (it turns out that spin(5)=sp(2), the 2 by 2 norm-preserving quaternionic matrices), and spin(6)=SU(4), but in higher dimensions these groups have no relation to quaternions or unitary groups. The construction of the double-covering map $spin(n) \to SO(n)$.

4-6 The spinor representation:-

The irreducible representation is known as spinor or spin representation of spin(3) the homomorphism π_{spinor} defining the representation is just the identity map from $SU(2)$ to itself.

The spin representation of spin(3) is not representation of $SO(3)$. The double cover map $\phi : spin(3) \to SO(3)$ is homomorphism, so given a representation (π, V) of so(3) one gets representation $(\pi \circ \phi, V)$ of spin(3) by composition. But there no homomorphism $SO(3) \to SU(2)$ that would allow us to make the standard representation of $SU(2)$ on C^2 into an $SO(3)$ representation. We could try and define a representation of $SO(3)$ by

$$\pi: g \in SO(3) \to \pi(g) = \pi_{spinor}(\tilde{g}) \in SU(2)$$

Where $\tilde{g} \in SU(2)$ satisfying $\phi(\tilde{g}) = g$

[5] Conclusions:

The representation theory play an especially important part to explain how rotations in R^n are induced by the action of a certain group, spin(n) on R^n.

For a representation π and group elements g that are close to the identity, one can use exponentiation to write $\pi(g) \in GL(n, C)$.

spin representation of spin(3) the homomorphism π_{spinor} defining the representation is just the identity map from $SU(2)$ to itself.

Reference:-

[1] Elmagid &M. A. Bashir "Geometry of Spinor Fields and its Applications" Omdurman Islamic University, PhD thesis,2015.

[2] Alexander Kirillov, Jr, Introduction to Lie Group and Lie Algebra, Department of Mathematics,Suny at Story Brook, NY11794, USA.

[3] C. Castro and M. Pavsic, Clifford Alebra of Spacetime and Conformal Group, 2003.

[4] De Faria, E. and De Melo, w., Mathematical Aspects of Quantum Field Theory, Cambridge University Press, 2010.

[5] E. M. Corson, "Introduction to Tensors, Spinors, and Relativistic Wave Equations" Blackie, London, 1953.

[6] H. Blaine Lawson, JT& Marie-Louise Michelsohn, SpinGeometry, U of Princeton New Jersey, 1989.

[7] Lawrence Conlon, Differential manifold, second edditon Birkhauser Boston 2001.

[8] Mrinal Dasgupta, An Introduction to Quantum Field Theory, University of Manchester, Oxford, September 2008.

- Study. Com / explicit vs. Implicit
- The impact of Linguistics Language Descriptions Teaching and Theories.
- WWW -- esibase.com / Grammar Teaching

Bibliography

- Cook. Vivian 1991: second learning and language teaching London Eduard Arnold .
- Noam Chomsky, Universal Grammar third addition 2005.
- Noonan David .1995 language teaching methodology text book for teacher. London phonix.
- SafiyaYousof Ismail, Language Acquisition Strategies: with Specific Reference in English Language Acquisition by Sudanese School Children, University of Khartoum, 2003.
- Zeinab Abaker Ishag (2015) Analysis of tenses errors committed by Sudanese secondary school students.
- Adam Ismail Mohamed Ahmed, (2007) The Acquisition of Grammatical Accuracy Through a Functional Approach to Second Language Instruction, University of Khartoum.
- Brown, Douglas (1994) Teaching by Principle an interactive Approach language pedagogy - Engle wood cliffs, New Jersey prentice hall.
- Halt Saunders. Introduction to language(1979) international addition
- John East oxford University press (2005) - grammar finder.
- Patrick Hartwell. Grammar. Grammars and the Teaching of grammar collage English roll 47 NO. Published by national council of teacher English -2Feb. 1985.
- Richards, Jack and Lock hard Charles (1994) Reflective Teaching in Second Language.
- Stephen. D. Krasher, Principles and Practice in second Language Acquisition.

- Recommendation

The researcher recommended that:

- The English language teachers should be trained.
- Grammatical rules in English language should be treated with special care.
- Grammar at secondary school must be taught Implicitly .
- Teachers must use materials and aids on the class to help students to understand rules of language.
- In addition to the spine series there should be use supplement in secondary schools.

Thus a conclusion can be draw from this, that most of the respondents think that the implicit method of teaching grammar in secondary schools has a positive effect to learn English language especially on secondary schools. It is beneficial and very important.

Conclusions:

The main objective of this study was to know the effect of teaching grammar by implicit way on enhancing English language the researcher adopt Descriptive method to conduct this study the date obtained by making questionnaire responded by teachers of secondary school in Bahri locality the content analysis revealed a number of findings.

findings of the study

From the results which are noticed the questionnaire, the researcher come out with following:

Many students face real difficulty in understanding the rules of grammar in spine series implicit method of teaching grammar in secondary school has appositive effect to learn English language.

The majority of respondents agree with that the implicit method of teaching in beneficed to teach grammar in secondary school

Implicit grammar teaching effectively enhances EFL learners from competence.

Teaching grammar by the implicit method enhances the acquisition of English language.

Correct mistaks emplieitly on reading stories help students to understand grammatical rules.

Discussion of results in the relation to the hypotheses of the study:

The first hypothesis of the study is (Implicit grammar teaching (IGT)positively affect EFL learners development in the teacher's questionnaire table (4.1) and figure (4.1)which the majority of respondents (92.16%)answer agree and (7.84%)strongly agree which probably considered a positive view, more over statement in table (4.16)and figure(4.16)all of the respondents are agree(82.53%),and (11.76%) strongly agree which can be only considered positive view to prove hypothesis.

The second hypothesis (Implicit grammar teaching) (IGT) effectively enhance English foreign language learners (EFL) from competence). Statement of the questionnaire table(4.14) and figure (4.14)attempt to prove this hypothesis, because most of respondents have chosen agree with(90.20%) think that correct mistakes implicitly on reading stories help students to understand grammatical sentences correctly, which can also be considered positive view to prove hypothesis.

The third and final hypothesis is (IGT) (Teachers face several problems in teaching grammar implicitly) considering to the data obtained from teachers questionnaire statement from a look at table (4.15) and figure (4.15) supportive to the two positive options (88.24%) agree and (11.76%) strongly agree. In the teachers questionnaire statement from a look at table (4.14) and figure (4.14) attempt to prove this hypothesis of the sample chose (92.16%) strongly agree and other chose(5.88%) agree moreover statement in teachers questionnaire table (4.1) and figure (4.6) all of the respondents are agree(82.35%) which can also be considered positive to prove the hypothesis.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	49	96.1	96.1
Agree	1	2.0	2.0
Unsure	1	2.0	2.0
Total	51	100.0	100.0

It is apparent from the table and figure above that (96.8%) of the respondents are strongly agree that A good teacher ought to know more than just what in the book to avoid grammatical errors. Whereas (1.96%) agree and (1.96%) unsure.

Table.16: Teacher must use material and aids on the class to help students to understand rules of language.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	22	43.1	43.1
Agree	28	54.9	54.9
Unsure	1	2.0	2.0
Total	51	100.0	100.0

Table (.16) indicate that (54.90%) of the respondents are agree that Teacher must use material and aids on the class to help students to understand rules of language, whereas (43.14%) strongly agree and (1.96%) unsure.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	2	3.9	3.9
Agree	4	7.8	7.8
Unsure	3	5.9	5.9
Disagree	42	82.4	82.4
Total	51	100.0	100.0

With reference to table (.13) it is observe that great percentage (82.55%)has negative view of this assumption, whereas (3.9%) strongly agree and (7., (5.88%) unsure.

Table.14: Correct mistakes implicitly on reading stories on the class helps students to understand grammatical sentences correctly.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	5	9.8	9.8
Agree	46	90.2	90.2
Total	51	100.0	100.0

It is observed that a great percentage (90.20%) has positive view about this assumption, whereas the rest of percentage (9.80%) is given to agree. These indicate the benefit of implicit way of teaching grammar, and it is really help students.

Table.15: A good teacher ought to know more than just what in the book to avoid grammatical errors.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	49	96.1	96.1
Agree	1	2.0	2.0
Unsure	1	2.0	2.0

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	5	9.8	9.8
Agree	44	86.3	86.3
Unsure	2	3.9	3.9
Total	51	100.0	100.0

It is observed that from the table above most of respondents are agree to that (86.3%) Most schools in the Sudan lack the English language text-book, whereas (9.80%) strongly agree and (3.92%) unsure.

Table.12: Implicit grammar teaching positively affected EFL development.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	2	3.9	3.9
Agree	45	88.2	88.2
Unsure	4	7.8	7.8
Total	51	100.0	100.0

It is observed that a great percentage of respondents (88.24%) agree that Implicit grammar teaching positively affected EFL development, whereas (3.92%) strongly agree and (7.84%)has chosen unsure.

Table.13: Explicit grammar as noticed does not (can) able students fully grasping grammatical rules

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	2	3.9	3.9
Agree	4	7.8	7.8
Unsure	3	5.9	5.9
Disagree	42	82.4	82.4

Table.9: Teaching grammar implicitly enhances the acquisition of English language grammar

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	4	7.8	7.8
agree	12	23.5	23.5
unsure	35	68.6	68.6
Total	51	100.0	100.0

It is apparent from the table (7.84%) of the respondents are strongly agree that Teaching grammar implicitly enhances the acquisition of English language grammar, whereas (23.53%) agree and (68.63%) is unsure.

Table.10: Most of students in secondary school face many problems to understand the rules of English.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	43	84.3	84.3
Agree	8	15.7	15.7
Total	51	100.0	100.0

It can be seen from table (.10) that the majority of the respondents think that most of the students in secondary school face many problems to understand the rules of English (84.31%) while (15.69%) have chosen agree. This indicate the benefit of the method of teaching.

.11: Most schools in the Sudan lack the English language text-book.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	5	9.8	9.8
Agree	44	86.3	86.3
Unsure	2	3.9	3.9

Table: 7: Teaching grammar explicitly makes students know more about the language rather than how to use it.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	3	5.9	5.9
Agree	5	9.8	9.8
Unsure	41	80.4	80.4
Disagree	2	3.9	3.9
Total	51	100.0	100.0

Table (.7) indicate that (80.39%) of respondents unsure that teaching grammar explicitly makes students know more about the language rather than how to use it, while (5.88%)strongly agree and (3.92%) disagree.

Table.8: Teaching grammar explicitly has impact on learners language development.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	1	2.0	2.0
Agree	7	13.7	13.7
Unsure	2	3.9	3.9
Disagree	41	80.4	80.4
Total	51	100.0	100.0

It is apparent from the table (.8) that (80.39%) of respondents are disagree that teaching grammar explicitly has impact on learners language development, whereas (1.96%) strongly agree and (13.73%) chosen agree, (3.92%) are unsure.

It is apparent from the table and the chart above that (92.16%) of the respondents strongly agree that the Sudanese curriculum of teaching English is not satisfied the needs of teaching grammar that means this actually due to the methods of teaching, whereas (5.88%)agree and (1.96%) have chosen unsure.

Table.5: Teachers teach about the language not the language itself.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	4	7.8	7.8
Agree	45	88.2	88.2
Unsure	2	3.9	3.9
Total	51	100.0	100.0

As it can be noticed from table (.5) most of the respondents (88.24%) agree that teachers teach about the language not the language itself while the rest have chosen (7.84%) strongly agree whereas (3.92%) goes to unsure.

Table.6: The texts in spine series are not well selected and graded to teach grammar implicitly.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	6	11.8	11.8
Agree	42	82.4	82.4
Unsure	3	5.90	5.9
Total	51	100.0	100.0

According to the table (.6) most of the respondents going to agree (82.35%) that the texts in spine series are not well selected and graded to teach grammar implicitly, as (11.76%) have chosen strongly agree, while a small number (5.88%) are unsure .

Table.2: The time allocated for teaching English is not sufficient for mastering English.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
Agree	7	13.7	13.7
Unsure	2	3.9	3.9
Disagree	42	82.4	82.4
Total	51	100.0	100.0

As it can be noticed from table(.2) most of respondents (82.35%) think that the time allocated for teaching English is not sufficient for mastering English are disagree, while (13.73) agree, whereas (3.92%) are unsure.

Table.3: Some teachers of English are untrained.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	4	7.8	7.8
Agree	45	88.2	88.2
Disagree	2	3.9	3.9
Total	51	100.0	100.0

It can be seen from the table (.3) that the majority of respondents (88.24%) think that some of teachers of English are untrained, while (7.84%) of them have chosen strongly agree and (3.92%) disagree

Table.4: Sudanese curriculum of English is not satisfied the needs of teaching grammar.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	47	92.2	92.2
Agree	3	5.9	5.9
Unsure	1	2.0	2.0
Total	51	100.0	100.0

Presentation, Analysis and Discussion of Data

This part describes analysis of the responses to the questionnaire for teacher from secondary schools, and data collected, in this questionnaire each statement was analyzed and displayed by means of tabulation and a bar chart. The bar chart was chosen because a quick look at it gives the reader full information about the item analyzed. Results of the teachers' questionnaire, the results are summarized in the following:

Table: 1: Many of learners' grammatical errors are due to the method of teaching.

Valid	Frequency	Percent	Valid Percent
strongly agree	4	7.8	7.8
Agree	47	92.2	92.2
Total	51	100.0	100.0

With reference to table (1) it is noticed that(7.84%) the respondents are strongly agree that many of learners grammatical errors are due to the method of teaching, and also (92.16%) are agree that means of teaching is most importance to the learners.

The teacher’s personal characteristics and teaching style:

Teachers belief about their profession, the objectives goals and aims to teaching English as a foreign second language play a vital role in the process of teaching – learning.

According to (Richard and Lockhard, 1994: 33) teacher beliefs system are founded on the goals, rules and beliefs teachers hold in relation to the content and process of teaching their understanding of systems in which they work and their roles within these systems.

Teachers beliefs and value systems about the nature of language and language teaching are arrived at through time and experience. Wong to Richard and Lockhard study of teachers belief system (199) There are a number of sources on which teacher’s beliefs are grounded important among these sources are:

1. Teacher’s experience.
2. Experience of what works best.
3. Established practice.
4. Teacher’s personality factors.
5. Principles derived from approaches and methods.

(Richard and Lockhard, 1992: 3).

Teachers beliefs about teaching are the core of their belief systems, by beliefs about teaching is to be understood that every teacher has his/her own conception and understanding about teaching as a career, are seen in the light of these factors:

1. The teacher’s role in the teaching process.
2. The teacher’s use of teaching methods and techniques.
3. The teacher’s use of teaching materials and aids.
4. The teacher’s conceptualization of what constitutes successful teaching.
5. The teacher’s classroom management.
6. The teacher’s awareness of the characteristics of the successful

and Latin the description were based on the analysis of words and their function in sentences.

Structural linguistics:

This type follows as scientific approach to the analysis of language; the analysis involves a study of the phonemic, morphological and syntactic system under lie the study of grammar.

Language is considered a system of structures related elements Phonemes, morphemes, words, structures and sentences type.

The term "structural" refers to these elements of the language produced in a rule governed structural way.

Transformational generative grammar (T.G G):

Chomsky, 1950 The structural View of language description prevailed until the publication of pointed out of the limitation of the structural view of language as a collection of syntagmatic patterns in that it only described the surface structure of language.

for bringing about a good quality of ESL/EFL learning? One way of causing EFL/ESL learners to achieve satisfactorily in English is to make them aware of fact that good learning is underlined by principled and successful strategies. Another way is to devise tests and other assessment instruments for training learners on good language learning strategies (cook, 1982) (Ellies, 1989).

There are historically social, structure and regional rarrition of English divergences from the grammar. This article describe a generalized present day standard English, the form of speech found in types of publics discourses including, broadcasting, education, entertainment, government and news reporting, including both formal and informal speech.

When you learn the language you learn the sounds used in that language, the basic unit of language and the rules to the grammar of the language. We have used the word grammar into two ways. The first in reference to the grammar speakers have in their brains. The second as the model or description of this internalized grammar.

Types of grammar:

Formal grammar:

Chomsky Noam: 70 In formal grammar language theory grammar when the context is not given called formal grammar clarity is a set of production rules for strings in a formal language, the rule describe how to form strings from the language syntax.

A grammar does not describe the meaning of strings or what can be done.

Formal language theory discipline which studies formal grammar and language is a branch of applied mathematical, logic and other areas.

A formal grammar is a set of rules for rewriting strings, long with start symbol.

Traditional grammar:

This traditional view of language was based on the descriptions of the grammars of the classical languages, Creed

"I believe both implicit and explicit ways of teaching grammar are prevailing". It depends on the pupils requirements.

Micael says: l agree that grammar should be taught in a varied of ways, both implicitly and explicitly. It really comes down to why the students are learning the language. If there is to know enough English to communicate abroad on short trips, then communicative lessons may be best approach.

Rachel Say: Grammar is a necessary too for all students not just LEP students work 3rd. graders 20/25 are LEP and I find it necessary to teach grammar at least for 10 minutes a day in class. I believe providing grammar instructions not only helps scaffold the LEP, student native language have (grammar rules) but also monolingual students a broader base for if when they decide to learn a foreign language.

Grammar teaching should be implicit in the early 20th century Jespersen, like Boas,

Thought Grammar should be studied by examining living speed rather than by analyzing written documents. By providing grammar in context, in an implicit manner, we can expose students to substantial ' doses of grammar study without alienating them to the learning of English or other foreign language .I also agree with this implicit approach of teaching grammar . The principle manner in which Accomplish this is by teaching short grammar based sessions immediately followed by additional function based lessons in which the new grammar ' structure is applied in context

English grammar:

Holt Saunders (1979): 9). English grammar is the structure of expression in the English language. This includes structure of word, phrase, clauses and sentences.

Difference between Implicit and Explicit grammar:

The grammar that spells out rules and explicit for language structures is explicit grammar. This is the traditional grammar of English composition books and foreign language text books.

Implicit grammar is the grammar you learn through experience in the way you learned your native tongue.

Teaching explicit grammar:

Explicit grammar is cognitive approach that helps students again a conscious understanding of language rules.

Explicit grammar starts with an explanation when to use have and has and provides samples sentences that illustrated how to conjugate the verbs.

Teaching implicit grammar:

(Kaven Farven) Implicit instruction emphasizes a natural approach that teaches grammar through exposure to the language

When teaching English language as second language, the teacher may present the present tense of have implicitly by reading a story aloud, she may then lead a discussion about the story. This method focuses on communicative more than perfection, but a teacher can correct mistakes implicitly if a student says “Sally have a dog”. The teacher may respond “Sally has a very big dog”. Teachers don’t have to choose one method they can present new material implicitly by playing recorded dialogues and having as a students practice there.

They can then teach the grammar explicitly by calling attention to the forms and reinforcing the rules Muge says that,

learning. (Farech, C:1968).It clarifies meaning and encourages noticing .

Method of teaching ESL and EFL grammar:

Mohammed Rhmat (2009)Teaching methods are debatable. Some see grammar courses. Others however, think that knowing the grammar doesn't necessary lead to language mastery. They contend that focusing on explicit grammar teaching produces unsuccessful language users. Which one of these methods is the right one?

Explicit grammar teaching:

Mohammed Rahamat.(2009)say:Teachers who focus on language forms presentation explain the grammar rules through drilling hold a traditional new of language teaching. They equate language to grammar mastery and accurate usage and create bored disaffected students who can produce correct forms on exercises and tests, but consistently make errors when they try use the language itself appropriately in contextualized situation. These students consistently make errors when they try to use the language in context.

One of the most famous methods which advocated this kind of instruction is the audio lingual method, implicit grammar teaching.

By contrast, some teachers think that people can acquire language without any overt grammar instruction. Much in the some way children learn their mother tongue, they believe that conscious use of language form may result in high effective filter and consequently poor language usage focus or meaning rather than form for language activities. They provide contextualized and authentic language and don't refer to rules forms.

in satisfying a particular communicative purpose in a particular content. Grammar including syntax, which means sentence structure, morphology meaning and function.

Grammar teaching:

Different teachers have different attitude toward the way of grammar teaching. However, most teachers believe that grammar teaching is important. This importance is ensured by many authors, because it has many benefits.

(Hawatt A.R. (1984) states that the main purpose of grammar teaching is to help language learners see how the foreign language work, so that learners can handle progressively more different texts.

Cameron, L. (2001) says grammar is necessary to express precise meaning of discourse. This necessity appears when grammar ties into vocabulary in learning foreign languages. It als can evolve from the learning of chunks language. Grammar also can be taught without technical labels. As a relation to this (Brown :1994) says that to teach or not to teach grammar depend on age proficiency level, educational background, language skills, need and goals.

Grammar teaching approaches:

There are two different approaches of grammar teaching, explicit and implicit.

Explicit means expressed or shown clearly and openly without any attempt to hide anything in grammar teaching.

Bialystock, E. (1978) defines explicit as an approach contains all the conscious facts the learners have about the language and the criterion for the admission to this category. It can help to generate new language. It encourages learners to make sentences follow patterns and establish structures for

teachers personal characteristics and teaching style, teachers style and teachers role and teaching style and teaching.

Definning grammar

(Chomsky, Noam Grammar (noun) the structure and system of language or of language in general, usually considered to consist of syntax and morphology.

Grammar is the system of language people sometimes describe grammar as the rule of language. In fact, no language has “rules”. We suggest that somebody created the rules first and then spoke the language like a new game, but language did not start like that.

Language started by people making sound, which evolved into words, phrases and sentences. No commonly spoken language is fixed. All languages change over time.

What we call grammar is simply reflecting of language at a particular time.

Do we need to study grammar to learn language?

The short answer is No. Very many people in the world speak their own language, native language without having studies its grammar. Children start to speak before they even known the word grammar.

Also grammar means the rules which change form of the word, within sentences. This concept also means the ways that words are put together in order to make sentences or phrases.

Nunan and Carter (2001) say that there are two main kinds of descriptive grammar, formal and functional. Formal grammar takes the form of language with less attention given to meaning or language use.

(Nunan and Carter 2001: 34).Functional grammar conversely show language as largely social interaction seeking to explain why one linguistic form is more appropriate than another

3. The findings of this study are expected to be beneficial for EFL and all learners.

Delimits of the study:

This study is limited by the following factors:

1. This study.is restricted by the area investigated which represents errors that are committed by Sudanese students.
2. It is concerned with identification and explanation of some selected sample of grammatical error faced students at Bahri Locality, in the academic year 2017-2018.
3. Population of this study limited to teachers.

Methodology of the study:

This study adopts the descriptive analytical method. Distributed questionnaire for teachers to identify their problems in teaching grammar implicitly.

Literature Review

This part includes the meaning of grammar defined by other authors. Grammar teaching method in ESL/EFL also researchers introduce the meaning of implicit and explicit grammar and the difference between writers about the history of English grammar and the five meaning of grammar in language descriptive, then the researcher introduce the types of grammar in general, and what are the special problems of English grammar.

According to the previous studies, the researcher introduce in this chapter, the characteristic of a good foreign language teacher.

Next the researcher write about learners strategies and good/bad language learners at last of this chapter he introduce the

Objectives of the study:

1. To assess the impact of implicit grammar teaching on EFL learners. development.
2. To assess the role of implicit grammar teaching on enhancing EFL. grammatical competence.
3. To identify problems challenge faced by EFL teaching in implicit grammar teaching.

Questions of the study:

1. What is the impact of (IGT) on EFL learner's development?
2. To what extent does (1GT) enhances EFL learner's grammatical competence?
3. What were the problems faced by, EFL reaching in implementry (IGT)?

Hypotheses of the study:

1. IGT positively affect EFL learners' development.
2. IGT effectively enhance EFL learners from competence.
3. EFL teachers faced by several problems in teaching grammar implicitly.

Significance of the study:

1. This study reviews the role of learning techniques of teaching in the 2 languages, has an importance especially to all the EFL learners, teachers and syllabus designs.
2. It is study of Sudanese English learners at their secondary
school level.

Introduction

English has gained un precedent importance it is an international language. It is the language of global communications, science technology, internet and academic. In response; learning, mastering and teaching English has become also extremely important. Learners and teachers alike became interested in how best English language could be learned and taught respectively. For learners to master English they need to achieve mastering on its different skills and areas. English grammar is among their areas, however, the issue of teaching grammar is hotly debated, how grammar should be taught is perplexing issue. Should grammar be taught explicitly'? Or should be taught implicitly? Should grammar be taught seperatively or intgrativly? These questions are among the perplexing issue in grammar teaching. Thus this study attempts to investigated.

Statement of the problem:

As apart among researcher, the researcher noticed that there're many problems, face secondary student while they are performing grammar, also there are many mistakes or errors in sentences and structures. It is noticed that student faced by several questions on learning EFL grammar. EFL teacher's also faced by a great challenge on choosing the appropriate technique to address grammar to be exact on teaching. Grammar in secondary school is being wholly enable taught explicitly. Explicit grammar as noticed does not enable students fully grasping grammatical rules.'

Abstract:

This study aims at investigating the effect of teaching grammar through an implicit way on enhancing English language learning. The reason for such an investigation has resulted from the fact that many students of secondary schools faced many problems of understanding grammatical rules of English language. this study aimed to assess the impact of implicit grammar teaching on EFL learners, to assess the role of implicit grammar teaching on enhancing EFL, to identify problems challenge faced by EFL. The population sample (subjects) of the study were the teachers majoring in English at secondary schools of Bahri Locality, they were (91) a mixture of male and female chosen randomly to respond to questionnaire. The study adopted descriptive and analytical method. The study have revealed many results the most important are the following: implicit method of teaching grammar at secondary school has a positive effect to learn English language. The implicit method of teaching benefited to teach grammar, EGT. Effectively enhances EFL learners acquisition of English language correct mistakes. Implicitly help students to understand grammatical rules correctly. This study provided a number of recommendations among which the English language teachers must be trained. Grammatical rules in English language should be treated with special care. Grammar rules at secondary schools must be taught implicitly. The suggestion for further studies has also been provided the teachers education program in Sudan try to make teaching English language attractive profession, especially teaching grammar in secondary schools.

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلي كشف أثر تدريس قواعد اللغة الإنجليزية من خلال الطريقة الضمنية في تحسين تعلم اللغة الانجليزية. والسبب الرئيسي في كشف هذه الدراسة أن هنالك مشاكل تواجه طلاب المرحلة الثانوية في فهم قواعد اللغة الانجليزية، كما تهدف الدراسة إلى تعزيز تدريس قواعد اللغة الانجليزية بالطريقة الضمنية، كما تبين الدراسة دور المنهج الضمني في تدريس اللغة الانجليزية لمتعلميها كلغة أجنبية. كما أوضحت الدراسة بعض المشاكل والتحديات التي تواجه متعلمي اللغة الأجنبية.أخذت عينة هذه الدراسة من معلمين من المدارس الثانوية بمحلية بحري وتتكون من 91 معلماً ومعلمة أجابوا علي الأسئلة التي وجهت لهم.أتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في جمع البيانات. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها :أن الطريقة الضمنية في تدريس قواعد اللغة الانجليزية لها أثر إيجابي في تدريسها للمتعلمين. كما اتضح أن الطريقة الضمنية في تدريس قواعد اللغة الانجليزية ذات فائدة وأهمية كبري، حيث أنها تؤثر تأثيراً إيجابياً وتحسن من مقدرات الدارسين خاصة فيما يتعلق بتصحيح الأخطاء النحوية، كما توصلت الدراسة لعدد من التوصيات من أهمها، أنه يجب الاهتمام بتدريب معلمي اللغة الانجليزية، كما يجب أن تعامل قواعد اللغة الانجليزية بعناية واهتمام، بالإضافة إلى تدريسها في المرحلة الثانوية بطريقة ضمنية. كما اقترحت هذه الدراسة أن على أساتذة اللغة الانجليزية في السودان، محاولة جعل تدريس اللغة الانجليزية مهنة جاذبة، خاصة في تدريس قواعد اللغة في المدارس الثانوية.

Teaching Grammar Deductively at Secondary Schools.

(1) ❁By: 1:Dr. Tahiya Alshaikh Alhameem Yousif
Assistant professor at Faculty of Education - Alzaiem Alazhari University
Mobile: 0999164469
Email:t.hameem2009@hotmail.com
(2) Samah Yassin Ibrahim Emam : English Language Teacher. 2:

Mobile: 0116242280

❁ - أستاذ مساعد، قسم اللغة الإنجليزية، كلية التربية، جامعة الزعيم الأزهري.